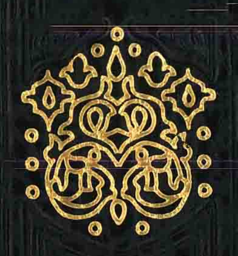


سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٣٠)



لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

جمع وإعداد الفقير لعفو ربه ورضاه

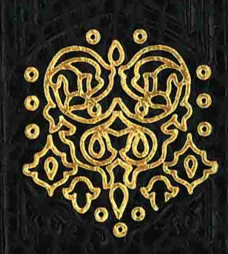
عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته وللمسلمين

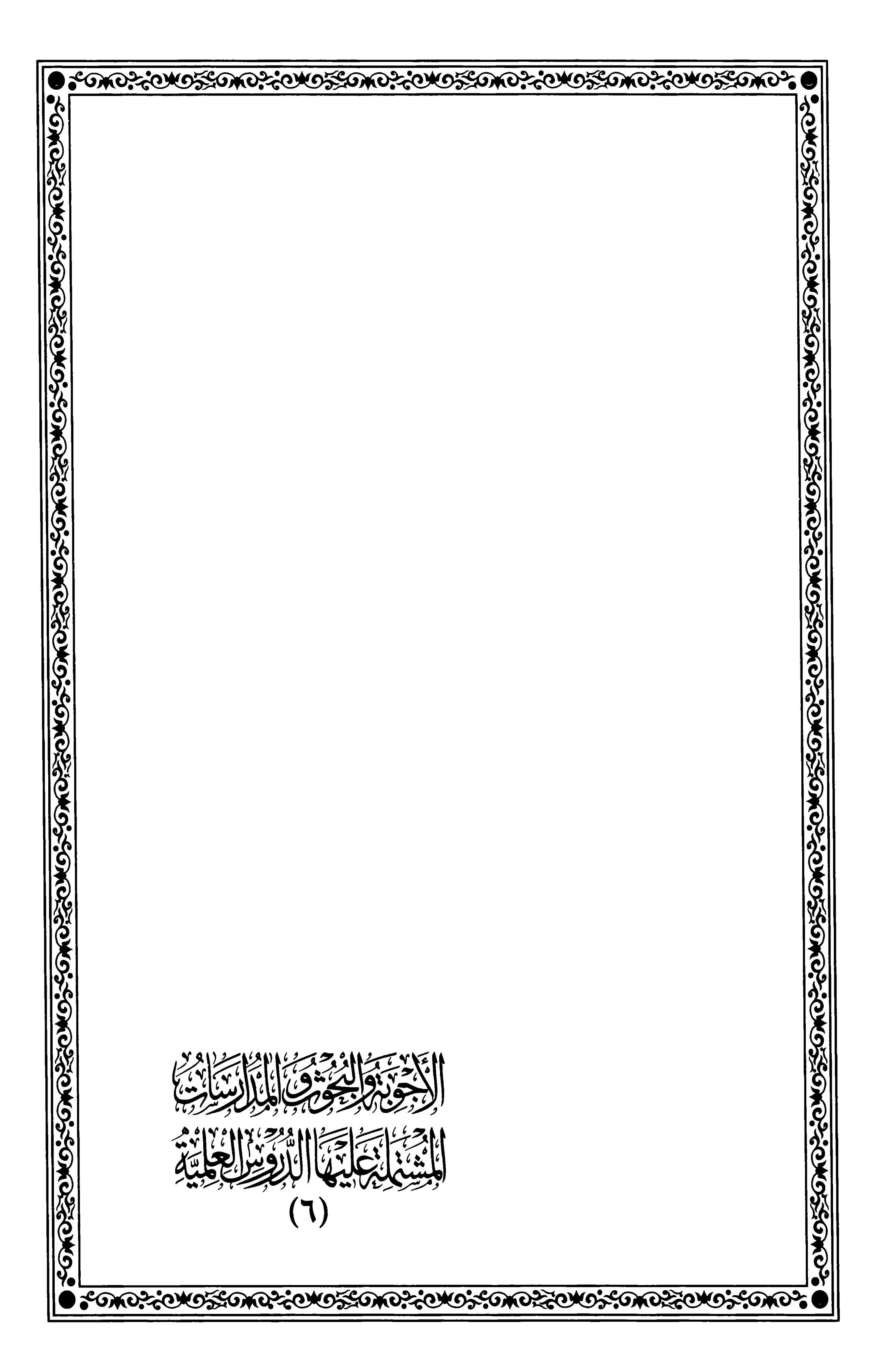
المجلد السادس

كتب ومؤلفون - السيرة والتراجم

كتب ومؤلفون - السيرة والتراجم



مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع



الأجوبة والبحوث والمدارسات
المشتملة عليها الدروس العلمية

(٦)

ح عادل محمد مرسي رفاعي ، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ ، صالح عبد العزيز محمد

الاجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية. / صالح عبد العزيز محمد ال الشيخ ؛ عادل محمد مرسي رفاعي - الرياض ، ١٤٣٦هـ

٨ مج.

ردمك : ٩-٨٢٧٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٨٢٨٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

١ - العلوم الشرعية - مجموعات ٢ - الفتاوى الشرعية - اسئلة وأجوبة ا. رفاعي ، عادل محمد مرسي (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢١٠,٨ ١٤٣٦/٥٢١٩

الطبعة الأولى

طبعة عام ١٤٣٦ هـ



مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - حي سلطانة شارع حنين - بجوار جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية - ١٧٥ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - البريد الالكتروني: d.alhijaz@gmail.com

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٣٠)

الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية

لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

جمع وإعداد الفقير لعفو ربه ورضاه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

المجلد السادس

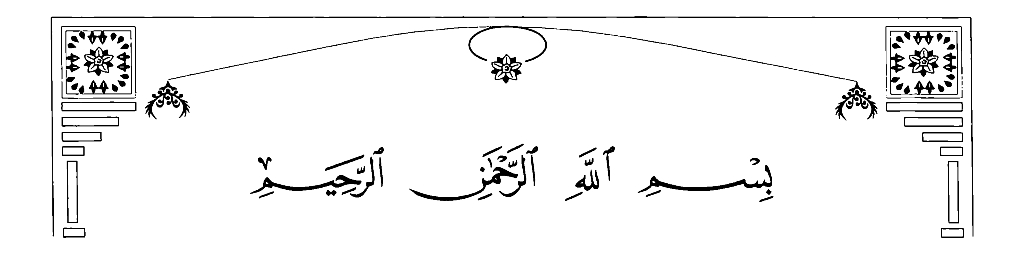
كتب ومؤلفون - السيرة والتراجم

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وبعد:
فقد أذنت لتلميذنا البار وابننا القلبي
الشيخ عادل محمد مرسي بأن يطبع المجموع
المسمى «البحوث والدراسات» بعد أن
جمعه وتولى ترتيبه وتصحيحه، وأطلعني
عليه بعد تمام الفراغ منه مصححاً ومرتباً،
فشكرت صنيعه وفقه الله وجزاه
خير الجزاء عن العلم وحملته، وعني، لما أفاد
ما صنع والحمد لله رب العالمين، وكتب أفقر
الورى صالح بن عبد العزيز آل الشيخ الرياض في ١٥/٥/٢٦



كِتَابُ بُلُوغ الْمَرَامِ

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] أحمده ﷻ خير حمد وأوفاه، وأثني عليه الخير كله، وأشكره، وأذكره، وأسأله - ﷻ وتقدست أسماؤه - أن يجعلني وإياكم من حملة العلم ومحصليه، ومن الذين يعلمون، ويعملون، ويبلغون، إنه ﷻ جواد كريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن من نعم الله ﷻ علينا جميعًا أن هيأ لنا مثل هذه الدورات العلمية، التي هي من أعظم ما يتعبد به المرء في هذا الزمان من النوافل، بل قد قال أهل العلم: (**إن أفضل النوافل على الإطلاق طلب العلم**)، وفضَّل الإمام أحمد وجماعة من الأئمة والمحققين طلب العلم على غيره، فجعلوا طلب العلم الذي ينفع المرء في دينه، وفي عقيدته، وفي عباداته، وفي معاملاته، جعلوه أفضل من الجهاد النفل، وهذا ظاهر؛ لأن العلم متعدّ، العلم يتعداك إلى غيرك، فتنتفع به نفسك، وتنفع به غيرك؛ ولهذا قال جماعة من أهل العلم لأجل فضل العلم: (ما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يستزيد من شيء إلا من

العلم، قال ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ لهذا ينبغي لنا أن نرعى هذه النعمة، وأن نقبل عليها، ألا وهي وجود مثل هذه الدورات، التي يُشرح فيها الشيء الكثير في الوقت القليل، فربما لم يمكننا أن نشرح متنًا من المتون إلا في سنة، لكن لأجل هذه الدورات فإنها يمكن معها أن يُشرح المتن في عشرة أيام، أو في عشرين يومًا، بحسب ما يتيسر من الحال، لهذا ينبغي على كل طالب علم أن يجتهد لهذه الدورات في الحضور، وفي المراجعة قبل وبعد، وأن يجعل هذه الأسابيع القليلة وسيلة للعبادة، بل وينوي بها التعبد في حضوره للعلم، وفيما يستعد له قبل وبعد، وهذا يعني أن تحض نفسك ومن تعرف ممن يمكنهم أن يحضروا، ويحملوا العلم، ويستمعوا إليه، أن تحضهم على حضور هذه الدورات، سواءً التي في هذا المسجد المبارك، أم في غيره؛ لأن العلم مطلوب تحصيله، ومطلوب نشره، وأن العلم لا ينتزعه الله ﷻ، ولا يرفعه من العباد هكذا نزعا، وإنما بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسًا جهّالا، هذا من أعظم ما أتألم له، وكل محب لدين الله يتألم له أن يسمع هذا الحديث، وينظر إلى قلة من جاء في طلب العلم، ويخشى أن يأتي زمان يتكلم في العلم من هو نتفة فيه، يأخذ من هاهنا وهاهنا، ثم يتصدر بين الناس، فيكون ممن قال فيه ﷺ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١)، اتخذوا رؤوسًا جهّالا؛ لأنهم ظنوا أنهم علماء، أو أنهم من أهل العلم، فسُئلوا، وهم في الحقيقة جهلة، لم يحصلوا من العلم ما به ترسخ أقدامهم فيه، ويُرسخ قلوبهم في فهم العلم وفي فهم كلام الله ﷻ

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وكلام رسوله ﷺ، فسألهم الناس، فأفتوا بغير علم؛ لأن علمهم معدوم أو مشوش، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا؛ لهذا ينبغي لك أن تحتسب أنفاسك، وأن تحتسب عمرك في طلب العلم، وفي الحض عليه، وفي حفظه، وفي تدارسه؛ فهو أفضل أنواع الجهاد الذي يجاهد به أعداء الله ﷻ، ويجاهد به الصد عن دين الله ﷻ في هذا الزمان، بل وفي غيره؛ ولهذا - كما ذكرت لك - فضّل العلماء طلب العلم على غيره من النوافل، واختلفوا: هل هو أفضل من الجهاد النفل التطوع أم لا؟ والصحيح أن طلب العلم أفضل؛ لعظم آثاره، ولعظم فضله، ثم إن طالب العلم ينبغي له أن يتأدب بآداب أهل العلم وحملة العلم ومحصليه، وهذه الآداب ذكرناها لكم مرارًا في دورات سبقت، ولابد من تعاهدها، فمن أعظمها:

١ - أن يكون مجاهدًا نفسه في الإخلاص لله ﷻ.

٢ - وأن يكون ذا نيّة صحيحة في العلم؛ فالعلم عبادة، ولا يُقبل إلا بنيّة صالحة وبإخلاص لله ﷻ؛ كما قال نبينا ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[١]، فإذا كانت نيته صالحة، فإن عمله يكون عبادة مع توافر الشرائط الأخرى وانتفاء الموانع؛ لهذا من أعظم أسباب البركة في العلم أن تكون نيتك صالحة في العلم، ومعنى النية في العلم: أن تنوي رفع الجهل عن نفسك بما تتعلم، والجاهل من يقول: العلم معروف، والأحكام معروفة، والحمد لله العقيدة معروفة. هذا كلام الجهلة، وأما الذي أخذ طرفًا من العلم، فإنه كما قال عمر ﷺ: «**من قال أنا عالم فهو جاهل**»[٢]

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) رواه الحارث في مسنده (١٧).

يعلم أن العلم واسع كثير؛ ولهذا يصعب تحصيله في وقت قصير، بل وقت تحصيل العلم العمر كله، وقت تحصيل العلم عمرك كله، من أوله إلى آخره؛ ولهذا جاء من أقوال أهل العلم: (**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**).

قال العلماء: (**النية في طلب العلم تأتي مع العلم**)، كما قال طائفة من أئمة الحديث: (**طلبنا العلم، وليس لنا فيه نية، ثم رزقنا الله النية**)[١]؛ لأنه لما تعلم العلم، علم أنه لابد أن ينوي فيه نية صالحة، وأن يتقرب به إلى الله، فنوى بعد أن تعلم، وقال آخرون من أئمة الحديث: «**طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله**»[٢]، يعني: أنهم حين طلبوا العلم طلبوه لنوازع، قد تكون منافسة، وقد تكون مجاملة، وقد تكون. . . ، وقد تكون. . . ، لكنه أبى أن يكون إلا لله؛ لأن العبد الصالح الذي يريد رضا الله ﷻ إذا حضر العلم، وسمع كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ، وعلم معنى كلام الله ورسوله، فإنه لن يفر من الله إلا إلى الله ﷻ بتصحيح النية وتصحيح القلب، وإسلام الوجه والنفس لله ﷻ وحده. إذًا فالنية الصالحة في العلم أن تنوي رفع الجهل عن نفسك، ثم تنوي رفع الجهل عن غيرك، فمن استقام له هذان الأمران أو الأول منهما، فهو على نية صالحة في العلم، فيرجى له القبول، وهذا القصد وهذه النية تنفعك كثيرًا، إذا استحضرتها في العلم، وطالما

---

(١) رواه علي بن الجعد في مسنده (١٨٤٩) عن سفيان الثوري.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٦) عن معمر وأخرجه ابن عبد البر في الجامع (١٣٨١) عن سفيان الثوري بلفظ: (كنا نطلب العلم للدنيا فجرّنا إلى الآخرة)، وأخرجه أيضًا ابن عبد البر (١٣٨٣) عن الحسن بلفظ (لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله وما عنده فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده).

نفعت غيرك في أنك إذا نويت رفع الجهل عن نفسك، فإنك ستستحضر دائمًا أنك تجهل أشياء كثيرة في العقيدة، تجهل أشياء كثيرة في التوحيد، تجهل أشياء كثيرة في معنى كلام الله في القرآن، تجهل أشياء كثيرة في معنى كلام الرسول ﷺ في العبادات وفي المعاملات.

العلم واسع، فإذا أحسست بأنك تجهل كثيرًا، وأنك تنوي وتجاهد لرفع الجهل عن نفسك، فإنك ستجتهد أكثر وأكثر في طلب العلم، وفي حفظه، وفي مدارسته.

هذه مقدمه بين يدي هذه الدورة، التي أسأل الله ﷻ أن يجزي القائمين عليها خيرًا، وأخص بالذكر منهم أخانا الشيخ فهد الغراب - وفقه الله لكل خير -، فلقد علمته مجتهدًا خير اجتهاد في أن ينفعكم، فلا تحرموه مع إخوانه وزملائه الذين أسهموا في إقامة هذه الدورة، لا تحرموهم من دعائكم الصالح مع تجزيتهم خيرًا.

أسأل الله ﷻ لنا ولهم القبول والسداد في الأقوال والأعمال، وأن يغفر لنا ولهم، ولوالدينا، ولمشايخنا، ولأحبابنا أجمعين؛ إنه ﷻ جواد كريم.

هذه الخطبة لهذا الكتاب العظيم كتاب «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» اشتملت على مقاصد:

المقصد الأول: الثناء على الله ﷻ وحمده ﷻ، وقد رأيت أنه لم يبتدئها بما يسميه العلماء بخطبة الحاجة، وذلك لأن أهل العلم يجعلون خطبة الحاجة في الخطب الكلامية، وأما في المكتوب، فعندهم أنه يشرع أن يثني على الله ﷻ بما هو مناسب للحال.

والنبي ﷺ في كتبه التي أرسلها إلى أهل الأمصار، وفي كتاب الصدقات أيضًا لم يبتدئها بما يسمى خطبة الحاجة، وخطبة الحاجة مشروعة في الخطب الكلامية، وأما المكتوب، فإن سنة أهل العلم فيه أن يحمد الله جل جلاله بما تيسر، إن كان بما يسمى بخطبة الحاجة: (**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ . . . إلى آخره**)؛ كما هي معروفة في رواية ابن مسعود[1]، أو بما يتيسر له من الثناء على الله جل جلاله. والحافظ ابن حجر رحمه الله - وهو من أئمة أهل الحديث في زمانه ومن حفّاظه - ابتدأها بما يناسب الحال: من الثناء على الله جل جلاله، وحمده على نعمه الظاهرة والباطنة القديمة والحديثة.

المقصد الثاني في هذه الخطبة: أنه ذكر فضل صحابة رسول الله ﷺ وفضل اتباعهم والتابعين لهم بأنهم ورثوا العلم، والعلماء ورثة الأنبياء، أكرم بهم وارثًا وموروثًا! وهذا فيه تحريك للنفوس لنيل أعلى المراتب، وهو أن تكون وارثًا للمصطفى ﷺ، وأكرم به وارثًا وموروثًا! أكرم بهم وارثًا! وأكرم بالعلم موروثًا! ورثوه عن المصطفى ﷺ؛ ولهذا قال ﷺ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَدِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[2].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يقولها النبي ﷺ بين يدي حاجته أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر (٨١٧) ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٨١٨) ووردت طويلة ومختصرة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩٢-٣٩٣)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الصغرى.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، ورواه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٦)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب العلم.

المقصد الثالث: ذكر أن كتابه هذا مختصر، يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية.

وذكر أنه حرره تحريرًا بالغًا؛ ليصير من يحفظه بين أقرانه نابغًا، وهذا موافق للحقيقة، وبرع فيه الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله فلقد اختصره، وهذا يقتضي أن يكون استفاد من غيره من الكتب، والكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام كثيرة، ومن أشهرها:

١ - عمدة الأحكام.

٢ - منتقى الأخبار للمجد بن تيمية.

٣ - والإلمام لابن دقيق العيد

٤ - والمحرر للحافظ شمس الدين بن عبد الهادي.

٥ - وبلوغ المرام، الذي نحن بصدد شرحه.

والعلماء بعد ابن دقيق رحمه الله استفادوا منه كثيرًا، فأكثر ما يستفيد العلماء في الكتب المختصرة في متون الأحاديث، أحاديث الأحكام من كتاب ابن دقيق العيد، الذي هو الإلمام، وقد اختصره، وقد استفاد منه، وقد أورد بعضهم هذا: شمس الدين بن عبد الهادي في كتابه المحرر، فحينئذ تعلم أن مصادر الحافظ ابن حجر في كتابه هذا: العمدة (عمدة الأحكام ومنتقى الأخبار)، و(الإلمام) لابن دقيق العيد، و(المحرر) لابن عبد الهادي، وقلما يخرج عن هذه إلى غيرها مما يحرره هو، ويستفيده، ويقرره.

المقصد الأخير: ذكر مصطلحه فيه وأنه عنى بالسبعة: (الإمام أحمد،

وأصحاب الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه)، وهذا المصطلح: (السبعة، الستة، الخمسة، الأربعة، الثلاثة) هذا اصطلاح، ليس متفقًا عليه، وليس سنة ماضية بين أهل العلم، لكنه انتشر وصف كتب الحديث: (البخاري ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه) بالكتب الستة؛ لأنه أدخلت في بعض التصانيف، وإلا فقد تجد من لا يسمي هذه الكتب بالستة، وقد يقتصر على الخمسة، دون ابن ماجه، كما فعل ابن الأثير في جامع الأصول على ما هو معروف عند أهل الاختصاص في مواطنه.

إذًا فهذه الكلمات - السبعة والستة. . .، إلى آخره - هذه اصطلاحية، وطالب العلم ينتبه إلى أنه قد يكون هذا التخريج الذي عُزِي لهذه الكتب - للستة، أو للسبعة، أو للخمسة - قد يكون في رواية موجودة بين أيدينا، وقد يكون في رواية ليست بأيدينا، وهذا يعني أن تتثبت كثيرًا حينما تخرج الحديث الذي ذكره الحافظ في «بلوغ المرام»؛ فإن من الأحاديث ما قد يظن الظان أنه لم يخرج في هذا الكتاب الذي عزاه إليه الحافظ ابن حجر.

وإذا تتبع الناظر وجد أن لعزو الحافظ أسبابًا، منها ما ذكرته لك من أنه يكون في رواية غير الرواية التي بأيدينا، مثلا: يكون في رواية للبخاري، ليست هي رواية الفربري، ويكون في رواية أخرى: كرواية حماد بن شاكر، أو نحو ذلك، وقد يكون هناك مخرج لرواية الفربري غير المخرج المعروف، وقد يكون في نسخة لأبي داود غير الرواية المعروفة؛ فإن أبا داود لكتابه عدة روايات، فرواية اللؤلؤي هي المشتهرة المعروفة بين أيدينا، ولها أيضًا عدة أوجه ونسخ، وهناك رواية ابن داسة، التي اعتمدها الخطابي في شرحه

(معالم السنن)، والتي رواها من طريق ابن داسة البيهقي في السنن الكبرى، يعني: يروي السنن من طريق ابن داسة، وهناك رواية أخرى أيضًا للسنن غير ما ذكرنا، وهكذا في الترمذي فإن نسخه تختلف اختلافًا كثيرًا في الزيادة وفي النقص، سواء في الأحاديث، أوفي الحكم على الأحاديث بالصحة، أو بكونه حسنًا صحيحًا، أو بكونه حسنًا، . . . إلى آخر ذلك، ثم كذلك سنن النسائي، تارة يطلق العزو، ويراد به الكبرى، وتارة يطلق العزو، ويراد به المجتبى، وهكذا في ابن ماجه، فإن نسخه أيضًا مختلفة، ومسند الإمام أحمد بخصوصه النسخة الموجودة بين أيدينا المطبوعة هذه نسخة ناقصة؛ أحيانا تجد مسانيد لبعض الصحابة كاملة، لا تكون موجودة، وأحيانًا بعض الأحاديث؛ لهذا نرى أن ابن تيمية وابن كثير وابن حجر تارة يعزون أحاديث لا نجدها في هذا المسند الذي بين أيدينا، وهذا المسند الذي بين أيدينا لجمعه قصة معروفة عند أهل العلم، وهو أن الحافظ مُسنِد زمانه عبد الله ابن سالم البصري، ثم المكي المعروف خاف على مسند الإمام أحمد من الاندثار، وذهاب نسخه، فاجتهد في جمعها على ما يعلم، فجمع القطع التي بأيدي الناس، وراسل العلماء، حتى اجتمعت عنده نسخة، فجمعها، ورتبها على ما يعلم من ترتيب مسند الإمام أحمد، فخرجت على هذا النحو، ثم نسخ منها نسخًا، وفرقها في الأمصار حفاظًا على هذا المسند العظيم، وعن إحدى هذه النسخ طبع مسند الإمام أحمد في طبعته المعروفة. والناظر في فهرس مسند الإمام أحمد، الذي جعله له الحافظ ابن عساكر، وهو في القرن السادس الهجري ينظر أن ثمة مسانيد فيه ليست موجودة في مسند الإمام أحمد الموجود، وثمة أحاديث بالجزم عزاها إلى مسند الأمام أحمد

ابن تيمية، أو ابن كثير، أو ابن حجر، وليست موجودة في هذا الذي بين أيدينا.

هذا العرض المختصر سواء لهذه الكتب السبعة، أو لغيرها، معه يكون طالب العلم متحريًا فيما ينتقد به العلماء في تخاريجهم، وخاصة حفاظ الحديث، والأئمة الذين عنهم أخذ التخريج، وهم الحفظة الكملة في ذلك، فلا يتجاسر أحد على توهيم الحافظ ابن حجر، أو على توهيم غيره من الأئمة إلا بدليل قاطع واضح من عالم راسخ في تخريج الحديث وفي معرفته، هذا أحد الأسباب.

والسبب الثاني: أن الحافظ ابن حجر قد يخرج الحديث، ويعزو الحديث إلى أكثر من مصدر، وهو يعني أصل الحديث، فيكون الحديث في بعض المصادر مفصلا، وفي بعضها مختصرا، فيعزو المختصر، وينسبه للجميع، فيذكر لفظ المختصر، وينسبه للجميع؛ لأجل رعاية الأصل، وهذا من السنة المعروفة عند أهل العلم في أنهم يصححون العزو، ويقصدون بذلك أصل الحديث.

أيضا قد يعزو الحافظ ابن حجر إلى بعض الكتب بلفظ، وينظر المخرج إلى أنه ليس في الكتاب بهذا اللفظ، وهذا يكون له سبب ثالث، وهو: أن الكتاب الذي عزاه إليه كمسلم مثلا، أو البخاري، أو سنن أبي داود، أو غير ذلك، يكون قد ذكر فيه الإسناد دون المتن، ومعلوم أن البخاري يورد أسانيد دون متونها في الشواهد، ويورد كذلك مسلم أسانيد كثيرة، ويقول في آخرها بمثله، سواء بنحوه، أو نحو ذلك، ولا يذكر المتن، وكذلك قد يفعل

أبو داود والترمذي، وجميع من صنف في الحديث، فيكون العالم يعلم أن هذا الإسناد متنه هو كذا وكذا، وهو موجود في سنن الدارقطني، أو موجود في سنن البيهقي، أو موجود في مسند ابن الجارود، أو موجود في مستخرج أبي عوانة، ونحو ذلك، فيقول: هذا المتن رواه مسلم، أو رواه أبو داود، وهو لم يذكر - أعني مسلما، أو أبا داود - لم يذكر اللفظ، وإنما ساق الإسناد، فيأتي من يتعقب الحافظ ابن حجر، أو يتعقب الأئمة، فيقول: هذا لم يروه مسلم، وإنما رواه بلفظ كذا وكذا، لم يروه البخاري، لم يروه أبو داود، . . . وهكذا في أنواع من تعقب الأئمة.

وقد لا يكون تَعقُّب من تعقَّب صحيحًا لهذه الأسباب أو بعضها، ومن أهمها أنه يذكر اللفظ، وصدق من قال: إنه ليس في مسلم، ولكن في مسلم الإسناد الذي يعلم الحافظ للحديث، ويعلم من يعتني بالمتون والأسانيد، يعلم أن متن هذا الإسناد هو كذا وكذا، مما هو موجود في سنن النسائي مثلًا، أو الدارقطني، أو في البيهقي، أو في ابن الجارود، أو عند الحاكم، أو ابن حبان، وابن خزيمة، . . . إلى آخره، فإذا ذكر مسلم إسنادًا، ولم يذكر المتن فيه، فإنه يقال: إنه رواه؛ لأنه روى الإسناد، وقال بمثله، ولكنه اختصارًا لم يذكر المتون، وهذه فائدة مهمة وعزيزة، ينبغي لك أن تعتني بها جيدًا، ولهذا اعتنى العلماء بالمستخرجات التي فكت هذا الاختصار، وذكرت ما اختصره مسلم، أو اختصره البخاري، ونحو ذلك من المسائل، لهذا ينبغي لك أن تعتمد ما ذكره الحافظ من التخريج، وأن لا تتعقبه في شيء من ذلك، وأن لا تلتفت أيضًا لتعقب من تعقب في التخريج، حتى يكون ثم برهان بيّن بعد رعاية هذه الأشياء التي ذكرت لك، ورعاية غير هذه الأشياء

مما قد يطول المقام بتفصيله في أصول التخريج ومقاصد العلماء، أعني: أئمة الحديث في عزوهم للأحاديث.

ومما يعظم عندك هذا الكتاب (كتاب بلوغ المرام) أنه من تأليف خاتمة الحفاظ، من أجمع على الثناء عليه من جميع الفئات والطوائف، وعلى حسن تصانيفه، وعلى دقته في بحثه، وعلى نزاهته فيه أيضًا، ألا وهو الحافظ العلم شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري المولود سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، والمُتوفَّى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة رحمه الله وجزاه الله عن أهل العلم خيرًا.

(بلوغ المرام) كتاب قد يطول الكلام عليه جدًا؛ لأن شرح الحديث - كما تعلمون - قد يكون مبسوطًا، وقد يكون مختصرًا، فالمعلم بيده بسط الكلام أو اختصار الكلام على الأحاديث، والذي رأيت أنه مناسب، وأرجو أن يكون - إن شاء الله تعالى - مناسبًا ونافعًا لي ولكم أن يكون شرحنا مختصرًا، وقدرت أن يكون ختم شرح بلوغ المرام في مائة يوم، وهذه الدورة قد تبلغ ثمانية عشر يومًا - إن شاء الله -، ولهذا نشرح فيها نحو ما بين المائتين إلى ثلاثمائة - إن شاء الله -، بحسب النشاط، وعدم ما يقطع الدرس.

الشرح سيكون سهلًا ممتنعًا مختصرًا، لكن أرجو أن يكون مفيدًا، بحيث إنه يرتب الكلام في شرح كل حديث على مقاصد أو مسائل.

فنذكر أولًا: المعنى الإجمالي للحديث، وثانيًا: لغة الحديث، وثالثًا: درجة الحديث من حيث: الصحة، والحسن، والضعف، وقد أبين بعض

العلل أو النقض على الأسانيد على قلة، وأخيرًا فوائد الحديث، أو من أحكام الحديث، ففي كل حديث - إن شاء الله تعالى - نرتبه على هذه المسائل الأربع، وسنمر مرورًا سريعًا إن شاء الله تعالى.

فأسأل الله ﷻ أن يوفقني لنفعكم ونفع نفسي، وأن يوفقكم أيضًا لتلقي ذلك، ومباحثته وفهمه ودرسه؛ إنه ﷻ جواد كريم. **[شرح بلوغ المرام]**.

❊ ❊ ❊

كِتَابُ العَقِيدَةِ الحَمَوِيَّةِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه الرسالة الموسومة بالحموية رسالة عظيمة في تقرير مذهب السلف في صفات الله ﷻ، وهي جواب سؤال ورد لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وسبب السؤال أن مذاهب الناس في زمنه كان أكثرها على غير الهدى في باب صفات الله ﷻ، فكثير منهم أشاعرة وماتريدية، وثَم معتزلة قليل، وثَم من أهل الفرق الأخرى أيضًا جماعات، وهؤلاء كلهم في باب الصفات ضلال، ولم ينج في باب الصفات إلا من تبع السلف الصالح؛ ولهذا كانت الحاجة ماسة - لكثرة ما خاض الناس في هذا الباب في زمن شيخ الإسلام وما قبله - أن يبسط القول في مذهب السلف المنجي في باب صفات الله ﷻ، ومن المتقرر أن طريقة النجاة في هذا الباب أن يسلك فيها طريقة سلف هذه الأمة؛ رسول الله ﷺ وصف السلف بأنهم خير القرون، قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قرني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1]، وكونهم خير القرون يدل على أنهم جمعوا من العلم أسلمه، وأعلمه، وأحكمه، وجمعوا أيضًا من العمل ما كان على صواب، وفيه إخلاصهم ومتابعتهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠، ٢٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥).

وهذا الباب - باب صفات الله - أعظم أبواب الدين؛ لأن به معرفة الله ﷻ والعلم به؛ لأن الله ﷻ لم تره العيون في هذه الدنيا، وما آمن به من آمن برؤية، وإنما رأته القلوب بحقائق الإيمان، وهذا الإيمان أعظمه العلم بالله ﷻ وبأسمائه وبنعوت جلاله وصفات كماله وجلاله، فلما كان الإيمان بصفات الله بهذه المثابة، نجزم قطعًا بأنه لا يمكن ألا يذكر باب النجاة فيه في الكتاب والسنة؛ لأن هذا أعظم ما تصح به القلوب، وأعظم ما يكون به الهدى؛ فإن العبد كلما كان أعرف بالله ﷻ، كان أتبع لشرعه، وكان أتقى لله ﷻ، ونقطع أيضًا أن الله ﷻ قد أكمل لنا الدين، وبين ذلك لنا رسوله ﷺ، وهذه هي المقدمة الثانية.

وكمال الدين يقضي بأن ما كان في ذلك الزمن الأول هو العلم المحكم، العلم الكامل في باب صفات الله ﷻ وفي غيره، فقول الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] من الدين الكلام في العقائد، ومن ذلك الكلام في صفات الله ﷻ، بل ذلك ما به تصح القلوب، وتشرق الأرواح على المعارف الربانية والحقائق الإلهية، وإذا كان كذلك، كان ذكره على وجه الكمال في الكتاب والسنة لابد منه، بل كان ذكره متيقنًا، لم؟ لأن الله أكمل لنا الدين، وأتم لنا النعمة، وهذا من الدين، وهذا الإكمال يقتضي أن طريقة الصدر الأول طريقة محكمة في هذا الباب، وأن ما فهموه من الكتاب والسنة في هذا الباب هو العلم، وهو الحكمة، وهذا فيه - كما أشار الشيخ - إبطال لقول من قال: إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. وهذه المقالة باطلة - كما سيأتي -؛ لأنها مبنية على أن الصدر الأول - الذين هم خير هذه الأمة -

لم يحكموا هذا الباب، إنما طلبوا فيه السلامة، وفرق بين السلامة والعلم، والحكمة والإحكام؛ لأن السلامة مرتبة دون العلم والإحكام؛ فلهذا كان قول من قال: إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. باطلا من وجوه متعددة.

هذا التأصيل من شيخ الإسلام والتقديم لكي يدخل في هذا الباب، وهذا البحث مبني على هاتين المسألتين. **[شرح الحموية]**.



كِتَابُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه - ﷻ، وتقدس، وتعاظم ربنا -، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد اللَّه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. . . أما بعد:

العقيدة الطحاوية مختصرٌ في العقيدة، مختصر مهم؛ لأن أهل العلم يحبذون إقراءه وشرحه، ويؤكدون على أهمية ما اشتمل عليه من مسائل الاعتقاد بلفظ موجز وبيان حسن، وهذه العقيدة التي نبتدئ شرحها في هذه الدروس هي عقيدة العالم المحدث أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، المتوفَّى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وهي المسماة بالعقيدة الطحاوية نسبة إليه، وهي عقيدةٌ موافقة في جل مباحثها لما يعتقده أهل الحديث والأثر - أهل السنة والجماعة -، كما سيأتي بيانه - إن شاء اللَّه تعالى -، وهذه العقيدة الطحاوية ذكر عدد من أهل العلم أن أتْباع المذاهب الأربعة ارتضوها؛ وذلك لأنها اشتملت على أصول الاعتقاد المتفق عليه بين أهل العلم، وذلك في الإجمال؛ لأن ثم مواضع انتُقدت عليه - كما سيأتي بيانه -، وأبو جعفر الطحاوي من علماء الحديث المعروفين، ومن الفقهاء المشهورين أيضًا، وكان شافعيًا، تفقه على المزني رَحِمَهُ اللَّهُ تلميذ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم انتقل في الفروع من مذهب الشافعية إلى مذهب الحنفية، فصار في

المذهب حنفي المذهب، إلا أنه لا يتعصب لقول أبي حنيفة، ولا يقلده، بل صنيع العلماء المحققين أن يتابعه فيما ظهر فيه الدليل، وأن يأخذ بالدليل إذا خالف قول الإمام، وقد جرت مناظرة في ذلك، أو جرى حوار في ذلك بين الطحاوي وبين أحد العلماء في مصر من الحنفية، فقال الطحاوي في مسألة بغير قول الإمام أبي حنيفة، فذاك قال له: ألست من أتباع أبي حنيفة؟ قال: بلى، ولكني لا أقلده؛ لأنه لا يُقلِد إلا عصبي - يعني متعصبًا -، فقال الآخر: وغبي أيضًا[1]. أي: لا يقلد من أهل العلم إلا متعصب، أو غبي، فصارت الكلمة مثلًا في مصر تداولها الناس في مقولة هذين العالمين، وذلك يدل على تحري أبي جعفر للحق، وعلى ابتغائه له.

وهو في الفروع - كما ذكرنا - حنفي المذهب، وأما في الأصول، ففي الجملة هو على مذهب أهل السنة والجماعة - أتباع أهل الحديث والأثر - إلا في مسائل تبع فيها مُرجئة الفقهاء، وفي جملة كلامه في هذه العقيدة يوافق معتقد السلف، إلا في المواضع التي ذكر فيها مسألة الإيمان في تعريفه؛ حيث قال: «والإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان»، وقال: «وأهله في أصله سواء»، وهذه من مقالة المرجئة، وقد ذكر هو في صدر عقيدته هذه أن هذا المعتقد الذي كتبه هو اعتقادُ أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وهذا ظاهر فيما ذكر من مسألة الإيمان.

فنقول: هذا الكتاب - كما سيأتي - مشتمل على أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بعبارة حسنة جيدة، وبتقرير لها طيب إلا في مسائل انتقدت

(١) انظر القصة بتمامها في: لسان الميزان (١/ ٢٨٠).

عليه؛ ولهذا كان بعض مشايخنا - عافاهم اللَّه، وختم لهم برضاه - يقول: هذه عقيدة الطحاوي، ولا يقال هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، إذا أريد الجميع؛ لأنه ثم مسائل خالف فيها معتقد أهل السنة والجماعة - أتباع أهل الحديث والأثر - في الأصول، وفي التعبير عن الاعتقاد كما سيأتي بيانه.

وهذه العقيدة اهتم بها علماؤنا؛ لأجل شرحها العظيم؛ وهو شرح ابن أبي العز الحنفي - من تلامذة الحافظ ابن كثير - صاحب شرح العقيدة الطحاوية المشهور بينكم، على أن هذه العقيدة لها شروح كثيرة، فالماتُريدية شرحوها بشروح متنوعة، ووجهوا الكلام فيها على معتقد أتباع أبي منصور الماتريدي، ولكن شرح ابن أبي العز وجهها توجيهًا سلفيًا، متابعًا فيه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية، وطريقة ابن القيم - رحمهما اللَّه تعالى -، وأجاد في ذلك، بحيث صار هذا الشرح مرجعًا في علم الاعتقاد بعامة، ودافع الشارح عن المصنف الطحاوي في مواضع مما عبر فيه بغير ما ينبغي من التعبير، أو فيما قرره في مسألة الإيمان بما هو معروف في موطنه، وسيأتي بحثه - إن شاء اللَّه تعالى - عند التعرض لعبارات المصنف.

هذا الكتاب أو هذه الرسالة والنبذة (العقيدة الطحاوية) فيها - كما ذكرنا - ذكر الاعتقاد بعامة، ولكنه أخذ عليه أنه لم يرتبه؛ ولهذا وقع الكلام على الصفات مفرقًا، ووقع الكلام على القدر مفرقًا، ووقع الكلام عن الإيمان مفرقًا، وهكذا في نظائر هذه المسائل، فهي كانت شبيهة بالإملاء على ما جاء في قلب المؤلف - رحمه الله، وأجزل له المثوبة - دون ترتيب علمي يجمع المسائل بعضها إلى بعض، يجمع النظير إلى نظيره والشبيه إلى شبيهه، ولهذا وقع كلام الشارح (عليّ بن أبي العز الحنفي) وقع كذلك تبعًا للأصل غير

مرتب، وذكر في أواخر شرحه أنه تمنى أن لو رتب هذا الشرح على ترتيب أركان الإيمان، ثم ما يتصل بذلك من الكلام؛ ليكون أبلغ في الانتفاع، فيجعل الكلام في الإلهية متتابعًا، والكلام في الصفات متتابعًا، والكلام في الإيمان متتابعًا، وفي القدر متتابعا، وفي النبوات متتابعًا . . . إلى آخر ذلك، وهذا لو حصل، لكان أنفع، وأدعى لاستحضار شرح تلك المسائل.

وهذه العقيدة أيضًا - على جلالتها، ووجازة ألفاظها - تحتمل شرحًا طويلًا؛ كما صنع الشارح ابن أبي العز الحنفي، وتحتمل شرحًا متوسطًا، وتحتمل شرحًا مختصرًا، ولما كنا قد شرحنا عددًا من كتب العقيدة في سنيِّنا التي مرت، رأيت - والتوفيق بيد الله ﷻ - أن أجعل الكلام عليها ليس على طريقة الشارح في الاستطراد في ذكر الشرح، وإدخال المسائل بعضها في بعض، ولكن على طريقة مرتبة متعلقة:

أولًا: بألفاظ المصنف.

ثانيًا: بالمسائل التي أوردها المصنف.

ثالثًا: بتحقيق القول في أن ما ذكره هو مذهب أهل السنة والجماعة.

رابعًا: في أدلة ما ذكره من المسألة.

خامسًا: في ذكر تفريعات تلك المسألة على اعتقاد أهل الحديث والأثر.

سادسًا: في ذكر أقوال أهل الفرق المخالفة وأدلتها والرد عليها.

وكما تنظر في هذا التقسيم قد يحتمل تطويلًا كثيرا، ويحتمل توسطًا،

ويحتمل اختصارًا، فأسأل اللَّه ﷻ أن يوفقني لما ينفعكم، وأن ينفعكم بما تسمعونه - إن شاء اللَّه -، وأرجو أن يكون منكم الاجتهاد في متابعة الشرح والتفريع على هذه المسائل، من جهة النظر في الشروح، وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة - رحمهم اللَّه جميعًا -؛ لأن في بحثك بعد الدرس ومراجعتك للدرس ما يؤكد هذه المسائل ويبينها؛ لأن التطويل والتفصيل قد يُذهب بعضه بعضًا عند المبتدئ والمتوسط، ولكن إذا راجعت، وأكدت على نفسك في المراجعة المستمرة الأسبوعية، كان في ذلك - إن شاء اللَّه تعالى - الخير الكثير، واستحضار لتلك المسائل، اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك، فهيئ لنا من أمرنا يسرًا ورشدًا، اللهم لا يسير إلا ما يسرته، اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، أنت تجعل الحزن - إن شئت - سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وسددنا في القول والفهم والعمل؛ إنك على كل شيء قدير. [**شرح الطحاوية**].

س١: ما أفضل شرح للعقيدة الطحاوية يمكن اقتناؤه ومتابعة الدرس من خلاله؟

الجواب: أنا سأشرح المتن - إن شاء الله تعالى - بطريقة تجمع ما بين السهولة للمبتدئ، وكثرة المادة للمتوسط؛ ولهذا لا أعرف شرحًا سيكون على ما أريد - إن شاء الله - لكن شرح ابن أبي العز شرح معروف، وكذلك شرح ابن مانع رحمه الله، أو تعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، أو تعليقات الشيخ ناصر الألباني رحمه الله هذه كلها فيها فائدة إن شاء الله. [**شرح كشف الشبهات**].

س ٢: أليس عجيبًا يا شيخ، أن الكثير من الناس يتكلم على ابن أبي العز؛ لأنه ذكر هذا الكلام، أي إن الخلاف لفظي، مع أن شيخ الإسلام هو السابق بهذا، فكأن هيبة شيخ الإسلام تمنعهم من ذكر ذلك عند الرد عليه؟

الجواب: يعني قل مثلًا: تقديرًا لكلامه. أما وهو ميتٌ، فما يُخاف منه، فقد كان له في حياته صولة، ولكن لما مات - رحمه الله ورفع درجته في عليين -، ليس له ما يُخاف منه أو يُرجى. **[مجلس ٢١/ ٧/ ١٤٢٣هـ]**.

س ٣: ألا يقصد المؤلف رحمه الله في متن الطحاوية بقوله: أهل الخير والأثر. من ذكروا في حديث: «**خَيْرُكُمْ قرني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)؟

الجواب: هذا قد يرد، لكن لا يسمى الصحابة رضي الله عنهم أهل الأثر؛ لأن التقسيم بين أهل الأثر وأهل النظر، هذا إنما أتى بعد ذلك، فلا نقول: إن في الصحابة أهل أثر وأهل نظر، وإنما هذا نشأ في القرن الثاني، في أوائل القرن الثاني في مدرسة المدينة أهل الرأي، والكوفة... إلى آخره، فانقسم أهل العلم إلى مدرستين: مدرسة النظر والفقه، ومدرسة الفقه والأثر. **[شرح الطحاوية]**.



(١) سبق تخريجه (ص ١٩).

كَتَابُ العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فأسأل الله ﷻ لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن ينور بصائرنا بالعلم والهدى، وأن يقيم أعمالنا بدين الحق الذي أرسل به رسوله ﷺ.

هذا الدرس الذي أسأل الله ﷻ أن يتممه، ألا وهو: (شرح العقيدة الواسطية)، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام والمسلمين، علم الدين وتقي الدين: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، الإمام المعروف، المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة - رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة -، كتبها إلى أهل واسط، يبين لهم فيها اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة (أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة)، ومن تبعهم على هذا الاعتقاد إلى وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذه الرسالة - على وجازتها واختصارها - قد اعتنى بها العلماء بعد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنها قد شملت أصول عقائد أهل السنة والجماعة على الخلاصة الوافية؛ فقد ذكر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ كل أصول الاعتقاد. . .، ذكر فيها شرح أركان الإيمان الستة، وذكر فيها ما يجب لله - تعالى - من صفات الكمال،

وما يوصف الله ﷻ به، والأصل في ذلك مخالفة المبتدعين والضالين في باب الأسماء والصفات، وذكر ما يتصل بذلك من الإيمان بالأمور الغيبية، والإيمان بالكتب والرسل وبالقدر خيره وشره، كما بين أن من أصول أهل السنة والجماعة الأحكام المتعلقة بالإمامة العظمى، وكذلك ما يجب لولاة الأمر من حق السمع والطاعة؛ مخالفة للخوارج وأشباههم ممن خالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، وذكر اعتقاد السلف الصالح في صحابة رسول الله ﷺ، وأن ذلك من الواجبات الشرعية الاعتقادية؛ لأن فيه مخالفة لأهل البدع من الروافض وأشباههم، الذين لا يتولون جميع أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر أصول الأخلاق عند أهل السنة والجماعة.

وبهذا الذي ذكره في هذه الرسالة العظيمة المختصرة تبين أن اعتقاد أهل السنة والجماعة يشمل ثلاثة أصول:

الأول: العقيدة العامة في الله ﷻ وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

الثاني: مسائل الإمامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلام فيما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة رضي الله عنهم.

الثالث: الكلام في أخلاق أهل السنة والجماعة.

وهذه هي الأمور الثلاثة التي فصَّل فيها شيخ الإسلام رحمه الله في هذه الرسالة العظيمة، وهذه الرسالة وجيزة ألفاظها، لكن هي مدرسة للعلم باعتقاد أهل السنة والجماعة وبمنهج أهل السنة والجماعة.

وذلك الاعتقاد وتفصيله في كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُعد شرحًا لهذه العقيدة الواسطية، فأحسن شرح لهذه العقيدة ما نثره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه، وفصّل وبيّنه من أصول هذا الاعتقاد، كذلك تلميذه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ إذ لا أحسن في فهم كلام شيخ الإسلام من شرحه هو نفسه في مصنفاته الأخرى، وكذلك في فهم تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه الرسالة لها شروح كثيرة - كما هو معلوم -، ومن أعظمها نفعًا وأدقها لفظًا الشرح المسمى بالتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، للشيخ العلامة عبد العزيز بن رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن هذا الشرح من أنفس شروح هذه العقيدة الواسطية، فقد بين من مسائل هذه العقيدة ومن ألفاظها ما يكفي طالب العلم في هذا الباب - أعني: باب الاعتقاد -؛ لأنه ذكر فيها من العلم الواسع الغزير ما لو اكتفى به طالب علم في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، لكفاه؛ ولهذا أحض من أراد شرحًا لهذه العقيدة أن يقرأ هذا الكتاب، ألا وهو (التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية) للشيخ ابن رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإن من المقدمات المهمة قبل الشروع في شرح هذه العقيدة أن نبين أن هذه العقيدة المباركة - وكذلك سائر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - بين فيها عقيدة السلف، وفصل فيها ما ذكره السلف في كتبهم من الاعتقاد، وكتب شيخ الإسلام تتميز على كتب السلف - يعني: من كتب أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم ومن تلاهم زمنًا -، تتميز هذه العقيدة وسائر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية عن تلكم الكتب الكثيرة في الاعتقاد بمزايا، منها:

* أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد فهم ما قاله الأئمة من قبل، فصاغ بصياغة تجمع أقوالهم بأدلتها وببيان معانيها، فهو خير من فهم كلام الأئمة من قبل.

* ومن مزاياه - أعني مزايا كلام شيخ الإسلام في الاعتقاد - أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بلغ في فهم نصوص الكتاب والسنة المبلغ والدرجة التي شهد له بها أهل عصره ومن تلاهم، ومن المعلوم أن أدلة الاعتقاد هي نصوص الكتاب والسنة، ثم هو مع هذا اطلع على كلام الصحابة وكلام التابعين ومن تبعهم في تفسير معاني نصوص الكتاب والسنة؛ ولهذا فإن كلام شيخ الإسلام في بيان معاني الكتاب والسنة يعد أحسن كلام للعلماء المتأخرين، يعني بعد الأئمة المشهورين.

* ومن مزايا كلام شيخ الإسلام - وهذه العقيدة أيضًا - أن شيخ الإسلام استحضر حين كتابتها أقوال أهل البدع والمخالفين وحججهم، وهو يذكر ما يذكر من الاحتجاجات مستحضرًا تلك الأقوال، وتلك الاعتراضات من أهل البدع، أو تلكم الأقوال المنحرفة من أهل البدع على اختلاف أنواعهم، ومعلوم أن حال الكاتب أو المؤلف الذي يؤلف، وهو على هذه الدرجة العظيمة من الاستحضار، أن كلامه يكون منبئًا عما يكون فصلًا في هذه المسائل.

* ومن مميزات هذه العقيدة - وكذلك سائر كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أن شيخ الإسلام أوضح فيها كثيرًا من المجملات، التي ربما كانت في كلام السلف، فقد تجد في كلام المتقدمين من أهل القرون المفضلة كلامًا في الاعتقاد، وربما أجمل في مواضع، وفصل في مواضع، وشيخ الإسلام يستحضر هذا وذاك، ويذكر الكلام المجمل والمفصل، كل في مكانه، ويوضح ذلك، بحيث إن من فهم كلام شيخ الإسلام، وفهم كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم بعد فهمه لذلك وبراعته فيه رجع إلى كتب السلف، فإنه

يفهمها فهمًا مصيبًا، فهمًا على ما ينبغي، وأما من ترك التفقه في كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فربما زل في فهمه لبعض كلام السلف وكلام الأئمة؛ لأن بعضهم وقع في كلامه إجمال، أو وقع في كلامه رعاية لحال السائل، أو نحو ذلك من الأسباب التي لا يمكن المجيب معها أن يفصل التفصيل المطلوب(١)؛ لهذا نقول: إن العناية بهذه العقيدة مما حث عليه العلماء قديمًا وحديثًا، فلا غرو أن أوصي إخواني - وفقهم الله تعالى للخير - بهذه العقيدة، وبفهم ألفاظها، ومعاني الألفاظ، ومعاني ما فيها من الأدلة والاستدلال والحجج؛ لأن فيها خيرًا عظيمًا. **[شرح الواسطية]**.

❀ ❀ ❀

(١) لشيخنا صالح آل الشيخ - حفظه الله - محاضرة ممتعة بعنوان: «كيف تقرأ كتب شيخ الإسلام؟».

طُرقُ العِنَايَةِ بِكُتُبِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيْمِيةِ

شيخ الإسلام عنده استطرادات، هذه استطرادات تجعلك تعود مرة ثانية، وتلخص، وتُبعد الاستطرادات، وتعرف الموضوع، وما صلته بالأول، فتتكون عندك صورة، يعني: يمكن جملة تُلخص في صفحة أو في صفحتين، وهو يذكرها لك في عشرين أو ثلاثين صفحة، الذي لا يتابع قد لا يستفيد كثيرًا من أصوله. فلا يهمك من شيخ الإسلام استطراداته، هي استطرادات مفيدة لكن ليست هي الأصول، دعوة السلف التي يمثلها ابن تيمية رحمه الله ومن تبعه هذه خذها من مجملات كلامه من أوائلها، إذا بدأ يستطرد لا تنشغل به؛ لأن الاستطراد هذا في ذهنه هو، وهو يتكلم عن أشياء: إما حالة معينة عنده، أو حالة الكتب، أو حالة الأمة، يستطرد إما لرد على مخاصم ظن أنه سيناظره، أو يرد عليه في هذا الموطن الذي تكلم فيه، فيبحث، يجيء لك بالنظائر والأدلة في استطراد، أنت تقول: ما له لزوم. نقول: في وقتنا هذا ما له لزوم، لكن عنده في وقته له حاجة؛ لأن ثم من يعارض، فأراد أن يقول للمعارض: إن اعترضت بكذا، فهذا جوابه من الاستطرادات المختلفة.

فالعناية بكتب شيخ الإسلام هي في الواقع عناية بالدعوة إلى طريق السلف، لكن ينبغي لك أن تتأمل، وتتأني في ذلك، وقد ذكرت مرة كلمة في بعض الأماكن - أظنها في كلية - عن بعض توجيهات في قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، نفعني الله وإياكم بما قال، وجعلنا ثابتين على الإسلام والسنة؛ إنه جل جلاله سميع قريب. **[شرح الاستقامة]**.

اسْتِطْرَادَاتُ شَيْخِ الإِسْلامِ فِي كُتُبِهِ

شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ له استطرادات عجيبة، سبحان الله العظيم! شيخ الإسلام بالذات يجيء، وهو يتكلم، يستحضر أشياء، يمكن لا يستحضرها أحد، يستحضر إشكالًا، ثم يحله، ثم يستحضر ثانيًا، ويحله، ثم يرجع لك إلى الأمر الأول، فالآن جاء من جهة أخبار اعتقادية وأوامر عملية، وقال: وقع الخلاف في الأمة في هذا وهذا، وما هو فصل الخلاف فيها، ثم انتقل لك الآن إلى طريقة نقل الأمور العلمية والعملية، يبحث الآن مسألة النقل، مسألة كيف يُنقل هذا، وكيف يُنقل هذا؟ وهل بينهما فرق؟ وفي الواقع كل هذه المسائل فيها خلاف، يعني: وقع الخلاف في الأمة، بعضهم ضلل بعضًا به، وبعضهم لعن بعضًا به، مثل ما ذكر في الصدر، لكن الشأن في الواقع ليس في وجود الاختلاف، وإنما الاختلاف في المقاصد، فهناك خلاف في المقاصد، وهناك اختلاف في الوسائل، الوسائل مثل الأصول، مثل الآلة، أي: الأشياء الموصلة إلى ذلك المقصد، وهناك خلاف جاء في المقاصد، والخلاف في المقاصد هو الأهم.

إذًا أنت تربط ذهنك - وهو يتكلم رَحِمَهُ اللَّهُ - بأصل الكلام، وهذه تستفيد بها في كتب شيخ الإسلام، امسك أصل الكلام، أما تفريعاته وذهابه وإيابه، فهذه لا تشغلك عن أصل البحث، اعرف أين راح؟ ولماذا؟ إذا انتقل من موضوع لموضوع، اربطه بالموضوع الأصلي، وينفع لك في ذلك التشجير، إذا شجَّرت، تستفيد، وتعرف كيف سار، فإذا رجعت مرة ثانية، تتصور كلام شيخ الإسلام في أي موضع.

من مهمات التفريعات هذه أنها أحيانًا، بل كثيرًا ما يسترسل في التفريعات والاستطرادات، وهو ليس مرادًا له من كل وجه، ولذلك تجده في بحث المسألة باستقلال ما يقررها بنفس التقرير، ولذلك انظر في الاستطراد، لابد أن يُنظر من أي وجه عرض شيخ الإسلام لهذه المسألة، هل عرض لها من الجهة الأصلية من جهة بحث الموضوع؟ وإذا استحضر استشكالات، فذهب يحل الإشكال، ربما يقرر شيئًا ربما لا يكون عنده من جميع الجهات على هذا النحو، لكن لأجل أن يحل الإشكال الذي ورد على ذهنه، وليس هو بإشكال عنده، لكنه إشكال جاء على ذهنه بما يعرف من مذاهب المخالفين في هذه المسألة، يجيء يحله، ثم يرجع، وأحيانًا يُنَظِّر، يجيء لك بتنظيرات، ويقرر في التنظير أحيانًا أحكامًا فقهية، لكن إذا جاء في مسألة مستقلة، ما يقرر، فينظر الناظر، ويقول: له قولان. أو يأخذ مثل هذا، ويقول: قال شيخ الإسلام كذا.

وهذا المنهج الذي نراه في هذا الوقت خطأ؛ لأنه ينقل كلامًا من شيخ الإسلام، وهو ما يفهم ما عنده من الملكة العلمية القوية، من أصعب الكلام في فهمه وفي تقرير أوله وآخره والمراد منه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ليس سهلًا؛ لأنه يأتي في أكثر الكلام لك باستطرادات ونظائر وبحث، وينتقل من بحث لبحث، لماذا؟ هل كل بحث أورده هو تحقيق المسألة عنده من كل وجه؟ لا، ولذلك تنتبه في بعض المسائل التي يوردها بعض الإخوان؛ أحيانًا يقولون: شيخ الإسلام قال كذا في موضع. حسنًا لابد أن تعرف أصل المسألة التي تكلم عنها، كأن يأتي أحدهم يقرأ، ثم يرى في نفس الصفحة يقول: صواب. . . والله قاله: . . . ، لا . . . لابد أن تنظر في أول الكلام

إلى آخره، كيف دخل إلى هذا الموضوع، وكيف ناظر، هل أراده قصدًا، أم أتاه استطرادا، ثم جاءه استطرادًا؟ هل هو تنظير بسرعة، أم أنه بحثه وطوَّل فيه ليقرر شيئًا ما؟ كل مسألة لابد أن تُقدر بقدرها. **[شرح الاستقامة]**.

س ٤: هذه الجملة من كلام شيخ الإسلام هل تكون: (فتكون هذه العلوم عنده غير متيقنة) أم (فتكون هذه العلوم عند غيره متيقنة)؟

الجواب: الأصل، على ما كانت في الأصل (عند غيره متيقنة)؛ لأنه تكلم عن المتيقن، ثم قال: مع أن العلم عنده متيقن وضروري وواضح، يجيء آخر تصير غير متيقنة، مع أن الثاني مجتهد، لماذا صارت غير متيقنة؟ عند فلان متيقنة، والآخر غير متيقنة؟ لدقة العلوم ولخفائها... إلى آخرها. **[شرح الاستقامة]**.

في تعليقه على إحدى مسائل كتاب التحفة العراقية قال فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ:

سبحان الله! ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كان في مسألة، ثم استطرد إلى الثانية، ثم من الثانية استطرد للثالثة، ثم الآن يفصل، حتى لما ذكر مسألة أن الكتاب يهدي، والسيف ينصر، استحضر مسألة الإنزال والبحث العقدي فيها؛ فأعطاك فيها كلمتين، ثم رجع للأول والثاني، وهذا مهم في فهم طريقة ابن تيمية، ابن تيمية لابد أن تعلم وأن تقرأ في كتبه ما الموضوع الذي يتكلم فيه؟ وما الاستطرادات؟ فالاستطرادات هذه لها أحوال كثيرة: إما تنظيرية، وإما رد على المخالف، وإما استحضار شبهة، أو تقرير عقيدة، يعني: يستطرد لغير الغرض الأصلي، هو كان في موضوع، ثم تفرع - يعني: استطرد

لشيء - واستطرد، واستطرد، الآن دخلنا في رابع استطراد، يعني: تفريعات ليست هي في أصل الموضوع. [**شرح التحفة العراقية**].

كِتَابُ زَادِ الْمُسْتَقْنَعِ

هذا الكتاب هو كتاب (زاد المستقنع مختصر المقنع) ومؤلفه هو إمام الحنابلة في وقته رحمه الله موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي، المُتوفَّى سنة ثمان وستين وتسعمائة، وهذا الكتاب المختصر يسمى: زاد المستقنع، بعد أن اختصره مؤلفه من المقنع، اعتنى به العلماء أجل عناية؛ وذلك في عنايتهم بأصله، ألا وهو المقنع؛ فإنه كتاب عظيم النفع، قد اعتنى به العلماء شرحًا، وبيانًا، وتجلية، وتعديلًا لمسائله، وتسهيلًا لأحكامه؛ ثم لأن مؤلفه بارع في المذهب قد ألف كتبًا كبيرة، من أشهرها كتاب الإقناع المعروف المتداول؛ ثم أيضًا لأنه ذكر فيه الراجح عند المتأخرين من الحنابلة في المسائل، ومن المعلوم أن كتاب المقنع وأمثاله من كتب الموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حنبل بن قدامة العمري رحمه الله، فإنها تمثل مذهب المتوسطين من الحنابلة، ويحتاج المتأخرون إلى معرفة ما تحرر من المذهب - مذهب الإمام أحمد رحمه الله ومذهب أصحابه -، قد تحرر المذهب بعد كتابه الإنصاف - الكتاب المشهور -: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

وهذا الكتاب يبين الراجح في المذهب عند علمائه، وهذا الكتاب اعتنى به العلماء - كما ذكرت -؛ وذلك لأمور كثيرة، وصفت بعضها، ويأتي البيان لك عمليًا على حسن اختيار العلماء لهذا الكتاب في تدريسه، وشرحه،

وتحشيته، والعناية به، فإن هذا المختصر - زاد المستقنع - لا شك أنه من الكتب المهمة، التي حوت مسائل كثيرة جدًا بعبارة مختصرة، ليس فيها غموض، وليس فيها عسر تركيب في الغالب. **[شرح زاد المستقنع]**.

س ٥: ما الكتاب الذي تنصح به لمن يعاني حفظ زاد المستقنع؟ وما رأيكم في الرجوع في مسائل الزاد إلى الإنصاف؟

الجواب: زاد المستقنع كتاب حسن جامع من مختصرات الحنابلة المتأخرة، واختصره من المقنع لابن قدامة، والمقنع لابن قدامة من الكتب المتوسطة، جعل فيه المذهب، وربما ذكر في المسألة وجهين أو روايتين أو قولين، ربما يذكر في الباب مسألة، مسألتين، فيها وجهان، فيها قولان، فيها روايتان - يعني: عن الإمام أحمد -، ثم الزاد مختصرًا، زاد عليه مسائل، وحذف منه مسائل، واختصره، واعتنى العلماء به بشروحٍ وبحواشٍ كثيرة جدًا عليه، من شروحه الحسنة (الروض المربع) للشيخ: منصور البهوتي المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأيضًا ثم حواشٍ على الروض: حاشية الشيخ العنقري، وحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وحاشية الشيخ أبي بطين، عدد من الحواشي الأخرى.

الزاد نفسه أيضًا عليه حواشٍ، لكن الزاد والروض يعتبر المنتهى، وشروح المنتهى شروح للروض المربع، المنتهى - منتهى الإيرادات - هذا أكبر وأقعد في المذهب، هو أقعد كتاب في مذهب الحنابلة، يعني: أفضل كتاب في مذهب الحنابلة (المنتهى) - كما هو معروف -، وله شروح كثيرة، منها: شرح المصنف، ومنها: شرح الشيخ منصور، ثم حواشٍ أيضًا كثيرة، طبع بعضها، بعده الإقناع مع شروح الإقناع وحواشيه، كل واحدة من هذه الأكبر

شروح لما قبلها، مع الحواشي والشروح مخدوم المذهب من كل جهاته، فالذي يريد أن تنمو عنده حاسة الفقه على طريقة الحنابلة عنده هذا التسلسل، وكل كتابٍ شرحه والحواشي التي معه على إثره، أعان الله طلبة العلم على التفقه في الدين.

وكتاب الزاد من الكتب النافعة جدًا، ولا يقول القائل: فيه مسائل مرجوحة. طلب العلم يكون للتفقه، لا للفتوى، تتفقه، تعرف المسألة الراجحة والمسألة المرجوحة، وصورة هذه وصورة هذه؛ حتى تنمو عندك الحاسة الفقهية، وبعد ذلك يمكن أن تعلم، وتعرف الراجح [**شرح الطحاوية**]

كِتَابُ رَوْضَةِ المُحِبِّين

س ٦: هل لكم ملاحظات على كتاب روضة المحبين؟

الجواب: (روضة المحبين)، بعض الناس يستغرب، يقول: ابن القيم ذكر فيه أخبار المحبين: الذي أحب من الجواري، والذي أحب ما أحب من الدنيا، والذي أحب زوجته، وأشعارًا وأخبارًا، ويستغرب لماذا يذكر ابن القيم هذا الكلام؟

والرد على ذلك أنه ذكره لقصد، فابن القيم يقول: هؤلاء تعلقت قلوبهم بمحبوبيهم؛ لما ظهر لهم من أثر محبوبيهم عليهم: إما أنه يشرح صدره، وإما أنه تلتذ له عينه إذا رآه، وإما أنه يلتذ له بدنه إذا رآه، أو إذا خالطه يلتذ سمعه؛ لما سمع ونحو ذلك.

فأسباب المحبة فيمن أحب أحدًا في الدنيا تكون ببعض هذه الأنواع، وإذا

كانت كذلك، فهي على ضآلتها وعلى حقارتها في محبة أهل الدنيا للدنيا، هي لا تساوي شيئًا في جنب محبة المتقين لربهم ﷻ؛ لأنهم رأوا من الآثار ومن صفاته ومن آثار صفاته في خلقه، ورأوا وعلموا من شرعه ما يوجب محبتهم له ﷻ، وإذا كان أولئك أحبوا أحبتهم، وتناشدوا فيهم الأشعار، وأطاع من أطاع (**إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطِيعُ**)؛ لأجل ما قام في نفوسهم من المحبة، فكيف ينبغي أن يكون عليه حال من علم حق الله ﷻ وعلم آثار صفات الله ﷻ في ملكوته، وعلم شرع الله وحكمته البالغة، ونعمه المتواترة المتتابعة؟ كيف ينبغي أن يكون عليه في باب محبة الله؟

فإذًا ما ذكره هو من باب التمثيل الذي هو للتحقير، هذه محبة هؤلاء، كيف فنوا في محبوبيهم، فكيف حال من يحب ربه ﷻ؟ فلا تعجل بالانتقاد حتى تعرف مقاصد أهل العلم بكلامهم. [**شرح العقيدة الواسطية**].

كُتُبُ عبد الرَّحْمَنِ بنِ حبنكة فِي العَقِيدَةِ

س ٧: ما رأيكم في كتاب عبد الرحمن بن حبنكة في العقيدة؟

الجواب: يسأل عن أسس العقيدة الإسلامية، وأنت ما تحتاج إلى كتب المعاصرين، أنت الآن طالب علم تقرأ كتب السلف، أما كتب المعاصرين الذين لا يبينون عقيدة أهل السنة قصدًا، ولا يوضحونها، أنت ما تحتاجها، حتى تضبط عقائد السلف بتفصيلاتها، ثم بعد ذلك يمكن أن تقرأ في بعض الكتب في ذلك، وهذا الكتاب من جنس كتب الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، هو عنده ميل إلى الأشعرية، أو تصريح بها في مواضع، وله كتاب اسمه (ضوابط المعرفة)، وهو كتاب فلسفي، يعني: المعرفة عند الفلاسفة.

طَبَعَاتُ كِتَابِ مَسَائِلِ الجَاهِلِيَةِ

س ٨: نلاحظ أن بعض الطبعات لكتاب مسائل الجاهلية فيها حذف وزيادة ونقص، فهل هذا صحيح؟

الجواب: نعم هذا صحيح، طبعات الكتاب بعضها يزيد وبعضها ينقص، بعضها فيه اختلاف في بعض الألفاظ، بل إن بعض الطبعات فيها ذكر قريب من مائة مسألة، تزيد قليلًا، وبعضها فيها مائة وعشرون مسألة أو تزيد، فعليه أن يقابل بين ما نقرأ وما عنده، ويضيف. [**شرح مسائل الجاهلية**].

كُتُبِ الصَّابُونِي

س ٩: كتب الصابوني هل تحرق؟ وكذلك المصاحف المتقطعة ماذا يفعل بها؟

الجواب: أما كتب الصابوني، ففيها كلام للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، وأما المصاحف المتقطعة، فإنه لابد من العناية بها، في كثير من المساجد هناك كثير من الشباب يأتي، ويرى مصاحف متقطعة وأوراقا، وما تأخذه الحميَّة لكتاب الله أن يعتني بتلك الأوراق المتقطعة من المصحف، أو المصاحف التي لا يستفاد منها؛ لكون أوراقها أصبحت قديمة، أو نحو ذلك، فهذه يجب أن تدفن في مكان طاهر، إن كان المسجد فيه جزء رمل أو نحو ذلك، فيدفن فيه؛ فذلك أكمل؛ لأنها بقعة طاهرة لا تأتيها النجاسات، وإن لم يتيسر، فتحرق أو تدفن في مكان بعيد طاهر، فلا ندخل المساجد

ونرى فيها هذه المصاحف على ذلك النحو، ولا تأخذنا الحمية لكتاب الله في ذلك، فهذه من الأمور - ولا شك - التي يفرط فيها كثيرون.

والواجب علينا التناصح في هذا الأمر، وربنا ﷻ يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، والقرآن من حرمات الله، ومن شعائر الله، فتعظيمه بما يليق به واجب. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ١٠: عن مختصر تفسير ابن كثير للصابوني.

الجواب: ما شأنه؟ ليس من كتب البدع.

س ١١: عن تأويله للصفات؟

الجواب: ليس فيه تأويل، مختصر ابن كثير ليس فيه تأويل، الذي فيه تفسير باللازم وبالتضمن، ولا تسأل عن غيره. **[مجلس٢١/ ١٠/ ١٤١٨هـ]**

تَفْسِيرُ سَيِّد قُطْبٍ فِي ظِلَالِ القُرْآنِ

س ١٢: هل مما يُنهى عن قراءته من التفاسير تفسير سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن، نرجو منكم التفصيل عن هذا الكتاب، ولكم من الله جزيل الأجر؟

الجواب: إن شاء الله تعالى يجعل عملنا وعملكم خالصًا، أما تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، فهو من التفاسير التي اشتملت على مواضع كثيرة، فيها بيان لبعض الآيات بيانًا حسنًا، فيها أسلوب أدبي فيه شيء من التنميق،

مما يفهم المرء دلالة الآيات عمومًا، وصلتها بالواقع، وهذا مما يدركه القارئ له من أول ما يقرأ؛ ولهذا اعتنى به كثيرون في هذا العصر من هذه الجهة؛ حيث إنه في بعض الآيات يُعبر عن التفسير بتعبيرات صحيحة، وبعبارة أدبية مناسبة.

وأيضًا اشتمل كتابه على كثير من البدع والضلالات، فكتاب سيد قطب (في ظلال القرآن) ما فيه من التحريفات أكثر مما في كتب الصابوني، ومن أمثلة ذلك: أنه يؤول الاستواء، ومن أمثلته: أنه يُشعر في سورة الإخلاص بأن عنده ميلا إلى بعض مذاهب المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود أو نحو ذلك، يعني: يفهم منه، ما نقول: إنه ظاهر بيّن، لكن يُفهم منه، ومن ضمن ذلك أنه يقول: «بحث زيادة الإيمان ونقصانه من البحوث الكلامية التي لا ندخل فيها»، قالها في سورة الأنفال عند قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] في الحاشية.

ومن أمثلة ذلك: أنه يُفسر الرب بالإله، والإله بالرب، يعني: توحيد الربوبية عنده توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو توحيد الربوبية، عنده عكس في فهم هذا، فالرب عنده هو المستحق للعبادة، والإله عنده هو الخالق الرازق، وهذا لا شك أنه يتبعه أشياء من مسائل الاعتقاد، ينحرف بها من يلتزمها عن جادة أقوال السلف، ومن ضمن ذلك أنه في مسائل طاعة المشركين لا يفهم تفصيل أهل العلم فيها، فيُفهم من ظاهر كلامه ما يكون موافقًا فيه لبعض الغلاة في مسألة الطاعة - طاعة المشركين، أو طاعة الأحبار والرهبان -، من أمثلة ذلك: ما ذكره في سورة الأنعام عند قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فذكر فيها أشياء، ومما

أدخله فيها - كما أذكر - مسألة لبس المرأة للأزياء والموديلات التي تصدرها شركات الأزياء في باريس - على حد تعبيره -، فيقول: «أولئك الذين يُشَرِّعُون للنساء عامة ألبسة، تلبس في الصباح كذا، وفي المساء كذا، وفي السهرة كذا، وفي العمل كذا. . . » إلى آخره، يقول سيد قطب: «إن هذه الفئة - يعني: مصمم الأزياء - إنهم آلهة؛ لأنهم أحلوا الحرام، فأُطيعوا، وحرموا الحلال فأطيعوا»، فيقول: «المرأة المسلمة التي تطيعهم في ذلك قد اتخذتهم آلهة؛ لأنها أطاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال».

وهذا لا شك كلام باطل في أن المرأة إذا لبست الملابس المحرمة التي جاءت من عند أولئك المصممين، لا يعني أنها اعتقدت أنها حلال، فمسألة التكفير في اعتقاد أن هذا الذي حرمه الله ﷻ حلال، أما إذا أطاعوهم، مع عدم اعتقاد أن هذا حلال، مثلًا: امرأة لبست ملابس أبرزت صدرها ورجليها عند الرجال الأجانب متابعة للمصممين، فهذه إذا كانت تعتقد أن هذا الفعل ونحو ذلك، وغلب عليها ضعف إيمانها، ليس هذا بكفر، ولم تؤلِّه أولئك، فهو في هذه المسألة جعل الطاعة مكفرة، وقد أخذ بقوله بعض الجماعات التي غلت في مسألة الحكم بما أنزل الله، وفي مسألة الطاعة: طاعة المشرعين المصممين، المنظمين. . . إلى آخره.

أيضًا من المسائل التي اشتمل عليها كتاب (في ظلال القرآن) أنه لا يظهر فيه اعتناء بما اعتنى به السلف من آيات الصفات، وإثبات ما أثبته أهل السنة، يعني: يشبه أن يكون فكريًا، غير مركز على توجه معين، هو أراد منه أن يكون كتابًا دعويًا - كما يزعم - يناسب الوقت، لكنه اشتمل على أشياء مما ذكرت وغيرها.

أيضًا من الأشياء التي تفرد بها: أنه في سورة يوسف ذكر أن أولئك الذين يسألون عن أحكام الإسلام، وهم في مجتمع جاهلي، هؤلاء يقدحون في الإسلام، والذين يجيبونهم من العلماء، هؤلاء يشاركونهم في القدح، هذا معنى كلامه، لم؟ قال: «لأن أحكام الإسلام والفقه الإسلامي ما أتى إلا ليُنَزَّل على واقع مسلم، أما هذه المجتمعات الجاهلية - على حد تعبيره - فإنها لا تقبل أحكام الله؛ حتى يجتهد لها العالم في بيان الأحكام».

وهذا لا شك صورة من صور المخالفة للمنهج الحق في هذا؛ لأن أحكام الإسلام تُبيَّن في الدار التي فيها المسلمون، ولو لم يكن فيها إلا مسلم واحد، إذا سأل عن دينه بُين له، وتُكلم في بيان الإسلام وبيان أحكامه، ولو كان في دار جاهلية، وتعميمه أن بلاد المسلمين دور جاهلية، هذا لا شك أن فيه تعديًا، يعني: جميعًا على حد تعبيره.

أيضًا من المسائل التي تفرد بها، أنه قسم الفقه إلى قسمين - في سورة يوسف أيضًا - قسم الفقه إلى قسمين:

القسم الأول: فقه الأوراق.

والقسم الثاني: فقه الواقع، وفقه الحركة أيضًا.

يقصد بفقه الأوراق: الفقه الموجود بين أيدينا من فقه علماء الإسلام، ويقصد بفقه الواقع: الواقع الذي تعيشه الحركة، وما حول الحركة، ونحو ذلك، يعني: ما حول الجماعة العاملة، والتنظيم العامل.

يقول: «إن مهمتنا الآن العناية بفقه الحركة، فقه الواقع، أما فقه الأوراق، فهذا لم ينشأ إلا في مجتمع المدينة؛ لأنه لابد فيه من مجتمع يطبقه، فإذا لم

يوجد هذا المجتمع الذي يطبقه، فإننا لا نحتاج إلى العناية به؛ كما تتوجه الدراسات ونحو ذلك - يعني العناية الكبيرة به - فالعناية الكبرى تنصب على فقه الواقع؛ لأنه هو الذي تحتاج إليه الأمة» ونحو ذلك.

له آراء كثيرة مخالفة، إذا تأملت هذا الذي ذُكر، فطالب العلم الذي يحرص على العلم النافع إنما يُطالع كتب السلف الصالح، يُطالع الكتب التي تفيده العلم المنقى الصافي، أما الكتب المشتملة على باطل وتحريفات، والمشتملة على آراء شخصية، ليس عليها أدلة ظاهرة من القرآن والسنة، لا يوافقه علماء السنة والجماعة عليها، فإن قراءة طالب العلم - خاصة المبتدئ فيها - قد توقع في قلبه شبهة، والحريص على دينه لا يوقع، ولا يسعى في أن يوقع نفسه وقلبه في شبهة.

أسأل الله ﷻ أن يُبصرني وإياكم بالحق، وأن يدلنا عليه، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

فِي ظِلالِ القُرْآنِ وَالتَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ وَأَيْسَرِ التَّفَاسِيرِ

س ١٣: ثلاثة أسئلة عن كتاب (في ظلال القرآن)، وسؤال عن كتاب (التحرير والتنوير)، وسؤال عن (أيسر التفاسير).

الجواب: أما كتاب (التحرير والتنوير)، فهو كتاب اعتنى فيه صاحبه بالبلاغة، ومؤلفه هو ابن عاشور، أحد علماء تونس المشهورين في اللغة ومن الحفاظ، وله مؤلفات في البلاغة، ومنها: موجز له في البلاغة نفيس

جدًا، مطبوع في تونس قديمًا، وطبق قواعد البلاغة في تفسير القرآن، لكنه ما فرق في البلاغة بين البلاغة العربية السلفية، وبين البلاغة المعتزلية الخلفية.

فإن البلاغة قسمان: منها بلاغة النظر في علوم اللغة في القرآن على وفق ما وضع من قواعد البلاغة، ويكون هذا صحيحًا، وهذا إذا كان على وفق علوم العرب، وما قرره علماء السلف، وما قُرر في العقائد، فهذا لا شك من العلم النافع الغزير.

ومنها أشياء مما أحدثه الناس بعد ذلك، ولا يُحتاج إليها أصلًا، فهو خلط هذا، يعني: طبق قواعد البلاغة، وأسس البلاغة، وتفصيلات البلاغة في القرآن، وهو كتاب نافع للمتخصصين، أما طالب العلم المبتدئ، فلا يذهب إليه، ولا يطلع عليه؛ لأن فيه كثيرًا من التأويلات والتحريفات التي في جنسه مِن كتب مَنْ لم يستقِ من عين عقيدة السلف - رحمهم الله تعالى -.

وكتاب (أيسر التفاسير) وهو للجزائري، هو كتاب مختصر، وعليه بعض الملاحظات، لكن في الجملة لا بأس به، وعليه بعض الملاحظات لاحظها بعض العلماء، ما نحتاج نمثل بأمثلة، موجودة هذه الملاحظات، هو في الجملة كتاب نافع سليم من البدع، لكن ربما نقل أشياء، أو ظن أشياء من الحق، وهي من أقوال أهل البدع، أو من أقوال أهل العصر في المحدثات، وتشبيه بعض ما في القرآن من أخبار بما في العصر من مستجدات ووسائل ونحو ذلك.

أما كتاب (في ظلال القرآن)، فهو كتاب دعوي، ولا يصح أن يُنسب إلى

كتب التفاسير، وإنما هو كما ذكر صاحبه في مقدمة كتابه أنه: «مشاعر له، وتدبر في الآيات»، فليس من كتب التفاسير؛ لأنه لم يفسر الآية على وفق تفاسير الذين اعتنوا بالتفسير، وإن كان يُسمى تفسيرًا في هذا العصر؛ لأنه كثرت كتب التفاسير التي على منواله، هو كتاب رام صاحبه فيه أن يضع قواعد ومرجعًا للدعاة ولمن يتأثرون بطريقته على القرآن الكريم، وكتابه في مواضع أحسن العبارة جدًا مما يستفاد منه، وفي مواضع منه أساء العبارة؛ لما فيه من تأويلات، وما فيه من متابعة للمعتزلة، أو متابعة للأشاعرة، وهو ليس عنده أمر واضح، بل ربما انتقد السلف في اهتمامهم ببعض مسائل الاعتقاد؛ كما ذكر في أول سورة الأنفال عند قوله جل وعلا: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] فإنه ذكر أن مبحث زيادة الإيمان ونقصانه من مباحث علم الكلام. وهذا في أمثاله من المؤاخذات الكبيرة عليه، وهناك مسائل أخر؛ كمسائل التكفير، فإن عند مؤلفه - وهو سيد قطب إبراهيم رحمه الله - عنده كثير من الغلو في هذه المسائل؛ ففي سورة الأنعام مثلًا عند قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] تكلم بكلام على أن مجرد طاعة الكفار يكون شركًا؛ ولهذا من تتلمذ على كتابه هذا، واقتصر عليه، ربما خرج بأفكار من نحو هذه، وفي أمثال ذلك من مثل كلامه على أن النساء اللاتي يتابعن ما تُخرجه - على حد قوله - ما تُخرجه آلهة الأزياء في فرنسا - يعني به مصمم الأزياء في فرنسا في الكتالوجات هذه المعروفة - يقول: «لم يعلم أولئك النساء أنهن اتخذن أولئك المصممين آلهة؛ لأنهن أطعن أولئك المصممين في تحريم الحلال وفي تحليل الحرام، فلبسن ما حرم الله؛ طاعة لأولئك، فأطعن آلهة الأزياء»، وسمى أولئك آلهة، وهذا لاشك من الغلو ونحو ذلك. فالكتاب

فيه مواضع مفيدة، وفيه مواضع كثيرة جدًا فيها انحراف عن جادة معتقد السلف؛ ولهذا الذي ليس عنده علم بالتفسير لا يحسن به أن يقرأ مثل هذا الكتاب، والذي ليس متحصنًا في عقيدته لا يحسن به أن يقرأ مثل هذا الكتاب، إلا إن اختار له أحد من أهل العلم أن يقرأ موضعًا معينًا فيه أحسن فيه وأجاد، هذا ربما كان سائغًا، ولكن في كتب أئمة السلف وفي التفاسير النافعة ما يُغني عنه، وفي كلام علمائنا وأهل الحق، الذين بينوا ما يجب بيانه من معاني كلام الله ﷻ، أو من مسائل الدعوة، أو نحو ذلك، فيه كفاية عن مثل هذا التفسير.

المقصود من هذا أن الواجب أن يعتني طالب العلم بتفاسير السلف؛ لأنه يريد أن يعلم علما نافعا واضحا، لا إشكال فيه لمعاني كلام الله ﷻ، فكيف يعرض نفسه للهلكة بإقباله على كتب مختلفة، ربما لم يحسن استخراج ما خالف فيها أصحابها منهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

لهذا في هذه البلاد كان العلماء من قديم يمنعون التفاسير الضالة، مثل: تفسير الفخر الرازي مثلًا، ومثل: تفاسير الأشاعرة، ونحوها، كانت تُمنع من نحو عشرين سنة، أو من ثلاثين، يعني: من عشرين سنة فأكثر، أو نقول: خمسًا وعشرين سنة فأكثر، كانت تُمنع تفاسير مثل تفسير فخر الدين الرازي، لا يُباع أصلًا.

وقد ذكر لي بعض علمائنا أنه لما كان يدرس التفسير في الكليات، وكان يُدرسه الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله، قالوا له: لم لا نرجع لتفسير الفخر الرازي، ولتفسير فلان، ولتفسير فلان؟ فقال لهم كلمة من بصير حاذق ناقد،

قال: علماؤكم أرادوا لكم السلامة في دينكم، وتلكم الكتب فيها شوك، وأنتم لا تحسنون الابتعاد عن الشوك، ولا استخراج الشوك.

هذه كلمة معبرة نفيسة منه رَحِمَهُ اللَّهُ، تفاسير الأشاعرة الكثيرة ماكانت تباع عندنا من قديم.

ولهذا ينبغي على أهل العلم أن ينبهوا طلاب العلم على العلم النافع المستقى من كلام أئمة السلف، وتفاسير السلف فيها الكفاية، وإذا احتيج إلى غيرها؛ لمسألة فيه، أو لبلاغة، أو لبيان، أو نحو ذلك، فينبغي أن يكون القارئ على أشد الحذر من التأثر بتلك الكتب.

والتفاسير كثيرة، ولو تسألون عن كل تفسير، تجد أكثر من مائة تفسير. **[محاضرة خلاصة ومقدمة في التفسير]**.

شَرْحُ مَتْنِ الوَرَقَاتِ
لِجَلالِ الدِّينِ المَحَلِّيِّ الشَّافِعِيِّ

س ١٤: ما رأيكم في كتاب (شرح متن الورقات) للإمام جلال الدين المحلي الشافعي، المتوفى سنة أربع وستين وثمانمائة، تحقيق وتعليق... إلى آخره؟

الجواب: هذا الشرح أولًا (شرح متن الورقات) للمحلي، هذا مما اعتمده العلماء في شرح الورقات، وذلك لأسباب منها: أنه - أعني المحلي - أصولي، ومنها: أن هذا الشرح سهل وواضح، لكن هذا الشارح أشعري،

ودخل في شرحه ألفاظ من عبارات الأشاعرة؛ كقوله في بعض المواضع: «فيخلق الله عند ذلك»، وهذا من قول منكرة الأسباب، ونحوه في بعض التعريفات، دخل عليه في تعريف الكلام ونحوه، دخلت عليه عقائد الأشاعرة، وهنا نتبين، وهذا هو السؤال جاء فيه أن شرح متن الورقات للإمام جلال الدين المحلي الشافعي، وكلمة الإمام لم يستعملها علماؤنا إلا فيمن كان إمامًا يُقتدى به في الخير، وهو من حسنت عقيدته، وصار ممن يقتدى به في العقيدة، وأما غيرهم، فإنه لا يطلق عليه إمام، يطلق عليه العلامة الشيخ مثلًا، لو قال: للعلامة جلال الدين المحلي، أو للشيخ جلال الدين المحلي، أو للشيخ للمحقق جلال الدين المحلي، فهذه كلها من العبارات السائغة، أما لفظ إمام، فإن علماءنا لا يطلقون على أمثال المبتدعة من أمثال الغزالي، ما يقال: الإمام الغزالي، ولا الإمام الرازي، ولا الإمام الآمدي، ولا الإمام ابن عقيل، ولا نحو ذلك ممن كانوا ينشرون هذا، ينشرون مذاهب المبتدعة، أو كثر ذلك عنهم، العبارات كثيرة: العلامة، الحافظ، ونحو ذلك. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

❀ ❀ ❀

كِتَابُ تَوْضِيحِ الخَلاقِ فِي جوَابِ أَهْلِ العِرَاقِ، وَكِتَابُ إِعْلامِ أُولِي الأَلْبَابِ بِطَرِيقَةِ الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبد الوَهَّابِ

س ١٥: ما صحة نسبة هذه الكتب إلى الشيخ الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الأول:

(توضيح توحيد الخلاق في جواب أهل العراق)، (إعلام أولي اللباب بطريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، (حاشية على متن المقنع)؟

الجواب: أما الحاشية على متن المقنع، فهذه لم توجد منسوبة إلى الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله، وإنما وجدت بخطه - وهو من ذوي الخط الجميل جدًا المعروف، وخطه لا يشبه غيره من الخطوط في زمنه، ولا ممن أتى بعد زمنه من أهل نجد -، فقالوا: إن هذه الحاشية هو الذي جمعها استظهارًا؛ لأنها وجدت بخطه، وهي مجموعة من الكتب المختلفة، ولذلك شاع عند العلماء - علماء الدعوة - من قديم أن هذه الحاشية جمعها الشيخ سليمان رحمه الله لنفسه؛ ولهذا تجد أن فيها تارة يكتب الحاشية على الكلمة، وتارة يكتب الحاشية في هامش الصفحة، ويفرق بينهما في المطبوع بقوله: (على قوله)، يعني: على الكلمة (على قوله: الزكاة)، يكتب كلمة تفسير لها، أو حاشية، أو ضابطا، أو تعريفا، أو نحو ذلك، وتارة يضع الحاشية، ويكون تمييزها بقوله: قوله كذا، ثم يفصل.

أما كتاب: (توضيح توحيد الخلاق)، فهو ليس من مؤلفات الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله، ولو كان اسمه موضوعًا عليه في الطبعتين: الطبعة القديمة في نحو سنة ألف وثلاثمائة وتسع عشرة هجرية، وفي الطبعة الجديدة التي جددت؛ وذلك لأمور كثيرة، منها: أن في هذا الكتاب نزعة صوفية، وذلك حينما فسر: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ دخل فيها في أنواع من إشارات الصوفية، يقول: «الباء نقطت بواحدة من تحتها؛ إشارة إلى توحيد الله، والسين شررت بثلاث»، كذا يقول: «إشارة إلى إبطال قول المثلثة، والميم أديرت لطوائف التوحيد بالقلب، . . . »، ونحو ذلك من كلام الصوفية وإشاراتهم، التي تجدها في مثل كتاب (روح المعاني) وغيره.

ومما يدل أيضًا أن الشيخ سليمان بعيد كل البعد عن المعرفة بهذه الأشياء، وعن إقرارها بالكلام، فضلًا عن أن يدونها في كتاب يجيب به عن طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ثم أيضًا فيه في أثنائه أنه قال: «وقد حضر في هذه السنة الإمام عبد العزيز، وفعل كذا وكذا» ووقت الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - رحمهم الله - في وقته لم يكن الشيخ سليمان كبيرًا من أهل التأليف؛ لأنه توفي سنة ثمان عشرة ومائتين وألف، والشيخ سليمان في ذلك كان نحوا من سبعة عشر عامًا، ما عرف بالتأليف بعد، وهذا من الدلائل؛ لأنه ما أدرك هذا الزمن إدراكًا بينًا، وهذا من الدلائل على بطلان هذا الكلام، وهناك أدلة أخرى.

المقصود أن الكتاب ليس للشيخ سليمان رحمه الله كما أن فيه كلامًا باطلًا في التوحيد، لا يوافق كلام أئمة الدعوة رحمهم الله. [**شرح مسائل الجاهلية**].

صِحَّةُ نِسْبَةِ كِتَابِ حُكْمِ تَمَنِّي المَوْتِ لِلإمَامِ المُجَدِّدِ رَحِمَهُ اللهُ

س ١٦: يوجد كتاب باسم (حكم تمنى الموت) ما صحة نسبة كتاب (حكم تمني الموت) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد قرأت هذا الكتاب، ووجدت فيه من القصص الغريبة، والأحاديث الضعيفة، فهل هذا الكتاب فعلًا للشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

الجواب: هذا سؤال جيد، وإن كان الجواب عليه قد يطول؛ لأن المسألة تحتاج إلى إيضاح وبسط، لكن ألخص الجواب بأن هذا الكتاب ليس للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، وإنما الواقع أن الجامعة - جامعة الإمام - رأت أن النسخة هذه التي طبعوا عنها، أنها بخط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وعندي صورة منها، وهي بخط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ جلبها العلماء منذ عقود مضت من لندن، من المتحف البريطاني، جلبوها لا لأنها من تأليف الشيخ، ولكن لأجل أنها بخط الشيخ مجموع كبير بخط الشيخ رَحِمَهُ اللهُ جلبوها من هناك، وصورها، وأودعوها في المكتبة السعودية بالرياض؛ لأنها بخط الشيخ والعلماء منذ ذلك الوقت يعلمون أنها ليست للشيخ، وإنما هي بخطه - سيأتي لم كتبها الشيخ -، ولهذا لم يسعوا إلى نشرها، ولا إلى طبعها.

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذه من جنس المجاميع التي كتبها بخطه، وهي أنه كان يتجول في تجوله في رحلاته، فإذا رأى كتابًا، وكما تعلمون في ذلك الوقت

يصعب شراء الكتب، تكون نسخة عند واحد من الناس، فيصعب شراؤها، فالعالم ماذا يصنع؟ يأخذ هذا الكتاب ويختصره، ينتخب منه، فهذا الذي صنع في هذا المجموع أنه انتخب من أشياء تتعلق في أوله بأحكام تمني الموت، ثم بعد ذلك انتخب أشياء من هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الخرافيون في بعض مسائل حياة الموتى، وتعلق أرواح الأحياء بالموتى، ونحو ذلك، أخذها في كتاب للسيوطي مطبوع الآن في أحوال أهل القبور، أخذ هذه الأحاديث، لم؟ ليكون على بينة في تخريجها فيما إذا أوردها عليه الخصوم - خصوم الدعوة - فهو لم ينتخبها تأليفًا، وإنما انتخبها انتقاءً؛ حتى يكون على بينة منها، كعادته في أشياء كثيرة مما انتقاه وانتخبه. والذي غر الذين طبعوه أنه موجود بخط الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكونه بخط الشيخ لا يعني أنه تأليفٌ له، وسموه بهذا الاسم: (أحكام تمني الموت)؛ لأن أول صفحة منه في حكم تمني الموت، فتمني الموت في ذلك الكتاب استغرق صفحة، أو صفحتين، أو قريبًا منها، والباقي كلها من الأحاديث التي ذكرها هذا السائل - جزاه الله خيراً -، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما ذكرت لك انتخب هذه ليعلمها من كتابٍ للسيوطي موجود، لو طابقت بين هذه الرسالة المزعومة وكتاب السيوطي، لوجدت أنه نقل عنه حرفًا بحرف الأحاديث المتوالية؛ ليكون على بينة مما فيها، فيما لو احتج بها الخرافيون. ولهذا قال من قال من علماء الحديث: أهل الحديث يكتبون كل شيء، يكتبون حتى الموضوعات، حتى إذا احتج بها أحد بينوا له حكمها، وبينوا له وجه معناها. **[شرح ثلاثة الأصول]**.

س ١٧: ما صحة نسب الكتاب: (أحكام تمني الموت) للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الجواب: لا يصح، هو ملخصه، موجود بخط الشيخ، قد لخصه من كتاب للسيوطي، على طريقة الشيخ إذا مر به كتاب لخصه، وقد وجدوه بخطه فنسبوه له، مع أنه قد لخصه ليعرف كلام القوم واستدلالاتهم، وليس لأحكام تمني الموت.

وقد وجدت كتابًا في إسبانيا مؤلفه أحد المستشرقين، هذا الكتاب اسمه: (الإسلام المسيحي) اشتريت منه نسخة، وقد طبع قديمًا، لكن عنوانه استهواني فبحثنا ماذا بداخله، يقول: (إنه ذهب للمغرب، ورأى ما فيها من تقديس الأولياء، ومن إقامة المشاهد والمدافن، . . . إلى آخره، يقول: استغربت كيف حدث ذلك؟ مع أنه يقول في فهمي للإسلام إن هذه الأشياء الإسلام يضادها)، يقول: (فما رأيت أنها دخلت المغرب إلا عن طريق فلان، سماه أحد الرهبان النصارى فأشاع في المغرب - مع قربهم أيضًا من الأندلس وقربهم من البلاد الأوربية - أشاع فيهم هذه الطريقة التي هي موجودة عند النصارى، أنه إذا مات أحد القديسين - كما يقولون - أو أحد البطارقة، أو أحد مراجعهم، أقاموا له مدفنًا، وسموا البلد باسمه، وتجد ذلك في أوروبا كثيرًا فهذه سانت، سانت يعني: (القديسة)، سان يعني: (القديس)، سان مثلًا كذا، سانت لويس، سان فرانسيسكو، سان. . . إلى آخره، المقصود أنهم كانوا إذا مات يقيمون حوله البلد فتنشأ أيضًا من نوع من الرهبانية، يقول: هذا دخل للإسلام عن طريق أحد النصارى في المغرب، بدأ في القرن الثالث وعن طريقه بدأت الدولة الفاطمية الدخول. . . إلى آخره

ثم قال: نقله الفاطميون معهم إلى مصر ثم شاع في البلاد، هذا أحد المستشرقين الإسبان يقول: إن هذه الصور إسلام مسيحي، وليس إسلامًا محمديًا.

مداخلة: عفا الله عنك: هل هذا الرجل فاهم التوحيد؟

الجواب: لا، هذا ليس موحدًا، بل هو نصراني، لا. هو فاهم الرسالة، هو يقصد أن المسلمين قلدونا، هذا من العجائب ولا كان له ذكر ولا أحد أشار إليه، وهو جدير بالتلخيص، الحقيقة لو أن أحدا يلخصه ويطبعه؛ لأنه يضرب الصوفية ضربة جيدة، لكن هو مشكلته أنه باللغة الإسبانية، واللغة الإسبانية قليل الذي يعرفها. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].

الأَرْبَعُون النَّوَوِيَّة

هذا الكتاب الذي سنبدأ شرحه هو الأحاديث المختارة المعروفة بـ(الأربعون النووية) جمعها العلامة يحيى بن شرف النووي، ويقال النواوي أيضًا، وهو من علماء الشافعية البارزين، وممن شرح كتبًا في الحديث، وكتبًا في الفقه، وأيضًا في لغة الفقهاء، وغير ذلك من العلوم.

وأصل كتابه «الأربعون النووية» أن ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ جمع في مجالس من مجالس تدريسه للحديث الأحاديثَ الكلية التي يدور عليها علم الشريعة فجعلها ستة وعشرين حديثًا فنظر فيها العلامة النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فزادها ستة عشر حديثاً، فصارت الأحاديث التي اختارها النووي اثنين وأربعين حديثًا فسميت بـ (الأربعين النووية) تجوزًا.

ثم زاد عليها الحافظ الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ثمانية أحاديث كلية أيضًا، وعليها مدار فهم بعض الشريعة فصارت خمسين حديثًا، وهي التي شرحها في كتابه المسمى (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم).

وأصل هذه الأحاديث في اختيارها: على أنها جوامع كلم تدور عليها أمور الدين، فمنها ما يتصل بالإخلاص، ومنها ما هو في بيان الإسلام وأركانه، والإيمان وأركانه، ومنها ما هو في بيان الحلال والحرام، ومنها ما هو في بيان الآداب العامة، ومنها ما هو في بيان بعض صفات الله ﷻ، وهكذا في موضوعات الشريعة جميعاً.

فهذه الأحاديث الأربعون وما زيد عليها فيها علم الدين كله، فما من مسألة من مسائل الدين إلا وهي موجودة في هذه الأحاديث، من العقيدة أو من الفقه، وهذا يتبين لمن طالع الشرح العجاب شرح ابن رجب رحمه الله على الأربعين النووية وعلى الأحاديث التي زادها ثم شرحها.

فالعناية بها مهمة؛ لأن في فهمها فهم أصول الشريعة بعامة وقواعد الدين، فإن منها الأحاديث التي تدور عليها الأحكام كما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - مفصلًا. [**شرح الأربعين النووية**].



البُخَارِيُّ وَطَبْعَةُ أَحْمَد شَاكِرٍ

س ١٨: هل هذه طبعة أحمد شاكر للبخاري؟

الجواب: أحمد شاكر ما طبع البخاري، ما أدري، هذا كلام ليس صحيحًا؛ لأن الطبعة السلطانية لما طبعت (أحمد شاكر) كان له نسختان، عن نسخة أبيه، هذه أخذوها من مقال في مجلة الكتاب في نحو عام (ثمان وستين للهجرة) يعني بعد طبع النسخة اليونانية، وهي تقريبًا من نحو خمس وخمسين إلى ستين سنة، أحمد شاكر له مقال في مجلة الكتاب، مقال عزيز وإذا كانوا قد أضافوه على هذه الطبعة فذلك جيد، وقد ذكر فيه مميزات النسخة اليونانية التي اعتمد عليها في طباعة الطبعة السلطانية في مصر التي فيها الفروقات؛ لأن هذه الطبعة اعتنى بها والد الشيخ أحمد شاكر الذي هو محمد شاكر وقرأها، وهو ذكر فيه مميزاتها، وما اشتملت عليه، مثل مجلة الكتاب وإذا كانوا لما أرادوا هذا التصوير ألحقوها به فهذا شيء آخر، هذا من الصنيع الحاضر، أما هو فلم يعمل شيئًا للبخاري فيما أعلم. **[تعليقات على صحيح البخاري]**.

كِتَابُ النَّهْجِ الأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى

س ١٩: ما أفضل كتاب شرح أسماء الله الحسنى واعتنى بمعناها؟

الجواب: أحسن ما ألف في ذلك فيما أعلم كتاب (النهج الأسنى) لمحمد الحمود النجدي من طلبة العلم بالكويت، وهو من أنفع ما كتب في

ذلك، ويليه ما فرقه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في كتبه من معاني الأسماء والصفات. **[شرح الطحاوية]**.

س ٢٠: ألا يوجد كتاب في معاني الأسماء والصفات؟

الجواب: توجد عدة كتب في معاني الأسماء والصفات، لكن أمثلها فيما يظهر لي كتاب لأحد الإخوان من الكويت هو الأخ محمد الحمود النجدي اسمه (النهج الأسنى في معاني الأسماء الحسنى)، هذا طبع في جزأين، وهو نفيس؛ لأنه جمع الكلام في الأسماء والصفات وفيه بعض الأسماء، كان في كلامه عليها بعض النقص، لكن الكتاب منضبط جزاه الله خيرًا.

ابن القيم كان يريد تأليفًا في معاني الأسماء والصفات، قال: لعل الله يفتح فأكتب في ذلك، وتُوفي ولم يكتب في ذلك. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

عَقِيدَةُ السَّلَفِ وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ للصَّابُونِي

س٢١: أرجو لو شرحتم كتاب «**عقيدة السلف وأصحاب الحديث**» للصابوني فهو أجمع من شرح متن الطحاوية؛ لأنه حسب علمي لم يشرح؟

الجواب: أظن أن (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) شرحه بعض المشايخ، وموجود مسجلًا، وأما متن الطحاوية، فهو مرجع، والاهتمام به منهجيًا أولى من الاهتمام بـ (عقيدة السلف وأهل الحديث) للصابوني؛ لأننا نمشي على منهجية في قراءة كتب العلم، فالشرح يكون على كتاب له صلة بتقويم الطالب علميًا، وشرح الطحاوية مقصود؛ لأنه يحتوي على

مسائل لم تذكر في الواسطية ولمعة الاعتقاد ولا الحموية، إضافة إلى أنه ثم استدراكات عليه، وهذا مما ينمي طالب العلم ومشايخنا - رحم الله الميت منهم، وحفظ الحي - يعتنون بشرح الطحاوية؛ لذلك قرر في جامعات المملكة. **[شرح الطحاوية]**.

كُتُبٌ فِي القَدَرِ

س ٢٢: ما أفضل كتاب تكلم عن القدر وتعريفه ومراتبه وجميع ما يتصل به؟

الجواب: أفضل كتاب هو كتاب «شفاء العليل» لابن القيم، (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)، ومن الكتب المعاصرة (كتاب القدر) للدكتور عبد الرحمن المحمود، كتابٌ قرب فيه المسألة لطالب العلم، فهو كتابٌ نافع في هذا الباب جدًا. **[شرح الطحاوية]**.

كِتَابُ النُّبُوَّاتِ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ

س ٢٣: أرجو بيان بعض الكتب التي بحثت في موضوع النبوات؟

الجواب: هذا الموضوع تفرق في تفسير الآيات التي فيها ذكر النبوة، والرسالة، والآيات، والبراهين، وشيخ الإسلام ابن تيمية كتب كتابة عظيمة في هذا الباب، خاصة في الآيات، والمعجزات، والبراهين، والفرق بين النبوة والرسالة في كتابه النبوات، لكنه طويل، يحتاج إلى اختصار من طالب علم يقربه لطلاب العلم. **[شرح الطحاوية]**.

كِتَابُ الإِيمَانِ بالرُّسُلِ للدكْتُورِ عُمَرِ الأَشْقَرِ

س ٢٤ : ما رأيكم في كتاب الإيمان بالرسل لفضيلة الدكتور عمر الأشقر وقد استوفى كثيرًا من الموضوعات؟

الجواب : إن كتب الدكتور عمر الأشقر في العقيدة في الجملة جيدة وشاملة للمباحث، وهو يتحرى في نقوله؛ فهي نافعة لطالب العلم، والاستفادة منها طيبة. [**شرح الطحاوية**].

كِتَابُ مَوْلِد اللُّغَةِ لمُصْطَفَى الغَلايِينِي

س ٢٥ : لو ذكرتم كتبًا تكفي طالب اللغة تتحدث عن نشأة اللغات.

الجواب : نشأة اللغات فيها كتب كثيرة، ليست سليمة، لم أر كتابًا سليمًا في جملة تفاصيله؛ لأنه لا يخلو كل باحث من خلفيات عنده ومقررات سابقة تسيطر عليه في بحثه ذاك، لكن من أحسنها أو مما يُطلعك على ذلك كتاب اسمه (مولد اللغة) للشيخ مصطفى الغلاييني، ثم كتب أخرى . [**شرح الطحاوية**].



كِتَابُ (هَذِهِ مَفَاهِيمُنَا) لِشَيْخِنَا صَالِحِ ابْنِ عبد العَزِيزِ آلِ الشَّيْخِ (وَفَّقَهُ اللهُ)

س ٣٦ : لقد صدر لكم كتاب بعنوان (هذه مفاهيمنا)، وقد رأيت أن بعض أهل العلم يذكر أن أمور العقيدة لا تطلق عليها مفاهيم؛ لأنها ترجع إلى ما يعتقده المرء مما دل عليه الكتاب والسنة، لا إلى فهوم الناس، فما تعليقكم على ذلك؟

الجواب: إن كلام بعض أهل العلم فيما ذكر إنما هو في الابتداء، يعني: من سمى بحوث العقيدة ابتداءً فهومًا: مفهوم القدر في الإسلام، مفهوم الشفاعة في الإسلام، يعني: من قرر العقيدة ابتداءً باسم مفهوم، وهذا ظاهر؛ لأن العقيدة مبنية على النصوص، وليست ابتداءً يطلق عليها مفهوم أو نحو ذلك.

وقد يُقال: إن المسألة إذا اختلف فيها أهل القبلة - أعني: في غير المسائل قطعية الدلالة -: فَهْم أهل السنة والجماعة كذا، وفهم السلف الصالح كذا، وهذا ظاهر في تعبير عدد من أهل العلم؛ حيث عبَّروا عن فهمهم لأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بقولهم: «فهم»، «الذي يفهمه أهل السنة والجماعة من هذه النصوص كذا».

الحالة الثانية: وهي في الظاهر لم يردها من ظن السائل أنه أراد بها كتابي (هذه مفاهيمنا) الحالة الثانية: أن تكون في مقابلة الرد، والرد معلوم أنه يقابل فيه الأصل، ويكون كمالًا إذا كان فيه دفع للمبتدع، وهذا فيه مناسبة

بلاغية أيضًا ؛ لأن الذي رُدّ عليه بكتاب (هذه مفاهيمنا) سمى كتابه : (مفاهيم يجب أن تصحح)، فالرد يكون باستعمال لفظ استعمله هو ؛ لتأكيد قوة الأمر وتثبيته بقوله (هذه مفاهيمنا)، وهذا له أصل في اللغة العربية، وفي القرآن والسنة، فإن الله ﷻ لا يجوز عليه ابتداءً أن يوصف بصفات، لكن إذا كانت في مقابلة نقص البشر، أو مكرهم، أو استهزائهم، فإنه يوصف، مثل : المكر ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فلا يطلق ابتداءً المكر، لكن إذا كان في مقابلة مكر، فيقال يمكر الله بمن مكر، أو الاستهزاء : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، أو المخادعة، ونحو ذلك، ففي تسمية الكتاب (هذه مفاهيمنا) في مقام الرد فيه صواب؛ وذلك من جهتين :

الجهة الأولى: أن الرد فيه القوة، وفيه الاستعلاء بما استعلى به صاحب النص.

والجهة الثانية : أن فيه وجهًا بلاغيًا ؛ لأن مقابلة النقص بتثبيت اللفظ، والزيادة على ذلك بصحة المعنى جائز، بل مستعمل في اللغة وفي القرآن والسنة، ومن استعماله في اللغة قول عمرو بن كلثوم في معلقته[(١)] :

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

مع إجماع العقلاء على أن الجهل من صفات السفهاء، لكن لما كان في مقابله جهل الجاهلين، صار كمالًا ؛ لأنه يدل على قوة، فلما سمى ذاك كتابه (مفاهيم يجب إن تصحح) كان من الكمال والرفعة أن يقال : (هذه مفاهيمنا)

---

(١) انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٦٤)، وجمهور أشعار العرب (ص٦٠)، والإيضاح في علوم البلاغة (٢٥٦).

يعني: أن وجوب تصحيحها الذي ادعاه باطل ومردود، مع ظني أن من كتب في انتقاد هذه اللفظة يريد الوجه الأول، وهو الابتداء، لا الوجه الثاني. [شرح الطحاوية].

تَفْسِيرُ الْجَلالَيْنِ

س ٢٧: ما رأيكم في دراسة تفسير الجلالين في بداية دراسة علم التفسير؟

الجواب: تفسير الجلالين نافع ومختصر، وفيه أيضًا علوم كثيرة على اختصاره، لكن يُتفطن إلى المواضع التي سلك فيها غير طريقة السلف في العقيدة: سواء في مسائل الصفات، أو في مسائل القدر، أو في مسائل الإيمان، فينتبه لذلك، والكتاب من الكتب النافعة. **[شرح الطحاوية]**.

الشيخ: من مصنف الجلالين؟

الباحث: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي.

الشيخ: من الذي بدأ أولًا؟

الباحث: فيها خلاف.

الشيخ: لا، ما فيها خلاف أبدًا، الطبعة موجودة، هذا بداية جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، والآية: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٨٩] معروف لمن تفسيرها؛ ولذلك أنا أُرجعك إلى طبعة الشيخ أحمد شاكر لتفسير الجلالين؛ لأنها أصح طبعة (طبعة الشيخ أحمد شاكر)، وهو

مفصل، حتى إنه جعل تفسير سورة الفاتحة في موضعها المتأخر، ما جعلها في الأول، ونبه على ذلك، فهذه غير مقبولة أنك ما تعرف من القائل أي الجلالين: جلال الدين المحلي، أو جلال الدين السيوطي [**مناقشة رسالة ماجستير**].

(كِتَابُ السُّنَّةِ) لِعبد اللهِ بْنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ

س ٢٨: ما رأيكم فيما جاء في كتاب عبد الله بن الإمام أحمد في اتهامه لأبي حنيفة، وبالقول عليه بخلق القرآن إلى آخره؟

الجواب: هذا سؤال جيد، وهذا موجود في (كتاب السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد، وعبد الله بن الإمام أحمد في وقته كانت الفتنة في خلق القرآن كبيرة، وكانوا يستدلون فيها بأشياء في خلق القرآن تنسب لأبي حنيفة، وهو منها براء، وكانت تنسب إليه أشياء، ينقلها المعتزلة؛ من تأويل الصفات . . . إلى آخره، مما هو منها براء، وبعضها انتشر في الناس، ونقل لبعض العلماء، فحكموا بظاهر القول، وهذا قبل أن يكون لأبي حنيفة مدرسة ومذهب؛ لأنه كان العهد قريبًا من عهد أبي حنيفة، وكانت الأقوال تنقل: قول سفيان، قول وكيع، قول سفيان الثوري، قول سفيان بن عيينة، قول فلان وفلان من أهل العلم في الإمام أبي حنيفة، فكانت الحاجة في ذلك الوقت باجتهاد عبد الله بن الإمام أحمد، كانت الحاجة قائمة إلى أن ينقل أقوال العلماء فيما نقل، ولكن بعد ذلك الزمان - كما ذكر الطحاوي - أجمع أهل العلم على أن لا ينقلوا ذلك، وعلى أن لا يذكروا الإمام أبا حنيفة

إلا بالخير والجميل، وهذا فيما بعد زمن الخطيب البغدادي، يعني: في عهد بعض أصحاب الإمام أحمد ربما تكلموا، وفي عهد الخطيب البغدادي نقل نقولات في تاريخه معروفة، وحصل ردود عليه أيضًا، حتى وصلنا إلى استقرار منهج السلف في القرن السادس والسابع الهجري، وكتب في ذلك رسالة ابن تيمية الرسالة المشهورة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، وفي كتبه جميعًا يذكر الإمام أبا حنيفة بالخير وبالجميل، ويترحم عليه، وينسبه إلى شيء واحد، وهو القول بالإرجاء - إرجاء الفقهاء -، دون سلسلة الأقوال التي نسبت إليه؛ لأنه يوجد كتاب أبي حنيفة (الفقه الأكبر)، وتوجد رسائل له، تدل على أنه كان في الجملة يتابع السلف الصالح إلا في هذه المسألة (مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان).

وهكذا درج العلماء على ذلك - كما قال الإمام الطحاوي - إلا بعض من زاد وغلا في الجانبين: إما من غلا من أهل النظر في الوقيعة في أهل الحديث، وسماهم حشوية، وسماهم جهلة، وإما من غلا أيضًا من المنتسبين للحديث والأثر؛ فوقع في أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو وقع في الحنفية كمدرسة فقهية، أو وقع في العلماء.

والمنهج الوسط هو الذي ذكره الطحاوي، وهو الذي عليه أئمة السلف. لما جاء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أصّل هذا المنهج في الناس، وأن لا يذكر أحد من أهل العلم إلا بالجميل، وأن ينظر في أقوالهم، وما رجحه الدليل، فيؤخذ به، وأن لا يتابع عالم فيما أخطأ فيه وفيما زل، بل نقول: هذا كلام العالم، وهذا اجتهاده، والقول الثاني هو الراجح؛ ولهذا

ظهر بكثرة في مدرسة الدعوة القول الراجح والمرجوح، وربّي عليه أهل العلم في هذه المسائل تحقيقًا لهذا الأصل، حتى أتينا إلى أول عهد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما دخل مكة وأراد العلماء طباعة كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، وكان المشرف على ذلك والمراجع له الشيخ العلامة الجليل عبد الله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئيس القضاة إذ ذاك في مكة، فنزع هذا الفصل بكامله من الطباعة، فلم يطبع؛ لأنه من جهة الحكمة الشرعية كان له وقته وانتهى، ثم هو اجتهاد، سياسة شرعية، ورعاية مصالح الناس أن ينزع وألا يبقى، وليس هذا فيه خيانة للأمانة، بل الأمانة ألا نجعل الناس يصدون عما ذكره عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه من السنة والعقيدة الصحيحة؛ لأجل نقول نقلت في ذلك، وطبع الكتاب بدون هذا الفصل، وانتشر في الناس والعلماء على أن هذا (كتاب السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد، حتى طبع مؤخرًا في رسالة علمية، أو في بحث علمي، وأدخل هذا الفصل - وهو موجود في المخطوطات ومعروف - أدخل هذا الفصل من جديد، قالوا: إن الأمانة تقتضي إثباته. . . إلى آخره، وهذا لا شك أنه ليس بصحيح، بل صنيع العلماء - علماء الدعوة فيما سبق - من السياسة الشرعية، ومن معرفة مقاصد العلماء في تأليفهم واختلاف الزمان والمكان والحال، وما استقرت عليه العقيدة وكلام أهل العلم في ذلك، ولما طبع كنا في دعوة عند فضيلة الشيخ الجليل الشيخ صالح الفوزان في بيته، كان داعيًا لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وطرحت عليه أول ما طبع الكتاب - طبعة (كتاب السنة) الطبعة الأخيرة هذه التي في مجلدين -، إدخال هذا الفصل، أو هذا الباب فيما ذكر في أبي حنيفة في الكتاب، وأن الطبعة

الأولى كانت خالية من هذا، وصنيع المشايخ، فقال ﵀ في مجلس الشيخ صالح، قال لي: (الذي صنعه المشايخ هو المتعين، ومن السياسة الشرعية أن يحذف، وإيراده ليس مناسبًا، وهذا هو الذي عليه منهج العلماء)، زاد الأمر، حتى صار هناك تأليف يطعن في أبي حنيفة، وبعضهم يقول: (أبو جيفة، ونحو ذلك)، وهذا لا شك أنه ليس من منهجنا، وليس من طريقة علماء الدعوة، ولاعلماء السلف؛ لأننا لا نذكر العلماء إلا بالجميل، إذا أخطؤوا، فلانتابعهم في أخطائهم، وخاصة الأئمة الأربعة؛ لأن لهم شأنًا ومقامًا لاينكر.

أسأل الله لكم التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. [**شرح الطحاوية**].

كُتُبُ مُوسَى المَوْسَوِيّ

س ٢٩: ما رأيكم في موسى الموسوي؟ قرأت له ردودًا على الإمامية، وقيل: إنه شيعي.

الجواب: هذا موسى الموسوي أحد الإمامية الرافضة، نقم على الخميني دعوته في ولاية الفقيه، وفي بعض أمور السياسة، فرحل إلى أمريكا، وأنشأ له هناك دارًا ومركزًا، وألف بعض الكتب باللغة الإنجليزية، والبعض باللغة العربية، وبعض كتبه: (الشيعة والتصحيح)، (الشيعة والتشيع)، (يا شيعة العالم استيقظوا)...، ونحو هذه الكتب مفيدة في الرد على الشيعة، وبيان أن منهم من يرد عليهم من كتبهم، وأنهم متناقضون، وأن الحق ليس معهم، وأن عندهم من التناقض، وعندهم من مخالفة ما عليه أكابرهم المتقدمون ما

يدل على فساد ما ذهبوا إليه، فكتبه مفيدة في باب، لكنه يذهب إلى شيء يجب أن تنتبه إليه، وهو أن الشيعة حق، وأن التشيع حق، وأن الجعفرية حق، وأنه لا يجوز أن يتعدى على التشيع من حيث هو، وأن السنة والشيعة فرقتان من فرق الإسلام، لا ينبغي أن يكون بينهما كبير فرق، ومع هذا رد على الشيعة في مواضع كثيرة، مثلًا أذكر له في كتابه (الشيعة والتصحيح) ذكر عدة مسائل منها: مسألة العصمة، مسألة ترك صلاة الجمعة، زواج المتعة، وأيضًا ذكر في مسألة مهمة عقد لها بابًا سماه (الشيعة ومراقد الأئمة)، وذكر في هذا نقدًا واضحًا وتضليلًا للذين يقدسون الأئمة، ويتجهون إلى مراقدهم بالحج - يعني: إلى قبورهم -، وقال حتى في صدر هذا الباب - إن صح حفظي - يقول: (يحلو - في أول أسطر منه - يحلو لبعض الفئات أن تجعل معظمهم مقدسًا، ويجعلون عليه خلعًا من صفات الإله؛ كما فعل الناس من المسلمين بمعظميهم، فلدى السنة معظمون خلعوا عليهم من صفات الإله، وجعلوا يذهبون إليهم بالذبائح والنذور والطلبات والاستغاثات، وللشيعة أيضًا مقدسون ومعظمون خلعوا عليهم من صفات الإله، ولم ينج - هذه عبارته - من هذا التخريف إلا الطائفة الموسومة بالسلفية) فعلى العموم عنده ما عنده، وكتبه تستفيد منها، يستفيد منها طالب العلم في بعض الأمور، وخاصة في مسألة: متى بدأ القول بالعصمة، متى بدأ الانحراف - انحراف الشيعة عن أقوال الأوائل -، أرخها في كتبه تأريخًا جيدًا، وبيّن أن بداية الانحراف كانت في أوائل المائة الرابعة، بدأ القول بالعصمة، وبدأ الانحراف عن طريقة أئمتهم الأولين، فيرد عليهم من كلام بعضهم. **[شرح الطحاوية]**.

س ٣٠: هل تنصحون بإهداء كتب موسى الموسوي للرافضة؟

الجواب: نعم، كتبه نافعة، وتنفع القوم، وتقيم الحجة عليهم، أو تهز ثقتهم بأصولهم. [**شرح الطحاوية**].

كِتَابُ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. . . أما بعد:

فبين يدي شرح هذا الكتاب العظيم - وهو كتاب كشف الشبهات - نقدم مقدمة مهمة بين يدي هذا الموضوع، ألا وهي: الدعوة إلى التوحيد، وكشف الشبه فيه.

من المعلوم المتقرر في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ أن الله ﷻ بعث المرسلين جميعًا، وأرسل الأنبياء لعبادة الله وحده لا شريك له، وخلق السماوات والأرض، وخلق الأفلاك، وخلق كل شيء، ولم يأذن بعبادة أحدٍ سواه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]، وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فمن نظر إلى دلائل توحيد الله ﷻ في الآفاق وفي الأنفس، تيقن أن هذا الملكوت له مدبر واحد، وله خالق واحد، وله متصرف واحد، وهو الله ﷻ، ولا بد من ذلك، وهذه الدلائل لا يحتاج معها المرء إلى برهان مفصل؛ لأنه يحسها في نفسه، ويحسها فيما حوله، ولا بد أن تقوده إلى أن

هذا الذي خلق وحده، وأن هذا الذي تصرف في الملكوت وحده، إنه هو الذي يجب أن يذل له، وأن يخضع له، وأن يعبد وحده دونما سواه؛ ولهذا كان من براهين توحيد الألوهية توحيد الربوبية؛ فدلائل توحيد الله ﷻ في ربوبيته في الآفاق، كل دليل منها يصلح أن يكون دليلًا على استحقاق الله ﷻ لعبادته وحده لا شريك له؛ لأنه ﷻ هو الواحد في خلقه، وفي رزقه وفي ربوبيته، وكذلك يجب أن يوحد في الألوهية ﷻ، وأن يعبد، ويفرد بالعبادة؛ لهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

وقول المحققين من علمائنا في هذا الميثاق أنه هو الفطرة، هو دليل وحدانية الله ﷻ في الأنفس وفي الآفاق؛ فكل مولود يولد على الفطرة، وهذه الفطرة هي توحيد الله ﷻ، وهذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم، وهذا الميثاق ليس هو استخراج ذرية آدم من ظهره - كما قاله طائفة -؛ لأن هذا غلط في فهم الآية، وفي ما نقل من تفاسير السلف أيضًا؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فليست مسألة الميثاق في هذه الآية، والإشهاد عليهم هي الأخذ من آدم، بل الأخذ من بني آدم، والظهور ليست هي ظهر آدم، بل ظهور ذرية آدم (ذريتهم): ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهذا الإشهاد هو بلسان الحال، وليس بلسان المقال؛ كما هو قول المحققين من أهل العلم.

وهذا الذي في هذه الآية غير ما ورد من استخراج ذرية آدم من ظهره كهيئة

الذر؛ كما جاء في بعض الأحاديث.

دلائل وحدانية الله ﷻ قائمة في الآفاق وفي الأنفس، ودليل الربوبية قائم ظاهر بَيِّنٌ، ومن نظر أدنى نظر، وصل إليه؛ ولهذا لم يجعل الله ﷻ النظر في توحيده في ربوبيته مطلوبًا من أتْباع الرسل، ولا أمرت به الرسل بجعل دعوتهم في ذلك، وإنما أمر الله ﷻ بتوحيده في عبادته، وبعث المرسلين جميعًا لهذا الأمر العظيم.

ولهذا نقول: إن دليل وحدانية الله ﷻ في الربوبية. هذا ليس من منهج أهل السنة والجماعة، الذي تبعوا فيه طريقة الأنبياء والمرسلين، أنهم يفيضون فيه، ولا جعلوه غاية؛ كما جعله طائفة من المعاصرين غاية في ذلك، والمتكلمون طريقتهم في هذا الباب أن التوحيد المطلوب هو: توحيد الربوبية؛ ولهذا يجعلون أول واجب على العباد النظر، أو القصد إلى النظر، أو الشك؛ كما هي أقوال عندهم.

فإثبات توحيد الربوبية، وأن الله ﷻ هو الواحد في ربوبيته هذا هو التوحيد عندهم، وهذا ليس بالأمر عندنا؛ ولهذا أتْباع الأنبياء والمرسلين الذين قفوا أثر السلف الصالح تجد عندهم من براهين توحيد الألوهية ما فيه التفصيل، والتفصيل والكلام المكرر فيه الذي يعيدون فيه، ويبدؤون ويكررون؛ لأجل تثبيته، وإقامة الحجاج والحجة عليهم.

أما غيرهم، فإنهم يتوسعون في أبواب توحيد الربوبية. ومن عبد الله ﷻ وحده لا شريك له، فتضمن ذلك أنه مقر بربوبيته وحده، دون ما سواه، بخلاف من وحد الله في ربوبيته، فإنه قد يعبد معه آلهة أخرى؛ كما فعل أهل

الجاهلية، فإنهم موحدون في أكثر أفراد الربوبية، ولكنهم مع ذلك مشركون ما قادهم توحيد الربوبية إلى توحيد الإلهية؛ قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١]، إلى أن قال في آخر الآية في سورة يونس: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، والآيات في ذلك كثيرة.

المقصود من هذا أن غاية بعث الأنبياء والمرسلين هو تحقيق توحيد العبادة، وإقامة الحجة فيه، وكشف الشبه عنه، وإيضاح الدلائل فيه بتفصيل وإيضاح أفراده، ولا يخفى عليكم قول الرب ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

الدعوة إلى التوحيد هي ميراث الأنبياء والمرسلين، لكن هذه الدعوة من لم يعشها ولم يتوسع فيها، لا يعرف كيف يدعو إلى التوحيد، بل قد يأتي من يظن أنه لا حاجة إلى ذلك.

وعبودية الخلق لله ﷻ، التي هي غاية وجود الخلق، إنما تكون بأن يدعوا إلى الله ﷻ بتوحيده، وفهم ذلك والعلم به وتطبيقه.

فإذا هديت الناس إلى أن يوحدوا الله في أقوالهم وأعمالهم، وبما تعتقده قلوبهم، انبعث ذلك الاعتقاد وذلك التوحيد عن عمل صالح، وعن نفس مخبتة منيبة لله ﷻ، وهذه النفس هي التي تحوز فضل تكفير الذنوب؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قالَ الله تعَالى: يا ابنَ آدَمَ إنّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كانَ مِنكَ وَلاَ أُبَالِي، يا ابنَ آدَمَ لَوْ**

بَلَغت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَك، يا ابنَ آدَمَ إنّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرْضِ خَطَايَا ثُمّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

هذا لأهل التوحيد، أما النفس المشركة، أو المترددة، أو التي في ريب من أمر التوحيد، لا تحصل على فضائل الإسلام، ولا على فضل الإسلام على أهله، ولا على فضل التوحيد على أهله؛ ولهذا نعجب أنه مع اشتداد الحاجة إلى دعوة الناس إلى توحيد الله، فإن من الناس من يقول: «لا حاجة إلى ذلك»، وهذا من جراء عدم معرفتهم بعظم حق الله ﷻ، وكيف يعظم ربنا ﷻ، وإنما تعظيمه بتحقيق التوحيد، ومن حقق التوحيد، فقد عظَّم، ومن أضاع التوحيد، فقد أضاع حق الله، ولو كان السجود في جبهته مؤثرًا، ولو كان جلده على عظمه من الصيام مؤثرًا، فلا قيمة لذلك، بل قد قال الله ﷻ لنبيه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لهذا تعجب أشد العجب أن هناك أناسا كثيرين بلغوا في أمر العلم ما بلغوا، وبلغوا في أمر الدعوة ما بلغوا، وعندهم من الكلمات الشركية، ومن عدم معرفة حق الله، ومن الغلو المذموم، ومن تعلق القلوب، أو تعليق القلوب بغير الله ما رأيتموه وسمعتموه في كتب وفي غيرها، وهذا من اشتداد الفتنة، التي ستبقى إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥) من حديث أنس ﵁، قال أبو عيسى: «**هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه**»، وأخرجه من حديث أبي ذر ﵁: أحمد في مسنده (٥/ ١٤٨)، والدارمي (٢٧٨٨)، والبزار (٩/ ٤٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٩)، وقال: «**هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**».

الدعوة إلى التوحيد تكون على جهتين:

الأولى: مجملة. **الثانية**: مفصلة.

أما المجملة، فهي ببيان معنى التوحيد وحق الله ﷻ، وبيان أنه ﷻ هو المستحق للعبادة، وإقامة الدلائل على توحيد الله ﷻ، وعلى أن التوحيد أهم المهمات، وعلى أنه دعوة الأنبياء والمرسلين، وعلى أن ذلك فيه من الفضل من تكفير الذنوب ومحو السيئات ما فيه... إلى آخر ما في بيان التوحيد وفضله مجملا بلا تفصيل، وهذا القدر - وهو: الدعوة إلى التوحيد مجملة دون تفصيل - يشترك فيها كثيرون من الدعاة في هذا الزمن؛ لأن الدعوة إلى التوحيد مجملة، يتفق عليها الجميع؛ لأن تفسير التوحيد يكون عند المتلقي، وليس من جهة المُلقِي، وإذا أحيل الكلام على فهم المتلقي، كان هناك أوجه يمكن أن يفسر بحسب ما يتلقاه المتلقي.

فطوائف المشركين إذا أمرتهم بتوحيد الله مجملا، لم ينتقدوا عليك - يعني في هذا الزمن -؛ لأن التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، وطوائف الغلاة في عبادة الأولياء والصالحين إذا أمرتهم بالتوحيد، ولم تشخص المسألة التي هم فيها، ما أنكروا عليك؛ فكثيرون دعوا إلى التوحيد في أماكن فيها قبور للصالحين، وتعبد من دون الله، ولم ينكر عليهم أحد ممن هم في حضرة تلك المشاهد، التي شيدت لعبادتها من دون الله أو مع الله ﷻ؛ لأنها مجملة.

وهذا القدر لا يميز القائل بأنه من أهل التوحيد، أو أنه من الدعاة إلى توحيد الله؛ لأن فيه عمومًا وإجمالًا، والإجمال لا يصلح بقدر إصلاح التفصيل، لكن إن كان الإجمال خطوة في الطريق، فإن هذا يكون مناسبًا؛

لهذا قلنا : الدعوة إلى التوحيد تكون بإجمال، وتكون بتفصيل، فمن أجمل، ثم فصل، كان إجماله خطوة لينقل بها الناس، أو ليمهد بها لبيان حق الله ﷻ، ولو كان التمهيد في أسبوع أو أسبوعين أو شهر بحسب الحال التي فيها بلده، فإن هذا مناسب، لكن أن يقال: دعا إلى التوحيد، وإنما دعوته بإجمال دون تفصيل. هذا ليس من منهجنا، ولا من منهج أئمة هذه الدعوة، ولا أئمة الإسلام المتقدمين في الدعوة إلى توحيد الله.

النوع الثاني: الدعوة إلى التوحيد مفصلًا.

والتوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والتوحيد يكون بإفراد الله بأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأعمال القلوب متنوعة، منها: المحبة، والرغبة، والرهبة، والرجاء، والخوف، والتوكل، والإنابة، والخشوع، إلى غير ذلك من أفراد أعمال القلوب وعبادات القلوب.

فمن دعا إلى كل مسألة من هذه مفصلة، فإنه دعا إلى مسألة من مسائل التوحيد بتفصيلها، فيتكلم عن الرغبة والرهبة، يتكلم عن التوكل، يتكلم عن المحبة بعلم، فإذا تكلم عن هذه بعلم، وفصل على كلام أهل العلم فيها، فإنه دعا إلى نوع من أنواع التوحيد مفصلًا، هذا من جهة أعمال القلوب.

وأعظم أعمال القلوب الإخلاص، وأن يتوجه القلب إلى الله وحده، وأن لا يكون في القلب من جهة القصد والتوجه إلا واحدٌ، وهو الله ﷻ وتقدست أسماؤه.

فالدعوة إلى الإخلاص - إخلاص الدين - وتوحيد القصد والتوجه،

وألا يكون في القلب إلا الله ﷻ إذا كانت من طالب علم يضبط الكلام، فهذه دعوة مفصلة في توحيد الله ﷻ، وهذا له تفاصيل: أعمال الجوارح من جهة الصلاة، والدعاء بأنواعه، والاستغاثة، والاستعاذة، والنداء... إلى آخره، وكذلك الذبح، وما شابه ذلك، أخذ كل مسألة منها وبيان إفراد الله ﷻ بهذه العبادة، هذا من الدعوة إلى التوحيد مفصلًا؛ تأخذ الدعاء: ما هو؟ ومعنى الدعاء والآيات التي فيه؟ وإفراد الله ﷻ بالدعاء؟... إلى آخره، كذلك تأخذ الاستغاثة والآيات التي فيها، وإفراد الله ﷻ بها، ووجوب ذلك، وما جاء في هذا، وكذلك تأخذ بقية المسائل؛ كالذبح والنذر... إلى آخره، كذلك ما يتعلق بإفراد النبي ﷺ وإفراد شريعته بالحكم والتحاكم بين العالمين؛ فهذا نوع من أنواع توحيد الله ﷻ، أو فرد من أفراد التوحيد؛ فالدعوة إليه مع غيره هي طريقة أئمتنا وعلمائنا، وبعض الناس يطرق من التوحيد هذه المسألة دون غيرها، وهي ما يسمونه بتوحيد الحاكمية أو الدعوة إلى تحكيم شريعة الإسلام، وإبطال تحكيم القوانين، وما جاء في ذلك من النصوص وبيان كلام أهل العلم في ذلك، هذا لاشك أنه من التوحيد، ولكن ليس هو التوحيد فقط، بل توحيد الله ﷻ - كما هو واضح مما سبق من الكلام - هو: إفراد الله بالعبادة، هذا هو التوحيد، وهذه من التوحيد؛ لأنها تحقيق لشهادة أن محمدًا رسول الله، فأهل التوحيد يدعون إلى هذه جميعا، وأما غيرهم، أو من كانت في قلبه شبهة، أو من كان عنده طريقة أخرى، فإنهم يدعون إلى التوحيد مجملًا، وإذا أتى التفصيل، فإنما يفصلون في مسألة الحاكمية، وهذا خلاف طريقة أهل التوحيد وأئمة هذه الدعوة؛ لهذا تجد في كتاب التوحيد مسائل الحكم والتحاكم متأخرة في

الكتاب، وكان قبلها ما يتعلق بالدعوة إلى التوحيد مجملًا وفضل التوحيد، ثم بيان ضد ذلك ومسائله . . . إلى آخره، فهي جزء من الكلام على التوحيد، وشمولية الدعوة إلى التوحيد تؤخذ من كتاب التوحيد؛ لأن فيه بيان التوحيد مجملًا ومفصلًا؛ ولأن فيه بيان ضده مجملًا ومفصلًا.

يضاد التوحيد الشرك، والشرك - كما هو معلوم - أكبر وأصغر، والدعوة إلى التوحيد لابد وأن يكون معها نهي عن الشرك؛ لأن الدعوة إلى التوحيد هي دعوة إلى لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله كفر بالطاغوت وإيمان بالله، فلابد من النهي عن الشرك، فأهل التوحيد عندهم دعوة إلى التوحيد مجملًا ومفصلًا، وعندهم نهي عن الشرك مجملًا ومفصلًا، والإجمال ببيان شناعة الشرك، وأنه أعظم ما عصي الله ﷻ به، وحكم المشرك، وصورة الشرك، ونحو ذلك مما فيه بيان الشرك بإجمال، دون ذكر الصور، صور الشركيات الموجودة.

هذا قد تجده - كما ذكرنا - في التوحيد مجملًا، قد تجده عند كثيرين إذا تكلم ونهى عن الشرك، كان نهيه مجملًا، ولا تجد أنه يفصل قبل الكلام ولا بعده، وإنما يحب الدعوة إلى التوحيد، أو يدعو إلى التوحيد بإجمال، وينهى عن الشرك بإجمال يفسره، وهذا لا يفيد الفائدة المرجوة؛ لأن النهي عن الشرك بإجمال المتلقي يكون بحسب فهمه، ولكن إذا فصلت، وحددت، فإنه يكون مستوعبًا للمراد من الكلام؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله(١):

فعلَيكَ بالتَّفصِيلِ والتَّمييزِ فالـــ ... إطــلاقُ والإجـمَــالُ دُونَ بَـيَــانِ

(١) انظر: نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣٢٥).

قَد أفسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الـــ أذهَـــانَ والآراءَ كُـــلَّ زَمَـــانِ

الإجمال موجود في الكتاب والسنة، ولكنه إجمال، وثم تفصيل له، فمن اقتصر على الإجمال دون التفصيل، فهو على غير السبيل، فالنهي عن الشرك مجملًا عرفته، ومفصلًا بأن يذكر الشرك الأكبر والأصغر، والأصغر منه الخفي، ومنه ما هو ظاهر؛ كشرك الرياء، أو الأعمال الظاهرة مثل: التمائم ولبس الحلقة والخيط، والحلف بغير الله، ونحو ذلك.

الشرك الأكبر أنواعه معروفة مشهورة عندكم، فيفصل الداعية كل واحدة، فيأتي إلى دعاء غير الله، ويبين أنه من الشرك، ويفصل، ويقيم الدلائل في ذلك بتفصيلها، ثم يذكر صور دعاء غير الله. كذلك الخوف من غير الله، يذكر صور هذا الخوف من غير الله، والصورة التي هي شرك أكبر بالله ﷻ، يأتي إلى الشرك الأصغر، ويعرضه بتفصيل، التمائم يكون الكلام عليها يحتاج إلى جلسة أو جلستين، أو خطبة جمعة أو خطبتين أو ثلاث؛ لأن صور التمائم كثيرة؛ قد تقول للناس: إن التمائم شرك، وتأتي بالحديث في ذلك، لكن لا تبين للناس صورة التمائم، فهذا يقع فيه كثيرون ممن ينهون مجملًا عن الصورة، ولا يفصلون الكلام عليها، الناس لا يتصورون المراد بالتمائم إلا بالصور التي كانت في الجاهلية قديمًا، لكن الصور الحاضرة اليوم، التي تجدها في الشوارع وفي كثير من البيوت لا يتصور أنها من الشرك الأصغر، وهم ربما عملوها، ونظروا إليها، واستأنسوا لها، فلا بد أن يكون ثم تشخيص للصورة الشركية، وإعطاء الصور الكثيرة بتفصيل لهذه المسألة الشركية، هذه هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك مفصلة.

تأخذ شرك الرياء أيضًا، تفصل الكلام فيه، تأخذ الذبح لغير الله وتفصيل الكلام فيه، النذر لغير الله وتفصيل الكلام فيه، تأخذ شرك الألفاظ من نسبة النعم لغير الله ﷻ، وتفصل الكلام فيه، تأخذ الحكم بغير ما أنزل الله، وتفصّل الكلام فيه، وأنه ليس بذي حالة واحدة، بل له أحوال وأحكام مختلفة. . . ، ونحو ذلك، بحسب ما قرره أهل العلم.

إذا الدعوة سارت هكذا، وهكذا كانت دعوة الأنبياء ودعوة المرسلين، والشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من نظر في دعوته، وجد أنه سار هذا المسير، وهكذا الأئمة من بعده رحمهم الله تعالى، وجزاهم عنا وعن المسلمين خيرًا.

لاشك أن الداعية بتفصيل في التوحيد سترد عليه شبه، وأما الداعية بإجمال، فلن تطرح عليه الشبه؛ ولهذا تكثر الشبه إذا ازداد التفصيل، فشبه المشبهين في توحيد الله تزداد بازدياد التفصيل في مسائل التوحيد، فإذا شخصت له أن دعاء غير الله ﷻ شرك، أتى بالاستشكالات، إذا شخصت له أن دعاء النبي ﷺ شرك، أتى بالشبه، إذا قلت له: إن دعاء الصالحين شرك، أتى بالشبهة، إذا قلت: إن الذبح لغير الله ﷻ شرك أكبر، أتى بالشبه.

من الدعاة المنتسبين إلى الإسلاميين وإلى الدعوات الموجودة من يقول في بعض هذه الصور: (إنها شرك)، ولكن يجعلها شركًا أصغر، وهذه أيضًا شبهة عظيمة، راجت على كثيرين من أتباع الجماعات الإسلامية في غير هذه البلاد؛ يجعلون الذبح لغير الله شركًا، ولكن يقولون: هو شرك أصغر، لا يخرج من الملة، النذر لغير الله شرك، ولكن شرك أصغر، وهكذا في مسائل كثيرة. . .

متي يكون عندهم شركًا أكبر؟! يأتي لك بالشبهة التي تطعن في ما قررت من توحيد الله ﷻ.

والنهي عن الشرك مجملًا ومفصلًا في النوعين، فبقدر فهمك للتوحيد ونهيك عن الشرك مجملًا ومفصلًا ترد الشبهات.

والشيخ رحمه الله الإمام محمد بن عبد الوهاب لما دعا بدعوته مجملة ومفصلة جاءته الرسائل والكتب، وكتبت الأوراق، ونشرت المناشير في زمنه في تضليله، وإيراد الشبهة على أقواله، ولأجل كشف تلك الشبه التي كانت رائجة في عصره في وقت ما صنف رسالة (كشف الشبهات)، التي نحن بين يدي شرحها، والشبهات ليست مقتصرة على ما أورده الشيخ، بل تجد أن الشبهات في التوحيد، كلما ذهبت إلى بلد، وجدت عند علمائه من الشبهات في الشرك والضلال ما ليس عند غيرهم، والشبه ترد على القلوب، وقد تؤثر فيها، ولو بالتردد، ولو أن تجعل من سمعها مترددًا في داخله، وهذه مصيبة: أن تأتي الشبهة، ولم يقتنع بها، لكن في داخله يكون مترددا، وهذا تجده عند كثيرين، حتى من المنتسبين للعلم في الجامعات، أو ممن درسوا دراسات عصرية في هذا العصر، حتى في هذه البلاد من أهل الفطرة تجد عندهم عدم قناعة ببعض صور الشرك، ولا بالدعوة إلى تركها، وعندهم قناعة بضده وبالتوحيد، ولكن في القلب تردد، بعض التردد من إن ما يصنع عند قبور الأولياء والصالحين أنه شرك وكفر بالله ﷻ.

ويعظم التردد إذا قلت لهم ما قاله الإمام رحمه الله في رسالة (كشف الشبهات) هذه: (إن شرك المعاصرين في زمن الشيخ وفي هذا الزمن من جهة المتعلقين

بالأولياء والأموات ونحو ذلك أعظم من شرك أهل الجاهلية)، يعظم التردد؛ ويعظم لأجل ورود الشبهات، ومن الشبهات: كيف يقال ذلك؟! وهؤلاء مسلمون يصلون، ويزكون، ويحجون، وقد ترى على بعضهم أثر السجود، وأثر الطاعة والزهادة، والبكاء من خشية الله ﷻ، فتعظم الشبهة، ويبقى من لم يكن متحصنًا بالتوحيد دائم التكرار له، في التردد في هذا الأصل العظيم، أنتم - ولله الحمد - في هذه البلاد قد لا تلاحظون، أو قد ما تحتاجون إلى كثرة رد الشبهات، لكن من كان في غير هذه البلاد، يجد الصدام عنيفًا، ويجد أن المواجهة إنما هي مع هؤلاء، فالمواجهة مع أهل الشرك والضلال.

من سافر منكم إما أن يكون قد سافر للدعوة، فسينظر، وسيحاجّ، وسيدعو بإجمال وتفصيل، سترده الأقوال والأعمال والغرائب، إذا لم يتحصن، فربما زل الزلة، التي بعدها سيكون في أعظم خسر؛ ولهذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب (كشف الشبهات)، هل كتبها للمشركين؟ لا، كشف الشبهات عن المسلمين، صنفها للمسلم الموحد؛ ولهذا كانت مختصرة؛ كما ترى.

الموحد يحتاج إلى أن يكون مكشوف الشبهة، يعني: أن لا تبقى الشبهة معه، لا شك أن المنهج الصحيح أن لا تورد الشبهات؛ لأن بعض الناس قد لا يكون عنده في قلبه شبهة أصلًا، فإذا وردت الشبهة، وبعدها الرد، قد تعلق الشبهة، ولا يفهم الرد، خاصة أن الشبهات هذه التي يوردها خصوم التوحيد تجد أنها عاطفية، ورد الشبهة علميٌّ، ومن القواعد المقررة في الدعوة بمعرفة نفسيات الناس أنّ إثارة الناس والتأثير عليهم بالعاطفة أقوى، وبالعلم لا يكون إلا لمن هو متأهل للفهم والإدراك ومخاطبة العقل،

ومخاطبة القلب بالبراهين هذه ما يفهمها إلا الخاصة، أما العاطفة الجياشة والأخذ بالعواطف وبالمد والجزر، وبتحريك النفوس دون البرهان، هذا يقلب النفوس، ويؤثر عليها أعظم أثر.

ولهذا ليس من المنهج الصحيح أن يستفاض في ذكر الشبهات، ويرد عليها؛ لأن الشبهات قد تعلق بالقلوب؛ لأن كثيرًا من الشبهات مبناها على العاطفة؛ كقول من يقول: (هؤلاء الذين تحكمون عليهم بالشرك مصلون، مزكون، يعبدون الله وحده، وما دعوا استقلالا هذه الأموات، وعندهم خشية وتلاوة للقرآن، هذا يختم كل ثلاث، وهذا يصوم يومًا، ويفطر يومًا، وهذا كثير الصدقة، وهذا كثير العمل، وهذا مجاهد، وهذا فعل للإسلام ما فعل... !)، إلى آخر الكلمات التي تحرك بها العواطف.

البرهان لا يفهمه إلا من كان عقله مستعدًا لقبول البرهان، وكما هو القانون العام أن البراهين لا تصلح إلا لذوي العقول، أما العواطف فتصلح للجمهور، هذا واضح، لكن من الأمثلة التي قد نمثل بها: أن خطبة خطيب ما يخطب في موضوع وعظيٍّ مثلا، يتكلم فيه بكلام ليس بذي أدلة بالشرع، بكلام فيه مشاهدات، أو بكلام عام وخوف وورع، والكلام نصفه أو أكثر من نصفه غلط في الشرع، كم من الناس يتأثرون بهذا الوعظ الذي حرك العواطف، وهذا الخطيب واعظ جيد، ويحرك النفوس؟ الأكثرون سيتأثرون والقلة سيقولون: هذا خلاف العلم، هذا غلط، والوعظ لابد أن يرتبط بالشرع، وهكذا.

لكن هؤلاء سيتأثرون، لم؟ لأن أكثر الناس جهال، حتى الشباب ليس كل

الشباب في مستوى واحد من العلم وإدراك العلوم؛ فقد يقنعون بمسائل العلم خلافها، وخاصة في مسائل التوحيد، وهذا الكلام ليس مخاطبًا به أهل هذه البلاد، وإنما نرجو أن ينتشر الكلام فيها وفي غيرها.

لهذا أعظم ما يعتني به طالب العلم والشاب الذي رغب فيما عند الله ﷻ، وتوجه إلى الله وحده، وتجافى عن دار الغرور، وضحى بما يشتهيه ويلتزم به، ورغب بما عند الله ﷻ، نتوجه إليه بأن يكون همه في دراسة هذا الأمر العظيم همًا عظيمًا، ولن يدرك إلا إذا أكمل، في البدايات لن يدرك، لكن إذا أكمل عرف أنه على خطر إن لم يتابع، ويتابع، ويتابع.

أحد مشايخنا الذين قرأتُ عليهم في التوحيد مرة قال له أحد طلاب العلم - وهو بجانبه، وكان يريد أن نقرأ كما هي العادة مسائل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وأئمة الدعوة- قال: (هذه سمعناها، وكررناها)، فغضب ووكزه، وقد ظهرت الحرارة في وجهه، وكزه، وهذا طالب علم أيضًا، وكان بجنبه، وأنا كنت أمامهم، وهذا ما يستقيم مع كل نفس، لكن مع النفس التي عرفت عظم حق الله ﷻ في هذا الأمر العظيم؛ لأنه إذا لم يُكرر نُسي.

ولهذا في أواخر هذا الكتاب (كشف الشبهات) قول الشيخ رحمه الله بعد أن قرر مسائل، قال: وبمعرفة هذا - يعني: ما تقدم ذلك الكلام - تعلم أن قولهم: (التوحيد فهمناه) من أكبر مصائد الشيطان، وهذا لا شك أنه حاصل حاصل، وتأمل قول الله ﷻ مخبرًا عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال العلماء: «خاف على نفسه، وهو إبراهيم

خليل الله عليه السلام، خاف على نفسه عبادة الأصنام، وخاف على بنيه»، قال إبراهيم التيمي في تفسيرها: «**ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم**»[(١)].

إذا كنت لا تأمن البلاء، فلابد أن تضع حماية قوية وسورًا منيعًا أن يتطرق إليك ذلك.

بعضهم يقول: هل من الممكن أننا نعبد - والعياذ بالله - الأوثان والأصنام؟! نقول: ربما لم يكن ممكنا - بفضل الله وبنعمته - في جيلك، ولكن تساهلك عشرين في المائة، بعد زمن يتساهلون عشرين، ثم تصل إلى مرحلة لا تتواصى فيها الأجيال على الحفاظ على التوحيد.

وخذ مثلًا من الأمثلة - فيما شاهدت في نفسي، وذكرته لبعض الإخوان مرة -: أنه في مكان قريب من الدار التي أسكنها مرة بعد صلاة الظهر إذا بأحد البيوت التي بنيت حديثًا، هناك اثنان من الباكستانيين يذبحون عند عتبة الباب خروفًا، والدم يسيل بشدة على العتبة، أنا أسمع بهذه الصورة في كلام أهل العلم، لكن رؤيتها واقعًا ما رأيتها إلا في الرياض في حي المحمدية، والذي حصلت له - من حيث السلسلة - هو من أهل نجد، من أين جاءت هذه؟ هو من التساهل: (التوحيد فهمناه)، فينشأ أجيال ما يعرفونها، ولا تغرس في قلوبهم حرارة التوحيد، فيدخل الداخل بهذه الأمور من جهة أخرى، من جهة ما يوجب الخوف، أنه قد لا يكون من الحاضرين من يتوجه إلى غير الله - والعياذ بالله -، يعني في هذا الزمن، وفي هذه البلاد، لكن بعد زمن يمكن أن يكون ذلك؛ لأن الله جل جلاله ما أعطى أهل هذه البلاد

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٤٦).

ولا غيرهم عصمة، وأهل الجزيرة في عهد النبي ﷺ أسلموا، ثم حصل من بعضهم ردة، لكن قد يكون شيء، وهو المصيبة - وفتش نفسك -، وهو التردد في قبول ما قاله العلماء في مسائل التوحيد، وهذا يعرض على كثير من القلوب، تتردد، يقولون: (والله هؤلاء مُشدِّدون)، وهنا يبدأ النقص الفعلي إذا تردد القلب، ولم يكن على علم ويقين بحق الله ﷻ في التوحيد، وبالحكم على المشرك بأنه مشرك، وعلى الصورة الشركية بأنها شرك، فبداية التردد هذا يكون معه القلب في ريب، هو يتعبد ويتعبد، ولكن القلب ليس بسليم؛ فيه تردد في هذا الأمر العظيم، وهذا دخل على قلوب الكثيرين وحرَّكها.

نخلص من هذا إلى أن هذه الرسالة (كشف الشبهات) فيها أصول الشبهات التي كانت رائجة في ذلك العصر في زمن من دعوة الشيخ رحمه الله، لكن ليست الشبهات محصورة فيها؛ لتأصيل الرد على الشبهات، التوسع في فهم حال أهل الجاهلية الذين بعث النبي ﷺ فيهم، كيف كان شركهم؟ وكيف كانت أحوالهم في العبادة وفي الديانة؟ وما أصنامهم؟ وما أوثانهم؟ عبدوا الملائكة، كيف عبدوها؟ عبدوا الجن، كيف عبدوهم؟ ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١] وكيف كانت عبادة الجن؟

لا بد لمن أراد أن يكون قويًا في رد الشبهات أن يتوسع أولًا في معرفة حال العرب في الجاهلية بعباداتهم المختلفة، ما آلهتهم؟ ما اعتقاداتهم؟ . . . . إلى آخره.

وهذه يخدمك فيها طائفة من الكتب، منها: كتاب (بلوغ الأرب في معرفة

أحوال العرب) للأديب الموحد محمود شكري الألوسي، منها - أي: من المراجع في هذا الباب - الكتب التي كتبت عن تاريخ العرب قبل الإسلام: (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام)، كتب أديان العرب في عدد ممن بحثوا أديان العرب... إلى آخره.

فالتوسع في فهم ما كان قبل مجيء محمد بن عبد الله ﷺ بهذا النور وهذا الهدى يفهمك الحالة الدينية التي كانوا فيها، ما الشرك الذي كانوا يمارسونه؟ لأنك إذا عرفت الحال، عرفت معنى الآيات، وعرفت معنى أقوال النبي ﷺ، عرفت معنى دعوته، وتهتم بأشعار العرب في ما ورد في ذلك؛ لأن كثيرًا من الصور جاءت في شعر العرب.

النوع الثاني من المراجع: كتب التفسير، عند الآيات التي فيها ذكر الشرك، أو الأمر بالتوحيد، أو ذكر أهل الجاهلية من الأميين أو الكتابيين، الآية تنظر ما قاله السلف فيها؛ لأن المتأخرين من المفسرين صرفوا الآيات عن تفاسير السلف؛ لأن المتأخرين عندهم أن عبادة غير الله هي باعتقاد أن الخالق غير الله، وأما تفاسير السلف، فتجد أنها بخلاف ذلك. الأصنام والأوثان ما هي؟ المتأخرون يفسرونها بتفسير، والمتقدمون من السلف يفسرونها بتفسير آخر؛ ولهذا ترى أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ توسع في فهم تفاسير السلف، فهو في التفسير في آيات التوحيد حجة، فقد توسع توسعًا يعلمه من طالع كتاباته في التفسير، وهي موجودة ضمن المجموع، ويجعلها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شكل مسائل وفوائد.

النوع الثالث من الكتب: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وشيخ الإسلام في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، في أواخره، وفي أواخر (التدمرية)، وفي (التوسل والوسيلة) وفي (الاستغاثة الكبرى) المعروفة بـ (الرد على البكري)، وفي (الرد على الأخنائي) هذه الكتب أصَّل فيها شيخ الإسلام مسائل توحيد العبادة، وحال المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ.

النوع الرابع: مصنفات الإمام الجليل محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ومصنفات أبنائه وتلامذته ومن سلك سبيلهم.

النوع الخامس: فتاوى علمائنا المعاصرين: سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله، وبقية العلماء - حفظهم الله -، بهذا التسلسل يكون عندك وضوح في رد الشبهات، أما إذا عكست، فستعرف التوحيد، ولكن لا يكون عندك ملكة في رد الشبهات، وهذه الكتب التي ذكرنا منها كتب مخصصة في رد الشبهات، وهي كتب الردود، منها عند شيخ الإسلام: (الرد على البكري)، وهو كتاب عظيم في هذا الباب، ومنها في كتب أئمة الدعوة: (الرد على عثمان بن منصور) للشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد اللطيف، وكذلك: (كشف الشبهات)، و(مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد) للشيخ وغير هذه من الكتب التي فيها ردود، ولغير علماء هذه البلاد أيضًا، فكتب الردود تلخص عندك الشبهات، وتلخص الرد، وقد كلفت بعض الإخوة، أو اقترحت عليه بالأصح أن يكون عنده جمع لنفسه للشبهات التي يحتج بها الخصوم؛ حتى يكون هناك مؤلف في الشبهة وفي ردها؛ لنشرها عند إخواننا الذين يدعون إلى توحيد الله في الأمصار جميعًا، ولكن كثرت، وبعضها فيه

طول في ردها، فصار من جراء الجمع شبه كثيرة، قد ما تكون خطرت في بعض البلاد، فأرجئ الموضوع بعض الشيء؛ لأن الشبهات في بلد قد ما تكون في بلد أخرى، قد يجيء واحد، يأخذ الشبهة، ويرد عليها في بلد ثانٍ، فتثور شبهة جديدة لا يعرفها أهل تلك البلاد.

إذًا يهمنا في هذا الأمر - وهو كشف الشبهات - أن تتوسع، فأنا سوف أعطيك إياه - إن شاء الله تعالى - في الشرح، لكن لابد أن تتوسع في فهم حال العرب قبل الإسلام؛ فإنها من أنفع الأشياء، ولهذا من الأغلاط العظيمة التي يندد بها أئمة الدعوة قول من يقول: «إن هذه الآيات التي تذكرون، وهذه الأحكام إنما هي في المشركين، وليست في هؤلاء»، ويرد عليهم بما قاله العلماء: (بأن الحال هي الحال) قال ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى قَالُوا**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(١)، فما أشبه الليلة بالبارحة! هذا يتوارد؛ لأن الأفكار محدودة، أما شبهات الشيطان، فلا حد لها، فيتوارثها الناس جيلًا بعد جيل.

نختم هذه المقدمة ببيان أن هذه الرسائل ثَمّ تردد في شرحها عندي؛ وذلك لأجل أن مستوى الحضور متفاوت، والتفاوت هذا يحرج الملقي المتكلم،

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع (٢١٨١) وقال هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه أحمد (٥/ ٢١٨)، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٠١)، والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١/ ١١٢) وابن جرير الطبري في التفسير (٩/ ٣١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٣/ ٥٣٣)، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠، ٣٢٩٤).

فمستوى الكلام قد يفهمه البعض، وقد لا يفهمه بعضٌ آخر، وإذا لم يفهم رد الشبهة، قد تبقى الشبهة عنده بلا رد.

وهذا فيه حرج، لكن نوصي الجميع بأن يدرسوا كتاب التوحيد دراسة مفصلة؛ حتى يستفيدوا من هذه الرسالة، ومن لم يدرس كتاب التوحيد دراسة مفصلة بدقة، فقد يكون ورود بعض الشبهات، وورود الرد عليها، يكون عنده غير واضح، وهذا لا نريده؛ لأننا نسير في منهجية في طلب العلم، والأصل أن كشف الشبهات يكون بعد كتاب التوحيد، ولما كان حضور كثيرين منكم، بل الأكثر معنا في كتاب التوحيد، سواء الشرح الكامل الذي تم في الدورة، وربما حضروه، أو سمعوه، وكذلك الشرح الذي في فتح المجيد، ونحن الآن في أواخره، هؤلاء يمكن أن ينتقلوا إلى هذه الرسالة، وغيرهم ممن رغب في الحضور، فلا بأس، لكن إن أحس أن الشبهة تبقى، والرد غير مستوعب، يؤمر بأن لا يحضر، ولو كان درس توحيد؛ لأنه يحصل عنده إشكالات، والردود ستكون مفصلة - كما سترون - إلا إذا أخذنا بشيء، وهذا نستشيركم فيه، وهو أن يكتفى بتوضيح مراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد رد بردود تناسب المتوسطين، فإذا اقتصرنا على إيضاح ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذا يقصر مدة شرح الكتاب، ويسهل الفهم، ولكن لا يكون الانتفاع به عامًا في غير هذه البلاد؛ لأن من الشبهات ما يحتاج إلى تفصيل، وإلى تقعيد، وإلى إحياء روح رد الشبهة في نفوس إخواننا. **[شرح كشف الشبهات]**.

س٣١: هل توزيع كتاب كشف الشبهات في موسم الحج مناسب؟

الجواب: نعم، مناسب، ما فيه شك أنه مناسب؛ لأنه وضع سهل

العبارة، واضحا . **[شرح كشف الشبهات]** .

س ٣٢ : ما رأيك يا شيخ في من ينكر أهمية هذا المتن (كشف الشبهات)، ويقول: إن كان له أهمية تذكر، فهي للدعاة في الخارج، ونحن تكفينا قراءته؟

الجواب: هذا كلام الشيخ فيه، ومنه تعلم أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه» من أعظم الجهل، وأكبر مكائد الشيطان، فليحذر على نفسه . **[شرح كشف الشبهات]** .

س ٣٣ : هناك طبعة فيها عناوين مضافة، عنونوا للفصل الأخير بقولهم: وجوب التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي؟

الجواب: عذر شرعي؟! ما ذكره الشيخ رحمه الله، يذكرها بعد ذلك في الإكراه، العذر الشرعي للإكراه فقط . **[شرح كشف الشبهات]** .

س ٣٤ : هل يكفي قاعدة لهذا الدرس(كشف الشبهات) حفظ الأصول الثلاثة وشرحها؟

الجواب: لا ؛ الأصول الثلاثة سهلة، أذكر أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله ذُكرت له مرة – وقد كنا نتكلم في الشبهات، وأسأله عن بعض الأشياء – فقال: (كشف الشبهات رسالة صغيرة، لكن هي أصعب كتب الشيخ محمد ابن عبد الوهاب)، وهذا صحيح، كذلك هي النهاية **[شرح كشف الشبهات]**



كِتَابُ الأَصْنَامِ لِلْكَلْبِيِّ

س ٣٥: ما رأيك في كتاب الأصنام للكلبي؟

الجواب: الكلبي متهم في حديثه، لكن من جهة التاريخ والأخبار والأشعار يقبل العلماء ما يذكره من ذلك؛ لأنه إخباري، والإخباري نسابة معروف من العلماء المعروفين في التاريخ، يعني في الأخبار، وفي النسب، وما ذكره في كتاب الأصنام مما كان عند العرب أكثره صحيح، يعني: العلماء تتابعوا على النقل عنه. [**شرح كشف الشبهات**].

كِتَابُ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الوَهَّابِيَّةِ لأَحْمَد زيْنِي دَحْلان

س ٣٦: قلتم فضيلتكم: (إن أحمد زيني دحلان من الذين يدافعون عن الشرك)، ولهذا المذكور كتب في علوم الآلة مثل: النحو، فهل ننتفع بها؟

الجواب: لا؛ علماء المشركين لا تنتفع منهم بشيء؛ لأن الانتفاع منهم بشيء يجعل في القلب شيئًا من التعاطف معه، وهذا مخالف لما يجب من البراءة منه، مثل: كتاب أحمد زيني دحلان هذا في النحو ليس بشيء، وثَمَّ كتب كثيرة جدًا بالمئات تغني عنه.

أحمد زيني دحلان له كتاب سماه (الدرر السنية في الرد على الوهابية) وكان مفتي الشافعية في مكة، وبسببه، وبسبب هذا الكتاب، وبسبب مؤلفه

انتشرت الدعايات السيئة على هذه الدعوة وعلى إمامها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان إذا أتى الناس إلى الحج، جمعهم مفتي الشافعية، فيجمع الجاوة مثلًا، ويجمع أهل مصر، ويجمع أهل الشام، ويجمع أهل إفريقيا، ويجمع ويجمع. . .، ويعطيهم نسخًا من هذا الكتاب، ويقول: (ظهر في جهتنا رجل يقال له: كذا، وأصحابه يقال لهم: الوهابية، هؤلاء خوارج، وهؤلاء يدعون إلى كذا. . .، إلى آخره)؛ لهذا يردد الناس جميعًا ما كتبه أحمد زيني دحلان في كتابه هذا (الدرر السنية)، وقد قال عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان هذا الرجل يأمر النساء اللاتي يتبعنه بحلق رؤوسهن، وكان يختار منهن الزوجة التي يريد، والظاهر من حاله بالقرائن أنه يدعي النبوة)، هذا في الكتاب، وقد روى بعضهم حديثًا عن النبي ﷺ قال فيه: (يخرج في ثاني عشر قرن من الزمان رجل يلعق براطمه، يحدث فتنة يعتز فيها الأراذل والسفل، ويذل فيها أهل الفضل والكمل) أو شيء من هذا، وهي فتنة تتجارى بها الأهواء، وما شابه ذلك، قال بعدها: (وهذا الحديث وإن لم يعرف من خرَّجه، لكن شواهد الصحة تدل عليها)، ما هو موجود إلا في كتابه، ومن نقل عنه، فهؤلاء علماء مشركون حقيقة، أي: حسنوا الشرك، دافعوا عنه، ردوا على أهل التوحيد، طعنوا في الدعوة وفي أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى -، فماذا يبقى في حالهم؟ لا شك أنه أقل ما يجب العداوة القوية، والمفاصلة والبراءة منهم؛ إذ هذا هو معنى قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. **[شرح كشف الشبهات]**.

❀ ❀ ❀

كِتَابُ زَادِ المَسِيرِ لابْنِ الجَوْزِيِّ

س ٣٧: كيف يستفاد من كتاب ابن الجوزي (زاد المسير)، ولم لا يؤخذ بتفاسير ابن عباس رضي الله عنهما، لا سيما أن النبي ﷺ قد دعا له بالعلم والتأويل، ودعاؤه ﷺ مجاب؟

الجواب: دعاء النبي ﷺ له بالعلم والتأويل حصل في مواضع: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ**»[1]، في موضع: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**»[2]، وفي موضع: (**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**)[3] وفي موضع: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[4]، ونحو ذلك، فهذا دعاء لابن عباس رضي الله عنهما، وابن عباس رضي الله عنهما تفاسيره متعددة، وإذا جاءك التفسير عن مجاهد، فحسبك به؛ كما قال سفيان الثوري؛ لأنه أخذ التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن قد يكون تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مخالفًا لتفسير غيره من الصحابة رضي الله عنهم، فتكون الحجة هنا والترجيح بحسب الدليل. [**شرح كشف الشبهات**].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٣١)، وفي تهذيب الآثار مسند ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ١٦٩، ١٧٠)، وأحمد في المسند (١/ ٣٣٥)، وفي مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١١٠)، (١٢/ ٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥)، (٣٧٥٦).

كِتَابُ عُمْدَةِ التَّفْسِيرِ لأَحْمِد شَاكِر

س ٣٨: هل رأيت تفسير أحمد شاكر عمدة التفسير في اختصار ابن كثير، النسخة الكاملة؟

الشيخ: هو ما أكملها، يمكن أكملها أحد غيره.

السائل: يا شيخ، وقفوا على نسخة كاملة عند أبناء الشيخ، الشيخ نفسه كمله، وذكر الشيخ فيها: «**انتهيت من هذا التفسير يوم كذا، تاريخ كذا، مغرب كذا**».

الشيخ: التي في مصر هذه التي تقول عليها؟

السائل: إي نعم. لعلي أطلعكم عليها إن شاء الله.

الشيخ: أشك في هذا.

السائل: والله أنا شككت كثيرًا، حتى وقفت على هذه النسخة.

الشيخ: لعلك تبني على ما كان، أقول يستمر شكك.

السائل: إن شاء الله نأتي بها؛ حتى يزول الشك باليقين، هي مقدمة للشيخ.

الشيخ: من الشيخ؟ المقدمة هذه في الأول.

السائل: يقول فيها: لقد انتهيت من هذا التفسير ليكون عمدة.

الشيخ: من الذي طبعه؟

السائل: دار الوفاء، ودار طيبة.

الشيخ: هذا كلام يحتاج إلى تثبت كثير، وإعادة نظر.

السائل: يا شيخ، هل أكملها بناءً على ما سبق من قطع الأجزاء أم أن هناك شيئًا آخر؟

الشيخ: لا. عن معرفتي أنه لم يكمله.

السائل: بناءً على الأجزاء المطبوعة؟

الشيخ: لا ؛ معرفتي بالشيخ، وبعمل الشيخ، وبكتبه أنه ما أكمله، قد يكون أكمل قراءة ابن كثير، والحذف منه، أو عمل خطوطًا، هذه مسألة ثانية من غير الاختصار، ولكن يظهر أنه بعد ذلك الذي طبع الأجزاء الأولى دار المعارف في مصر، دار المعارف بمصر بينها وبينهم اتفاق.

السائل: ومكتبة التراث طبعت بعض الأجزاء.

الشيخ: ومكتبة التراث هذه فيها شكوك، ما أفهم الكلام هذا، كونها تتأخر طوال هذه المدة، وجاء من عند ابنه سعود، أو من عند بيته الثاني.

السائل: الشيخ ما ذكر أسماء الأبناء.

الشيخ: عنده ابن واحد، يعني: ذكر واحد (سعود)، والبقية بنات، أعرفهم، أنا أعرفهم كلهم.

السائل: هل اقتنيت من عنده شيئًا من الكتب يا شيخ؟

الشيخ: حتى من عند ابنه سعود أخذنا مجموعة، وعندي معرفة بأسماء،

وأخذنا بعض المخطوطات، وبعض المصورات التي كان يحقق عليها، وعمدة التفسير أيضًا.

السائل: ومخطوطة ابن كثير التي اختصر منها الشيخ.

الشيخ: هذه موجودة ومتوفرة، وليست نسخة مثالية، هناك ما هو أمثل منها، ولكن هي التي اعتمد عليها الشيخ رشيد رضا في الطبع في التفسير، واعتمد عليها أصحابه الذين طبعوا عن مطبعة الشعب، الشيخ محمد البنا ومن معه.

السائل: النسخة الأزهرية؟

الشيخ: نعم. النسخة الأزهرية، طباعة الشيخ رشيد، وطبع معها البغوي وطباعة الشعب هذه اعتمدت على النسخة الأزهرية، وبقية الطبعات لا، عن طبعات مختلفة، ابن كثير تختلف نسخه اختلافًا كبيرًا جدا، خاصةً الأجزاء الثمانية الأولى.

السائل: وما أمثل النسخ المخطوطة في أي مكان؟

الشيخ: أمثلها الأزهرية كاملة، ولكن هناك قطع في تركيا أحسن منها وأقدم، هناك نسخة في تركيا محذوف منها قصة العتبي عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] في النسخة الأزهرية موجودة، حكاية العتبي هذه، وهناك نسخة محذوفة، موجودة القطعة هذه في مكتبة في المدينة.

السائل: يمكن أن يُقال: إن الحافظ ابن كثير كان يهذب من حين لآخر؟

الشيخ: من أوله إلى الأنعام إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، هذا فيه الاختلاف كثير؛ لأن الشيخ: أحمد شاكر ذكر في أول العمدة - في المقدمة - ذكر القصة: أنه كان يفسر في المسجد للطلاب الحاضرين، ولم يبدأ التدوين - أي: انشرح صدره للتدوين - إلا عند قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وهنا بدأ ابن كثير يدون بنفسه، فيكتب التفسير، استقام له المنهج بعد ما قطع شوطا فيه، ثم نقل منه الطلاب تفسيره من أوله، ثم عاد مرة ثانية في المسودة، وعاد الثالثة، فحصل اختلاف كبير جدًا، يعني: تفسير سورة (الفاتحة) فيها حذف وزيادة كثيرة، كذا الجزء الأول من (البقرة)، الصفحة أحيانًا تصير ناقصة - يعني: مسقطة -، محذوفة في زيادة نقول، فابن كثير يبقى فيه الإشكال قائمًا، ولكن الحمد لله متقارب.

السائل: هل طريقة الشيخ أحمد شاكر جيدة في الاختصار - إجمالًا جيدة - أم يبقى الخلل في قضية حذف الأسانيد، والحكم على الأحاديث؟

الشيخ: يبقى أنه عمل عملًا صالحًا في اختصاره، يؤجر عليه، ولكن هل هو يفيد، ولذلك من حين ألف عمدة التفسير، ما أحد رجع إليه، كل من اختصر ابن كثير؛ لأن الأصل عليه نور، كلها نقول سلفية، حتى الإسرائيليات التي فيه، إما أن يعلق عليها ابن كثير، وإما أن تكون موافقة لما قيل في رواية الإسرائيليات وحكاياتها.

س ٣٩: ما الأمثل من المطبوع يا شيخ؟

الشيخ: طبعة دار الشعب، والطبعة الأخيرة هذه طبعة السلامة.

السائل: يا شيخ، أحسن منها، وإن شاء الله أحضر لكم نسخة من طبعة أولاد الشيخ.

الشيخ: أولاد الشيخ من؟

السائل: هكذا في مصر مكتبة اسمها: مكتبة أولاد الشيخ.

الشيخ: طبعة السلامة جيدة، والخمس عشرة أيضًا جيدة.

سؤال: السلامة اعتذر عن عدم استطاعته الحصول على كل النسخ؟

الشيخ: لأنه من الصعب أن الواحد يُحصِّل كل النسخ.

السائل: أصحاب المكتبات يطبعون طبعة البنا، غير عاشور في ثلاثة مجلدات.

الشيخ: نفسها محمد إبراهيم البنا. [**مجلس١٢/ ١/ ٢٤هـ**].

كِتَابُ التُّحْفَةِ العِرَاقِيَّةِ فِي أَعْمَالِ القُلُوبِ

هذه الرسالة مبنية على التفصيل لمنهج السلف بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام السلف في أعمال القلوب، وذلك أن أهل التصوف أرباب السلوك أكثروا من الكلام في أعمال القلوب، وهي التي يسمونها: المقامات والأحوال. فمن مقتصد فيها، ومن متوسع فيها، بما لم يدل عليه الدليل.

ولما ذكر الكلام السابق، ربط ما بين الصدق والإسلام، وأثر الصدق والإسلام في الأعمال (أعمال القلوب)، فذكر لك أن الصدق والتصديق

تدخل فيه الأعمال، هذا يدخل فيه أعمال القلوب، وأيضًا أعمال الجوارح؛ لهذا ذكر حديث: «**لاَ يَزْنِي الزاني حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ**»[١]، أو ذكر حديث: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ**»[٢]، وهذا يدل على أن ما حصل له من هذه الخطيئة، فهو لأجل ضعف إيمانه وتصديقه، والآية التي ذكرت لكم في سورة الصافات في الدرس الذي قبل هذا، وهي قوله ﷻ: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٥] لما عمل وبدأ، والمقصود من الكتاب (التحفة العراقية) هو بيان ما تصلح به القلوب والمقامات والأحوال للقلوب: المحبة في الله ﷻ، والتوكل عليه، والإنابة، والرجاء، وحسن الظن به، وما يقوم بالقلوب من خوف الله ﷻ، والرهبة منه وخشيته. . . ، إلى آخر ذلك.

وهذا الأصل - وهو أعمال القلوب - اعتنى به طائفة من الصوفية، وسموه أعمال القلوب: المقامات، والأحوال، ولهم تعريفات للمقام وللحال، وهذه موجودة في كتبهم، ترجعون إليه.

شيخ الإسلام ابن تيمية أراد أن يُخرج مصطلح المحبة في الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة القرآن ودين الإسلام: من التوكل على الله، الإنابة إليه، خشيته، الخوف منه، الرغب إليه، رغب التوكل عليه، حسن الظن به، وأشباه ذلك من أعمال القلوب العظيمة.

تزكية النفس لابد فيها من إصلاح القلب، بل لا تزكية للنفس، إلا بإصلاح

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٣، ٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧).

القلب، وإصلاح القلب لا يكون إلا بأن يُعمر بهذه المقامات والأحوال الإيمانية، التي تقر في قلوب أولياء الله ﷻ، عند القوم من أصحاب السلوك أن المقامات والأحوال هي خاصة بالأولياء، خاصة بمن كمّل الدين، وفي أول ما سمعت ابتدأ الكلام، ذكر تقسيم أهل الإيمان إلى ثلاثة أقسام، التي وردت في قوله في سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] فجعل الذين ورثوا الكتاب من الذين اصطفى الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾ فجعل الذين ظلموا أنفسهم - وهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا - ممن اصطفاهم الله للإيمان، والمقتصد وهو الذي ترك المحرمات، وأتى بالواجبات، وفعل بعض نوافل الطاعات، والسابق بالخيرات هو ولي الله ﷻ، هو الذي أتى بالواجب، وترك المحرم، وتقرب إلى الله ﷻ بما يقدر عليه من الأعمال الصالحة.

إذًا فالمقامات والأحوال التي تكون في القلوب، مقامات الإيمان وأحوال محبة الله ﷻ ومحبة رسوله، والتوكل، والخوف، والإنابة، والخشية، والرغب، والرهب. . . ، ونحو ذلك، هذا يكون في كل واحد من أهل الإيمان، حسب حاله في الإيمان، فالسابق بالخيرات له من هذه المقامات والأحوال أكمل قدر وأعظم منزلة، والمقتصد له منها بحسب حاله؛ لأنه لو كمَّل المحبة، ولو كمَّل الرغب، ولو كمّل الخوف، لكان من السابقين بالخيرات، لكنه أقل مرتبة، وأما الظالم لنفسه، فيعتريه حب الله ﷻ ورسوله، فيحمله على فعل الطاعة، والتوكل عليه، فيصلح به قلبه،

والخوف منه، فيبتعد عن بعض المحرمات، ويأتيه الهوى، وحب النفس، وأمر الشيطان له ضعفه، وضعف المحبة لله ﷻ والإنابة، والتوكل عليه، فيجعله يعمل المعاصي والسيئات، ولهذا هو يخلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، في الظاهر عنده عمل صالح وآخر سيئ، وكذلك في أعمال القلوب عنده عمل صالح وآخر سيئ.

ولهذا منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسائل: اتباع السلف الصالح وصنيع الأئمة ممن كتبوا في السلوك والزهد أن هذه الأمور الإيمانية واجبة على كل مسلم، وعلى كل مؤمن، وعلى كل من ورث الكتاب، وأن الناس فيها متفاوتون، وليست خاصة بمن لم يعص، أو بمن كمَّل، وصار من أولياء الله ﷻ.

ثم ذكر آخرًا أن ما قرره أئمة السلف: أن ولاية الله ﷻ لعبده تتبعض؛ كما يتبعض الإيمان من العبد لربه ﷻ، فالله ﷻ ليست محبته لعبده واحدة، إما أن يُحب، أو لا يُحب، وهذا عند أهل السنة والجماعة بحسب الإيمان، فمن كان إيمانه أعظم، كانت محبة الله ﷻ له أكثر، فيجتمع في العبد المعين ما يوجب المحبة، أو مورد المحبة والولاية، ومورد البغض والسخط، هذا فيمن أطاع الله فيه، وهذا فيمن ترك أمر الله ﷻ فيه.

وأما عند نفاة الصفات، أو نفاة بعضها - خاصة الأشاعرة -، فعندهم أن المحبة والولاية هي باعتبار الخاتمة، فمن كان سيُختم له بأنه من أهل الجنة، فإن الله ﷻ يحبه، ويتولاه، ولو كان من أهل الكفر، ومن كان مختومًا له بعلم الله ﷻ أنه من أهل النار، فإن الله يبغضه، ويكرهه، ولو كان في حال

الإيمان، والعاصي عندهم لا تجتمع فيه المحبتان، بل بحسب المآل: إذا كان مآله إلى مغفرة - لأنهم هم يقولون بالإرجاء - إذا كان مآله إلى المغفرة، فإنه يُحب مطلقًا، وإذا كان مآله إلى العذاب، فإنه يُبغض مطلقًا، وهكذا . . .

وهذا لا شك أنه غلط، خلاف النصوص؛ لأن الله ﷻ جعل ممن اصطفاهم من ظلم نفسه، وجعل الولاية مراتب ودرجات، كما أن إيمان أولئك مراتب ودرجات. [**شرح التحفة العراقية**].

وقال أيضًا: المقصود مما ذكره شيخ الإسلام هنا في رسالته (التحفة العراقية في الأعمال القلبية) أن صلاح القلب هو المقصود، وأما صلاح الظاهر، فهو عمل صالح، إذا صادف قلبًا صالحًا وإخلاصًا، فهو الهدى الكامل، ولهذا الخوارج مع صلاحهم ظاهرًا من جهة العبادة، وكثرة التعبد، لكنهم في الباطن عقيدتهم فاسدة، وقلوبهم غير صادقة، يعني غير موافقة للأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمع أن أحد الصحابة يحقر صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، قد أمر بقتلهم ﷺ، وهذا يدل على أن الأعمال القلبية هي التي إذا صلحت، صلحت الأعمال الظاهرة، أما صلاح الأعمال الظاهرة مع فساد الأعمال القلبية، إما بالكذب، أو بعدم الإخلاص، أو بالريب، أو ما يكون في القلب من الكبر وأنواع المفسدات، فهذا يُفسد القلب.

لهذا عنوان الكتاب (التحفة العراقية في الأعمال القلبية) اربطه بما مر معك؛ لأن أعظم المسائل التي فيها صلاح القلب مما ذكره في هذا الموضع هي الصدق، ولا شك أن الصدق هو صدق في عبادة الله وحده، بعدم الإشراك، والإخلاص له ﷻ؛ لأن المسلم ما دام أنه أسلم، فلا إله إلا الله

معناها أنه قد خلع عبادة غير الله ﷻ، ووحد الله ﷻ في العبادة، والصدق في هذا يوجب الإخلاص، وإذا طرأ كذب في الإخلاص، جاءت الذنوب، وجاء نوع الإشراك الخفي، أو الإشراك اللفظي.

أيضًا هناك صدق في المتابعة، وهو تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، أيضًا هناك صدق في الاستجابة بامتثال الواجب والانتهاء عن المحرم، أيضًا هناك صدق - وهو من أعجب أنواعه - في المحافظة على القلب والغيرة على هذا القلب، الذي هو محل محبة الله ﷻ، ومحل الإخلاص، ومحل معرفة الله، والعلم به ﷻ، فالغيرة على القلب أن يتغير، فالصادق يخاف على قلبه إذا كان صادقًا في توحيده، في إيمانه، يخاف على قلبه من الشرك، يخاف على قلبه من ترك الإخلاص، يخاف على قلبه من البدعة، يخاف على قلبه من نهج غير نهج النبي ﷺ، فالصدق هو عماد الأمر كله.

وأذكر أن ابن القيم في (مدارج السالكين) ذكر منزلة الصدق، قال: (ومن مراتب الصدق المحافظة على الوقت)، حتى الوقت تدل المحافظة عليه على الصدق، وهذا مأخذ عجيب في صلاح القلب.

لهذا ذكر لك أن الخوارج مع أن أعمالهم كانت ظاهرًا من حيث العبادة كثيرة، لكنهم غير صادقين في الباطن، يعني: في متابعة السنة في تحقيق المتابعة، غير صادقين في إخلاصهم لله ﷻ، بل دخلتهم الشهوة، دخلهم الهوى؛ لذلك وقع منهم ما وقع.

وصية النبي ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ**»[1]، أنواع البر بأجمعها تأتي

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

من الصدق بأنواعه، فكل نوع من الصدق: الصدق في العقيدة، الصدق في التوحيد، في الإخلاص، الصدق في المتابعة، الصدق في الاستجابة للأمر والنهي، الصدق في العلم ورفع الجهل، الصدق في المحافظة على القلب في السلوك. . . ، إلى آخره، هذه كل واحدة منها تُنتج أعمالًا من البر؛ ولهذا قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ**».

وذكر لك وصية من أوصى من العلماء الصالحين للمقربين منهم بالصدق، ووصيتهم لمن تاب بأن يلزم الصدق؛ لأن الصدق في المقال له دلالة على أن المرء يتحرى الصدق في قلبه، يتحرى الصدق وعدم الكذب في تعامله، يتحرى الصدق في الاستجابة للأمر والنهي، يتحرى الصدق في المتابعة، يتحرى الصدق في الإخلاص، لا يُظهر أنه مخلص، ويُبطن بأنه غير مخلص يُظهر بأنه شيء، ويبطن عدم إخلاصه لله جَلَّ جَلَالُهُ، المقصود من كلام ابن تيمية مع هذه التفاصيل: أن الصدق هو العمدة في صلاح القلب، وهو العمدة في أنواع البر، ولهذا قال في آية سورة الحجرات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال في آية سورة البقرة بعد أن ذكر أنواع البر، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فالصدق لا شك أنه هو العمدة في ذلك كله.

من العجائب في الإنسان أنه يحس بظلمة القلب إذا خالف، وهذا نوع حجة على الإنسان في ألا ينساق - والمسلم بالخصوص - في ألا ينساق مع هواه ومع شهوته في الأمور الباطنة والأمور الظاهرة، هو يحس بنوع ظلمة تأتيه، ولهذا الإنسان لا يأتيه الشيطان مرة واحدة؛ حتى يكون غاويًا، بل يأتيه شيئًا فشيئًا، فهو الذي رضي بأول ظلمة، وهو الذي رضي بثاني ظلمة،

وهو الذي رضي . . . ، إلى آخره. ولهذا كل واحد حجة على نفسه في الواقع فيما يصيبه من أنواع القصور؛ لهذا ابن تيمية يُؤصل هذا فيما ذكر؛ لأن عمدة الإنسان في صلاح قلبه الصدق مع الله ﷻ، الصدق مع رسوله ﷺ، الصدق مع نفسه فيما يأتي وفيما يذر، والله المستعان. **[شرح التحفة العراقية]**

فائدة حول المبادرة في البحث

أذكر أن أحد المشايخ حدثني - وهو الشيخ محمد بن مانع رحمه الله - كان ما ينام إلا بجانبه كتابان: كتاب في الفقه، وكتاب في النحو، كتاب في الفقه كامل: (كشاف القناع)، وكتاب في النحو كامل، ما أدري ذكر: (الأشموني)، أو(ابن عقيل)، أظنه الأشموني؛ لأنه كان يحبه، يعني: شرح الأشموني على الألفية، وأحيانًا: يقوم من النوم؛ ليبحث، يوقد المصباح . . . ، يعني: يفكر وهو نائم.

ابن القيم رحمه الله يقول: وربما تحررت لي المسألة، وأنا نائم، في المنام تجيئه وهو نائم، وهذا نوع من الإلهام، لكن أيضًا من انشغال الذهن والقلب بما هو أصلح له. وقال أيضًا: (ربما بدا لي القول، وأنا مع أهلي)، أو قال: (وأنا آتي أهلي)، هذا انشغال.

فتأخير البحث هذا ليس جيدًا بالمناسبة، المرء إذا جاءته مسألة لا يؤخرها بل عليه أن يبحثها مباشرةً.

المهم في طلب العلم وفي البحث هذا هو الذي ينتج، يعني: طلب العلم الحقيقي، أما الركون للقراءة وفقط، فهذا يحصل منه المرء مهما يحصل،

لكن ما يكون عنده هم الاستمرار؛ لأن البحث يولد فيك استمرارًا في حب العلم، البحث يولد أشياء كثيرة، لكن الهدوء هذا ما يحصل، بعد فترة يضعف، ويضعف، ثم تجيئه الشواغل، يصير حصيلته في العلم وهمه في العلم قليلًا.

سُنَنِ أَبِي دَاوُد

هذا افتتاح لقراءة في سنن الحافظ الإمام: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله، وكمقدمة بين يدي تقرير ما يتيسر على هذه الأحاديث، فإن سنن أبي داود هي الأصل الثالث من كتب الحديث، فأعلى كتب الحديث كتاب البخاري، ثم مسلم، ثم سنن أبي داود.

وأبو داود رحمه الله من تلامذة الإمام أحمد، وله عنه مسائل معروفة، وفي تصنيفه لهذه السنن أراد فيما يظهر وأُستقرئ لأهل العلم أراد أشياء:

الأول منها: أن يكون كتابه في الاستدلال لاختيار شيخه الإمام أحمد رحمه الله، فلذلك الكتاب الذي يُعتبر استدلالًا، أو كتاب حديث يُستدل به للحنابلة - رحمهم الله - هو كتاب أبي داود.

الثاني: أنه يذكر السنن التي ينبني عليها عمل، وأما التفسير ونحو ذلك مما يُدخل في كتب الجامع، كجامع البخاري، والترمذي وغيرهما، فلم يوردْه أبو داود في سننه.

أيضًا مما يُنبه عليه أن أبا داود رحمه الله جعل في كتابه هذا الصحيح، وما يُشبهه، وما يقاربه - كما نص على ذلك -، وما سكت عنه أبو داود، فهو

صالح؛ كما ذكر قال: ما سكت عنه، فهو صالح، وما فيه ضعف بينته، يعني: يذكر، يقول: «فلان ضعيف، فلان مجهول، أو أشباه ذلك».

قوله: (ما سكت عنه، فهو صالح) الأحاديث التي رواها أبو داود منها ما هو الصحيح الذي هو في الصحيحين، ومنها ما هو في أحدهما، ومنها ما هو صحيح، ومنها ما هو حسن، وقال: (ما سكت عنه، فهو صالح)، ونظر أهل العلم في قوله: (فهو صالح): هل يعني بها أنه صالح للاحتجاج، أو صالح للاستشهاد؟ والأظهر أنه لا يُقطع بهذا ولا هذا، قد يكون صالحًا للاحتجاج، فيكون من قبيل الحسن، وقد يكون صالحًا للاستشهاد، فيكون في الشواهد، لكن ليس فيه وهن شديد، يعني: لا يصلح معه لا للاحتجاج، ولا للاعتضاد.

سنن أبي داود مهمة جدًا لطالب الفقه؛ لأنه أورد فيها الألفاظ التي يحتاجها الفقيه، هو دقيق في روايته رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي سنن أبي داود لا يوجد حديث موضوع بالاتفاق، قد يوجد فيه حديث قيل: إنه موضوع عند بعض أهل العلم، لكن لا يوجد حديث موضوع بالاتفاق، بل كتابه من أصح السنن، بل هو أصح كتب السنن المروية عن النبي ﷺ، وربما تأتي في الباب فوائد أخرى عن السنن، نذكرها في مواضعها. **[تعليقات على سنن أبي داود]**.



كِتَابُ الاسْتِقَامَةِ لِشَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فهذا الكتاب (كتاب الاستقامة) للإمام شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من الكتب النفيسة المهمة في بابه، وقدم لك بسبب إنشاء الكتاب، وهو أن الاستقامة مأمور بها شرعًا، فالله جَلَّ جَلَالُهُ أمر عباده بالاستقامة في قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقوله: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦]، وفي قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، وفي قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وفي قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، وأمر كذلك نبينا ﷺ بالاستقامة، فقال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1] لمن سأله الوصية.

والأمر بالاستقامة معناه: الأمر بلزوم الطريق المستقيم، الذي لا عوج فيه، والطريق المستقيم الذي لا عوج فيه هو طريق محمد ﷺ، هو السنة، هو القرآن، هو هدي النبي ﷺ، هو هدي الخلفاء الراشدين، والاستقامة إذًا

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي وفيه (فاستقم)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى (٦/ ٤٥٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٣)، (٤/ ٣٠٤)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٧١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢/ ١٩٤).

في كل الأمور واجبة أن تكون على ما جاءت به الشريعة، وأن لا يُحدث للاستقامة أوضاعًا وأحوالًا جديدة.

والناس لطلب الاستقامة أحدثوا أشياء، زعموا أن المرء لا يستقيم على الدين إلا بها، وأن الدين بحاجة إلى هذه الأمور، فأتوا في أبواب العقائد، فأحدثوا الكلام المذموم، والأخذ من قوانين الفلاسفة والمناطقة ومن تأثر بهم أشياء أدخلوها في الدين، وجعلوا فهم الشريعة، فهم القرآن والسنة متوقفًا على فهم تلك الأصول الكلامية، بل جعلوا الدين محتاجًا لعلم الكلام؛ كما زعمه طوائف من المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة الإسلاميين، وألَّف الغزالي في حسنه، وابن رشد في الجمع ما بين الشريعة والحكمة، وأخرجوا للناس شيئًا جديدًا أسموه علم الكلام.

كذلك في أبواب الفقه أحدثوا أشياء من الرأي، قالوا: إن الدين محتاج إليها، وإن النصوص غير كافية، بل لابد من الرأي؛ ليُضاف إلى أصول الشريعة، فاعتمدوا آراء ما أنزل الله بها من سلطان، ذلك بظنهم أن النصوص غير كافية لما يحتاجه الناس.

كذلك في أمر السلوك والتعبدات أحدث طوائف أشياء من هذا، وأتوا بتعبدات وعبادات غير موجودة في هدي النبي ﷺ ولا هدي صحابته ﵃، زعموا أن المكلف محتاج إليها؛ لكي يستقيم على أمر الله ﷻ، كذلك أصحاب السياسات في دنيا الناس: في الجهاد، أو في أمور المال، أو في أمور التنظيمات العامة، جعلوا الشريعة غير وافية لما يحتاجه الناس في تنظيماتهم وسياساتهم، وأتوا بأشياء، ولم يرجعوها إلى الشريعة، وهذه الأشياء التي أتوا بها في أمور السياسات والتنظيمات منها الكثير مما يدخل

تحت الأصول الشرعية، قد قال جل جلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالدين كامل، وليس بحاجة إلى زيادات كلامية، وإلى مزيد آراء في الفقه، ولا إلى تعبدات لم ترد، وكذلك ما يحتاجه الناس في أمور دينهم من الأحوال والمعاملات والتنظيمات، هم في كفاية وفي تمام بما دلت عليه القواعد الشرعية.

إذًا فالدين بيِّن وواضح وكامل، والمحدثات مذمومة؛ كما ذكر الإمام رحمه الله فيما ساق من الأحاديث: «**إِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(١)، وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بسنتي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(٢) وابن مسعود رضي الله عنه قال: «**سَتُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ**»(٣) يعني: بقدر ما يُحدث الناس من الأقضية، ويحدث الناس من الفجور، ويحدث الناس من الأحوال التي يخالفون بها ما كان عليه أهل الزمن الأول، فإنه ستُحدث لهم أقضية جديدة؛ لأن البدعة

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) وقال: صحيح ليس له علة. والبيهقي (١٠/ ١١٤). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١/ ١٧٨)، والدارمي (٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢ - ٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦ - ١٢٧)، والدارمي (٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠١٧)، والطبراني في الكبير (٦١٧ - ٦٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الدارمي (١٦٩).

تقابل السنة، وإذا ترك الناس السنة، لابد أن تحيا البدع، وتحيا الآراء والمحدثات.

المقصود أن هذا الكتاب عظيم فيما اشتمل عليه من هذه الأصول، وإن كان أغلب ما ذكره في هذا الكتاب راجعا إلى الاستقامة في أمور التعبدات، وعدم إحداث المحدثات في التعبد، وناقش فيه أهل التصوف وبعض المؤلفات فيه، وخاصة كتاب القشيري فيما يتصل بتعريفات الأحوال الإيمانية والتعبدات، مما ستقف عليه - إن شاء الله تعالى -. **[شرح الاستقامة]**.

كِتَابُ التَّوْضِيحِ المُبِينِ لِتَوْحِيدِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ مِنَ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ

نحن نبتدئ بكتاب هو: (التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية)، من تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وهو كتاب مفيد للغاية، أقول: يجب على كل طالب علم في العقيدة أن يقرأه مرة، مرتين، وثلاثًا؛ لأن فيه من الفوائد ما لا تجدونها في الكتب الأخرى مما شرحنا لك في العقيدة.

ونبتدئ به اليوم، ولو بعض الأسطر، وإن شاء الله نستمر في شرحه مستقبلًا، وفق الله القارئ والسامع لما فيه الخير.

والنونية للعلامة ابن القيم رحمه الله منظومة طويلة في أكثر من ستة آلاف بيت، ذكر فيها كل ما يتصل بالعقيدة والتوحيد، وفَصَّل فيها أدلة بعض المسائل،

وجاء فيها بأسلوب حسنٍ جديد في عصره لتقرير الحق والتوحيد وإبطال الشرك والبدعة والتعطيل والتأويل الباطل، ومن الفصول في هذه المنظومة العظيمة فصل في توحيد الأنبياء والمرسلين، ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين.

والملاحدة: جمع ملحد، وهو الذي مال وحاد عن الصواب إلى غيره، وأعظم ما يُقصد بالصواب وأرفع ما يُتجه إليه بالعناية هو توحيد الله ﷻ، فمن حاد، وخالف في توحيد الله ﷻ، فالله ﷻ وصفه بأنه يُلحد في أسمائه وصفاته، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فمن نفى وجود الرب ﷻ، فهو ملحد، ومن نفى استحقاق الله ﷻ وحده للعبادة، فهو ملحد، ومن نفى الأسماء والصفات، أو عطلها، أو ذهب فيها إلى غير الحق، ففيه نوع إلحاد.

وهذا الإلحاد قديم، موجود في الناس منذ مرضت عقولهم وقلوبهم؛ فحادوا عن الصواب في ذلك، وإنما بُعثت الرسل للرد على المنحرفين في هذا الأصل العظيم، وإبطال ما هم عليه من الشبه التي يزعمونها أدلة في الشرك بالله ﷻ، وفي نفيه ما يستحقه الرب ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وكانت تلك العقليات طاغوتًا في ذلك، به ضل من ضل.

وأما المُعطِّلون، فهم جمع مُعَطِّل، والتعطيل هو الإخلاء، إخلاء الشيء مما يناسبه، ولهذا قيل فلان عاطل، إذا كان ليس له ما يشغله؛ لأن المناسب للإنسان أن يكون عاملًا، غير عاطل، ويقال أيضًا لجيد المرأة - وهو ما

يحيط بالعنق -: إنه عاطل إذا كان ليس به حلي يزينه.

قال الشاعر[١]:

وَجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّيمِ ليسَ بِفاحِشٍ إذا هيَ نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ

وما يناسب الرب - جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه تبارك وتعالى ربنا -، ما يناسبه هو إثبات جميع الكمالات له جَلَّ جَلَالُهُ في ربوبيته، وألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، وفي أفعاله، وفي شرعه، إثبات جميع الكمالات له، ونفي جميع النقائص عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا كان ثم كمال لا يُضاف إلى الرب جَلَّ جَلَالُهُ، وقد أضافه إلى نفسه، ونسبه إلى نفسه، فإن إخلاءه جَلَّ جَلَالُهُ من ذلك الكمال: من اسم، أو صفة تعطيل، والمعطلة قد يخلونه جَلَّ جَلَالُهُ من كثير من الأسماء والصفات، أو من بعضها أو من كلها، وهم درجات في ذلك.

فأصل توحيد الأنبياء والمرسلين هو مخالفة طريق الملاحدة والمعطلين، فالملاحدة مالوا عما يستحق الرب جَلَّ جَلَالُهُ، والأنبياء والمرسلون، دعوا إلى تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ، وإثبات جميع الحق له، والمعطلون عطلوا الله جَلَّ جَلَالُهُ عن ما يستحقه في ربوبيته، أو عن ما يستحقه في ألوهيته، أو عن ما يستحقه في أسمائه وصفاته، والأنبياء والمرسلون خالفوا ذلك، فأثبتوا لله جَلَّ جَلَالُهُ الكمال الذي يستحقه في الربوبية، بأنه هو الذي خلق هذا الخلق وحده، وهو الذي

---

(١) هو امرؤ القيس أمير الشعراء وهذا البيت من معلقته، انظر جمهرة أشعار العرب (ص ٨٣)، والحماسة المغربية (٢/ ١١٠٧)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ٣٢٨)، وانظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء (١/ ٥١)، وتاريخ دمشق (٩/ ٢٢٢) والبداية والنهاية (٢/ ٢١٨).

يدبره ﷻ، وهو الذي يُنفذ أمره فيه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وفي إلهيته المعطلة عطلوا استحقاقه وحده ﷻ للعبادة، فجعلوا معه آلهة أخرى، وجاء الأنبياء والمرسلون بأنه هو الواحد الأحد المستحق للعبادة دونما سواه، والمعطلون انحرفوا في الأسماء والصفات، وألحدوا فيها، وجاء الأنبياء والمرسلون بإثبات الكمالات له في أسمائه وصفاته.

ولهذا قال المصنف رحمه الله: (هذا التوحيد هو التوحيد على الحقيقة)؛ لأنه يجعل من يستحق الكمال واحدًا، وهو الله ﷻ، قال: (وهو التوحيد الوحيد في ذاته وحقيقته)، أدلة التوحيد وبراهين التوحيد ألمح إليها بقوله: (إنها كل دليل عقلي صريح، وكل دليل نقلي صحيح)، فالتوحيد بأنواعه أدلته العقل والنقل، فمن كان عقله صريحًا واضحًا، لا لوثة فيه، فإنه سينتج له أن الله هو المستحق للعبادة وحده، ولأنواع الكمال وحده، ومن نظر في الأدلة النقلية بعلم، فإنه سيثبت له ذلك.

أما توحيد الملاحدة والمعطلين، فهو محتمل على ضد ذلك، في العقليات معهم النقص والاضطراب، لذلك تجد أن الذين ألحدوا لم يتفقوا على كلمة واحدة، فمنهم من حرَّف وخالف في شيء، ومنهم من خالف في شيء آخر، وبعضهم يرد على بعض.

وأما أتباع الأنبياء والمرسلين الذين لم يحرفوا دينهم، فإنهم في توحيد الله ﷻ مع الذي يقتضيه العقل الصريح، وهو أن الذي خلق وحده هو المستحق أن يُعبد وحده، وهو المستحق لأنواع الكمالات وحده، وأما الأدلة النقلية، فالملاحدة والمعطلون يقدحون فيها، أو يؤولونها، أو

يسلطون عليها أنواعًا من الطواغيت: كطاغوت المجاز، أو التأويل، أو نحو ذلك، الذي به خالفوا توحيد الأنبياء والمرسلين، وأما أتباع الأنبياء والمرسلين، فدليلهم النقل الواضح الصريح، الذي لا يُقدح فيه.

هذا التوحيد الذي سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - يجب تعلمه، ويجب تعليمه، ويجب بثه، ويجب أن تأنس النفس لتعلمه وتعليمه؛ لأنه هو السعادة، ولأنه حق الله ﷻ، ولأنه هو الذي عليه المدار والأساس، هو الذي أعد الله لأهله أنواع الكرامات في الدنيا والآخرة، وأعد لأعدائه أنواع العقوبات في الدنيا والآخرة، فحقيق بكل عاقل وكل راغب في النجاة أن يحرص على أن يُخلِّص قلبه من غير الله ﷻ في أنواع الشرك، وأن يجعل القلب الواحد لله الواحد، وأن يجعل الروح الواحدة متصلة بالله ﷻ الواحد، وأن يستأمن ما يستأمن في هذه الدنيا، وأن يعامل ما يعامل على وفق شرع الله، لا على وفق الالتفات إليه والركون إليه. فقلب الموحد عامر بربه ﷻ أنسًا، وإقبالًا، ولذةً، وعلمًا، بأنه هو الواحد الذي من توكل عليه، فإنه يكفيه، وينصره، ويعينه، ولو اجتمع عليه أهل الأرض جميعًا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦] يعني: من يُضلل الله في التوحيد، فما له من هاد ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٧] ذكر الله ﷻ في سورة الزمر - وهي السورة المشتملة على دلائل التوحيد في ذاته - أتْباع هذا التوحيد - توحيد الأنبياء والمرسلين - هم الممدوحون بالعقول الكاملة، وهم الممدوحون بالسلوك الحسن والخلق العظيم؛ لأن التوحيد يجعل العقل سليمًا في تفكيره، ومن كان على خلاف التوحيد في نظرته إلى ربه ﷻ

إلى الله، أو إلى حقيقة ما يُجري الله، فإنه لابد أن يكون في عقله نقص، بحسب ما فاته من توحيد الله ﷻ، وكذلك في السلوك، فالواجب على من طهر قلبه من غير الله، وأقبل على الله ووحده أن يكون أحسن الناس سلوكًا، وأن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في إخلاصهم وإقبالهم على ربهم وعبادتهم له، فإن قصَّر، فهنا يستدرك سريعًا بالأوبة إلى الله ﷻ، ويكون حينئذٍ الاستغفار، والإقبال على الله في حقه أعظم من استغفار من كان لا يعرف قيمة التوحيد، الذي قد يؤثر عليه الالتفات عن الله ﷻ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣]، وهذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، علَّم النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يدعو بقوله: «**قُلِ اللَّهُمَّ إني ظَلَمْتُ نفسي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارحمني إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[(١)] هذا التعليم لأبي بكر رضي الله عنه - وهو أفضل هذه الأمة - أن يقول هذا القول: «**اللَّهُمَّ إني ظَلَمْتُ نفسي ظُلْمًا كَثِيرًا**»، ويستغفر، ويطلب المغفرة هو تعليم لمن هو دونه من هذه الأمة، أن لا يغرهم ما هم فيه، بل هذا الصديق الذي هو الأفضل، صاحب رسول الله ﷺ هو المحتاج لذلك، ولهذا كلما عظم التوحيد في القلب، عظمت معرفة العبد بحاجته إلى الاستغفار، وبهربه من كل ما يغير قلبه عن ربه ﷻ؛ ولهذا ما أحسن قول المصنف رحمه الله في ذلك، حيث يقول: (كل بناء بُني على غيره، فهو بناء على شفا جرف هار، وهو التوحيد الذي عليه خيار الخلق وأكملهم عقولًا وآراءً وأجمعهم للمحاسن، وهم الأنبياء

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٧، ٧٣٨٨)، ومسلم (٢٧٠٤).

والمرسلون ومن تبعهم)، ثم ساق البيتين اللذين سيتعرض لهما بالشرح والبيان، وهو قوله(١):

فَاسمَع إذًا تَوحِيدَ رُسلِ الله ثُمَّ   اجعَلهُ دَاخِلَ كِفَّةِ المِيزَانِ

مَعَ هَذِهِ الأنوَاعِ وَانظُر أيُّهَا   أولَى لَدَى المِيزَانِ بِالرُّجحَانِ

سنذكره إن شاء الله فيما نستقبل، رحم الله العلامة ابن القيم، ورحم الله الشارح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ومن سمع هذا الشرح، وأخذ به، إنه ﷻ جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. [**شرح التوضيح المبين**].

كِتَابُ قُرَّةِ عُيُونِ المُوَحِّدِين

فهذا الكتاب: (كتاب قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين) هو شرح كتاب التوحيد، شرح مختصر صنفه الإمام المجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله تعالى - وهذا التصنيف مهم؛ لأنه اشتمل على فوائد كثيرة، وضوابط ليست موجودة في الشروح الأخرى، التي تقدمته لكتاب التوحيد، مع سهولة في العبارة، وكثرة في المعاني، وقلة في النقول التي ربما طالت، فأشغلت المبتدئ من طلاب العلم، هذا الكتاب حري بالمبتدئ من طلاب العلم أن يعتني به؛ لما اشتمل عليه من علوم كثيرة، ومهمات في التوحيد

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٠٩).

والاعتقاد، وتقريب للتوحيد بأدلة واضحة وأسانيد متنوعة.

كتاب التوحيد للإمام المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ هو كتاب فرد في بابه، لم يسبق أن صنف أهل العلم مثله، ولم ينسجوا على منواله فيما بعده، بل هو كتاب فرد، وفق الله جَلَّ جَلَالُهُ إليه الإمام، ما فيه من علوم مبثوثة في كتب أهل العلم.

وهناك من صنف في التوحيد - أقصد في توحيد العبادة -، لكنه ما صنف كهذا التصنيف، مثل: المقريزي في (تجريد التوحيد المفيد)، وابن القيم في (مدارك السالكين)، وفي (إغاثة اللهفان)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم)، ونحو ذلك، فكتبوا أشياء كثيرة في توحيد العبادة، لكنها ما جاءت في اختصارها وشمولها وسهولتها ووضوحها بمثل ما جاء به الإمام في هذا الكتاب، مع أنه أخذ من علوم السابقين، وخاصة من علوم الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن تلميذه العلامة ابن القيم - رحمهما الله تعالى -.

كتاب التوحيد مشتمل على تقرير توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والمقصود منه هو توحيد الإلهية، وتقرير توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من جهة أن كلًا منهما في تحقيقه وسيلة لتحقيق توحيد الإلهية، فمن وحد الله في الربوبية وفي الأسماء والصفات، لزم عن ذلك أنه يوحد الله في الإلهية، ومن وحد الله جَلَّ جَلَالُهُ في العبادة، نشأ عن ذلك، بل تضمن ذلك أنه يوحد الله في ربوبيته وفي أسمائه وفي صفاته.

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام في كلام العلماء - علماء السلف: كابن جرير، وابن بطة، وجماعة -: توحيد الإلهية أو الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وبعض أهل العلم يقسمه إلى قسمين: إلى توحيد القصد والطلب، وهو توحيد العبادة، وإلى توحيد المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهذا هو الذي ذهب إليه ابن القيم في أول مدارك السالكين؛ كما هو معلوم.

التوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيداً، يعني: جعل الشيء واحدًا، فتوحيد الربوبية معناه: جعل الله ﷻ واحدًا في ربوبيته لهذا الملكوت، لخلقه ليس معه رب ﷻ، توحيد الأسماء والصفات معناه: أن الله واحد في أسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له مثيل ولا شبيه في أسمائه وصفاته وأفعاله ﷻ، توحيد الألوهية أو الإلهية معناه: أن الله واحد في استحقاقه العبادة، ولهذا فسر ابن عباس، وفسر غيره لفظ الجلالة (الله) بقوله: الله هو ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين، وقال بعضهم: الله هو علم على المعبود بحق ﷻ.

الشيخ رحمه الله فيما سمعت لم يُقدم للكتاب بمقدمة، وإنما قدم بالبسملة بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب التوحيد وقول الله تعالى... إلى آخره) وهذا له مناسبتان: مناسبة ذكرتها في شرح كتاب التوحيد، ومناسبة أخرى نزيدها في هذا الموضع.

أما المناسبة الأولى: فهي أن التوحيد حق الله ﷻ، ومن تمام حقه فيما يدل على حقه أن لا يُفصل بين الحق وذي الحق، والدليل على الحق بكلام مخلوق، فالحق هو التوحيد، هو حق الله على العبيد، والدال على هذا

الحق وصاحب الحق هو الله ﷻ، والدليل على ذلك هو كلام الله ﷻ؛ لهذا ناسب أن لا يُقدم بمقدمة تفصل ما بين الحق والدال عليه، وصاحب الحق والدليل على الحق؛ لأنها كلها لله ﷻ، وهذا من لطائف المعاني.

الثاني: أن البسملة فيها تقرير للتوحيد من أوجه متعددة، ذكرها أهل العلم، وأوَّلها أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا الجار والمجرور - كما هو مقرر في النحو من علوم العربية - لا بد أن يتعلق بشيء، وهو يتعلق بفعل متأخر يناسب المقصود، وهنا المقصود: القراءة، فيتعلق بفعل أقرأ، أو قراءتي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ والباء هنا للاستعانة، يعني: أستعين بسم الله الرحمن الرحيم، يعني: أستعين بالله الرحمن الرحيم، بالأسماء الحسنى كلها في قراءتي، وفي تقديم الجار والمجرور المؤذن بالاستعانة في المعنى على الفعل ما يفيد الاختصاص؛ فلهذا كل من قرأ في أول الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فهي حجة عليه في التوحيد، ولو عقلها، لعقل التوحيد؛ لأنه لا يستعين إلا بالله؛ لأن الفعل متأخر: باسم الله أقرأ، ومن المتقرر في البلاغة وفي النحو أن المتعلق إذا تأخر، أو إذا تأخر ما حقه التقديم، أفاد الاختصاص، أو أفاد الحصر والقصر.

إذًا فكلمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول القرآن، وهي أول آية في القرآن، سواء قلنا: آية مستقلة، أو آية من الفاتحة، وفي أول هذا الكتاب، دالة على توحيد الله ﷻ، ففي البداءة بها براعة استهلال، وذلك تبع للكتاب المجيد.

علوم كتاب التوحيد لا تنتهي، وكلام أئمتنا عليه والفوائد عليه لا تنتهي، ولا يكفيها مجلس ولا مجلسان أسبوعيًا، بل لو قضينا السنة كلها في كتاب

التوحيد، لنشأت عندك من المعاني ومن الفوائد ما لا حصر لها، ولهذا أوصي أن لا يُترك هذا الكتاب، وأن لا تُترك شروحه، ولا كلام أئمة الدعوة بعامة؛ لأنها متجددة، وكلما رجعنا إليها بعد قراءتنا لها، وجدنا فيها علومًا فاتت وتتجدد؛ ولهذا أوصي كل طالب علم بالعناية بهذا الكتاب (كتاب التوحيد) وشروحه، وكتب أئمة الدعوة بعامة، سواء منها التصانيف المفردة أو الأجوبة على المسائل، أو الردود المختصرة، أو المطولة؛ لأن فيها علومًا أخشى أن تندثر مع انشغال طلبة العلم بكثرة المسائل وكثرة العلوم، أو ما جد في أزمانهم.

ما ذكره الشارح فيما سمعت واضح، لكن نقف منه على قوله: (إن العبادة هي ما يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته) العبادة لفظ أُستعمل في الذل الخاص، فلفظ عبد وما يُشتق من المصدر هذا أصله في الذل في اللغة، ولهذا مر معكم كلام الشاعر في وصف الطريق وهو قوله تُباري في وصفه الجِمال:

تُباري عِتاقًا ناجِياتٍ وَأَتبَعَتْ وظيفًا وَظيفًا فَوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[1]

يعني: فوق طريق معبد، معبد يعني: ذلل وهيئ من كثرة وطء الأقدام أو الحوافر عليه، وكذلك قوله:

إلى أَنْ تَحامَتني العَشِيرةُ كلُّها وأُفرِدْتُ إفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ[2]

---

(١) من معلقة طرفة بن العبد وهو شاعر جاهلي مشهور. انظر ديوان طرفة (ص٢) جمهرة أشعار العرب (ص ١٢٦)، ولسان العرب (٥/ ١٨٦)، وتاج العروس (١٤/ ١٥٢)، (٢٦/ ١٢١) وتهذيب اللغة (٢/ ١٤١)، (١٥/ ٢١٣).

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٢٨٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص١٣٠)، =

يعني: الذي صار ذليلًا لما طُلي بالقطران؛ لجرب كان فيه.

أصل عَبَدَ وعَبْد لمن كان ذليلًا، وأُخذ لفظ العبادة لله ﷻ فقط، دون عبودية البشر للبشر، فيقال: فلان عبد فلان، إذا كان رقيقًا له، أما العبادة، فلا يقال فلان يتقرب بعبادة لفلان إلا إذا جمع أمورًا:

الأول منها: كمال الحب ونهايته - مثل ما قال -، وهذا مأخوذ من كلام ابن القيم في النونية وغيرها:

وَعِبَادَةُ الرَّحمنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطبَانِ

والثاني: كمال الذل لله ﷻ، وهذان ينشأ عنهما الطاعة في الأمر والنهي.

فإذًا كمال الحب ونهاية الحب فيها طاعة للأمر والنهي، فدلت إذًا كلمة العبادة وتوحيد العبادة على أن ثم محبةً، وثم ذلًا، وثم طاعة للأمر والنهي، يعني استسلام للأمر والنهي، وهذا حاصل من الكلمة في نفسها ومما دلت عليه.

قوله: (كمال الحب ونهايته) لا يقولن قائل مثل ما ذهب إليه طائفة من الغلاة: (معنى ذلك أنه من لم يكن عنده كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فإنه ليس بذي عبادة صحيحة).

فجعل كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، والطاعة جعلها شرطًا

= وشرح المعلقات العشر لأحمد الأمين الشنقيطي (ص٥٢).

لصحة العبادة، وهذا غلط، بل قوله في التعريف: (كمال الحب ونهايته) أن العبادة تجمع كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، يعني بالكمال والنهاية هذا أعلى المراتب.

فأصل العبادة يستقيم بأصل المحبة، وأصل الذل، فمن كان عنده محبة لله ﷻ، وكان عنده ذل لله ﷻ - يعني: في قلبه، في عمله -، وكان عنده استسلام في الأصل، وطاعة للأمر والنهي، فإنه هو المسلم، وهو ذو العبادة، يعني: يشترك في أصلها.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في النونية[1]:

والله ما خوفي الذنوب فإنها	لعلى طريق العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب من	تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضا بآراء الرجال وخرصها	لا كان ذاك بمنة الرحمن

يعني: حتى على النفس الاستسلام، والطاعة للأمر والنهي، نكتفي بهذا والتقرير عليه يطول، لكن نقتصر على ذكر فوائد وحواشٍ في ما يناسب إن شاء الله تعالى.

فهذا الكتاب كتاب (قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين) للإمام العلامة عبد الرحمن بن حسن، ابن شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب - رحمهما الله تعالى أجمعين - كتاب كما ذكرت لكم سابقًا

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٦٠٢).

مهم؛ لأنه صاغ الكلام على معاني كتاب التوحيد صياغة سهلة، وعبّر عنها بعبارة شرعية علمية، دون تكلف، أو دون عمق في البحث؛ كما هو موجود في تيسير العزيز الحميد، وفي فتح المجيد، وفي غيرهما، فهو يصلح للقراءة على العوام، ويصلح للقراءة في المساجد؛ لما اشتمل عليه من فوائد عظيمة ولسهولة عبارته وكثرة مسائله. [**تعليقات على قرة عيون الموحدين**].

س ٤٠: للإمام المجدد كلام نفيس عن حديث الغربة، نرجو من فضيلتكم توضيحه.

قول النبي ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[1] في أول شرح السيرة، أقول: لعله لما تكلم عن الغربة كلام الشيخ لم يُسبق إليه: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» وقال: من فقه هذا الحديث، فهو الفقيه، من فقه حديث «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، فمن فقهه، فهو الفقيه. [**تعليقات على قرة عيون الموحدين**].

كِتَابُ الأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ للمَاوَرْدِيِّ

س ٤١: ما عقيدة الماوردي؟ وما رأيكم في كتاب: (الأحكام السلطانية)؟

الجواب: الماوردي أشعري، واتهم بالاعتزال، وهو صاحب تفسير: (النكت والعيون) طبع في الكويت، ثم طبع في غيرها، واتهم بالاعتزال في

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

مسائل، وفي الجملة هو أشعري المذهب، وكتاب (الأحكام السلطانية) من جهة الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير دقيق، غير موافق في التفاصيل مذاهب السلف [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

كُتُبُ ابْنِ قُدَامَةَ فِي الفِقْهِ

س ٤٢: ما رأيك فيمن يترك كتبًا خاصة بالمذهب كالروض المربع، والإقناع، والمقنع، وترك البحث في تخريج الرواية الصحيحة للإمام أحمد؟

الجواب: هذه مراتب في المذهب، يعني مذهب الإمام أحمد مراتب، ابن قدامة صاحب المغني ترى أنه رتب الكتب في مراحل:

أول مرحلة: كتاب عمدة الفقه.

المرحلة الثانية: المقنع.

المرحلة الثالثة: الكافي.

المرحلة الرابعة: المغني.

ومما سمعت من الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول: «ابن قدامة عمل الفقه على مراحل، كالمراحل الدراسية الآن، فالعمدة: للابتدائي، والمقنع: للمتوسط، والكافي: للثانوي، والمغني: للجامعي» هذا ترتيبه، وهذا صحيح ترتيب منطقي، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يختار لنا الأصلح. [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

كُتُبُ التَّفَاسِيرِ الفِقْهِيَّةِ

س ٤٣: ما أحسن كتب التفاسير الفقهية من حيث كثرة المسائل والتأصيل والبحث الفقهي ونحو ذلك؟

الجواب: التفاسير الفقهية كثيرة، ومن أوسعها كتاب القرطبي (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأحكام الفرقان)، وهذا كتاب من جهة الفقه فيه سعة، فيه فوائد كثيرة، فيه مسائل فقهية نادرة، وبحثها بحثًا جيدًا، ولكن الوصول للبحث فيه يحتاج إلى معرفة بالكتاب كله، والحمد لله في الفترة الأخيرة ظهر تفسير، فألحق من لم يقرأ الكتاب بمن قرأ الكتاب، فيه بحوث جميلة في الكتاب، لكن كتاب القرطبي فيه عيب، وهو أنه نحا منحى المتكلمين في العقيدة، ففي العقيدة يقرر منهج المتكلمين والأشاعرة، وهذا من العيوب الكبيرة في ذلك، فإذا في المسائل الفقهية بحثه حسن.

ومن الكتب أيضًا: (أحكام القرآن) لابن العربي المالكي، لكن فيه ضعف وعدم استيعاب، وفيه أيضًا فوائد كثيرة.

ومنها: (أحكام القرآن) للهراس الشافعي، فيه بحوث جيدة ومؤصلة.

ومن الكتب المعاصرة كتاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (أضواء البيان)، فإنه من الكتب التي اعتنى فيها بذكر الأحكام الفقهية، لكن ليس عند كل آية فيها حكم فقهي، لكن ما اشتمل عليه كتابه من تفسير الآيات فيها الحكم الفقهي ظاهر بَيِّنٌ، يعني: آية في الصلاة، في الزكاة، في الرهان، في الربا، في الحج، ونحو ذلك، أما إذا كانت الإشارة في الحكم الفقهي فيها

خفاء، فإنه لا يتعرض لذلك. **[محاضرة مناهج المفسرين]**.

س ٤٤: عفا الله عنك أشرتم في محاضرة سابقة إلى أن من أحسن مختصرات التفسير كتاب (زبدة التفسير)، وأيهما أفضل هو أم (تفسير السعدي)؟

الجواب: تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي أفضل؛ لأن فيه من الفوائد وتقرير التوحيد والعقيدة فوائد عظيمة جدًا، ولكن ذلك فيه معاني كلمات، والشيخ عبد الرحمن السعدي قد لا ينقل الكلمة ومعناها، ويهتم بذكر التفسير الإجمالي مع ذكر الفوائد، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ يستفيد منه العالم أكثر، وطالب العلم أكثر؛ لأنه يفتح أبوابًا وكلمات قد ما يدركها طالب العلم المبتدئ.

كتاب (زبدة التفسير) اختصر فيه مؤلفه الأشقر كتاب الشوكاني في اختصار لطيف في الجملة، وثَم ملاحظات يسيرة في بعض المواطن، لكن في الجملة ليس فيه خلل في الاعتقاد، خاصة في أمور الصفات، والغيبيات والإيمان، ونحو ذلك، فهو من الكتب الحسنة جدًا، والمواضع المشكلة في تفسير الشوكاني يتجنبها، مثل: كلام الشوكاني في خلق القرآن، وعدم حسم الكلام فيه، وتوقفه في المسألة، فإنه اجتنب هذا، ولم يتعرض له، الخلاف في آيات الصفات، تقريرها غير واضح، وهو يقررها بوضوح، والله أعلم. **[محاضرة مناهج المفسرين]**.



كُتُبُ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ

س ٤٥: ما أفضل كتب التفسير بالرأي التي نهجت منهج أهل السنة والجماعة؟

الجواب: الكتاب هذا الذي ذكرت لكم الذي هو كتاب (نفحة العبير) مختصر و(زبدة التفسير) و(فتح القدير). كتاب (زبدة التفسير)، (فتح القدير) وكتاب الشنقيطي أيضًا طيب في هذا الباب. [**محاضرة مناهج المفسرين**].

حَاشِيَةُ مُقَدِّمَةِ التَّفْسِيرِ
لِلشَّيْخِ عبد الرَّحْمَنِ بِنْ قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

س ٤٦: إذا بدأ طالب العلم في دراسة أصول التفسير، فما أفضل المتون التي يبدأ بها، وأفضل الشروح لهذه المتون؟

الجواب: ما أعلم كتابًا جيدًا يفي بحاجة طالب العلم في أصول التفسير. شيخ الإسلام له مقدمة في أصول التفسير، لكن ما اشتملت على كل مباحث الأصول، الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ له أيضًا مقدمة في أصول التفسير وشرحها، هو أيضًا بحاشية، وبالمناسبة ننبه إلى أن بعض الناس يظنون أن حاشية الشيخ عبد الرحمن على أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، لا، هذه أصول التفسير هو وضعها، وعمل لها حاشية لما وضعه هو، يعني: المتن له فيما يظهر، والشرح والحاشية له، ما أعلم كتابًا فيه ذكر لأصول التفسير جيدة.

لكن يستعين طالب العلم بكتب علوم القرآن، مثل: البرهان، والإتقان، ومناهل العرفان، وأشباه ذلك، مع تجنبه لمواضع الخلل في العقيدة. **[محاضرة مناهج المفسرين]**.

س ٤٧: أئمة الدعوة السلفية هل لهم عناية بالتفسير؟ وما أفضل الكتب التي جاءت منهم؟

الجواب: أئمة الدعوة الإسلامية السلفية ابتداءً من الإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى، وجزاه الله عنا وعن جميع الموحدين خير الجزاء - أدخلوا إلى نجد الاهتمام بالتفسير، نجد ما كانت تعرف التفسير، ولا الاهتمام به، فالشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ الإمام المجدد كانت له العناية الطولى بالتفسير، وشهد له مشايخه بذلك، ولهذا ترى أنه في تفاسيره، يعني: في مجموع رسائل الشيخ ثم أربعة مجلدات في ذكر تفاسير الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ، الشيخ محمد في التفسير فسر بما يحتاجه في الدعوة، فسر سورة الفاتحة للإمام عبد العزيز بن محمد عندما ناهز الاحتلام، قال: (ولما ناهز عبد العزيز بن محمد بن سعود الاحتلام، وصل لخمس عشرة سنة تقريبًا، أو نحوها فسر له الفاتحة)، أيضًا فسر آيات كثيرة جمعت في مجلدات، فسر سورة الفلق والناس، . . . إلى آخره، أئمة الدعوة فسروا القرآن؛ لغرض بيان التوحيد والعقيدة الصحيحة وبيان ما يضاد، فسروا القرآن بذلك لم؟ لأن منهج أئمة الدعوة في التأليف أصلًا هم لا يرون كثرة التأليف، يرون أن العلماء ليسوا بحاجة إلى التفرغ للتأليف، وإنما هم بحاجة إلى أن يستفيدوا من كلام أئمة أهل العلم السابقين مما ألفوه

في التفسير أو في أي علم من العلوم، وأن ينشروا في الناس الدعوة؛ لأن التأليف يأخذ وقتًا، والناس في نجد وما حولها في ذلك الوقت بحاجة شديدة إلى الدعوة أشد من حاجتهم إلى أن يقال: فلان من العلماء ألف شرحًا للبخاري، أو ألف تفسيرًا؛ لأن العمر محدود، وهذه تتطلب انقطاعًا وأعمارًا طويلة، فهم تفرغوا لما فيه المصلحة أعظم، والثواب فيه أكثر، والحاجة إليه أمس، ومعلوم أن المرء يجب أن يؤثر الواجب الشرعي على ما تهواه نفسه، ومع ذلك فقد أُثر عنهم في التفسير أشياء كثيرة، لكن لم يتفرغ أحد منهم لتفسير القرآن من أوله إلى آخره. [**محاضرة مناهج المفسرين**].

كُتُبٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي تَعَلُّمِ السُّنَّةِ

س ٤٨: بماذا تنصح من الكتب المختصرة في تعلم السنة؟

الجواب: أرى أن يبدأ بالكتب المختصرة لطالب العالم، مثل: (عمدة الأحكام)، هذه فيها من الأحاديث الفقهية المتفق عليها، وأما في أحاديث الزهد والرقائق، وما يتبع ذلك، فهناك كتاب (رياض الصالحين)، وهو كتاب مشهور، نافع جدًا، وقد جعل الله له القبول في الأرض، ولعل السائل إذا كان من طلبة العلم يتصل للسؤال بعد المحاضرة، يفصل له القول في ذلك. [**محاضرة السنة النبوية**].

كِتَابُ (جَمْعِ الجَوَامِعِ)

س ٤٩: الكتاب الذي طبع مؤخرًا في دار الباز، وهو (جمع الجوامع) (الجامع الكبير وزيادته للسيوطي) خمسة عشر مجلدًا؟

الجواب: هذا مطبوع سابقًا، يمكن جامع؛ السيوطي له (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير)، و(الجامع الصغير) محدود، يعني: صغير، وقسَّمه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ إلى قسمين:

١ - صحيح الجامع. ٢ - ضعيف الجامع.

وهما قسمان مفيدان يقربان، وإن كان الحكم على أن هذا صحيح، أو أن هذا ضعيف لا يسلم في كل موطن، طالب العلم يبحث ويدقق، لكنها مفيدة للغاية في هذا الباب، والجامع الكبير للسيوطي له شرطه، وكتب كثيرة، ونقل عنها، قسَّمه إلى قسمين:

١ - قسم الأقوال. ٢ - قسم الأفعال.

وهو كتاب - كما هو معروف - كبير جدًا، طبع قسم الأقوال، وقسم الأفعال مستقل، وفي مجلدات كثيرة جدًا، وصور عن المخطوطة أيضًا في مصر - أظن في الهيئة العامة للكتاب - صورة المخطوط (مخطوط الجامع الكبير) إحدى النسخ كان خطها دقيقا جدًا، فصورت في مجلدين، وهي أيضًا سهلة في البحث، الأحسن منه كنز العمال.

كنز العمال رتب الجامع الكبير على الأبواب، وجعل ترتيبها مثاليًا

وطيبًا، والأكثر هو الرجوع إلى كنز العمال، أو إلى المتن، يعني: الأصل للجامع الكبير، لكن الجامع الكبير قد ما تجد له حديثًا، ولا تجمع الأحاديث في باب واحد، يعني: تبحث مثلًا في الأحاديث أو الآثار أيضًا، مثلًا من الموضوعات الدقيقة مثلًا: إذا قلنا: السَلَب مثلًا: السَلَب في الجهاد، أو حرم المدينة، وسلب من تعدى على حرم المدينة...، أو نحو ذلك، هذه كيف تجدها؟ قد تجد حديثًا واحدًا في الباب، أو قد لا يأتي غيره، لكن في كنز العمال ترجع إلى هذا الموضوع، وهذا الموضوع، ستجد الأحاديث، وستجد الآثار عن الصحابة في هذا الباب. [**محاضرة الصبر على العلم**].

مَجْمُوعَةُ مُؤَلَّفَاتِ الإِمَامِ المُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عبد الوهَّابِ رحمه الله

س ٥٠: نأمل أن تطبع الوزارة مجموعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المطبوعة سابقًا في جامعة الإمام، وتوزعها على نطاق واسع ورسائل.

الجواب: هذا - إن شاء الله - رأي حسن، إما في الوزارة، أو في غيرها، لكن ينبغي أن يُنتبه إلى أنه فيما طبعته الجامعة إذ ذاك ثم عدة رسائل ليست للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وإنما وجدت بخطه، فنسبت إليه، وهو رحمه الله كأي عالم أو طالب علم ربما نقل أشياء من كتب، واختصر بعض الكتب لنفسه، ووجدت عنده.

كل واحد وهو يطلب العلم يلخص من الكتب، وينقل منقولات، وليست

تأليفًا له، ما نقلته أنا من كتاب فلان والكتاب الفلاني لنفسي؛ حتى أستحضره في وقت الطلب، أو إذا أردت ليس هذا تأليفًا، ولذلك هناك عدد من الرسائل وجدت بخطه، لكن ليست تأليفًا له، مثالها: رسالة تسمى: (رسالة أحكام تمني الموت)، وهذه موجودة، الأصل لها موجود، ورأيته بنفسي بخط الشيخ موجود في جامعة ليدن بهولندا، وهي ورقة واحدة، كتب الشيخ عليها أحكام تمني الموت، ونقل الأحكام الفقهية، ثم لما انتهت الورقة بعدها أوراق فيها أحاديث نقلها من كتاب للسيوطي اسمه: (أحوال القبور)، فهذه أحاديث مختلفة يعزوها إلى من خرجها، الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وجد هذه، فاختصرها، فجاء صاحب الكتاب، فجلد هذه مع هذه، فظُن أن أحكام تمني الموت كلها أحوال الموتى في القبور، ما له علاقة بتمني الموت، أحكام تمني الموت وحكمه: هل يجوز، أو لا يجوز، وما حكمه؟ وهي في ورقة واحدة، وهذه الرسالة لا تصح نسبتها، وثم أيضًا غيرها في المجموع، ولعله يكون عليه تنبيه مفصل إن شاء الله. [**محاضرة: الشيخ محمد بن عبد الوهاب**].

س ٥١: لو ذكرت لنا - جزاك الله خيرًا - أسماء الكتب التي ألفها الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في السيرة والفقه والتوحيد والحديث؟

الجواب: الحمد لله، لا بأس أن نذكر طرفًا منها، أما في التوحيد: فله عدة مصنفات، منها المختصر، ومنها المطول، ومنها ما هو رسائل فيها تقرير العقيدة، فكتب رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب التوحيد، وهو أول الكتب تأليفًا؛ لأنه ابتدأ تأليفه في البصرة لما كان فيها، ثم توسع فيه إلى أن صار على هذا الذي ترون، ومنها: رسالة (ثلاثة الأصول)، ومنها: رسالة (كشف الشبهات)،

ومنها : كتاب(فضل الإسلام)، ومنها : كتاب (أصول الإيمان)، وهذه بين موجزة ومطولة، ومنها أيضًا : (القواعد الأربع)، ونحو ذلك.

أما في التفسير، فله : تفسيرسورة الفاتحة، وله : تفسير المعوذتين، وله : تعليق على تفسير الآيات على شكل مسائل، طبع في نحو ثلاث مجلدات، يعني : الفوائد، كأنها فوائد من تفسير الآية، واختصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير ابن كثير، ويوجد الآن قطعة من اختصاره لتفسير الحافظ ابن كثير، وكان الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ متميزًا في علم التفسير، بارعًا فيه، مستخرجًا منه فوائد عظيمة؛ ولهذا تجد أن تلامذته من أبنائه وتلامذة الشيخ الأقربين تجد لهم عناية بالتفسير كثيرة، فحصرنا التفاسير التي اعتمد عليها الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لكتاب التوحيد في أكثر من ثلاثين أو أربعين تفسيرًا.

بالنسبة للفقه، فإنه صنف (آداب المشي إلى الصلاة)، وهذه تشتمل على أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، وكتب في الفقه تحريرًا للمسائل التي فيها الخلاف في كتاب سماه : (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)، الإنصاف كتاب فيه الخلاف في مذهب الحنابلة، والشرح الكبير كتاب فيه الخلاف مع المذاهب الأربعة ومذاهب السلف عموما، فكتب مختصرًا، جمع فيه ما بين الخلاف في المذهب والخلاف في ما بين الأئمة، وهذا موجود ومطبوع، وهو كتاب نافع جدًا للفقيه، ومختصر، وسهل الوصول إلى الانتفاع منه، أيضًا له في الحديث : (مجموع أحاديث الأحكام)، كما ذكرت لك في أربعة مجلدات، غلط من ظن أنه مختصر من كتاب المنتقى، أو من كتاب المحرر لابن عبد الهادي، أو كتاب الإلمام لابن دقيق العيد.

فطريقته فيه مختلفة عن هذه الكتب، استفاد منها، وبالمناسبة هذا

المجموع طبع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلق عليه اثنان من المختصين في تدريس الحديث في الجامعة في ذلك الوقت من نحو عشرين سنة، ولكنهما لم يكونا محترمين للإمام، ولا يعرفان فضله وعلمه، فاعترضا عليه في تخريج الأحاديث في مواضع كثيرة متعددة بعبارات فجة لا تليق، والصواب فيها كلها - كما تتبعت مع الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -، فمن الأمثلة ما يقول: «ولأحمد في المسند كذا»، ولما ساق، فعلق عليه، وقال: (ليس هذا الحديث في المسند)، ولما رجعت إلى المسند، وجدته في مسند أحمد، في مسند الصحابي نفسه، مثلًا قال الشيخ في حديث: (وعن أنس عن ربيعة) - هكذا قرأها المحقق -، وقال: «ليس ثَم أنس يروي عن ربيعة»، حديث عمر في تقبيل الحجر الأسود: «**لَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»[1] وهو في كتابة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عابس بن ربيعة، فنظر إليها، فجعلها أنس عن ربيعة، وعلق بتوهيم الشيخ في موضع، فقال: (الحديث الذي أورده المصنف لفَّقَه من عدة أحاديث - بهذه العبارة: لفَّقَه من عدة أحاديث - نسأل الله السلامة)، وهو بطوله، وبالألفاظ التي أوردها الإمام في صحيح البخاري، وذلك في غير مظنه. البخاري - كما هو معلوم - يقطع الأحاديث والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساقه بطوله ناقلًا عن البخاري في كتاب من كتبه في الصحيح، المقصود أن هذا الكتاب مهم، لكنه لم يحظَ بإخراج كما ينبغي من تأليفه في الأحاديث (أحاديث الفتن والحوادث).

أما في السيرة، فكتب في السيرة: (مختصر سيرة ابن هشام)، و(سيرة ابن إسحاق)، وضمن هذا المختصر فوائد دعوية تناسب الداعية - يعني: ما

---

(١) أخرجه البخاري (١٦١٠).

يستفاد من السيرة في الدعوة -، كأنها دروس وعبر من السيرة، ومصنفاته متعددة متنوعة. [**محاضرة دروس وعبر من سيرة إمام الدعوة**].

س ٥٢: هل جميع كتب الشيخ ﷺ مطبوعة، أم لا يزال هناك كتب لم تطبع؟ وهل ستطبعه الجامعة مرة أخرى؟

الجواب: لا أعلم كتابًا كاملًا للشيخ لم يطبع، هناك قطع مختلفة: قطعة من مختصر فتح الباري، قطعة منه موجودة لا تصلح أن تطبع، وكذلك قطعة من مختصر تفسير ابن كثير لا تصلح أن تطبع، وأما كتبه الكاملة، فقد طبعت وقد تولت الجامعة - مشكورة - جمعها وطباعتها في السابق، ويرجى أن يكون فيها مزيد من النظر والتحقيق. [**محاضرة دروس وعبر من سيرة إمام الدعوة**].

كِتَابُ مَنَاقِبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ لابْنِ الجَوْزِيِّ

س ٥٣: ما رأيكم في كتاب ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد؛ فقد ملأه بكرامات أكثرها متجاوز للحد، ولا يقبله العقل؟

الجواب: كتاب ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد كتاب كبير، وطريقته فيه طريقة المحدثين: أنه يورد كل شيء فيه بالإسناد، والقاعدة عند أهل العلم أن الذي يروى بالإسناد، فإنما يروى ليُحفظ هذا العلم بهذا الإسناد، والحكايات التي فيه - مما فيه نكارة، أو فيه مخالفة للسنة - الإمام أحمد منها بريء، ومنها أشياء حكم العلماء بوضعها، يعنى: أنها موضوعة مكذوبة على الإمام أحمد ﷺ، وعذر ابن الجوزي كعذر عدد من المصنفين في أنهم

إذا رووا الإسناد، فإنهم أحالوا العهدة والنظر إلى الباحث، وإنما رووه، وحفظوه بهذه الأسانيد؛ حتى لا يأتي أحد، وينقل مثل هذه بأسانيد صحيحة أو يكذب فيها، أو لا يدري بم نقلت؟ وبأي إسناد نقلت؟ فعن طريق نقل ابن الجوزي وأمثاله بالإسناد عرفنا أنها موضوعة، وأن في الإسناد من هو كاذب، وإلا فالإمام أحمد كل شيء يخالف السنة وكل شيء يخالف هدي الصحابة رضي الله عنهم، فإن الواجب تبرئة الإمام أحمد منه رحمه الله.

مِجَلَّةُ السَّلَفِيَّةِ

س ٥٤: ما رأيكم في المجلة الجديدة واسمها السلفية، لصاحبها أبي يوسف الأثري؟

الجواب: أنا رأيت منها عددًا واحدًا، وقد كتب فيه عدد من العلماء، ومقتضى مشاركة العلماء في تلك المجلة أنهم يزكونها.

إذًا المشاركة المقصودة فرع في الغالب عن التزكية. [**محاضرة عهد ابن أم عبد٢**].

كُتُبٌ فِي شُرُوحِ العَقِيدَةِ

س ٥٥: إن أهم المهمات هو التوحيد، فما الكتب والشروح والأشرطة التي تفيد في تعلم هذا الأصل العظيم؟

الجواب: التوحيد قسمان: توحيد علمي خبري، وتوحيد عملي إرادي.
التوحيد العلمي الخبري: هذا هو الذي يسمى العقيدة - عقيدة أهل السنة

والجماعة -، وهذا له كتب خاصة، والتوحيد العملي الإرادي: هو التوحيد الذي ضده الشرك العملي، هذا هو توحيد العبادة، وهذا يحتاج إلى تعلم - تعلم التوحيد الذي ضده الشرك -، فتعلم العقيدة الصحيحة التي ضدها العقيدة الباطلة.

أما العقيدة الصحيحة، فهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأهم الكتب فيها (لمعة الاعتقاد)، وخذ شرحًا لها لأحد علماء هذه البلاد، وكذلك كتاب (الواسطية)، وخذ شرحًا له، وتسلسل في كتب العقيدة - عقيدة أهل السنة والجماعة -، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيها بيان ذلك على وجه التفصيل، كتب التوحيد - توحيد العبادة - أقربها وأولها كتاب (ثلاثة الأصول) للشيخ: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، (وكتاب التوحيد) أيضًا له، وكتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وما شابه هذه الكتب مع شروحها كشرح (تيسير العزيز الحميد) لـ (كتاب التوحيد)، وشرح (فتح المجيد)، ونحو ذلك من الشروح. **[محاضرة المهم والأهم]**.

س ٥٦: هل من الأهمية في طلب العلم أن يقرأ الإنسان في كتب أهل السنة والجماعة، ويترك الكتب التي كتبها من عليه ملاحظة في عقيدته، وتطرح، ولا يرجع إليها؟

الجواب: إن العلم لا بد أن يؤخذ عن مأمون في عقيدته، وكتب أهل السنة والجماعة كفيلة بهذا، وأما الكتب العصرية، فإنها لا يحتاج إليها في العلم، وإنما هي من جهة الثقافة والاطلاع على ما في العصر، أو على

الأفكار، أو على التحليلات، ونحو ذلك.

أما العلم من حيث هو، فإنما يؤخذ عن كتبه، التي بها تعلم العلماء، وتخرج العلماء، هذه الكتب لا بأس من مطالعتها - الكتب العصرية -، لكن بشروط منها:

الأول: أن يكون المطالع عنده تمييز في عقيدته بين الحق والباطل؛ لأنه ربما قرأ كتبًا فيها تعبير من الباطل، ولم يلحظ هذا، فكم رأينا ممن قرؤوا كثيرًا من هذه الكتب العصرية شاع على ألسنتهم بعض العبارات التي تخالف العقيدة الصحيحة، من مثل: شاءت الأقدار، ...، ونحو ذلك من العبارات التي فيها مخالفة، أو من مثل ما هو أعظم من ذلك: من سؤال صفات الله، أو منادتها مثل: يا رحمة الله، أو يا عفو الله، أو ما شاكل ذلك.

أنا ذكرت هذا الشرط، وبقية الشروط نذكرها على وجه الاختصار.

الثاني: أن يكون الكتاب ليس متمحضًا للفساد، ليس متمحضًا للضلال أما إذا كان متمحضًا للضلال، فهذا لا تجوز قراءته أصلًا، أما إذا خلط فيه حق وفيه باطل، فهذا يقرؤه من يميز بين هذا وهذا.

الثالث: أنه إذا قرأ ذلك، قصره على نفسه، وإذا كان في هذه الكتب بعض حق، فإنه يأخذها إذا دل عليها الدليل، يأخذ الحق، ولا يدل على الكتاب الذي قرأ فيه تلك الأمور من لا يحسن التفرقة بين الحق والباطل؛ لأنه إذا دله عليه، ربما ضره ذلك في دينه. [**محاضرة المهم والأهم**].



كُتُبٌ فِي سِيرَةِ الإِمَامِ المُجَدِّدِ

س ٥٧: أرجو من فضيلتكم ذكر أفضل كتاب ألف في سيرة إمام الدعوة رحمه الله، وخاصة هذه الفوائد التي ذكرتها من قبل إمام الدعوة، وهل فكرتم في إخراج سيرته في كتاب شامل؟

الجواب: كتب عن إمام الدعوة رحمه الله كتابات كثيرة متنوعة ما بين مختصر ومطول، وأشاد بفضله الأعداء من النصارى وغيرهم في دراساتهم، فجعلوا الإمام إمامًا بحق - كما يقولون -، وأنه هو المصلح الذي يستحق اسم المصلح في زمنه، هناك دراسات مختلفة عن الإمام الشيخ رحمه الله ما بين تراجم فيها سيرته مجردة، حياة الشيخ هذه تراها في كتاب (تاريخ نجد) لابن بشر، (تاريخ نجد) لابن غنام، ونحو هذين الكتابين، وهناك ما هو باستخلاص من مواقف الشيخ أشياء من العبر والنظر، وهذا في كتاب للإمام عبد الرحمن بن حسن المجدد الثاني رحمه الله للدعوة في هذه البلاد، وسمى رسالته (المقامات) وهي رسالة - على وجازتها - عظيمة، بيَّن فيها مقامات التوحيد مع الأعداء فهي كسيرةٍ متنوعة الطرح، متنوعة المعلومات عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هناك كتب كثيرة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لكن - في نظري - وفي حقه بأنه نُظِر إليه تاريخيًا ودعويًا، وجمع ما بين التاريخ والعبرة، لم أر في ذلك كتابًا ترجم فيه صاحبه للإمام، ولكن مجموع الكتب يخرج منها طالب العلم بنتيجة، ثَمَّ كتابان ترجم فيهما للشيخ محمد بن عبد الوهاب لعلماء خارج هذه البلاد:

الكتاب الأول: كتاب (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية

وسيرة دعوته) للشيخ محمد بن حامد الفقي، وهو كتاب جيد في بابه، فيه فوائد.

والكتاب الثاني: لمسعود الندوي (الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام ومصلح مظلوم ومفترى عليه)، وهو كتاب نافع في بابه، ثم لأديب العراق العالم الموحد محمد بهجت الأثري كتاب في سيرة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفي مجموع مؤلفات الشيخ التي طبعتها الجامعة جزء خاص بتراجم للإمام، المقصود هذا موضوع يطول، لكن ليس ثَم كتاب جمع ما بين التاريخ والعظات والعبرة [**محاضرة دروس وعبر من سيرة إمام الدعوة**].

كُتُبٌ لِكُلِّ بيتٍ

س ٥٨: ما هو أفضل كتاب يكون مرجِعًا لكل منزل يُعمر، يعني: مثلا (رياض الصالحين) المفروض أن يكون في كل بيت؟ فما أفضل كتاب تراه؟

الجواب: طبعًا في التفسير: (تفسير ابن كثير)، وفي التوحيد معروف كتب أئمة الدعوة: (تيسير العزيز الحميد) أو (فتح المجيد)، وأمثالها، وفي الفقه: (الروض المربع مع الحاشية)، مع حاشيته؛ لأن فيها اختيارات شيخ الإسلام، والأدلة. . . إلى آخره، وفي الحديث: كتب الحديث كثيرة، لكن من أمثلها: (شرح العمدة للشيخ ابن بسام)، أو (سبل السلام) و(شرح البلوغ)، كذلك كتب شيخ الإسلام، وابن القيم أيضًا، ويكون منها ما يصلح للبيت.

كِتَابُ فِقْهِ السُّنَّةِ

س ٥٩: يا شيخ أحسن الله إليك كتاب فقه السنة مثلًا: هناك ناس تريد كتابًا مختصرًا، يعني: يجمع كل الأبواب؟

الجواب: (فقه السنة) جيد في العبادات، لكن إذا أكملت بعد العبادات اختلطت الدعوة.

س ٦٠: أريد أن أقرأ كتابًا معينًا مختصرًا، ما هو؟

الجواب: (فقه السنة) جيد كان يعتني به في مصر الإخوان المسلمون؛ لأن السيد سابق ربما كان منهم، فكان أجزاء صغيرة يحملونها معهم في ذهابهم وإيابهم، ويدرسونها، فقسم العبادات منه جيد كمنهج؛ لأن فيه أقوالًا مرجوحة، لكن كمنهج الاستسلام للسنة.

س ٦١: منهج صاحب الكتاب فيه تقرير يا شيخ عن الشيخ عبد الرزاق ذكر من ضمن ما ذكر، قال عن حقيقة المؤلف: لا تمنع الاستفادة من الكتاب؟

الجواب: بالطبع ما في شك، هو للعبادات جيد، لكن الثاني: لا، فيه مواضع جيدة، ومواضع كلامه فيها ليس بجيد: كلامه في لبس الذهب ليس بجيد، كلامه في البيوع في بعض المسائل، التقسيط ليس بجيد.

س ٦٢: هل هناك كتاب غيره معين مثله، يكون جامعًا مختصرًا قصيرًا، يقدر الإنسان أن ينصح فيه كل سائل؟

الجواب: (الملخص الفقهي) للشيخ صالح الفوزان، ممتاز، ممتاز جدًا

السائل: وبلوغ المرام ياشيخ؟

الجواب: البلوغ طويل فقط، (الملخص الفقهي) جيد، (الملخص الفقهي) ممتاز حقيقة، إذا لم يقرأ (الروض وحاشيته)، يكون (الملخص الفقهي) جيدًا. [**مجلس ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ**].

تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ

هناك مخطوطة من ابن كثير مهمة في تركيا سمعتُ بها، ولا حصلت عليها، ما فيها قصة العتبي في آية النساء، وابن كثير الاختلاف في نسخه كثير، معروف من البقرة إلى الأنعام هذا كثير جدًا، وأكثر ما يكون الاختلاف في أول جزء من البقرة بين النسخ الخطية، وسبب الاختلاف ابن كثير نفسه، هو الذي منه الاختلاف؛ لأنه كتبه مرتين، فالنسخ القديمة لها حال، والنسخ الجديدة لها حال، لذلك تجد المطبوع لو تقابل الفاتحة في المقدمة والفاتحة طلعت بفروقات، بعضها فيها نقول زائدة، وبعضها فيها سقط، مثلًا: خمسة أسطر ما هو سقط، هو إضافات: أشياء أضافها، وأشياء حذفها، فيه أشياء حذفها.

س ٦٣: كثير من النسخ عند الشيخ عبد العزيز في المغرب فيها تغيير، مثلما تفضلت، لكنها فقط كلمات يا شيخ.

الجواب: لا. أبدًا ما هي بكلمات، فيها أسطر في الجزء الأول، يمكن كل الذي اعتمده النسخ كلها قريبة من بعض.

السائل: يمكن هناك الآن الأزهرية، وهناك الشعب؟

الجواب: الشعب والأزهرية هي نفسها، هذه كلها واحدة.

السائل: أجل الاختلاف الذي بها كله في السطور؟

الجواب: نعم، هذه التي ذكرتها متقاربة؛ لأن محمد رشيد رضا طبع على النسخة الأزهرية، والشعب طبعوا على الأزهرية، هم صرحوا بذلك؛ لأنها أكمل النسخ، هي أكمل النسخ، وليست بأصح، وهي أكمل النسخ.

السائل: وإن كان الشيخ يرى أنها هي الأصح في كثرة المقابلة، يرى أنها هي، أو نسخة الشعب، هناك نسخةٌ أخرى للشيخ مقبل.

الجواب: نعم، نسخة الشعب أكملها، أقول لك: هناك نسخة يعني أصح النسخ، قصدك المطبوعة، المطبوعة: الشعب أصح صحيح، المطبوعة أصح النسخ فيها الشعب، وخاصة في أسماء الرجال يقل الغلط، لكن يوجد نسخة في تركيا، التي ذكرتها لك، وذكرت لي، وفي بالي من زمن، وأنا أود أن أراها، ومشكلة قصة تفسير قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] هذه ذكر فيها مشكلة يحتجون بها.

السائل: التي أخرجها الشيخ مقبل وأبو إسحاق جيدة؟

الجواب: لم أرها.

السائل: طبعة السلامة جيدة؟

الجواب: لم أرها.

السائل: الغريب أن لها هذا الإشكال؟

الجواب: ابن كثير؛ لأنه هو أصله مختلف، مشكلته أن فيه اختلافا يعني: أوله فيه اختلاف، ما تقدر تتخلص منه.

س ٦٤: هل كان ابن كثير رحمه الله يحفظ المسند؟

الجواب: ما أعرف - والله - إنه كان يحفظه، لكن هو يستظهره، وينقل عنه نُقُولًا كثيرة، لكن حفظ المسند صعب، ذكروا عن شيخ الإسلام أنه كان يستظهر المسند، ونُقُولُ ابن كثير عن المسند تدل على عنايته به، كذلك في كتابه الأطراف. رحم الله ابن كثير، الله المستعان.

كِتَابُ مَرَاتِبِ الإِجْمَاعِ لِلكَوْثَرِيِّ

س ٦٥: كتاب مراتب الإجماع في حاشيته نقد مراتب الإجماع لابن تيمية، وفيه تعليق ما عرفت لمن؟

الجواب: هذا للكوثري، انتبه له؛ لأنه خبيث، تعليق خبيث، له تعليقات خبيثة، هذا الكوثري خاصة في التوحيد في الأخير انتبه له في آخره يعلق تعليقات سيئة.

السائل: حسنًا يا شيخ (حي على خير العمل) على ما ذكر ابن حزم أنها نقلت عن أحد السلف، والكوثري علق، أنا ما علمت أنه للكوثري، لكن كان يختمها بحرف ميم.

الشيخ: ميم بدون زاي؟

السائل: نعم. فقال هذا فيه رد على ابن تيمية، على ما يزعم ابن تيمية من عدم نقل هذا، هل هذا صحيح؟

هو طبعًا حتى (حي على خير العمل) بعضهم فهم، فمن نقل أنه قالها في الأذان، لكن هو قالها بعد الأذان، فكونها تظن أنها من الأذان لا يعني: بعد ما انتهى من الأذان، قال: «حي على خير العمل»، يعني: الصلاة، بدلًا من أن يقول: (حي على الصلاة) بعدما فرغ من الأذان، هو يأمر الناس: (حي على خير العمل)، و(على خير العمل) الذي هو الصلاة، فهم ظنوا أنها من الأذان، فأدخلوها في الأذان، وهذا غلط طبعًا، وحتى لو ثبت أن أحدا فعلها، فالسنة ماضية وهذا مخالف، والنبي ﷺ علَّم الأذان، والأذان جاء بوحي في ألفاظه، وحي رؤيا، رآها أحد الصحابة ﷺ، علمه إياه، علم الأذان في النوم تعليمًا كاملًا، واتفق عليها بلال وعمر ﭬ، قال: لقد رأيت الذي رأيت لما رآها عمر ﭬ، هي نقلت عن بعض أهل البيت، ولذلك تمسك بها.

كان أحد العلماء - وكان يجادل ملحدًا - يقول له الله ﷻ هو الخالق، فقال الملحد: أنا أخلق. قال له: الله ﷻ هو الذي يخلق، قال الملحد: أنا أيضًا أخلق. قال: كيف تخلق؟ أرني. قال: اصبر، ثمَّ أتى له بشريحتي لحم، ووضع في وسطها روثًا، ثم أغلقها، ووضعها، ثم قال: غدًا تعال لترى كيف أخلق، وفي اليوم التالي قال له: افتحها، ولمَّا فتحها وجدها كلها ديدان قال: أرأيت كيف خلقت؟ قال العالم: حسنًا إذا كنت خلقت، فكم عدد الديدان التي خلقتها؟ فبهت الذي كفر. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].

كِتَابُ (إِتْحَافِ السَّادَةِ المُتَّقِين) للزُّبَيْدِيِّ

س ٦٦: هل كتاب إتحاف السادة المتقين متاح ومطبوع؟

الجواب: نعم، مطبوع (إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين)، هو في عشرة مجلدات على نحو تاج العروس في عشرة مجلدات، لكن فيه صوفيات، الواحد ينتبه لها، مرتضى الزبيدي عجيب، ترجمته فيها عجب. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].

السائل: متى توفي مرتضى الزبيدي؟

الجواب: مرتضى الزبيدي توفي في ألف ومائتين وخمس.

السائل: وترجمته في أي من الكتابين، في أيهما؟

الجواب: أعظم من ترجم له تلميذه عبد الرحمن الجبرتي في كتابه التاريخ، هذا ترجم له ترجمة طويلة، وإذا أخذت تاج العروس طبعة الكويت ففي أولها ترجمة أيضًا له. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].

السائل: أليست تلك المسودة يا شيخ؟

الجواب: نعم أنا رأيته، العلماء فيهم زَبيدي، وفيهم زُبيدي، زَبيدي معروفة بلد في اليمن، ينسب إليها جماعة من العلماء، وزُبيد أيضًا ينسب إليه جماعة من العلماء، منهم الزُبيدي صاحب كتاب (لحن العامة) في اللغة متقدم، الزبيدي متقدم، وهناك غيره أيضًا. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].

السائل: الطبقات النحوية للزُبيدي؟

الجواب: هو كذلك أيضًا.

كُتُبُ السُّلُوكِ

س ٦٧: ما رأيك في دراسة علم السلوك؟

الجواب: أولًا ليس هناك شيء اسمه علم السلوك، علم يعني من حيث هو مسطر، ومبوب إلى آخره، لكن السلوك يدخل ضمن غيره من الرقائق؛ لذلك المحدثون كتبوا في كتبهم الرقائق: كتاب الرقائق والزهد، والرقائق إلى آخره، هذا السلوك، هو علمٌ، ما دون بشكل علم له أبوابه وتفريعاته إلى آخره، ما دُوِّن كعلم، وإنما بحسب ما أتيح.

س ٦٨: لكن الشيخ أبوبكر الطرطوشي، هو مثلًا له (أخلاق الملوك) أو كذا، والمحاسبي كذلك، لهم كذلك كتب كلها تدور حول هذا الموضوع، تدور حول السلوك.

الجواب: كتب السلوك كثيرة جداً بالمئات، لكن كعلم لا، ما دونت كعلم، السلوك إذا قيل: إنه علم، فمعناه إنه ضُبطت مبادئه، وقواعده، وأبوابه وأدلته، وانتهى، وصنفت فيه كتب منهجية.

هذا السلوك ليس فيه - بحسب ما أتيح - علم، وأكثر من اعتنى بذلك الغزّالي في (إحياء علوم الدين)، لكنه ما أجاد؛ لأنه خلط الغث والثمين. [**مجلس ٦/ ١٤١٨هـ**].



فائدة حول كتاب عجيب

مما اقتنيته مؤخرًا كتاب عجيب، ليس من كتب العلم، لكنه في بابه غريب. هذا أحد المستشرقين جاء لنجد، وجمَّع الأشعار الشعبية: أشعار للشعراء الشعبيين للحميداني، ومحسن الهزاني...، وغيره، وطبعها في لينبرج حوالي سنة ألف وثمانمائة وتسعين في مجلد أو مجلدين، شرح لها بلغتهم اللغة الألمانية مع ذكر الحالة الاجتماعية، تحليل القصائد، هو ثلاثة أجزاء، حصلت عليه قبل أسبوعين، ما قرأت لغته، لكن الأشياء التي انتقاها غريبة.

مداخلة: بالألماني يا شيخ أم بالعربي؟

الشيخ: بالألماني مجلدان للتحليل، لا يُعرف أنا ما مر عليّ من كلام أحد الباحثين أن المستشرقين اعتنوا بالشعر الشعبي النجدي.

مداخلة: هناك واحد كتب في هذا الموضوع يا شيخ؟

الشيخ: إذا كان في الموضوع، فما يُقدر بثمن كموضوع.

مداخلة: هذا يفيد تاريخيًا، يبين الحالة الاجتماعية والتاريخ، نجده مسجلًا.

الشيخ: ويل للشجي من الخلي!!، أنا أعتبر مثل هذه الموضوعات من أعجب ما يكون.

مداخلة: ما سر اهتمامه بهذا؟

الشيخ: هو محلل القصيدة، وما يتعلق بها، محلل قصائد الزهد، محلل قصائد الشجاعة.

مداخلة: القصد استعماري؟

الشيخ: نعم استعماري.

مداخلة: عامة الناس الآن ما يفهمون هذا القصد.

الشيخ: توجد عدة كتب مثلًا في روسيا - في معهد الدراسات في موسكو - اطلعت على اللغة العامية المصرية من القرن التاسع إلى القرن الحالي: اللغة العامية المصرية، تحليلاتها، وكذا، وتطورها، وكتابتها، والذي يُنطق منها في كتاب مشهور في أدب الصعيد، لكن في كتاب مشهور في أدب الصعيد: الأدب الشعبي بعجره وبجره، أكثر من اهتم بهذا الكتاب أهل الاستشراق، الذي هو: (هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف)، القحوف يعني: لعبة عندهم، المهم القصيدة هذه في وصفها، ولها شرح، هذه كانوا يهتمون بها فيها دعابات.

مداخلة: كان هناك طالب ألباني يدرس في جامعة الإمام، درس سنتين اللغة العربية، وقد بدأ من الصفر، وما كان يعرف شيئًا، بل كان يحفظ، وليس ذلك صعبًا.

الشيخ: الواحد إذا اشتهى شيئًا حصل عليه، هل هناك أحد يقول: أنا أعجز عن شيء، من النوادر الذي يقول: أنا أعجز عن هذا الشيء، لكن إذا

كان يريده بدأ بمقدماته، حتى يصل إليه؛ ولذلك من أحسن الأبيات قول أبي الطيب[1]:

وَلَمْ أَرَ فِي عُيوبِ النَّاسِ شَيْئًا   كَنَقصِ القَادِرينَ عَلَى التَمامِ

الواحد يريد شيئًا يحصله، لكن الهمة، ومن أحسن ما قيل في البواعث كتاب فيما كتب في ذلك (كتاب قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام)، قاعدة في المحبة يعني المحرك هي المحبة، محبتك للشيء هي المحرك له، لوتحب. **[مجلس١٤/ ٧/ ١٤٢٣هـ]**.

كِتَابُ الفُرُوقِ للقَرَافِي

س ٦٩: هل نستطيع قراءة (الموافقات) للشاطبي، ولو المقدمات؟

الشيخ: والله إذا كان الأمر فيه قراءة هناك شيء أهم من (الموافقات)، وهو: (الفروق) للقرافي، هو كتاب نفيس جدًا، علمٌ علم، طالب العلم إذا كان متمكنًا بشيء من الأصول، أو شيء من الفقه، أو كذا، الفروق ما تمله (الفروق) للقرافي، وبعد (الفروق) تقدر أن تقرأ قاعدة، أو فرقا، فرقين، حسب الوقت، فهو مهمٌ مهم. **[مجلس١٤/ ٧/ ١٤٢٣هـ]**.

❀ ❀ ❀

(١) انظر: ديوان المتنبي (ص ١٢٧)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٢٠٥)، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا (ص ٣٤)، والحماسة المغربية (٢/ ١٢٦١).

كِتَابُ لُمْعَةِ الاِعْتِقَادِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإن هذا اللقاء - الذي أسأل الله ﷻ أن يجعله مبارك الأرجاء - كان من أهدافه أن نعرفكم وتعرفونا، ومن أهدافه أن نتعلم شيئا من الجد في أيامنا وفي ليالينا؛ لأن المؤمن - وأخص طالب العلم - جاد أينما كان، لا يبذر وقته، ولا يذهب بجوارحه ولا بلبه عما فيه النفع له، وقد قال ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»[1]، وأعظم ما ينفع هو ما ينفعك في الدار الآخرة؛ لأن الدار الآخرة هي الحيوان، أي: ذات الحياة الكاملة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وإن من معالم الجد أن يستغرق الشاب من أمثالكم وقته فيما يعود عليه بالنفع في العاجل والآجل، ومن ذلك، بل أعلى ذلك طلب العلم النافع الذي به يستنير قلبه، ويصح عقله.

وإذا كان طالب العلم قد شغف بالعلم، وملأ قلبه وعقله وحياته، فإنه سيكون جادا فيه، وسيكون أحلى ما يمضيه من الوقت إنما هو في طلب العلم، حتى إذا تنوع الناس في لهوهم وفي متعهم وفي لذاتهم، كان طالب العلم صاحب لذة العلم؛ ولهذا كان من حسنات هذا اللقاء أن يكون معمورًا بالعلم النافع، وما من شك أن العلوم تتفاضل بتفاضل المعلوم، وعلم التوحيد وعلم العقيدة موضوعه والذي يعلم به هو: ما يستحقه الله ﷻ من

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نعوت الجلال والكمال والجمال، ومن استحقاقه العبادة وحده دونما سواه، وما يتبع ذلك من التصديق بما أنزل الله ﷻ على رسله، وعقيدة أهل السنة والجماعة هي أشرف ما يتعلمه الواحد منا؛ بها تصح القلوب، وبها يستنير الصدر، وينظر القلب إلى الأشياء على بصيرة، كما أن البصر ينظر الأشياء، فيعرفها، فالقلب إذا كان ذا بصيرة، نظر الأمور، فعرفها كما يحب الله ﷻ، ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] فالبصيرة للقلب كالبصر للعين، وإذا تقرر هذا، فإن من أنفس ما نتعلمه عقيدة سلفنا الصالح - عقيدة أهل السنة والجماعة -؛ لأن فيها المصالح التي ذكرت لك آنفا، هذه العقيدة قسمان:

الأول: هو توحيد العبادة.

والثاني: مجمل ومفصل الاعتقاد.

وفي الأصل أن توحيد العبادة من ضمن العقيدة المجملة والمفصلة، لكننا نرى أن كتب السلف - رحمهم الله تعالى - لم تجعل في أضعافها الكلام المفصل عن توحيد العبادة؛ وذلك لأجل عدم الحاجة إليه في ذلك الوقت؛ إذ المخالف فيه قليل، أو المخالف فيه معدوم، لكن لما جرت البدع، وارتفع لواؤها، كان من جملة ما ظهر الخلل الأعظم في توحيد العبادة: من الاستغاثة بغير الله، ومن التعلق بأحجار أو أشجار أو قبور أو نحو ذلك.

فصنفت مصنفات خاصة بتوحيد العبادة، وبقيت مصنفات السلف وما تفرع عنها شرحًا أو استنباطًا أو اختصارًا، بقي في العقيدة المجملة

أو المفصلة، ولهذا نقول:

القسم الأول: هو توحيد العبادة، وهذا له مصنفات خاصة.

القسم الثاني: العقيدة المجملة أو المفصلة لأهل السنة والجماعة، وهي التي سنستقبل الكلام على مجملها لبيان هذه الرسالة النافعة: (لمعة الاعتقاد) للحافظ الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله عبد الله بن أحمد صاحب الكتب المشهورة، التي منها (المغني).

سنرى في هذه الرسالة أنه لم يتكلم عن توحيد العبادة، وذلك كما ذكرت لك سالفًا: أن توحيد العبادة أفرد بمؤلفات خاصة، ولم يكن في وقت العلامة ابن قدامة رحمه الله، لم يكن في وقت ظهور للانحراف الأعظم في توحيد العبادة، وإنما بدأ بدايات نبه عليها في رسائل، ولم تكن مصنفات، حتى أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فكتب فيها كتابات مفيدة نافعة، وتبعه تلاميذه: ابن القيم، وابن عبد الهادي، وابن مفلح، وهكذا إلى وقتنا.

هذه الرسالة إذًا تمثل قسما من عقيدة السلف الصالح، وليست ممثلة لكل اعتقاد السلف الصالح - يعني: أهل السنة والجماعة -، الذين هم حقيقون بهذا الاسم، فإذا لم تر فيها بحثا عن توحيد العبادة، فسببه ما ذكرت.

بهذا نقول: إن دراستنا لهذه الرسالة لا تعني أنك عرفت التوحيد الذي يستحقه الله سبحانه وتعالى، أو عرفت عقيدة السلف الصالح، إنما عرفت قسمًا منها، فيبقى القسم الآخر الأعظم، ألا وهو ما يستحقه الله سبحانه وتعالى على عباده من توحيده وعبادته وحده، والإنابة إليه، وخضوع القلب له، والخشوع،

والخوف، والإجلال له ﷻ، ونحو ذلك من العلوم النافعة، يبقى ذلك يطلب في مظانه، ويؤخذ من كتب توحيد العبادة: إما مفصلة، وإما مختصرة **[الشيخ - حفظه الله - في ضيافة مدارس بدر ١٤١٢هـ]**.

فهذه الرسالة الموسومة بلمعة الاعتقاد من نبذ العقيدة، يعني من متونها المختصرة، وقد ضمت مباحث الاعتقاد، وأثنى عليها العلماء بعد الموفق رحمه الله، وهي حقيقة بأن تُفصل كلماتها وجملها، وأن تُبين مباحثها بشيء من التفصيل.

ولما كانت هذه الأيام الثلاثة التي نستقبلها لا تكفي، ولا تفي بأن تُشرح هذه العقيدة شرحًا وافيًا؛ لهذا سنمر عليها مرورًا فيه إيضاح كثير من مسائلها على شكل ووجه الإيجاز.

وهذه الخطبة التي ذكر المؤلف بين يدي كتابه ورسالته فيها ما يسميه علماء البلاغة: براعة الاستهلال، وبراعة الاستهلال يعتني بها أهل العلم، ومعناها: أن يضمنوا الخطبة التي بين يدي كتبهم، أو بين يدي كلامهم وخطبهم، يضمنونها ما سيتكلمون به أو يفصلونه، فلما كان بحث هذا الكتاب في الاعتقاد، وفي تنزيه الله ﷻ، وما يستحقه جل جلاله، وهذا أعلى وأعظم ما في مباحث الاعتقاد، ضمَّن هذه الخطبة الثناء على الله ﷻ، وذكر استواءه ﷻ على عرشه، وذكر علمه جل جلاله، وإحاطته بكل شيء، وذكر أنه ﷻ موصوف بما وصف به نفسه، وغير ذلك مما بينه في هذه الخطبة.

وأما خطبة الحاجة المشهورة التي وردت في حديث ابن مسعود وغيره، من أن النبي ﷺ كان يقول بين يدي حاجاته: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ**

وَنَسْتَعِينُهُ. . . »[1] إلى آخره، فهذه مشروعة بين يدي الحاجات، وكثيرًا ما كان يقولها ﷺ، ولكن ليس هذا أمرًا مطَّردًا، ولهذا أهل العلم تارة يبدؤون كتبهم وخطبهم ومؤلفاتهم بتلك الخطبة المعروفة بخطبة الحاجة، وتارة يجعلون خطبهم مبدوءة بما يريدون ذكره في خطبتهم أو مؤلفهم أو رسالتهم، وهذا هو الذي أسلفت لك أنه يُسمى براعة الاستهلال؛ ولهذا يجتهد أهل العلم في الابتداء بمثل هذا اللفظ العظيم الموجز، الذي يدل على المراد، بل ويتنافس العلماء في أن يضمنوا صدور خطبهم لكتبهم ولغيرها ما يريدون إيضاحه في كتبهم أو في خطبهم، ونحو ذلك.

المسألة الثانية: أن مباحث الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة مبنية على شرح أصول الإيمان الستة، ألا وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

فالإيمان بالله يشمل الإيمان بأنه ﷻ واحد في إلهيته، مستحق للعبادة دونما سواه، والإيمان بأسماء الله ﷻ وصفاته، وأنه واحد في أسمائه وصفاته، لا شبيه له، ولا مثيل في أسمائه وصفاته.

وهذا البحث - أعني الكلام عن الإيمان بالله - لم يكن في أول الإسلام - يعني: في القرون الأولى - لم يكن ثم حاجة إلى إفراد الكلام عن توحيد الألوهية بخصوصه، وإنما كانوا يكتفون بالإجمال فيه؛ لأجل عدم وقوع الشرك في هذه الأمة، وعدم ظهوره، فكانت جُل مباحث الاعتقاد فيما يتصل بمبحث الإيمان بالله عن الأسماء والصفات، وغيرها يُعرض له بشكل من

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٠).

الإجمال، لكن لما ظهر الشرك وفشا، كان لزامًا أن يُفرد هذا بالتصنيف؛ لهذا لا تجد في مباحث الاعتقاد التي في هذه الرسالة الكلام مفصلًا عن توحيد العبادة، وعن توحيد الإلهية بما اعتنى به العلماء من بعد، وإنما تجد الكلام مفصلًا في مباحث توحيد الأسماء والصفات؛ وهذا لأجل الحاجة إليه في زمن تأليف تلك الرسالة، فكلما كانت حاجة العباد إلى إيضاح أمر أكثر، اعتنى به أهل العلم وأظهروه.

إذًا كُتب توحيد الإلهية - توحيد العبادة - من مثل: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، ثلاثة الأصول، ونحوها من الكتب، هذه فيها بيان لتوحيد الإلهية، الذي هو أحد مباني العقيدة في ركنه الأول، الذي هو الإيمان بالله.

ثم يذكر الإيمان بالملائكة والكتب والرسل - كما سيأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى -، ثم الإيمان باليوم الآخر، وهذا يدخل فيه الإيمان بالغيبيات، إذا أتى أهل العلم للكلام على اليوم الآخر والإيمان به، فإنهم يذكرون الكلام على الغيبيات، وما يجب على المسلم اعتقاده فيها، وطريقة أهل السنة والجماعة فيها: المخالفة والمنابذة لطرق أهل الزيغ والضلال والبدع.

ثم الإيمان بالقدر خيره وشره، فإذا تم بيان أركان الإيمان الستة ذكروا ما يتبع ذلك من أمور الاعتقاد التي اعتنى بها أهل السنة والجماعة، وهي في أصلها ليست من مسائل الاعتقاد، لكنها أُدرجت في مسائل الاعتقاد؛ لأجل الحاجة إليها من جهة أن أهل السنة والجماعة خالفوا فيها أهل الزيغ

والضلال وأهل البدعة والفرقة، من مثل: الكلام في الصحابة ﷺ، ومن مثل: الكلام في أمهات المؤمنين، وحق أمهات المؤمنين جميعًا على المؤمنين بعامة، ومن مثل: الكلام في الإمامة، وما يجب من طاعة أولي الأمر في المعروف، وأن الإمامة واجبة، وأن البيعة للإمام الذي بويع متعينة ولا يجوز الخروج على الأئمة بجورهم، وتجب الصلاة خلفهم والجهاد معهم، ونحو ذلك من مباحث الإمامة التي خالف بها أهل السنة والجماعة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم.

كذلك يذكرون من مباحث الاعتقاد مثل: المسح على الخفين؛ وذلك مخالفة لمن لا يرى المسح على الخفين، كذلك يذكرون في مباحث الاعتقاد كرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات - كما هو معلوم -، ويبسطون ذلك؛ لأجل وجود من يخالف في الأولياء وفي كراماتهم من جهة إنكارها تارة - كما فعلت المعتزلة -، ومن جهة الغلو في الأولياء، حتى جعلتهم طائفة فوق منزلة الأنبياء، وهكذا مسائل الأخلاق تُذكر ضمن مسائل اعتقاد أهل السنة والجماعة.

إذًا فمعتقد أهل السنة والجماعة يشمل هذه الأمور جميعًا، وليس معتقد أهل السنة والجماعة خاصًا بالاعتقاد في الله ﷻ وأسمائه وصفاته واليوم الآخر والقدر - كما قد يُظن -، بل معتقد أهل السنة والجماعة يشمل هذا جميعًا؛ لأنه به فارقوا أهل البدع والزيغ، الذين يردون النصوص، ولا يلتزمون بالسنة، ولا يخضعون لها ويحكمونها على أنفسهم تحكيمًا تامًا وبهذا التوجه تميَّز أهل السنة؛ لأنهم يُعظمون السنة، ويُعظمون أهلها،

وينبذون من خالفها أو خالف أئمتها .

إذًا فنحن فيما نستقبل - إن شاء الله تعالى - سنعرض بإيجاز لهذه المباحث، التي سيذكرها المؤلف بدون تطويل ولا تفصيل، مع أنه كان ينبغي أن تُفصل، لكن لما كان الوقت قصيرًا، فإننا نكتفي بإشارات مجملة . **[الدمام ١٤١٤هـ]**.

كِتَابُ (صُبْحِ الأَعْشَى فِي صِنَاعَةِ الإِنْشَاءِ) لِلْقَلْقَشَنْدِي

يوجد في (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) للقلقشندي، في المجلد الأخير - الرابع عشر - مناظرات بين العلوم، كل العلوم عمل مناظرات بينها، صاحب التفسير يذكر فضائل التفسير، وأنه هو يفوق غيره من العلوم، وصاحب الفقه كذلك، والنحو. . .، وذلك في حوالي مائتي صفحة.

وهناك مؤلفات خاصة، يوجد مؤلف عندي جزء خطي في مناظرات العلوم، وهو مجلد لطيف خطي لمناظرات العلوم.

س ٧٠: إيرادات القلقشندي تدل على سعة علمه؟

الجواب: تدل على معرفة بالجميع، إذا كان هو الذي حررها، وأما إذا كان لا، هو أخذها؛ لأن هناك عددًا من الكتب مؤلفة في هذه المناظرات تشجع الطالب أن يعرف محاسن كل علم.

هو له كلمات حسنة - يعني: تحفظ - في كتابه الذي كله أمثال وحكم

(أطباق الذهب)، له حكم، وهو أعجمي ليس عربيًا، ومع ذلك أورد كلمة من الكلمات التي تحفظ، وفيها متانة، يقول:

فرقك ما بين العرب والعجم، هو فرقك ما بين الرطب والعجو، الرطب والصمع.

مداخلة: يعني ماذا؟

الجواب: يعني يقول الحلاوة والثمرة، وكذا وكذا، هذه في أي شيء؟ في الرطب، لكن استخراج النبات والاستمداد،`هو في الصمع نفسه، فالعرب هم الثمرة، يأخذون الشيء الأخير.

مداخلة: يقصد المدح أم الذم يا شيخ؟

الجواب: لا، هي مدح، هي مدح للجانبين، لكن يقول الذي يأخذ النهاية، الذي يأخذ الحلاوة، ويفهم الشيء هم العرب، لكن الأساس الذي يعطي ويتعب وكذا هم العجم.

يقول فيها أيضا: الزيت مخ الزيت، والحواشي مخخة المتون.

يعني المخخة، يعني: جمع المُخَيْخِ، جمع التصغير للتعظيم، له كلمات نفيسة فيه، نفيسة جدا، هي أطباق الذهب وحكم وبدائع. [**مجلس١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ**].

فائدة حول كتاب لسان العرب

كتب اللغة مثلًا كثيرًا ما ترجع إلى لسان العرب، ومن جهة البحث الدقيق لسان العرب مجموع من الكتب الخمسة، والكتب الخمسة الآن مطبوعة، إذا كنا في وقت مضى، لم تكن الكتب الخمسة هذه موجودة أو الستة، فلا بأس أن نرجع للسان العرب، لكن عندك لسان العرب خلط مادة التهذيب لأبي منصور الأزهري، والصحاح، وعددا والنهاية... إلى آخره. أنت تنقل منه، وتخلط الأقوال، دون رجوع إلى الأصول، وهذا عدم منهج، ثم تقول: لسان العرب، وبعدها تقول: الصحاح، مع أن لسان العرب هو الصحاح، يعني: أن فهم كتب اللغة والتعامل معها بمنهج هذا ما رعيته. **[مناقشة رسالة ماجستير]**.

فائدة

الآن عندك في صحيح مسلم: يتكرر أن تقول: (رواه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة)، (رواه مسلم كتاب الإمارة باب كذا)، (رواه مسلم كتاب وباب)، وهل مسلم فيه أبواب؟

الباحث: لم يبوبها الإمام عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشيخ: إذا كان ما بوبها مسلم، فتجعل صنيع فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكما على مسلم لما أدخل، ولذلك طبعة فؤاد عبد الباقي ينبغي أن لا يرجع إليها، وأن لا يجعل صحيح مسلم هو المتمثل في طبعة محمد فؤاد عبد الباقي؛ لأنه

جنى على مسلم جناية عظيمة، بأن جعل التبويب مثل تبويب البخاري: باب كذا. والتبويبات لمن؟ لشافعي، وهو النووي، أو للقاضي عياض، وهو مالكي.

فإذًا دخلنا في شيء غلط علمي كبير على صحيح الإمام مسلم؛ فمسلم لا يقال فيه: كتاب ولا باب، يقال رواه مسلم الجزء والصفحة، إذا كان الكتاب عامًا، تقول: في كتاب الصلاة، في أثناء كتاب الصلاة، أو في أثناء أحاديث مثلًا: سجود السهو، أما كتاب وباب هكذا، فهذا غلط علمي على مسلم - رحمه الله تعالى، وجزاه عنا خيرًا -، وهذا تكرر عندك كثيرًا.

الباحث: من باب التقريب للبحث، من باب التقريب، لا نسبة إلى الإمام مسلم رحمه الله، فمن أراد الرجوع إلى الحديث يرجع على الباب والكتاب.

الشيخ: هذا لابد أن يرضى عنه الإمام مسلم رحمه الله، لكن: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة، أنا طبعة فؤاد عبد الباقي ما أفتحها مثلًا، كيف أعرف باب وجوب قراءة الفاتحة؟ أما رواه مسلم في كتاب الصلاة، فلا ضير، والأفضل أنك ما ترجع لطبعة محمد فؤاد عبد الباقي، يعني: في التوثيق ترجع إلى طبعة إسطنبول؛ لأنها أصح النسخ المطبوعة.



فائدة في نقل أئمة الدعوة عن الزمخشري

أئمة الدعوة إذا نقلوا عن الزمخشري، فإنهم ينقلون ما أصاب فيه بقولهم: قال بعض المفسرين. هذه قاعدة، وأنت لو تأملت تيسير العزيز الحميد، وراجعت النقول على كتب التفسير، لوجدت هذا واضحًا، لماذا يرمزون للزمخشري؟ لأن الزمخشري معتزلي، ومن حق المسلم على علمائه أن يخمدوا ذكر المبتدعة، فما يذكرون (قال: الزمخشري)، بل (قال: بعض المفسرين)، وهو صادق في أنه بعض المفسرين، ولهذا هذا النقل بحروفه من الكشاف عند الآية، يعني: إلى قوله: (يُنتظر زوال المانع). يعني حوالي ثمانية أسطر. [**مناقشة رسالة ماجستير**].

كِتَابُ القَوَاعِدِ وَالأُصُولِ الجَامِعَةِ

هذا الكتاب من الكتب العظيمة المهمة لطالب العلم، وقد جمع فيه مصنفه رحمه الله بين فنين مهمين:

الأول: فن القواعد.

والثاني: فن الجمع والفرق.

وهو الذي سماه: (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة)، والفقه مبني على هذين: على قاعدة وفرق، والفروق يحصل منها التقاسيم، إذا فرقت بين صورة وصورة، صارت عندك أقسام،

وطالب العلم إذا أحسن التقعيد، وأحسن الفروق بين المسائل، صار إلى الأقسام، والتقسيم هو العلم، ولهذا ينبغي الاهتمام في الفقه بالقواعد، وبالجمع والفرق، وبالمقاصد، فهذه ثلاثة فنون عظيمة مهمة لكل متفقه، القواعد سواء كانت الكلية أو الجزئية متفق عليها، أو بحسب كل مذهب، وكذلك الفروق الجمع والفرق.

ثم الثالث: المقاصد، فإذا حصل طالب العلم هذه، فهم كلام العلماء في الفقه، يعني: فهمه برصانة، فهم الكلام كما يفهمه العلماء، أما من جهة الاستدلال على المسائل الفقهية، فإن أدلة الفقه ثلاثة عشر دليلًا، تصير إلى عشرين دليلًا عند العلماء، فمنها: النص من الكتاب والسنة، هذان دليلان، ومنها الإجماع، ومنها القياس الصحيح، ومنها قول الصحابي... إلى آخره، منها: القواعد، القاعدة دليل، وكذلك الفرق الصحيح دليل من الأدلة العشرين؛ فلهذا ينبغي لطالب العلم أن يهتم في الفقه بعموم الأدلة التي يستدل بها العلماء في مسائل الفقه، ومنها القواعد والفروق. [**شرح القواعد والأصول الجامعة**].

تُحْفَةُ الْطَالِبِ وَالجَلِيسِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، نبتدئ في قراءة هذا الرد المبارك والرسالة المهمة المختصرة في الرد على أحد أهل العراق في القرن الثالث عشر الهجري، الذين دعوا إلى عبادة الأضرحة والصالحين، وسوغوا ذلك، ولم يعدوا هذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وردوا على دعوة الإمام المصلح في هذه المسائل

وشبهوا، وأوردوا أشياء يأتي الرد عليها.

وفي الجملة الجهاد ضد المفسدين واجب مطلقًا، سواء أكان جهادًا باللسان والحجة، أم كان باليد والسنان، كل واحدة في زمانها، فالنبي ﷺ في مكة لم يؤذن له بالجهاد بالسنان وباليد، بل كان يُؤذَى باليد، ويُجعل سلا الجزور على ظهره، وهو ساجد ﷺ، وهو يصبر ويحتسب، وعُذب من عُذب من أصحابه، ولم يجاهدهم بيده ﷺ، لم يجاهد المشركين بيده؛ لأنه لم يؤذن له؛ وذلك لعدم الاستطاعة، ولأجل سريان الدعوة، وإنما جاهد ﷺ وأُمر بأن يجاهد باللسان والبيان - يعني: بالقرآن -، قال ﷻ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢]، وهذه آية مكية ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ يعني: بالقرآن، فجهاد المفسدين يكون بالقرآن، يعني: بالآي، بالسنة، بالحجة، بالبيان، بل هذا أعظم أنواع الجهاد؛ لأنه دائم لا ينقطع، وأما جهاد السنان، فإنه يكون في حال دون حال، وفي زمن دون زمن، وله شرائط... إلى آخره، فالجهاد بالحجة والقرآن واجب دائمًا، واجب على الأمة، فرض من فروض الكفايات، وهذا إذا تقرر، فمعناه أن العلم بما يحصل به هذا النوع من جهاد المفسدين، الذين يشبهون في دين الله، ويفسدون عقائد المسلمين، ويشبهون - يعني: يوردون المشتبهات - أو يضلون، هذا من أعظم القربات، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال ﷺ في الحديث الذين سمعتم في (كتاب أصول الإيمان): **«مَا مِنْ نبي بَعَثَهُ اللَّهُ فِى أُمَّةٍ قبلي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ**

بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١)، فجعل الجهاد باليد إذا أمكن، وصارت المصلحة فيه، من أنواع الجهاد، جعل الجهاد باللسان كذلك من أنواع الجهاد، هذا الحديث ما في الترتيب (ثم)؛ لأنه نوع جهاد قال: «**فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، والجهاد باللسان دائم، فلابد أن يكون من أمة محمد ﷺ طائفة ظاهرة على الحق ظهورًا بالحجة والبيان دائمًا في كل زمان، لهذا من أنواع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتابة الكتب وتأليف الرسائل في الرد على من يهدم الدين، ويدعو إلى البدع والضلالات، ويقول: «**يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ**» هذا واجب، وأعظمه جهاد المفسدين في التوحيد، وفي العقيدة، الذين يدعون إلى عبادة غير الله، أو إلى وسائل ذلك؛ لهذا انتدب الإمام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله انتدب نفسه في القيام بهذا الواجب في الرد على شبهات ذلك الرجل، الذي هو من أهل العراق، وكان مطلعًا على كلام ابن تيمية، وكلام ابن القيم، كما سيأتي من إيراده بعض الشبهات. [**تعليقات على تحفة الطالب والجليس**].

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

كِتَابُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن اهتدى بهداه، فأسأل الله لي ولكم العلم النافع، والعمل الصالح، والقلب الخاشع، والدعاء المسموع، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين من كل أمر نزاوله، أو نخوض فيه، ثم أما بعد:

فهذا الكتاب ألا وهو كتاب (عمدة الأحكام) كتاب جمع فيه الحافظ عبدالغني المقدسي الأحاديث التي انتقاها هو على ترتيب كتب الأحكام، هذه الأحاديث مما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهناك ألفاظ فيه مما رواها البخاري أو مسلم، وهذا الكتاب مما اعتنى به العلماء عناية فائقة، وتلكم العناية لأسباب:

الأول: لاختصاره، وهو أنه جمع نحوًا من خمسمائة حديث في الأحكام، وهذه الأحاديث صحيحة، كلها مما هو في الصحيح، يعني: مما في البخاري ومسلم، أو في أحدهما، ولاشك أن هذه المزية تجعل طالب العلم لا يحتاج إلى النظر في أسانيد هذه الأحاديث وفي متونها من حيث الصحة وعدمها، فهي أحاديث متفق على صحتها.

ومن أسباب العناية بذلك أن مؤلفها وجامعها ومختارها هو عبد الغني المقدسي، وهو من علماء الحديث الذين لهم قصب السبق بين أقرانه فيه، فقد كان رحمه الله متميزًا في ذلك، يُرحل إليه في الحديث، ولهذا فإن كثيرًا من العلماء قد اختصر بعض أحاديث الأحكام، ولكن لم يقع له قبول فيما كتبه، أو جمعه، أو ألفه، وهذه الرسالة الموجزة أو هذا الكتيب، وهو كتاب

(عمدة الأحكام) تلقاه العلماء بعد الحافظ عبد الغني رَحِمَهُ اللَّهُ بالقبول، فخاضوا فيه شارحين، ومملين عليه الفوائد، وبين حافظ له، وشارح، ومستنبط، فكثرت المؤلفات على هذا الكتاب، فمما كتب عليه من المشهورات: كتاب ابن دقيق العيد شرحه رَحِمَهُ اللَّهُ هذا، ولم يكتبه ابن دقيق العيد العالم المشهور الذي كان في عصره مرجعًا للعلماء في الفنون كلها: في الحديث، والفقه، والأصول، والقواعد، والاستنباط، والنحو، كان مرجعًا، وكان من أهل مصر، هو إنما أملاه إملاءً أحد علماء عصره، وهو عماد الدين بن الأثير، رغبة منه بعد أن حفظ، رغب عليه أن يملي عليه إملاء، فيه ذكر للفوائد والمسائل المستنبطة من هذه الأحاديث، التي جمعها الحافظ عبد الغني رَحِمَهُ اللَّهُ فأملى ابن دقيق العيد شرحًا إملاءً، لا كتابةً، قيده عنه عماد الدين بن الأثير الحلبي الشافعي في هذا الكتاب، وسمى ما جمعه (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام).

فإذًا نأخذ من هذا أن الحافظ ابن دقيق العيد لم يجمع هذا الكتاب، لم يؤلف شرحًا، وإنما أملاه إملاءً، فهو كالتقارير على كتاب (عمدة الأحكام)

ثانيًا: أن الذي جمع هذه من تقاريره هو عماد الدين بن الأثير، وهو غير الإخوة الثلاثة المشهورين ابن الأثير المؤرخ، وابن الأثير الأديب، وابن الأثير المحدث، غيرهم هذا عماد الدين بن الأثير متأخر عنهم بعض الشيء فُقد لما غزا التتار الشام سنة تسعٍ وتسعين وستمائة مع من فقد من العلماء، قتلوا في الشام.

من مميزات هذا الشرح أنه جمع فيه بين أنواع الاستنباط - الاستنباط من جهة اللفظ - المستفاد من قواعد اللغة، من النحو والبيان ونحو ذلك،

وكذلك مستفاد من قواعد الأصول - يعني أصول الفقه -، ولا شك أن هذا الكتاب تظهر فيه الصناعة الأصولية ظهورًا واضحًا، وتظهر فيه الصناعة العربية أيضًا من حيث الاستنباط، فإذا احتاج في الاستنباط إلى مسائل من العربية، وجدت أنه يخوض فيها خوض العارف البصير، وكذلك في الأصول كما سيأتي.

وابن دقيق العيد على اسمه، دقيق في استنباطه، دقيق في ما يشرحه ويبينه من المسائل - كما سيأتي -، وهذا من مميزات هذا الشرح، ومن مميزاته أنه على اختصاره ووجازته، فإن فيه من أصول الأحكام - الأحكام الفقهية - ما يُغني المتدبر فيه عن كثير من الكتب المؤلفة الشارحة لكتاب (عمدة الأحكام).

نعم، إن كتاب (عمدة الأحكام) شُرح شروحًا كثيرةً، شرحه ابن الملقن مثلًا في شرح ممتع كبير، بعد ابن دقيق العيد، وشرحه أيضًا جماعة من الحنابلة من المتقدمين والمتأخرين، اعتنى به العلماء، ولكن يبقى هذا الشرح من إملاء الحافظ العلامة ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، متميزًا على غيره من الشروح؛ لما آتى الله جَلَّ جَلَالُهُ هذا العالم العلم من علوم مختلفة، صاغها في هذا الكتاب، ولم يزل العلماء يحتاجون إليه.

فلا غرو أن كتب عليه محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني المعروف صاحب (سبل السلام) كتب عليه الحاشية المعروفة، المطبوعة في أربعة مجلدات، تتبع الأقوال في هذا الكتاب الذي هو شرح العمدة، والمهم أنك لو تابعتني فيه يكون عندك فهم لملكة الاستنباط: كيف تستطيع أن تستنبط، وكيف تنظر إلى الحديث، وتستطيع أن تخرج أقوال العلماء بدون نسبة من

الحديث، الحديث فيه ظاهر، أكيد تجد من يقول بالظاهر، فيه علة، تجد من يقول بالعلة.

ولهذا كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله حين كان يدرس بعض مشايخنا ذكر لنا أنه كان ينظر إلى الحديث، ويعلمهم كيف يستنبطون الأحكام من اللفظ، دون نظر إلى الأقوال؛ لأن هناك من يرون بالظاهر، هناك من يرى الأخذ بالقياس، هناك من يرى التعليل، هناك من يرى إبقاء العموم على عمومه، وعدم الأخذ بالخصوص...، إلى آخره، فإذا عرفت مناهج العلماء بعامة، ممكن أن تأخذ من الحديث أن فيه أقوالًا في الغالب، كيف يكون عندك ملكة الاستنباط؛ حتى تشارك في تقوية هذا القول أو في تضعيفه وهذا المقصود من هذا الشرح، يعني: ليس المقصود الأقوال وتتبعها؛ لأن الكتب التي بسطت فيها الأقوال كثيرة، ولكن المقصود إعطاؤك طريقة للاستنباط، وإحياء ملكة الاستنباط من النصوص من الأحاديث بسبب هذا الكتاب. [**تعليقات على إحكام الأحكام**].

كِتَابُ بِدَايَةِ المُجْتَهِدِ

س ٧١: هل (بداية المجتهد) كتاب أصول؟

الجواب: (بداية المجتهد) كتاب فقه، ذكر فيه المسائل واختلاف العلماء فيها، ثم يذكر مأخذ كل قول، يعني: هذا ما وجهه؟ قد يكون مأخذه من الآية، من اللغة، من حديث، قد يكون مأخذه من قاعدة أصولية، قد يكون مأخذه من الحال، العمل، يذكر ذلك كله [**تعليقات على إحكام الأحكام**].

الْكَافِي فِي فِقْهِ الإِمَامِ أَحْمَدَ

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا كتاب الموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الفقيه المصنف في مذهب الإمام أحمد المعروف رحمه الله وأجزل له المثوبة، صنف كتبًا كثيرة في المذهب، جمع فيها بين وضوح الترتيب وسهولة العبارة، وما بين إيراد الأدلة في كل مصنف بحسبه، وهو قد صنف في الفقه عدة مصنفات، وأشهرها أربعة:

أولها: (العمدة في الفقه)، وهو للمبتدئ، وقد ذكر في العمدة حديثًا أو آية في كل باب أو كتاب هي كالأصل لذلك؛ لأن كتاب العمدة خالٍ من الأدلة في أصل تصنيفه؛ لأنه كمتن يعتمد عليه في الحفظ والدراسة.

والثاني: هو (المقنع)، وهو الذي اختصر في (زاد المستقنع)، وجعله أوسع من العمدة، جعله فيه ذكر الروايات في بعض المسائل.

الثالث: توسع فألف (الكافي)، هذا الذي نقرؤه، والكافي -كما ذكرت- تميز بحسن الترتيب، وكثرة الفصول والتقسيمات، وثانيًا: بإيراد الروايات، ولا يقتصر على روايتين -كما في (المقنع)-، بل ربما أورد ثلاث روايات في المسألة -يعني: عن الإمام أحمد-، ويذكر الأدلة فيه، وما ذكره من الأدلة ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما وجده في كتب من تقدمه، وهذه يذكر الدليل بحسب ما عثر عليه، قد يكون لا يعرف تخريجه، وقد يكون مشهورًا، وقد يكون ضعيفًا،

وقد تكون الحجة فيه ليست جيدة، وقد يكون قويًا . . . ، إلى آخر أصناف ما يورده المصنفون في كتبهم.

الثاني: أدلة أوردها هو، وهي ليست موجودة في كتب الفقه، وأوردها احتجاجًا في كتب الفقه، وإن كانت موجودة في الكتب الأخرى، ولكن أوردها احتجاجًا لما عليه مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

هذا الكتاب مهم، سهل العبارة، واضح، جامع، ترتيبه جيد، فصوله واضحة، وهو من أحسن الكتب.

الكتاب الأخير هو كتاب (المغني)، ذكر فيه الخلاف العالي والنازل، وذكر فيه أول الخلاف في مذهب أحمد والأدلة، ثم ذكر قبلها خلاف الأئمة والسلف والأقوال المختلفة، وهو كتاب جامع كبير، معروف لديكم، فيه خلاف المتقدمين والمتأخرين، والخلاف العالي والنازل، وفيه الروايات في المذهب والأدلة، وفوائد كثيرة متنوعة. **[شرح الكافي]**.

مُفْردَاتُ القُرْآنِ لِلرَّاغِبِ الأَصْفَهَانِي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

إن من أعظم ما ينفع في فهم مفردات اللغة، وفي فهم التفسير المعاني الكلية والاشتقاقية، التي يدور عليها تصريف الكلمة واشتقاق الكلمة، وهذا مفيد في فهم أصل اللغة وتفرعها والاشتقاق، وفي فهم موارد الكلام في القرآن، وفي فهم كلام السلف في التفسير المتنوع؛ لأنه مرتبط بهذا كله، ومما يفيد منه طالب العلم كثيرا في هذا الباب الكتب المعتنية بغريب القرآن

من المتقدمة، وكتب اللغة المهتمة بالتأصيل والاشتقاق، ومن أمثلها كتب ابن فارس، خاصة مقاييس اللغة له، التي يرجع فيها الكلمات إلى أصل أو أصلين أو أكثر، وهو نادر، فيجعل الكلام في اشتقاقه كلمة في اشتقاقها تدور على هذه المعاني - واللغة العربية تفضل سائر اللغات بدوران المعاني مع الكلام - حتى في بعض الكلام مع القلب في الاتفاق، ومع القلب في المضادة.

مثاله في الاتفاق: كلمة «كلم» نفسها، في أن الكلم إذا أدرت الحروف فيها القوة والشدة، وإذا قلت: (ملك) أيضا فيها القوة والشدة، وإذا قلت: (لَكَمَ) أيضا فيها القوة والشدة، وإذا قلت: (كمل) فيها القوة والشدة. . . إلى آخره.

هذا في الاتفاق وفي المضادة، خذ مثلا كلمة (حَزَمَ)، وهي تدل على ضبط الأمر، وعدم التساهل، أو ترك الوقار، وإذا قلبت الكلمة في نفسها صارت (مزح)، التي تدل على ضد المعنى الأول، وهكذا في آثار كثيرة من اللغة يشرف بها هذا اللسان العربي، الذي شرف أيضا بأن كان القرآن العظيم باللغة العربية.

هذا الكتاب كتاب (مفردات القرآن) للراغب، مفيد في المعاني الاشتقاقية وفي الوجوه والنظائر التي في القرآن بإرجاع الأسماء المشتركة والمتواطئة إلى معنى واحد تدور عليه، ومثاله هذه الكلمة التي جاءت.

كلمة (الأب) قال: إن الأب في اللغة في أصلها هو التأبية، أبَّ يعني: أبه، غذَّاه؛ ولذلك قيل للمرعى أبا ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١]؛ لأنه ترعى

منه الأغنام، فتسمن، فيكثر صوفها، ولحمها، وشحمها، وحليبها . . .، إلى آخره.

الأب الذي ما فيه من الغذو بما فيه من الرعاية قيل له: أب؛ لأنه يغذو الابن، ويغذوه بحليبه، الذي حملته الأم عن طريق وقاع هو فعله بالأم، لهذا قال الصحابي في حضرة النبي ﷺ لما جاء في قصة الولد وما يأخذ من المال ساق بالأبيات(١):

غَذَوْتُكَ مَولُودًا وَعُلْتُكَ يافِعًا تُعَلُّ بِمَا أَجْنَي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ

غذوتك، الأب يغذو؛ ولذلك سمي أبًا، كذلك الأم والأب يشتركان معا في أنهما أبوان، ولكن لا يقال، الأب والأم أمان، لأمرين:

أولًا: لشرف الأبوية، أو زيادة الرجولة منزلة، والولد ينسب إليه، فتضم الأم إلى الأب من باب التغليب والتبع.

والثاني: لأن معنى التغذية في أصل الكلمة من حيث الاستعمال اللغوي.

إذا نظرت إلى تفاسير السلف في القرآن، تجد أنها في كثير منها، بل في الأكثر تدور حول الاجتهادات اللغوية؛ فلهذا ينبغي لمن أراد أن يعلم التفسير أن يكون حاذقا باللغة؛ ولا حذق في التفسير بدون أن تكون حاذقا بلغة العرب في مفرداتها، ونحوها، وصرفها، وفي الاشتقاق، وفي علوم اللغة المختلفة.

---

(١) انظر: تاج العروس (٣٠/ ٧١)، وديوان الحماسة (ص٣١٤)، وذيل جمهرة الخطباء (٣/ ٢٧٣).

هذا الكتاب كتاب المفردات للراغب - كما ذكرت لك من قبل - كتاب جيد في بابه، لكنَّ صاحبه مع تبحره في اللغة والتفسير والبلاغة إلا أنه في المعتقد ليس على طريقة السلف، بل يؤول الصفات الخبرية، أو الصفات الذاتية، والصفات الفعلية لله ﷻ قبل الدخول في الإتيان وتصريف المادة، قوله هنا: ونحو ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: بالأمر والتدبير، هذا من تأويلات الأشاعرة المعروفة، والحق الذي يجب أن يعتقد هو أن الله ﷻ له صفاته اللائقة بجلاله وكماله، وأنه ﷻ يجيء مجيئا - كما وصف نفسه - ليس كمثله مجيء، وكما يليق بجلاله وعظمته، فالله ﷻ هو الذي وصف نفسه بالمجيء، أو الذي وصف نفسه بالإتيان، وهو الذي وصف نفسه بالنزول، وهو الذي وصف نفسه بالغضب والرضا، فنثبت ما أثبته الله ﷻ لنفسه؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله ﷻ، وتقدست أسماؤه، فاحذر من هذه التأويلات التي تكثر في كتب التفسير، وفي كتب اللغة أيضا: من تأويل آيات الصفات على غير وجه السلف، وإخراج هذه الآية عن ظاهرها وعما دلت عليه من إثبات الصفات لله جل جلاله.

قال: (الإتيان هنا مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أتى، وأتاوي، وبه شبه الغريب، فقيل أتاوي).

المقصود من هذا: أن التفريق ما بين الكلمات المشتبهة في المعنى المتقاربة في المعنى هو الأصل، وهو الذي ينبغي سلوكه، وهو أن المجيء غير الإتيان، الإتيان هنا فسره بالمجيء، لكنه مجيء موصوف. **[شرح مفردات القرآن للأصفهاني]**.

كُتُبُ الْمُفْرَدَاتِ

س ٧٢: يا شيخ أحسن الله إليك، بالنسبة لتعلم المفردات والاشتقاقات تكون بالمطالعة كثيرا؟

الجواب: المفردات بالمطالعة، خاصة المصباح المنير، ومختار الصحاح، هذه من أنفع الكتب، لو يقرأها الواحد مرتين أو ثلاثًا، خمسًا، عشرًا، مجلدًا، مجلدًا، تعطيك ذخيرة لغوية كبيرة ومعرفة، لو تستطيع أن تقرأ الكتب الكبيرة مثل: تهذيب اللغة للأزهري، أو لسان العرب، هذا خير على خير، تهذيب اللغة للأزهري بالذات نافع؛ لأنه رابط بالكتاب والسنة وكلام السلف، متقدم هو في ثلاثمائة.

أما كتب اللغة المتأخرة، فقد اعترتها البدعة، واعترتها الأقوال التي فيها اجتهادات، وتوسع دخول المجاز بكثرة، والأقيسة التي لم ترد في اللغة أصلا، كتاب الراغب، ومثل: الزمخشري في الأساس، ومثل: الصغاني، وجماعات على هذا النحو. **[شرح مفردات القرآن للأصفهاني]**.

فائدة

معجم مقاييس اللغة، لأبي زكريا أحمد بن فارس، معروف من كبار اللغويين كتاب معجم مقاييس اللغة، وهو أنفع الكتب على الإطلاق - كتب اللغة - في معرفة ما تدور عليه الكلمة من المعاني.

أنا ذكرت لك أن الاشتقاق مهم، بأن تعرف أن الكلمة تدور عليها

الاشتقاقات المختلفة، فإذا عرفت معنى الفعل أو المصدر، فإنه إذا تصرف منه أي تصرف، أو جاء بعد الاشتقاق الأكبر مع تغير الحروف، فإنك تعلم المعنى؛ لأنك علمت الأصل.

ابن فارس في المقاييس اهتم بهذا، وجعل اللغة راجعة إلى أصول، كل مادة راجعة إلى أصول، وتارة يكون دوران الكلمة على أصل، كل المعاني تدور على أصل واحد، يعني: المعنى الكلي واحد، تشتق منه الفروع، وتتعدد منه، وتارة تكون ثَمّ أصل ثانٍ لمعنى الكلمة.

فيقول: مثلا الهمز والباء، والدال، معنى صحيح واحد، أو يقول: أصل صحيح واحد، أو يقول: أصلان، الأول والثاني، ما معنى أصلان؟ يعني: أن الكلمة تدور على أصلين في الاشتقاق، وهنا تعرف أنه يستطيع العالم باللغة أن يحمل الواحد على الأخرى، تارة لا يستطيع أن يحمل الواحدة على الأخرى، فيكون ثم أصلان أو أكثر، هنا مثلا قال: الأوابد ما هي؟

الأوابد: الأشياء الموحشة، ويقال: للبقرة الوحشية أو للبقرة الوحش: أوابد؛ بأنها متوحشة، وتأبدت الدار: خلت، وجعلت فيها الأوابد أي: صارت موحشة. . .، وهكذا، هذا معنى آخر للإيحاش، الإيحاش معنى آخر غير معناها الزمن الذي لا ينتهي، والقرآن جاء في الأول، ولم يأت في الثاني. [**شرح مفردات القرآن للأصفهاني**].



كُتُبُ الرُّدُودِ

س ٧٣: ما المقصود بكتب الردود يا شيخ؟

الجواب: كلّ كتب أئمّة الدعوة... كلّها؛ لأنّ هذا الباب هو الّذي حصل فيه - باب الاستغاثة والدّعاء - هو الّذي حصل فيه الخصام، اقرأها كلّها، تبدأ من كتاب (الصارم المنكي في الردّ على السبكي)، وكتب أئمّة الدعوة جميعًا من (رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، من (كشف الشبهات) إلى آخر الكتب المؤلفة في هذا الباب (صيانة الإنسان)...، هذه تهتمّون بها في كتب الردود؛ لأنّها تقوّي الحجة، وتفتق الذهن، أمّا مثل ما نرى في هذا العصر من يقول: اسكتوا، لا تنكروا، هذه مسائل تفرق بين الأمة، ولا تنكروا الشرك، وهذا كذا، والناس في توحيد، هذا كلّه ضلال مبين؛ لأنّ الله ﷻ حكم على أولئك المشركين بقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ [الأحقاف: ٥] فالّذي يتوجّه إلى ضلال غيره بالإنكار هو في الحقيقة ما سلّم بهذا الأمر؛ لأنّه لو سلّم أنّ هذا هو غاية الضلال وأعظم الضّلال، فإنّه سيتوجّه إليه؛ فيغار قلبه على هذا الأمر؛ لأنّه هو محض حقّ الله ﷻ. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ٧٤: لماذا كثرت كتب الردود في مؤلفات أئمة الدعوة - رحمهم الله- وهل صحيح أن كتب الردود تُقَسِّي القلوب؟

الجواب: أولًا يُعْلَم أن رد الباطل وتفنيد الحجج هذا في القرآن، الله ﷻ هو الذي ساق حِجاج المشركين، وما يستدلون به في المسائل العقدية وفي

المسائل الفقهية، فرد عليهم ﷻ ببيان الدين في ذلك.

ففي المسائل العقدية في التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، الآيات في ذكر رد ما اعتمد عليه المشركون في شركهم بالله ﷻ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، مسألة الشفاعة أبطلها الله ﷻ في سورة الزمر.

كذلك في المسائل الفقهية ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، رد الله ﷻ عليه، في مسألة الذبح في سورة الأنعام حينما قالوا: إن ما ذبح الله أحل مما ذبحناه، يعني: الميتة أحل مما ذبح وذكي.

إذا فالأصل في الرد أنه شرعي ومطلوب؛ لأنه يوضح الحجة في جواب تلك الأسئلة، وجواب تلك الحجج الباطلة التي يحتج بها المخالفون أو المشركون والضالون، كلٌ على حسبه.

إذا كان الأمر كذلك، فالردود سنة ماضية من وقت السلف، وهناك كتب ردود سواء في المسائل العقدية أو في المسائل الفقهية.

في المسائل الفقهية: يوجد رد على الإمام مالك، يوجد رد على أبي يوسف، يوجد محاكمة بين فلان وفلان، في المسائل العقدية: الرد على بشر المريسي، الرد على فلان وفلان...، وهكذا.

في الوقت الذي تشتد الحاجة فيه للرد على خصوم أثروا، فلابد هنا من الرد، رد شيخ الإسلام ابن تيمية على فئات من الناس: رد على الفلاسفة،

ورد على غلاة الصوفية، ورد، ورد. . . ، إلى آخره، ورد على الشيعة.

إذًا إذا كانت هناك حاجة دينية، فإن هذا من إيضاح الحق، وإقامة الحجة، وإنكار المنكر، كذلك في وقت أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى -، لما قام الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ بالدعوة السلفية، ورد عليه كثير من خصومه، فانتدب عدد من علماء الدعوة أنفسهم أن يردوا على هؤلاء؛ لإيضاح الحق، وبيان ما لبسوا به على الناس، هذه سنة ماضية، هنا المبالغة في طلب العلم عن طريق الردود ليست من سمة أهل العلم.

العلم يطلب عن طريق الكتاب، السنة، كلام أهل العلم، ما فصلوا فيه من المسائل: الكتب، الشروح، الفتاوى. . . ، ونحو ذلك.

أما الرد، فهو لرد الشبهة، أو رد ما يقال، فإنه يتعلم؛ لكي يعرف كيف يرد على الناس إذا أوردوا مثل هذه الشبهة، فإذا كتب الردود لاتلغى، ولا يبالغ فيها، المبالغة فيها أن يكون الإنسان مقتصرًا على الرد، أو أنه لا يتلقى العلم إلا عن كتب الردود، فهذا يعطي شيئًا من عدم الصواب في فهم الدين، أو فهم الدعوة.

إذا فهي تقدر بقدرها، فهي جزء من إنكار المنكر، وكما تعلمون لو يأتي واحد اليوم، ويقول أنا آخذ الدين من إنكار المنكر، ولن يكون عنده دعوة للخير، ولا أمر بالمعروف، ولا فقه في دين الله ﷻ، لكن فقط يقتصر على إنكار المنكر، فيكون عنده صواب كثير، لكن يفوته من الدين الكثير أيضًا؛ لهذا يُعطى كل شيء بحسبه، والتوازن دائمًا هو سمة أهل العلم والصالحين.

[سمات شخصية المسلم].

كِتَابُ الْحُجَّةِ عَلَى تَارِكِ المَحَجَّةِ

س ٧٥: كتاب (الحجة على تارك المحجة) موجود يا شيخ؟

الجواب: والله أنا لا أعرف إذا كان موجودًا أم لا، لكن المختصر موجود، وأظنّه مطبوعًا، لكن الأصل لا نعرفه، وقد سبق أنّي بحثت عنه طويلًا، لكن ما وجدته. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

الرسالة التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

س ٧٦: عن الرسالة التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الجواب: الموجودة في الفتاوى، طبعت مستقلة، وطبعت ضمن الفتاوى في المجموع الأخير، وحققت أيضا رسالة في الجامعة، والمطبوع ناقص، ولو راجعت المحققة - نسيت أي الإخوان حققها، فبحثها بحثا وافيا -، ويقال لها: التسعينية، ولها اسم آخر ما يحضرني، الذي اختصرها من؟ الشيخ محمد؛ لأنه ما ذكر الأطيط، الشيخ محمد ما ذكر الأطيط، وإنما ذكره الشارح، يمكن هذا قصده، وهذا تعليق من؟ الشيخ عبد العزيز أو محمد الفقي. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.



كِتَابُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ لابْنِ القَيِّمِ

س ٧٧: ما رأيك في كتاب مدارج السالكين لابن القيم؟

الجواب: مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله شرح به كتاب (منازل السائرين) لعبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الإمام شيخ الإسلام المعروف، فإنه ألف منازل السائرين، وكان الهروي من أئمة الحنابلة، وكان شديدًا على أهل البدع، وفي الاعتقاد وأشباهه، وكان له مقامات عظيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصره للسنة، لكنه كان في السلوك على طريقة بعض الصوفية، ذكر هو في أوله أن المقامات ألفٌ - كما ذكرها عن بعض العلماء أو بعض الصالحين - أن المقامات التي يتنقل فيها العبد ما بين الظلمة إلى النور ألف مقام، يعني: ألف منزلة.

فقال: هذا الكتاب جعلت فيه من المنازل ما يكفي الساحر، ويخلص به من الظلمة إلى النور، وقد خلط في أصله - يعني في منازل السائرين - مابين حق واضح، وما بين عبارات موهومة شارك فيها الصوفية، ومعلوم أن العبارات المجملة يمكن أن تفسر بتفسير يوافق الباطن، ولهذا شرح عدة شروح، منها شروح صوفية غالية من أصحاب وحدة الوجود، ومنها شروح صوفية من أصحاب الطرق، ومنها شرح سلفي، وهو شرح ابن القيم رحمه الله، وابن القيم لما شرحه أراد أن يكون مرجع الناس في شرح الكتاب كتابه؛ حتى يسلم الناس من مراجعة الشروح الباطلة، وهي منازل مفيدة، لكن تحتاج إلى من يفهمها على وجهها؛ ولهذا شرحه ابن القيم، وبين مراده بتلك

المنازل، ونقل من عبارات القوم ما يكون فيه فائدة إن شاء الله، فالكتاب نافع للغاية، وأصل في السلوك هو وكتاب (التحفة العراقية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(قاعدة في المحبة)، (شرح كلمات من فتوح الغيب)، هذه الكتب الأربعة أصل في معرفة طريقة السلف في السلوك، ابن القيم تساهل قليلا رحمه الله في بعض المسائل، لكنها تفهم على وفق ما جاء في النصوص، خاصة في العبارات. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ٧٨: قال أحمد رحمه الله أو ما ينسب إليه: الملاحم، والمغازي، والتفسير (ثلاثة ليس لها أصول)، وإذا صحت كيف تفهم على قصده رحمه الله؟

الجواب: هذه كلمة صحيحة عن الإمام أحمد قال: (ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والمغازي، والملاحم)، ويعني بها: التفسير بالاجتهاد، ليس التفسير بالأثر، والمغازي التي صنف بها مثل: الواقدي كتابه فتوح الشام، والمغازي، إلى آخره، هذه أسانيدها ليست كذلك، والملاحم التي تذكر أنها ستكون، أو كانت مما كان يستعمله أهل القصص في ذلك الوقت، وربما ركبوا له أسانيد، فهذه ليس لها أصل ثابت؛ لأنها لم تكن عناية السلف من الصحابة بنقل هذه الأشياء، إنما نقلوا التفسير المأثور، ونقلوا سيرة النبي ﷺ، أما المغازي التفصيلية والملاحم، ما كان وما سيكون، فهذه لم تكن من العلم النافع الذي كان يعتني به السلف - رحمهم الله -. [**شرح الطحاوية**].

❀ ❀ ❀

كِتَابُ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ لِلْقَزْوِينِيِّ

س ٧٩: كتاب عجائب المخلوقات للقزويني نقل في البداية كلام الفلاسفة؟

الجواب: هذا كلام ليس بفلسفة؛ لأن هذا كلام يتعلق بالمخلوقات؛ لأنه أصل علم المخلوقات من علوم الفلسفة، ما الفلسفة؟ هي: طلب معرفة حقائق الأشياء، يعني: مثلًا هذا ما حقيقته؟ صنعة الطيارة فلسفة، صنعة المكيف فلسفة، الورق صنعته من شغل الفلاسفة؛ لذلك العلماء الطبيعيون وعلماء الآلة. . . ، إلى آخره هم في الأصل فلاسفة؛ لأنهم طلبوا حقيقة هذه الأشياء؛ ولهذا درج كثير من المؤلفين على أنه إذا ألف في أشياء تتعلق بالمخلوقات أو المصنوعات أن يذكروا شيئًا من الفلسفة؛ لأنها هي المدخل لذلك. والفلسفة تعرف أنها خمسة أقسام أو ستة، منها الطبيعية. **[شرح أصول الإيمان]**.

مداخلة: كان في ما ذكر معجزات الأنبياء؟

الجواب: لأنه متعلق بالحيوانات التي ذكرها، هو فلسفي على كل حال، له كتابان مشهوران: (من عجائب المخلوقات)، وله كتاب ثانٍ في الرحلة فهو متكلم ورحالة، لكن تأثر بأهل الكلام، وليس بعالم عقيدة يوثق فيه.

س ٨٠: هل تذكر لنا كتابًا ذكر ما يحصل في يوم القيامة مرتبًا، واهتم المؤلف بالأحاديث الصحيحة؟

الجواب: الحافظ ابن كثير في كتابه النهاية ذكر ذلك مرتبًا جيدًا في علم

واسع فيه، وثم كتاب - لكنه لم يطبع - للسفاريني ذكر فيه أهوال القيامة وما يحصل فيها: من النشور إلى دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار مرتبًا، وذكر فيها الأدلة، لكن طبع جزء منه في الهند قديمًا - الجزء الأول منه -، ولم يطبع بقيته؛ فهو في حكم المفقود، وأظنه حقق رسالة، إما في كلية أصول الدين أو شيء، لكن لازال لم يطبع. **[شرح العقيدة الواسطية]**.

س ٨١: ما أفضل الكتب التي تنصحون بقراءتها، والتي تتحدث عن طاعة ولي الأمر؟

الجواب: كتب العقيدة بعامة كلها فيها هذا المبحث، وهناك مصنفات مستقلة في ذلك بين رسائل مختصرة ومطولة، لكن كتأصيل هي في كتب العقيدة، ففي شرح الطحاوية يوجد بحث جيد، وكذلك في لوامع الأنوار للسفاريني أيضًا كذلك، جمع النصوص فيه، وفي كلام شيخ الإسلام وابن القيم من ذلك الكلام الجزيل المفيد. **[شرح العقيدة الواسطية]**.

س ٨٢: أين ذكر شيخ الإسلام أن التحريف في الكتب وقع في المعنى دون اللفظ؟

الجواب: هذا في كتابه المشهور: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، ومن أراد الجواب بشيء، فهي موجودة في كتاب: (إغاثة اللهفان) لابن القيم؛ فقد ذكر فصلًا طويلًا في التحريف، وما وقع والأقوال في ذلك: قول البخاري، وشيخ الإسلام، وقول عدد من أهل العلم. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ٨٣: عن الكتب الفكرية حاليًا في الأسواق، التي ألفت في العصر الحديث، ككتب: مالك بن نبي، وغيره من المفكرين، هل هي من جملة الكتب الباطلة؟

الجواب: إن هذه الكتب الفكرية منها ما فيه حق، ومنها ما خلط حقا بباطل، فإن كون الكتاب فكريا بحتًا لا يدل على أنه باطل، فإن البطلان إنما هو مخالفة الدلائل من الكتاب والسنة، ولكن إذا كان يشتمل على باطل، فينسب هذا إلى الإسلام، فإنه يكون من تصنيف الكتب الباطلة، فهذه الكتب الفكرية منها ما خلط قولًا صوابًا وآخر باطلًا، ومنها ما هو حق، ومنها ما هو باطل كله، فالحكم عليها مختلف. [**شرح مسائل الجاهلية**].

س ٨٤: صنف بعض الدعاة كتبًا، وقالوا أقوالًا لم يُسبقوا إليها، هل هذا من تصنيف الكتب الباطلة؟

الجواب: لا، ليس كذلك؛ من كتب كتابًا، وصنف، وأخطأ في مسألة في ذلك، أو يكون له فيها اجتهاد ونحو ذلك، فهذا لا يُعد من تصنيف الكتب الباطلة، وإنما يقال: أخطأ في ذلك، لكن إذا كان الكتاب كله مشتملًا على البدع والضلالات، أو عمدة الكتاب على بدع وضلالات، وعلى أقوال مخالفة للأدلة، فهذا هو المراد من تصنيف الكتب الباطلة، أما إذا كان صنف المصنف كتابًا، وأخطأ في مسألة، مسألتين، ثلاثا، فهذا لا يُعد من تصنيف الكتب الباطلة؛ لأنه قلما كتاب إلا ويشتمل على خطأ - يعني: من الكتب المؤلفة -، حاشا كلام النبي ﷺ، وما كان من تفاسير السلف الصالح بعد ذلك كلها لابد أن يقع فيها؛ كما قال الإمام مالك: «ما منا إلا راد ومردود

عليه»[١]، هذا شأن أهل العلم لا بد أن يكون عند كل واحد منهم غلط، وهذا الغلط منه، والخطأ إذا بُين للعالم يفرح، طالب العلم يفرح أن يقال له: أخطأت في عشر، وفي عشرين، وفي ثلاثين؛ لأنه مراده الوصول إلى الحق والهدى، إذا كان مراده الوصول إلى الحق، فكونه يُنبه على أخطائه، هذه نعمة، أما أن يكون كل ما يقوله يقول الناس: (أنت مصيب فيه)، ولو كان مخطئًا، فهذه نقمة في حقه، الواجب أن يعرف العبد أن أهل العلم منهم من يُخطئ، ويكون خطؤه أكثر من صوابه، ومنهم من يكون صوابه أكثر من خطئه، إذا كان خطؤه أكثر من صوابه هذا ينبغي له أن يسكت، ولا يتكلم، أما إذا كان صوابه أكثر من خطئه، فكما قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في أول القواعد يقول: (فالمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه) هذا إذا كان في المسائل الاجتهادية، أما في المسائل العقدية الأصلية، ونحو ذلك، فهذه لا يقبل فيها الخطأ، يعني: لا يعذر فيها بذلك. [**شرح مسائل الجاهلية**].

س ٨٥: هل القرطبي صاحب التفسير على منهج السلف في العقيدة؟

الجواب: القرطبي صاحب التفسير مضطرب في العقيدة، وأكثر ميوله في مسائل الصفات والإيمان والقدر لطريقة أهل الكلام، بل كثيرًا ما يذكر

---

(١) انظر أقوال الأئمة في الحث على الأخذ بالحديث ونبذ ما خالفه من الأقوال والآراء في: قواعد التحديث للقاسمي (ص ٢٧٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥)، والرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٨٥)، والصارم المسلول له (١/ ٣٠٦)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٢٨٧)، وتيسير العزيز الحميد (ص ٥٦٣).

ذلك، فهو في الجملة على منهج أهل الكلام والأشاعرة بالخصوص. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

س ٨٦: نريد توضيح الأمور التي أخطأ فيها ابن قدامة، والعز بن عبد السلام، وابن قتيبة.

الجواب: لا حول ولا قوة إلا بالله! أما ابن قدامة وابن قتيبة، فهما من أهل الحديث والسنة، ولابن قدامة كلام يسير، وقد يشعر بالتفويض، لكنه لا يقصده.

وقد ذكرنا لكم ذلك في شرح اللمعة، وله أيضًا كلام في الرد على من قال بخلق القرآن، قد يشعر بالتفويض، لكن هو لا يقصد ذلك، ويثبت، لكن له أسلوبه الذي يكون المستعرض له لا يفهم ماذا يريد بالتمام.

أما ابن قتيبة، فثم مسائل أخذت عليه، ولكنه في الجملة هو من علماء أهل السنة، ومن المنافحين عن العقيدة السلفية وعن الحديث والأثر، وممن رد على المعتزلة، وعلى العقلانيين في زمنه، حتى سماه بعض أهل السنة هو خطيب أهل السنة؛ كما قالوا عن الجاحظ: إنه خطيب المعتزلة، قالوا عن ابن قتيبة: كان خطيب أهل السنة؛ وذلك لقوة حجته، وحسن بيانه وبلاغته، وقد ألف في مسائل كثيرة، من المسائل التي أخذت عليه في كتابه (تأويل مختلف الحديث) أخذ عليه بعض مسائل، لكنه يوافق في الأصول، لكنه في التطبيق في بعضها كان عنده فيها بعض التوسع في العبارة، لكن لا أحد إلا ويثني عليه.

أما العز بن عبد السلام الفقيه، أبو محمد العز بن عبد السلام، فهو فقيه

معروف، وعالم مشهور في زمانه، وله فتاوى مطبوعة ومشهورة، لكنه من حيث العقيدة أشعري، وله فيها مصنف مطبوع، ومن حيث السلوك صوفي؛ لأن له كتاب شجرة الأحوال، أيضًا مطبوع، يبين فيها منهج الصوفية، وهو الذي قرر مسألة تخلقوا بأخلاق الله في كتابه، وهناك عدد من الاتجاهات الصوفية في كلامه.

فهو من جهة المعتقد يميل إلى مذهب الأشاعرة، أو يقرر مذهب المتكلمين والأشاعرة، ومن جهة السلوك عنده ميل إلى ما يقرره المتصوفة في السلوك، بعيدًا عن مذهب السلف في السلوك والتربية، ومن جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حصل عنده زيادة في بعض المسائل التي أخذت عليه؛ ولهذا لا تجد الأئمة - أئمة السنة - يثنون عليه في الجملة، وشيخ الإسلام ابن تيمية إذا ذكره، يقول: الفقيه أبو محمد بن عبد السلام، ولا يقرر أنه ممن يؤخذ بقوله، أو ينصرف له، وله مواقف أيضًا في ذلك لا توافق منهج السلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أول من أدخل وأحدث في الإسلام المصيبة التي اسمها تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام، وهو قسمها في كتابه القواعد[١]، ومع الأسف تبعه عليها جماعة؛

(١) انظر: القواعد الكبرى للعز بن عبد السلام (١/ ٣٣٧ - ٣٣٩)، والفروق للقرافي (ص٣٠٥ - ٣٠٩)، قال الشاطبي ﷺ في الاعتصام (١/ ١٨٨- ١٩٣).
(ومما يورد في هذا الموضع أن العلماء قسموا البدع بأقسام الشريعة الخمسة، ولم يعدوها قسمًا واحدًا مذمومًا فجعلوا منها ما هو واجب، ومندوب، ومباح، ومكروه، ومحرم، وبسط ذلك القرافي بسطًا شاملًا، وأصل ما أتى به من ذلك شيخه عز الدين بن عبد السلام)، ثم بعد أن نقل كلام القرافي وشيخه في تقسيم البدعة قال: (هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو نفسه متدافع. . .) إلى آخر كلامه ﷺ.

لأنهم وجدوها مخرجًا حسنًا لما هم فيه.

س ٨٧: ما أهمية رسالة ثلاثة الأصول لكل مسلم؟

الجواب: رسالة ثلاثة الأصول، رسالة مهمة لكل مسلم، وكان العلماء - أعني: علماءنا - يعتنون بها شرحًا في أول ما يشرحون من كتب أهل العلم ذلك؛ لأن فيها الجواب عن أسئلة القبر الثلاثة، ألا وهي: سؤال الملكين العبد عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، وهي الأصول الثلاثة، يعني: معرفة العبد ربه، وهو معبوده، ومعرفة العبد دينه - دين الإسلام - بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه ﷺ، فمن ها هنا جاءت أهمية هذه الرسالة؛ لأن فيها من أصول التوحيد والدين الشيء الكثير، وأصول الفقه مهمة أيضًا، والعناية بها ضعيفة فيما أحسب وأسمع، وتأتي أهميتها؛ لأنه كثر المجتهدون دون معرفة لأصول الاستنباط، والاستنباط له أصوله، أصول الاستنباط هي أصول الفقه، فكم سمعنا من متكلم في مسائل شرعية لم يحسن الكلام عليها تأصيلًا ولا استنباطًا، ويظن أنه محسن مصيب في استدلاله، لم؟ من أين أتاه الغلط؟ أتاه من ضعفه في أصول الفقه، نعم، إن هذه الورقات مقدمة في أصول الفقه، لم تشتمل من أصول الفقه إلا على أشياء يسيرة، فتلك الرسالة لا تهيئ طالب العلم إلى أن يفهم الأصول كما ينبغي، ولكنها تعطيه مفاتيح يدخل بها بيت أصول الفقه، وأما التفسير، فتأملت فترة فيما أختاره في التفسير، هل أختار تفسير سورة الفاتحة، أم اختار تفسير جزء عم؛ باعتبار أنه كثيرًا ما يقرأ في المساجد في الصلوات الجهرية، وربما قرأه أكثر المسلمين، بل طلاب العلم في صلاتهم، وربما لم يدركوا، أو لم يعلموا كثيرًا من معاني الآيات التي يتلونها كثيرًا، ويسمعونها كثيرًا؟ لكن تقصيرًا

للوقت نظرت في أن سورة تبارك اشتملت على أصول عظيمة، ويمكن بيان وتفسير آياتها بما ينبه طلاب العلم على ضرورة الاعتناء بالتفسير، خاصة تفسير الآيات التي تحفظها، والتي تقرؤها في صلاتك، والتي تسمعها، فكم يعاب المرء أن يسمع كلامًا يردد عليه، وهو يجهل معناه، تردد قصار السور، وربما جهل بعض تلك المعاني، ليس الجهل عيبًا، لكن الإصرار على الجهل هو العيب، وما أحسن قول أبي الطيب المتنبي حيث قال[(١)]:

وَلَم أَرَ في عُيوبِ الناسِ شَيئًا كَنَقصِ القادِرينَ عَلى التَمامِ

وأنتم أيها الشبيبة قادرون بلا شك على التعلم، قادرون على الفهم، قادرون على الفقه، لكن الغيب يأتي من إضاعة الوقت في غير ما ينفع. التفسير مهم، ومعرفة معاني الآيات وسيلة - لا شك - من وسائل الثبات على الإيمان وتحصيل العلم النافع، ثم بعد التفسير (الأربعون النووية)، وهذه الأربعون النووية جمعت أحاديث، شهد العلماء بعد الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شهدوا على حسن اختياره لها، وعلى أنها جمعت الأحاديث التي عليها مدار الإسلام؛ لهذا اعتنى العلماء بشرحها.

هذه الأربعون ينبغي لنا أن نحفظها، وينبغي أن نفهم معانيها، وأن نقرأ ما قاله العلماء في شرحها.

هذه مقدمات لهذه الدروس، هذه المقدمات التي قدمت بها أردت منها أن أرشدك إلى أن العلم لا ينال مرة واحدة، وإنما ينال العلم على مر الأيام

---

(١) سبق عزوه (ص ١٥٢).

والليالي؛ كما قال ابن شهاب الزهري رحمه الله فيما رواه ابن عبد البر في كتاب الجامع، قال: «**من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة، إنما يطلب العلم على مر الأيام والليالي**»[١]، وهذا حق، العلم يبدأ بتحصيل صغاره قبل كباره، إذا حصلت صغار المسائل قبل الكبار، فأنت على طريق العلم، وأما إذا ابتدأت بالكبار، التي فيها الخلاف، تحتاج إلى بحث، تحتاج إلى تدقيق تنازع العلماء فيها؛ كما هو ديدن بعض طلبة العلم، أو بعض المبتدئين في العلم، فإنه يذهب عنك العلم، لهذا أؤكد على ضرورة تأصيل العلم والسير فيه خطوة فخطوة، وإنما يطلب العلم على مر الأيام والليالي.

اليوم علمٌ وغدًا مثله ... من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط

وهذا واقع، وقد ذكر الخطيب البغدادي بإسناده في كتاب الجامع[٢] في بيان أدب السامع، ذكر حكاية عن أحد رواة الأحاديث؛ لأنه طلب العلم، وحرص على لقاء الشيوخ، وأخذ عنهم، لكنه لم يحفظ، مرت عليه الأيام، ولم يحفظ، لم يفهم، ومضى الوقت، وهو على هذا، فظن أنه لا يصلح للعلم، فترك العلم، فبينما هو يسير مرةً، إذا بماء يتقطر على صخرة، وهذا الماء قد أثر في هذا الصخرة، فحفر فيها حفرة، نظر متأملًا، فقال: هذا الماء على لطافته أثر في هذا الصخر على كثافته، فليس العلم بألطف من

---

(١) انظر: الجامع لابن عبد البر (١/ ٤٣١)، والجامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٣٢)، والإلماع للقاضي عياض (١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٧٩).

الماء - يعني: بأخف من الماء -، وليس قلبي وعقلي بأكثف من الصخر، ورجع يطلب العلم من جديد، وحصّل، وأصبح من رواة الحديث الذين لهم شهرة.

إذًا فالعلم ينبغي، بل يجب أن يكون على أصوله خطوة فخطوة، ومن بدأ بالأهم ثم أعقبه بالمهم، فإنه يُحصِّل إن شاء الله تعالى. **[شرح ثلاثة الأصول]**.

س ٨٨: هل كان ابن حزم من أهل السنة والجماعة؟

الجواب: لا، ابن حزم ليس سنيًا، بل له مذهب خاص، ابن عبد الهادي وغيره يعتبرونه من الجهمية، وطائفة تعتبره من الفلاسفة، هو في العقيدة مخلط، لا يتبع مذهبا من المذاهب، عنده تجهم، وعنده أشعريات، وعنده فلسفة، يعني: مختلط. **[شرح الطحاوية]**.

س ٨٩: ظهرت قبل فترة أشرطة تكلمت بالتفصيل عما وقع بين الصحابة من فتن، واسم هذه السلسلة: (قصص من التاريخ الإسلامي) فما رأيكم فيها؟

الجواب: لم أستمع لها، ولكن ذكر لي من عدد من الإخوة أن عليها ملاحظات، وطلبت ممن ذكر لي ذلك أن يوردها، ونقف على الأشرطة، فإن كانت لا توافق طريقة أهل السنة فيما وقع بين الصحابة ﷺ من شجار، وجب منعها حينئذٍ، وذكر الأخ الآن أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله منعها، والحمد لله. **[شرح الطحاوية]**.

س ٩٠: أدرس في إحدى الثانويات، وعندنا مدرس ينصح باستماع أشرطة الدكتور/ طارق السويدان لجميع الطلاب، ويأتي بها إلى المدرسة لبيعها بأسعار مخفضة، ما رأيكم في هذا؟ أرجو الإجابة؛ لأهميته والاختلاف فيها.

الجواب: لا يطلق القول في الأشرطة، أشرطة الأخ المذكور لا يطلق القول بردها جميعًا، أو بقبولها جميعًا؛ منها ما هو حسن، ومنها ما عليه فيه ملاحظات، وهو ليس بطالب علم يحسن مواضع الخلاف ومواضع العقيدة، وإنما أراد أن يبسط قصص الأنبياء، ويبسط السير بأسلوب ينفع الناشئة، فاجتهد في ذلك، فما أخطأ فيه، يجب الانتباه له، وحذفه من الشريط، أو بيان ذلك له؛ ليصحح ذلك، ولا يطلق القول بأنها كلها نافعة، أو كلها غير نافعة، بل ينبغي النظر فيما اشتملت عليه، وبعض الإخوة ذكر لي أنه فيما مضى جاء هنا لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وأنه نبهه على بعض الأشياء، وأنه صححها في الأشرطة الجديدة، ما أدري عن صدق هذا الكلام أو عن دقته، المقصود أن بعضها إذا كانت نافعة، فيراجع قبل، ثم بعد ذلك لا بأس من نشرها، وإذا كان فيها خطأ، أو غلط في العقيدة، أو تساهل مع أهل الفرق الضالة، أو نحو ذلك، فهذا لا يجوز التساهل فيه. **[شرح الطحاوية]**.

س ٩١: ذكرت كلامًا حول طارق السويدان أشكل على كثيرٍ من أهل كذا، ويكرهون أهل البدع ومن يناصرهم، فنرجو من الله أن يوفقكم إلى تفصيل الكلام في ذلك.

الجواب: هذا السؤال كان في الأسبوع الماضي، وكان الكلام في نفس الموضوع، وحصل إشكال في الأسبوع الماضي للبعض حول أشرطة طارق السويدان... ، إلى آخره. وقد بينت الكلام أن هذا السؤال الذي جاء من مدرس يريد أن يعطي أشرطة طارق السويدان لمن يستفيد منها، فإذا كان الذي سيعطي للمحتاج طالب علم يميز الأشرطة الحسنة من غير الحسنة، يميز الأشرطة النافعة من غير النافعة، فإن له أن ينتقي، ويعطي ما لا ضرر فيه، أما من لا يحسن - مثل ما ذكرت لكم -، أشرطته فيها ما هو جيد - يعني لبعض الناس -، وفيها ما هو غلط، سواء أكان في المنهج، أو في التساهل مع بعض أهل البدع، ذكرت لكم أن سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ سبق أن قابله، وأنه رجع في عدد من المسائل، وما أشبه ذلك في نقل بعض الثقات لي.

فالمقصود من هذا أن أشرطته إذا كان الذي سينتقي ويعطيها من ينتفع بها طالب علم، يحسن الفرق بين السنة والبدعة، وبين الصواب والغلط، فلا بأس أن ينتقي ويعطي؛ لأن منها أشياء لا بدعة فيها، وأما التزكية المطلقة لأشرطته، فلا؛ لأنها - كما ذكرت لكم - مشتملة على صواب وعلى خطأ، ومن عثر على ما غلط فيه، فالواجب المناصحة؛ لأن المرء لا يكتفي بأن هذا ليس بحسن، وهذا فيه أغلاط، وهذا عنده كذا، بل ينبغي له أن تجمع، ويناصح الذي أخطأ، أو الذي توسع، وكما هو معلوم المذكور ليس بطالب علم ولا من العلماء، وإنما أراد أن يقرر قصص الأنبياء والسيرة وبعض المسائل، فأصاب في كثير، وربما غلط في بعض المسائل، فتصحيح ذلك للفائدة العامة ينبغي.

إذًا فلا ننصح لكل أحدٍ أن يأخذ ما لا يعرف، وإذا كان طالب العلم سيهدي لمن ينتفع بها، مستواه يناسب هذه الأشرطة، فينتقي ما لاغلط فيه ولا بدعة، فيعطيها، هذا الذي يظهر لي في ذلك. **[شرح الطحاوية]**.

س ٩٢: ما عقيدة أبي العتاهية؟

الجواب: رحم الله أبا العتاهية؛ فهو من الصالحين، ولا تسل عن شيء ليس فيه مصلحة.

أبو العتاهية شاعر من الشعراء الزهاد، وشعره وديوانه مطبوع. **[شرح الطحاوية]**.

س ٩٣: هل صحيح أن أول كتاب أُلف هو الموطأ؟

الجواب: أول كتاب جمع الحديث مبوبًا هو الموطأ. **[شرح الطحاوية]**.

س ٩٤: نرجو أن تملي علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر.

الجواب: ميمية هي أو تائية؟ بل تائية شيخ الإسلام، وهي مشهورة، وينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها، أو أن يحفظها؛ لأن فيها ذِكْرَ كثيرٍ من مسائل القدر، وأما هذه الأبيات في التعليل، وليست في القضاء والقدر، وهي في ترك تعليل أفعال الله ﷻ، أو الخوض في ذلك، هذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتاب إيثار الحق على الخلق، دون نسبة، وهي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال، مطلعها يقول فيها[1]:

تَسَلَّ عن الوفاقِ فربنا قد ... حكى بين الملائكة الخصام

---

(١) انظر: هذه الأبيات اللطيفة نقلها ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق (١/ ١٩٩).

كذا الخَضِر المكرمُ والوجيهُ ... المكلمُ إذ ألم به لمام

تكدر صفو جمعهما مرارًا ... فعجل صاحبُ السر الصرام

ففارقه الكليم كليم قلب ... وقد ثنى على الخضر الملام

وما سبب الخلاف سوى اختلاف ... العلوم هناك بعضًا أو تمامًا

فكان من اللوازم أن يكون ... الإله مخالفًا فيها الأنام

فلا تجهل لها قدرًا وخذها ... شكورًا للذي يُحيي الأنام

هذه قصة عظيمة - قصة الخضر مع موسى عليه السلام -، وفيها من الفوائد ما لايحصى. [شرح الطحاوية].

س ٩٥: أسمع من فضيلتك كثيرًا قول: هذه المسألة مبسوطة في المطولات، فما المقصود بالمطولات؟

الجواب: الكتب ثلاثة أقسام في أي فن: كتب متون، ومتوسطة، ومطولات، المتون معروفة لديكم، التي تحفظ، لها شروح يعتني بها المبتدئون من الطلبة، أما المتوسطة، فهي التي تكون فيه زيادة تفصيل، لكن ما فيها استيعاب للمسائل والأدلة والخلاف إلى آخره، والمطولات التي يكون فيها كل شيء، مثاله مثلًا في الفقه: زاد المستقنع، هذا متن، أكبر منه أصله الذي هو المقنع، المقنع يعتبر متوسطًا، أكبر منه الكافي، أيضًا يدخل في المتوسط، يعني: من مؤلفات ابن قدامة، المطول: المغني، مثلًا: يأتيك شروح الأحاديث، عندك مثلًا شرح العمدة، هذا مبتدئ، شرح سبل

السلام، ونيل الأوطار، وما شابهها هذا متوسط، المطولة مثل: فتح الباري عمدة القاري، التمهيد، الاستذكار، . . . ، ونحو ذلك من كتب أهل العلم، كذلك في العقيدة تمشي، حتى تأتي للمطولات من كتب شيخ الإسلام الكبار ولوامع الأنوار، ونحو ذلك من الكتب في كل فن فيه مبتدئ، ومتوسط، ومطول. [**شرح الطحاوية**].

س ٩٦: لماذا سمي كتاب الأدب المفرد بهذا الاسم؟ وما أفضل كتاب في الأدب يمكن أن يشرح للطلاب؟

الجواب: كتاب الأدب المفرد هو للإمام البخاري ﷺ أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، وهو مؤلف الصحيح، وفي كتابه المسند الجامع الصحيح المختصر فيه كتاب باسم كتاب الأدب في أواخره، ثم صنف كتابًا آخر، ليس كشرطه في الصحيح، جمع فيه جملًا كثيرةً مما جاء في السنة، أو عن الصحابة ﵃ في أبواب الأدب، سماه الأدب المفرد، يعني مفردًا عن الصحيح، لئلا يشتبه بكتاب الأدب، الذي هو من كتب صحيح البخاري، وهو في الأدب الشرعي، مثلًا ما يتعلق بالاستئذان: أدب الاستئذان، رد السلام، كيف يتعامل المسلم مع نفسه ومع الحيوان، وكيف يتعامل مع الناس، أدبه في الأكل، أدبه في النوم، أدبه في الاجتماع، أدبه في الحقوق العامة، ونحو ذلك مما يعرف من الاطلاع عليه، وهو كتاب نافع جدًا، وله شرح متأخر لا بأس به، سماه مؤلفه - أحد علماء الهند -: (فضل الله الصمد بشرح كتاب الأدب المفرد)، وهو مطبوع في مجلدين. [**شرح الطحاوية**].

س ٩٧: هل المذهب الظاهري من المذاهب المعتبرة؟ ولماذا يندر ذكر أقوالهم في المسائل الفقهية؟

الجواب: المذهب الظاهري مذهب موسوم بالقول بالظاهر، لكنه لم يتأصل في متون للكتب، وفي قول إمام منهم يمكن أن يصار إليه في أن هذا المذهب مذهب أهل الظاهر، ولهذا في كتب الخلاف العالي يختلف القول: هل هذا فعلًا مذهب الظاهرية، أم ليس بمذهب الظاهرية؟ والظاهرية نسبوا إلى قولهم بالظاهر ونفي القياس، وعدم الدخول في التعليلات، ولهم قواعد في الأصول، مثل: أن يكون كل أمر للوجوب، ونفي التعليل، وعدم الأخذ بخلاف ما دل عليه الظاهر، حتى ولو فارق المعنى الذي يراد من الدليل، تارة ينسب إلى داوود الظاهري في مسائل، وتارة ينسب إلى أبي محمد بن حزم الأندلسي في مسائل، وتارة ينسب إلى غيرهما، وأكثر ما يقال الآن: مذهب الظاهرية، يعنى به مذهب ابن حزم، وهو الذي قعد القول بالظاهر؛ لهذا ابن حزم إنما ينسب القول إليه، ولا يعدى إلى قول فرقة بأن هذا قول الظاهرية بعامة، وقد يتجاوز، ويقال: إن الظاهرية قالوا: كذا، لكن الظاهرية كمذهب لا يوجد له تأصيل من حيث المتون، ومن حيث المسائل التي قالوا بها مثل: مذهب الحنابلة، الشافعية، المالكية، الحنفية، ولم يُخدم أيضًا بعد ابن حزم، وإن كان جاء بعض العلماء يصيرون إلى قول أهل الظاهر، مثل: ابن عربي الصوفي، ومثل: ابن سيد الناس، ونحوهما، ومثل: أبي حيان صاحب البحر المحيط، وجماعة ممن كانوا يميلون إلى هذا، لكن ليسوا مترسخين في الفقه، ولا ألفوا؛ لهذا لا تجد أن أقوالهم تذكر في باب الخلاف دائمًا. **[شرح الطحاوية]**.

س ٩٨: يقال إن ابن حزم مذهبه ظاهري؟

الجواب: وهل يشك في ذلك أحد، ابن حزم ظاهري في الفقه وفي غيره. **[محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث]**.

س ٩٩: ما معنى قول شيخ الإسلام في التدمرية: (وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: بقوة)، وما معنى تفسير الأيد بالقوة؟

الجواب: إن الأيد هنا هذه مصدر: آد الشيء، أو آد فلان، يئيد أيدًا إذا قوي، وليست جمع يد كقوله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧] فالأيد هذا مصدر بمعنى القوة، هذا في اللغة، ليست جمع يد. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ١٠٠: هل لك مؤلف في كرامات الأولياء؟ وهل هو مطبوع أم لا؟ وإذا كان الجواب: لا، فكيف أستطيع الحصول عليه؟

الجواب: كرامات الأولياء فيها كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفيها كتاب (كرامات الأولياء) للالكائي وهو مطبوع أيضًا، وهو بمقدمة المحقق، كان في بابه، وكتاب النبوات فيه بحث كثير أيضًا في الكرامات، والكتب التي بحثت هذا كثيرة. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ١٠١: نرجو عندما تذكر قول شيخ الإسلام، أو قول غيره أن تذكر الكتاب الذي يوجد فيه هذا القول؛ حتى يسهل الرجوع إليه للاستفادة وتدوينه.

الجواب: بالنسبة لأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية أحيانًا أتذكر مثلًا،

أو يتذكر الذي ينسب القول إلى شيخ الإسلام، ويعزوه إليه، يتذكر المرجع - يعني: مظنته -، يقول مثلًا: في الفتاوى، في كذا، أو في اقتضاء الصراط المستقيم، أو في كتاب كذا من كتب شيخ الإسلام، وتارة يحفظ القول، وينسى مكانه، وبالنسبة للشباب الذين يطالعون كتب شيخ الإسلام دائمًا لقربها عند المطالعة، تجد عنده تذكرًا مستمرًا للقول في مكانه، لكن إذا تطاول العهد بكلام شيخ الإسلام أو كلام غيره، فإنه يذكر القول، وقد يند عن الذهن المرجع، فلا بأس إذا حصل منا تذكر للمرجع، نذكره - إن شاء الله تعالى -، وإذا صار هناك تردد فيه أو نسيان، فنرجئه، أو نمر عليه. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ١٠٢: هل جميع أنواع الشفاعة التي ذكرها الشيخ في كتاب التوحيد ثابتة في كتب السنة؟

الجواب: كتاب التوحيد ما ذكر فيه أنواع الشفاعة، أنواع الشفاعة مذكورة في الواسطية، وفي كتب العقيدة العامة، أما إذا كان في شرح كتاب التوحيد، فنعم ثابتة. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ١٠٣: ما مدى صحة العبارة: (لكل نبي حوض إلا صالح عليه السلام فحوضه ضرع ناقته)؟

الجواب: هذه ذكرها بعض من صنف في السنة كالبربهاري، وهي على عهدته، فإني لا أعلم لها أصلًا[1].

---

(١) انظر: شرح السنة للبربهاري (ص ٦٥).

س ١٠٤: هل يصح رجوع أبي حنيفة عن القول بالأرجاء؟

الجواب: يعني: عن إرجاء الفقهاء؟ ما أعرف، ولا هو المشهور عند أهل العلم.

أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ هو زعيم مرجئة الفقهاء، وشيخ الإسلام له أيضًا كلام في الإيمان وفي غيره على أن الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء أنه خلاف لفظي، وذكره في الإيمان، وطول فيه، وقد أجبنا عنه في شرح الواسطية أو في الطحاوية، أجبنا عنه من عدة أوجه، وما زلت مستغربًا لماذا شيخ الإسلام نحا إلى أنه خلاف لفظي مع أنه خلاف معتبر؟ [**مجلس ٢١/ ٧/ ٢٣**]

السائل: لعله - يا شيخ - ليس بمؤثر؟

الجواب: يقول: ما له حاصل، لا ثمرة له، ما له حاصل؛ لأنه مثل أمثلة، وقال: إن هؤلاء يقولون: كذا.

وكلهم يعتبر في مسائل صحة العمل وفي التكفير، يقول: ما له أثر.

السائل: من جهة العمل؟

الجواب: نعم.

السائل: هذا ظاهر؟

الجواب: يقول: إن خلافهم على ماذا؟ خلافهم على تعريفهم، ولكن هذا غير صحيح، ولو كان لفظيًا، السلف وأئمة الإسلام ما أنكروا عليه، ولا أعلنوا عليهم.

الشيخ: هناك كتاب اسمه التبصرة؟

مداخلة: لعله في صيد الخاطر لابن الجوزي.

الشيخ: التبصرة، قال: أُثر عن علي، قال: كان يُرى على علي بن أبي طالب ملابس الصيف في الشتاء، فقيل له: ألا يؤلمك البرد؟ فقال له: حرارة قلبي تكفيني.

مداخلة: ليست من عبارات القوم؟

الشيخ: نعم. عبارة غير صحيحة، حتى المعنى فيها ليس بصحيح.

مداخلة: ما ثبت يا شيخ مثلها؟

الشيخ: أقول: هو ذكر مثل هذا، وفي بعض الأخبار التي تُروى في كتب الرقائق أو كتب الوعظ تشبه بالزهرة اليابسة، يعني: يروقك منظرها، لكن لو تضغط عليها، تكسرت، وتستفيد منها، فإذًا لا يُعتمد عليها، لكن منظرها حسن، وفي كتب الرقائق كثير من هذا الجنس، وأحسب أن أئمة الحديث لما ألفوا في كتب الزهد والرقائق، وذكروها بالأسانيد، أرادوا أن يقطعوا الطريق على من يُروج الأقاويل الشاذة والمنكرة، أو الزهد بغير سنة؛ لأن المجال - مجال الزهد والرقائق، وما يتبعها، والقصص، والوعد - هو ميدان لكل غريب جديد، ميدان للاجتهادات، ميدان للكذب، ميدان للخيالات، احتمال القصاص والواعظ يكذب ليصلح الناس، مثل: ما قاله الأول، وتأتي أقوال ليس لها - كما يقال - خطم ولا أزمة مما يُنسب للسلف.

فصنف الأئمة عددًا من المصنفات في الزهد والرقائق، وسبقوا تصنيفات الصوفية، تصنيفات عبد الله بن المبارك، وعبد الرزاق، والإمام أحمد،

وهناد بن السري، ووكيع، وجماعات، طبعًا والبخاري في الصحيح.

أقرأ اليوم في كتاب الشوارد لعبد الوهاب عزام، هو عبارة عن خواطر في كل يوم، خصص له سنة، جعل في كل يوم خاطرة في ورقة، فيه فوائد، لكن كلمتك هذه ذكرتني بقوله، يقول: (وجدت مرور الزمان أسرع من تقليبي لأوراقي)، هذا في وقته لا في شواغل، يقول: (مرور الزمان أسرع من تقليبي لأوراقي)، قد قلت في ذلك شعرًا، وذكر بيتًا، ثم علّق على هذه. **[مجلس٨/ ١١/ ٢٣هـ]**.

س ١٠٥: هل عبد القاهر الجرجاني أشعري؟

الشيخ: عبد القاهر الجرجاني يغلب عليه، ولكن لا أقول إنه أشعري.

سؤال: الباقلاني كان أيضًا؟

الشيخ: الباقلاني في الإعجاز مدرسة مستقلة؛ لأنه قبل عبد القاهر، لكنه ليس بجيد في كتابه (إعجاز القرآن).

السائل: ضعيف؟

الشيخ: لا، ما هو بضعيف، ولكنه لم يتميز، أتى بأشياء، وحاول، ولكن عبد القاهر هو الذي أبدع، أبدع بمسألة النظم؛ لأن الباقلاني أذكر أنه عمل مقارنات مع خطب العرب وكذا، يعني: الفرق ما بين الأسلوب والأسلوب.

السائل: حسنًا يا شيخ، ماذا عن الرافعي في العصور المتأخرة، كيف في هذا الباب؟

الشيخ: جيد الرافعي، ولكن الرافعي لغته ليست لينة.

السائل: قوية؟

الشيخ: لا ، ليست قوية ، هو من حيث التركيب فيه ضعف ، وذلك عندي أنا ، من جهة تركيب الكلام فيه ضعف ، ولكن من حيث الألفاظ واختيار الألفاظ ، وقوة استخدام اللفظ والمعنى هو جيد ، ولكنه من حيث التركيب فيه ضعف ، يعني : عنده مثلًا ما بين المبتدأ والخبر ممكن سطرين ، عشر كلمات ، هذا ضعف ، بعدها تدرك الخبر ، ولذلك معه تحتاج إلى تركيز - يعني في بعض المؤلفات - ولكن في مقالاته تراكيبه عادية ، أما في الكتب مثل : (الدفاع عن القرآن) ، أو (تحت راية القرآن) ، ففيها طول ، يعني بعد السطر وسطرين يأتي الخبر ، كذلك عنده عطف واستطالة ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

السائل: هل يخاف الإنسان أو يتحسس من كلامه؟

الشيخ: يعني فيه شوك؟! أكثر ما تجد فيه هو المجاز .

سؤال: الاستعمال بدون روابط ، بدون العطف ، هذا يستعمله المتأخرون كثيرًا ، ما رأيك فيه؟

الشيخ: مثل ماذا يعني؟

السائل: يعني بدلًا من أن يقول : جاء محمد ، زيد ، بدون عطف ، يستعملونه أحيانًا في بعض الخطب .

الشيخ: يعني يصير العطف متأخرًا؟

السائل: لا ، بدون عطف ، يستعمل الجمل على أنها معطوفة هي في حقيقتها ، ولكن بدون إيجاد الرابط اللفظي .

الشيخ: لا أدري والله، يعني: نحويًا غلط، هناك موضع اختلفوا فيه، يعني: إذا صارت صفات، هذا يصلح، أو أخبار - يعني: مبتدأ وخبر -: خبر أول، خبر ثان، خبر ثالث، لكن إذا كانت معطوفات - ذوات معطوفة - ممنوع، والصفات فيها الذي يسمى الأوصاف الثمانية، هناك خلاف في صحة شيء يسمى واو الثمانية، أو لا؟ ولكنه يأتي مثلًا يقول: جاء المتسابقون القارئون، هذا غلط، يقول: جاء المتسابقون والقائمون.

السائل: وإذا كان في الصفة؟

الشيخ: إذا جاء المتسابقون القارئون العالمون والصغار هذا يصح عند من أعمل واو الثمانية فيما هو أقل منه، هذا فيه غلط، واو الثمانية فيها بحث كبير.

السائل: فيها نظر.

الشيخ: نعم، فيها نظر؛ لأنها بُنيت على استنتاج، ما هي على قاعدة.

السائل: من أول من أنكرها؟

الشيخ: لا أذكر، أحسن من تكلم عن واو الثمانية عبد الخالق عظيمة في كتاب (الدراسات)، مفيد، فيه شواهد ونُقول.

السائل: ولكن ترتيبه يا شيخ متعب جدًا.

الجواب: لا، لكن هو من حيث الشواهد والنُقول مرجع. [**مجلس١٤/ ١١/ ٢٣هـ**].

س ١٠٦: لماذا يُذكر الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد من أئمة الحديث، ولا يُذكر معهم الإمام أبو حنيفة؟

الجواب: الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ لم تكن عنده العناية الكبيرة بالآثار، بالسنة، بالحديث، هو إمام لا يقال فيه إلا كل خير، وهو متبوع، اتبعه عدد كبير من العلماء والفقهاء، لكنهم يعتمدون كثيرًا على الرأي، كان في الكوفة كثير ممن قلّ تتبعهم للسنة ومعرفة الآثار، وهم معذورون؛ لأنهم أفتوا بما عندهم، ثم أتى الأصحاب، وغلوا، حتى صار هناك تعصب لآراء، وتفريع للأقيسة والتقعيدات التي منها ما يصح، ومنها ما لا يصح.

فإذا قيل أئمة الحديث، فقهاء الحديث، فيُعنى بهم: مالك، والشافعي وأحمد، وأما الإمام أبو حنيفة - رحمهم الله تعالى جميعًا -، فإنه يعد في فقهاء الرأي، وليس من فقهاء السنة؛ لكثرة إفتائه بالقواعد والقياس، وقلة أصحابه الذين اعتنوا بالحديث. [**شرح الاستقامة**].

س ١٠٧: قد يعترض شخص، ويقول: إننا لو تأملنا الكتب في شروح الحديث، لرأيت أنهم أقل خطًا من غيرهم من الذين أقروا كتبًا في الفقه، فنجد المحدثين لا يستدلون بقول صاحب، ولو وجدوا حديثًا، ولو ضعيفًا، والفقهاء أغلبهم يقدمون الرأي على الحديث إذا ضعف، فهل هذا الكلام صحيح؟

الجواب: المشكل في مثل هذه المسائل أن يكون طالب العلم - الذي يلقي أو يعرض مثل هذه الإشكاليات - أن يكون عنده النظري واسعًا، والتطبيق قليلا، يعني: فهم هذه الكليات من دون ممارسة، لكنه لو مارس

ممارسة واسعة، لوجد أن هذا الكلام غير صحيح، فيقول: لو تأملنا في شروح الحديث، لوجدت أنهم أقل خطًا من غيرهم، هنا أقل خطًا مبني على ماذا؟ على أنهم أقل خطًا من الفقهاء، مبني على ماذا؟ لا شك أنه لا بد أن يكون عندك الترجيح، الناظر في كل مسألة من كلام الشارح أرجح من كلام الفقيه المعين، وكلامنا ليس على الترجيح بين فلان وفلان، بين ابن حجر وابن قدامة، بين النووي وابن قدامة، أو نحو ذلك، ليس الكلام في هذا، الكلام في ميزة كتب الفقه وكتب الحديث، وما الفرق بينهما؛ حتى يستوعب طالب العلم هذا الفرق، وكون كتب الحديث أقل خطًا، الجواب: ليس كذلك، هي فيها معرض للاجتهاد والنظر، وكتب الفقه فيها معرض للاجتهاد والنظر، كتب الفقه تختلف بحسب صاحب الكتاب - الشارح -، فإذا كان محققًا عالمًا، فتكون رؤيته في المسائل وترجيحاته بناءً على نظره في الأدلة، ونظره في القواعد. . . ، إلى آخره، وهذه مكانة العالم، ونظر المحدث قد يكون ضعيفًا، مثلًا: خذ شروح طائفة من علماء الهند لكتب الحديث، هي شروح أحاديث، لكن كثيرًا من علماء الهند شرحوا البخاري، شرحوا مشكاة المصابيح، وبعضهم شرح مسلمًا أيضًا، منهم من شرح الترمذي، لكن شرحهم هل هو على طريقة أهل الحديث أو على طريقة الحنفية؟ أكثرها على طريقة الحنفية، فيقرر لك مذهب الحنفية من دون أن تشعر، فيأتي الناظر، ويقول هذا كله سنة وأدلة. . . ، إلى آخره، لكن أدلة الآخرين قد يورد منها دليلا، دليلين، ويكون هذا الذي أورده ليس هو الحجة في الباب، إذا نظرت إلى بعض كتب الحديث المتقدمة مما فيه نصرة لمذهب معين، مثل: كتاب البيهقي (السنن الكبرى)، و(السنن الوسطى)، و(السنن

الصغرى) له، وكلها مطبوعة، تجد أنه أراد الاستدلال لأقوال الشافعي، أتي التركماني في تعقباته، وعارض ما استدل به البيهقي في المسائل، والحنابلة في بعض المسائل لهم رأي آخر، فإذا اعتماد العالم على الأثر والحديث تكون الحجة معه، ويكون أقل خطًا ممن يكون اعتماده على النظر والرأي، هذه كلية صحيحة، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع له - أظن في أول الاستقامة - يقول: (إن أهل الحديث، أو الذين يعتمدون على الأثر من أهل العلم هم أقدر الناس على الفتوى، بما يناسب الزمان الذي يعيشون فيه؛ لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان)، فيكون عنده انطلاق وسعة في الفتوى، بخلاف أهل الرأي والفقه الجامد؛ فإنهم يكونون عند النظر في المسائل النازلة والحادثة أكثر انحباسا وأقل انطلاقا فيها، لم؟ لأن هذا ينظر في النصوص، ويستنبط منها، وذاك ينظر في نصوص إمام، ويريد أن يطبقها، ونص الشارع يستوعب الأزمنة والأمكنة، وأما نص الإمام المعين - على جلالته - فإنه كان بناء على البلد التي كان فيها، ولهذا صاحب الأثر نقول: نعم، أقل خطًا من صاحب الرأي وصاحب الفقه المجرد من الدليل، هذا لا شك، وهذا تكثر أخطاؤه، وهذا أقل، لكن بالنسبة لكتاب حديث وكتاب فقه لا يكون بحسب المؤلف، المؤلف من هو؟ انظر مثلًا للفرق بين سبل السلام ونيل الأوطار، تجد أن الفرق واضح بين هذا وهذا؛ الشوكاني - مثلًا - في مصطلح الحديث وفي النظر في الإسناد تبع للحافظ ابن حجر في (تلخيص الحبير) ونحوه ما له اجتهاد، وفي الإسناد ولا يعرف الرجال، ولا طبقاتهم، ولا كذا، وإن كان نظر فيه، فهو مقلد بحت، إذا أتى في الأصول، فله اجتهادات في الأصول، ربما خالف بها أئمة المذاهب،

ربما له اجتهادات (كإرشاد الفحول) يرى أشياء مخالفة للجميع، يرى الناظر الآن - مثلًا - في كتاب (نيل الأوطار) إذا صحح ورجح يقول: هذا مجتهد، يعني: لا يقلد، ولا يتعصب، . . . إلى آخره، لكن ملكته الاجتهادية ليست كاملة؛ لأنه في الأسانيد مقلد، قليلًا ما يكون عنده معرفة بالتخريج والإسناد استقلالًا، وإنما هو ناقل عن غيره، لكن من جهة الأصول نعم، من جهة الاطلاع يخفى عليه بعض الأقوال وبعض الأدلة، فهو يرجح بناء على ما أورد، لكن يكون في المسألة أدلة أخرى، قواعد لصاحب هذا القول لا يوردها، وفي الغالب هو لخص الفتح وزاد عليه، لكن في (سبل السلام) تجد أن صاحبه ينظر نظرًا آخر؛ لأنه لخص كتاب (البدر التمام)، وزاد عليه أشياء، فالنظر مختلف: شرح الحديث في (سبل السلام) مختلف من حيث الوجهة والمنهج عن (نيل الأوطار)، وهما كتابا حديث؛ هذا شرح البلوغ وهذا شرح المنتقى، إذا فهذا القول ناتج من عدم الاستيعاب، من عدم معاناة كتب الفقه وكتب الحديث، ولو عانى واستوعب، لوجد أن المسألة ليست على ذلك.

أما قوله: إنَّ الفقهاء أغلبهم يرجحون الرأي على الحديث إذا كان فيه ضعف، هذا غير صحيح. [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

س ١٠٨: ما الذي يمنع أن يكون النووي - مثلًا - مجتهدًا مستقلًا؛ فله اجتهادات في الأصول؟

الجواب: مجتهد مستقل؟ لا. هو شافعي مجتهد في المذهب، وليس مجتهدًا مطلقًا أو مجتهدًا، فضلًا عن أن يكون مجتهدًا مستقلًا، النووي مجتهد في المذهب، فقط في مذهبه، ليس مجتهدًا في غير المذهب، وإذا

كان مجتهدًا في المذهب، لا يعني أنه يرجح في مسألة، أو مسألتين، أو خمس، أو عشر غير مذهب الشافعي، لكن هو استيعابه لأقوال المذهب، وأما المجموع شرح المهذب، فهو بداية للنووي رحمه الله، وتوفي قبل إكماله، وأوله إلى كتاب الحيض - كما تعلمون - مطول، حاول أن يستوعب فيه الروايات والأقوال وكذا والنظر، ثم طال عليه، فاختصره بعد ذلك، مثل: الحافظ ابن حجر أراد أن يشرح البخاري شرحًا مطولًا، فصعب عليه ذلك، فشرحه شرحًا متوسطًا، وهو فتح الباري، هذا ذكره بعض أهل العلم، ونقلها الكتاني في فهرس الفهارس والإثبات عن بعضهم، وقال: هو على عهدته، وجدت له ما يؤيد هذا الكلام. **[محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث]**.

س ١٠٩: هل هناك مراجع تكلمت عن هذا الموضوع بإسهاب؟

الجواب: هي موجودة في كتب آداب الطلب في بعضها، وهي مجموعة من جهة الممارسة. **[محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث]**.

س ١١٠: ما رأيك فيمن قال: إن الإمام المجدد - يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - حنبلي غير مجتهد، وليس عنده نظر في الأدلة، وإنما هو متميز في التوحيد فقط؟

الجواب: هذا قول قاله بعض العلماء، لكن منشأ هذا القول عدم معرفة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وعدم معرفة كتبه، ولا حال نجد قبل مجيء الدعوة، لا تعرف كتب الحديث أصلا، ترى في رسائل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله يقول لأحد أهل العلم كاتبه في رسالة: (وقد نظرت

يوما عندك في كراريس نقلتها من أول البخاري في مسألة الإيمان : إن هذا هو الحق ، فسرني ذلك ؛ لما أعلم من أن ذلك مخالف لطريقة آبائك وأجدادك ؛ لأنهم أشاعرة في الأحساء) يعني : لمن درج له هذا الكلام ، الكراريس نقلها من البخاري في بلده نجد ، نادرا ما تجد فيها كتاب حديث إذا وجد ، ففيها البخاري للبركة ، لكن السنن ، شروح الأحاديث ، فلا تجد ، وإنما فيها كتب الفقه ، وتجد بعض البخاري للبركة ، وليس للنظر ، لما أتى الشيخ رحمه الله بدعوته ، امتلأت الدرعية بكتب الحديث ؛ حتى ترى أن الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في كتابه (تيسير العزيز الحميد) نقل عن أكثر من ستمائة كتاب من كتب الحديث ، بعضها لا تعرفه الآن ، منها أشياء المعول في النقل عليها ما ندري عنها ، أين هذا الكتاب؟ ما هو موجود إلا عنده ، والكتاب معروف ، لكنه انتهى ، أخذ لما جاءت الجيوش والحملة الظالمة ، وأخذوا ما أخذوا من كتب الحديث ، وحرقوها ، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أبناؤه محدثون ، الشيخ عبد الله رحمه الله له شرح في البخاري ، الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله أيضًا له شرح في البخاري يوميًا بعد المغرب في مجلس الأمير ، يذهب في الإمارة ، ويلقي هذا الدرس ، وصفه ابن بشر ، كذلك لهم إقراء في مسلم ، وفي السنن ، وفي المنتقى ، وفي البلوغ . . . ، إلى آخره ، أنت وأنا لو ذهبت إلى غير هذه البلاد ، وجدت أن العناية بكتب الحديث لا توجد إلا عند السلفيين ، والسلفيون من أين جاءتهم العناية بكتب الحديث؟ هل هي ممتدة عندهم في بلادهم ، ورثوها ، أم كانت نتيجة الدعوة السلفية؟ اهتمام أصحاب الحديث وأتباع الدعوة السلفية بكتب الحديث وبكتب فقه الحديث

كان ناشئا من اهتمام علماء الدعوة بها، لكن كثرة كلامهم في الفقهيات وقلة كلامهم في كتب الحديث وشروح الأحاديث فيما بين أيديكم الآن له سبب؛ وهو أن أكثر كلامهم كان لأجل الحاجة - حاجة العامة، حاجة الناس - هم أئمة دعوة، معلمون، مفتون، مدرسون، يستقبلون كلام الناس، ويستقبلون الفتاوى، الإشكالات، أمامهم دولة وإرساليات، قاض عليه مشكل، ومفتٍ في بلد استفتى، فأرسل، فكان كلامهم راجعًا إلى قوله، فصل في المسألة بما هو راجح عندهم؛ لأجل الحاجة العملية لذلك، ولو درست دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دراسة جيدة، لوجدت أن سبب توجه الناس في كثير أو الأكثر في بلاد المسلمين اليوم من جهة السلفيين كان ناتجًا من جهة اهتمام الدعوة بكتب الحديث، مثلًا كتاب التوحيد في كل باب تجد: رواه أبو داود بإسناد جيد، بإسناد صحيح، هذا حديث صحيح . . .، إلى آخره، كيف يقال إن الشيخ ما يميز صحيح الحديث من سقيمه؟! والعالم الذي ذكر هذا الكلام عن الشيخ بناه على استدلاله بحديث خروج المصلي إلى المسجد - يعني: دعاء المشي إلى المسجد -: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ. . . » حديث أبي سعيد المعروف، وقال: (إنه أورده في أول كتاب آداب المشي إلى الصلاة، وهو حديث ضعيف، وهذا يدل - كلام العالم ذاك - على أنه لا يميز صحيح الحديث من سقيمه).

نقول: هذه النتيجة صحيحة لو كان الأصل الذي بنيت عليه صحيحًا، فهو قال: هذا الحديث ضعيف؛ ولهذا الشيخ لا يميز صحيح الحديث من ضعيفه، نقول: أنت ضعفت الحديث، لكن الحافظ ابن حجر حسنه،

فالشيخ إذا أخذ كلام الحافظ، وحسنه، وأورده أورد هذا الحديث لدرايته، فهل يشترط لدرايته صحيح الحديث من سقيمه أن يتبع رأي أحد العلماء جاء بعده بمائتي سنة أو ثلاثمائة سنة؟ هذا ما يقوله منصف، يعني: نفس الأحاديث مختلف فيها، يعني: بعضهم يصحح، وبعضهم يضعف، فليس دليل الحكم على الإمام محمد بن عبد الوهاب أنه لا يدري أنه أورد حديثًا هو عند بعض العلماء ضعيف، هذه حجة واهية، كون بعض العلماء ضعفه، وهو أورده بناء على من صححه، هذا لا نخلص منه بما ذكر. [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

س ١١١: لو تذكر لنا في كل فصل من الفقه والأصول والمصطلح والعقيدة كتابًا يكون طالب العلم دائم النظر فيه؟

الجواب: ذكرت في درس ماض بعض الكتب، وهو مسجل بعنوان (المنهجية في طلب العلم) [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

س ١١٢: قرأت مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي، فماذا أقرأ بعد ذلك التفسير؟

الجواب: تقرأ كتاب ابن كثير الأصل مرة ثانية وثالثة؛ فيه بركة، إذا أردت أن تتوسع، ترجع لابن جرير في بعض الآيات المشكلة، ولكتاب أحكام القرآن للقرطبي وما شابه ذلك. [**محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث**].

س ١١٣: أحد الإخوان نصحني بألا أحضر دروس الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، ويعلل ذلك بأن الشيخ لا يصلح لمن ابتدأ بطلب

العلم؛ لأن الشيخ يعلق تعليقات بسيطة، لا تصلح إلا لمن تبحر في طلب العلم.

الجواب: هذا يرجع إلى استيعاب طالب العلم، إذا كان يحضر ويستوعب، فكلام الشيخ درر، إذا كان يستوعب ويفهم، لا شك أن كلام الشيخ هو ما ينبغي العناية به من كلام أهل العلم في هذا الزمن رحمه الله. **[محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث]**.

س ١١٤: هل نكتفي بسماع الأشرطة العلمية بعد العودة إلى مدننا لقلة المشايخ هناك؟

الجواب: نعم، تستمع لشروح الكتب في الأشرطة، وما أشكل عليك تسأل أهل العلم عنه بالهاتف، أو إذا قدمت تجمع الإشكالات؛ لأن معرفة الإشكال علم في نفسه، إذا استشكلت، فهذا دليل الفهم، لكن إذا مررت على الكلام، ولم تستشكل شيئًا، فهذا يدل على إما أنك فهمت كل شيء - وهذا في الغالب لا يكون في المبتدئ -، وإما أن يكون فهمك لا شيء؛ لأنه ما استشكلت شيئًا، كله واضح، واضح أنك ما فهمت دقائق المسائل، فالاستماع للأشرطة طيب - نفع الله بها -، لكن لا بد من الاتصال بأهل العلم؛ لأن هناك الهدي والسمت ورؤية العالم للأمور، وكيف يتعامل مع العلم والفقه، كيف يتعامل مع من حوله، هذه ما يحصلها طالب العلم إلا بالمخالطة. **[محاضرة الفرق بين كتب الفقه وكتب الحديث]**.

س ١١٥: أسئلة وردت حول الكتب التي تسهل على طالب العلم فهم المعاملات والنصيحة بشيء منها.

الجواب: ذكرت لك أن المعاملات صعبة من حيث فهم أحكامها، لكن لابد لك من معرفة كلام العلماء في كتب الفقه، معرفة كلام أهل العلم في معاني القرآن والسنة في الدرجة الثانية، يعني: لابد أن تقدم كلام الفقهاء؛ حتى تتصور المسائل؛ لأن فهم كلام العلماء على النصوص مبني على تصور المسائل، وتصور المسائل لا يحدثه إلا كتب أهل العلم -يعني: أهل الفقه- فتنظر إلى كتب التفسير وكتب الحديث، ثم بعد ذلك تنظر في الفتاوى المعاصرة، وتحاول أن تقارن وتجمع بين ذلك.

من الكتب المفيدة في ضبط مسائل المعاملات: كتب الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ لأنه انطلق فيها بدلالات النصوص مع الربط بكلام أهل العلم من الفقهاء وغيرهم، وكلام ابن القيم أيضًا تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فإن في كلامهما ومن تأثر بهما على قواعد المعاملات فيها فوائد عظيمة.

طبع لشيخ الإسلام كتاب اسمه قاعدة أو (نظرية العقد)، أو (قواعد العقود)، ولابن القيم أيضا كتاب (الفروسية) تكلم فيه عن مسائل كثيرة تتصل بذلك، وفي (زاد المعاد) و(إعلام الموقعين)، أما الكتب المعاصرة، فتهتم بكتب التقعيد، يعني: الكتب التي تسمى النظريات: نظرية العقد، نظرية المال، نظرية الغرر، قاعدة الربا، قاعدة الغرر، هذا التقعيد مهم؛ لأن به تندرج المسائل الفرعية تحت تلك القواعد العامة. [**محاضرة القمار وصوره المحرمة**].

س ١١٦: ما الكتب المبسطة في العقيدة التي تنصحون بقراءتها؟ وما الكتب التي تحذرون منها؟

الجواب: الكتب في العقيدة كثيرة، ولكن أضرب لك مثلاً في كل فن منها.

أما في توحيد العبادة - يعني توحيد الألوهية -، فأنصحك بقراءة رسالة العبودية لشيخ الإسلام، وبقراءة كتاب (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، هذان الكتابان متكاملان، يكمل أحدهما الآخر، وأما في توحيد الأسماء والصفات، فتقرأ (العقيدة الواسطية)؛ فإنها عقيدة على اختصارها ووجازتها مباركة، وفيها علوم كثيرة تحت ألفاظها، وقد شرحها جمع من أهل العلم؛ فهذه الكتب نافعة للمبتدئ الذي يريد أن يسلك هذا السبيل.

أما الكتب التي نحذر منها، فهي كل كتاب ليس على طريقة السلف، ليس على طريقة أهل السنة والجماعة، وهي كتب كثيرة لا حصر لها، والمؤمن إذا وجد كتابًا لا يعلم عقيدة صاحبه، ولا يعلم صحة ما فيه، أو لا يأمن قراءته، يسأل عنه أهل العلم، وهم يجيبونه، وإلا فهي كُثر، ولا يمكن تحديدها. **[محاضرة تفسير آيات من كتاب الله]**.

س ١١٧: هل ثبت عندكم نسبة كتاب (الرد على الجهمية) للإمام أحمد؟

الجواب: كتاب (الرد على الجهمية) من الكتب المشتهرة والمذكورة في مصنفات الإمام أحمد، والعلماء تداولوا ما فيها. **[محاضرة من معين الإمام أحمد]**.

س ١١٨: ما الكتب التي يمكن من خلالها أن يحصل الذكر في الصلاة؟

الجواب: كل ذكر من أذكار الصلاة من دعاء الاستفتاح إلى آخره لا شك

أنه ورد في السنة، وسورة (الفاتحة) معناها في التفسير، فبيان ذلك مبثوث في شروح الأحاديث وفي كلام العلماء، ولي في ذلك رسالة بعنوان: (تفسير ألفاظ المصلي) لعلها تطبع - إن شاء الله تعالى - قبل نهاية الصيف القادم. [**محاضرة عهد ابن أم عبد ٢**].

س ١١٩: نرجو أن تذكروا لنا بعض كتبكم المطبوعة؟

الجواب: لا يحسن مثل هذا السؤال، لكن بما أنه ولله الحمد أكثر الكتب التي نطبعها وقف لله ﷻ، وليس لنا من نصيبها ولا من غلتها شيء، بل هي أكثر. . . ، بل هي كل الكتب - ولله الحمد -، فنذكرها من باب التعاون على البر والتقوى والدلالة، كتب مطبوعة:

أولها: كتاب (هذه مفاهيمنا).

والثاني: كتاب (المعيار).

والثالث: (المنظار).

الرابع: (الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن).

والخامس والأخير: (التكميل بما فات تخريجه من إرواء الغليل)، وهناك - إن شاء الله - عدد من الكتب التي ستأتي.

ونسأل الله ﷻ أن يتقبل منا أعمالنا الصالحة، وأن يعفو عنا زللنا وخطأنا، وأن يثيبكم خيرا على هذا الجلوس والاستماع، وأن يجعله في موازين أعمالكم، وأن يرفعكم به يوم لقاء ربكم، وأختم دعائي بسؤال الملك العلام ﷻ أن يميتنا على الفطرة والإسلام ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]،

اللهم نسألك أن لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، اللهم اسلل سخيمة قلوبنا، ونوِّر بصائرنا، ودلنا على الرشد والسداد، نعوذ بك من الشبهات، ونعوذ بك من تأثير الشهوات، ونستغفرك، اللهم ربنا اجعلنا من عبادك الذين إذا أذنبوا استغفروا، اللهم إنا ضعفاء، فارحمنا، وإنا مكسورون، فاجبرنا، اللهم أنت الرحيم الذي وسعت رحمتك كل شيء، فلا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعل السفهاء منا، اللهم أصلحنا وأصلح ولاة أمورنا، وأصلح ذرارينا وأحبابنا، واجعلنا جميعا على ما تحب وترضى، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد. **[محاضرة الاعتصام بالكتاب والسنة]**.

س ١٢٠: بالنسبة لإثبات الكتاب في مجال القانون قرينة، البينة والبينات ما سبق لك أن قرأت كتابا متوسعا في هذه المسألة غير كتب القانون؟

الجواب: كتاب السيوطي ذكره، البينات والقرينة في مجلدين، وفتوى البحث في هذه المسائل، ما هو بابن فرحان، لا هذا كتاب لأحد الحنابلة نسيت اسمه، السيوطي ذاكر اسم الكتاب، وفيه التمهيد فيما يجب التحديد للسبكي، فتاوى السبكي رأيته؟ وابن القيم في طرقه الحكمية في القرائن. **[مجلس ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ]**.

السائل: ما توسع فيه؟

الجواب: نعم، ما جاء بترجيح شيء.

السائل: لا، قصدي بالنسبة الذي هو لعمل الأوراق والمستندات بالنسبة للحالية هذه؟

الجواب: نعم، الكتاب ما حكمه من باب المسألة؟ هل هو قرينة أو بينة؟

طبعًا هي معروفة، ما أدري الذي في ذهنكم؟ المعروف أن الكتابة إذا كانت من معروف الخط، فهي من أقوى البينات، ولذلك يعمل بها في الطلاق، وفي التولية. . . ، يعين القاضي بكتاب، ويعزل بكتاب.

السائل: وكتاب القاضي للقاضي؟

الجواب: كتاب القاضي للقاضي. . ، إذا كان معروف الخط بختم معروف، وهو مؤتمن عليه، فهو لا شك أنه أقوى البينات. [**مجلس ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ**].

س ١٣١: هناك في (السير) كلمات الحقيقة أستغرب من أوردها، ولا أدري هل هي في بدايته؟

الجواب: لا، أما في بدايته، فلا؛ لأن (سير أعلام النبلاء) للذهبي آخر مؤلفاته، هو انتهى تقريبًا في ثمانية وثلاثين منه أو تسعة وثلاثين، يعني: سبعمائة وتسعة وثلاثين، كتبه الباقية كلها متقدمة، (تاريخ الإسلام) متقدم، الكتب الأخرى كلها متقدمة؛ ولذلك النسخ الموجودة منه كلها تومئ إلى هذا.

الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في توحيد الأسماء والصفات واضح متميز في توحيد الأسماء والصفات، وفي توحيد العبادة كذلك، لكن في وسائل تحقيق توحيد العبادة عنده خلط في الوسائل، يتساهل، وهذا فيما يظهر - والله يغفر له ويرحمه - يظهر إنه طبيعته في داخله سمح، طبيعته وتركيبه سمح، إذا قرأت سيرة الذهبي وأحواله مع طلابه ومع الناس ومع المجتمع، تجده سمحًا، وليس من ذوي القوة.

السائل: الشيخ إسماعيل رحمه الله له تتبع حسب قراءته إلى المجلد التاسع.

الجواب: نعم، ربما؛ فالشيخ إسماعيل أذكر له بحثا، هو ليس بمستغرب، حتى ترى في غير السير، تجد أنه لما سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - إمام الدعوة رحمه الله - عن الأئمة والعلماء الذين يعظمهم، فذكروا: الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، وابن كثير، فالذهبي له عندنا مقام عالٍ لا شك، لكن هذه الأشياء التي غلط فيها مثل: ما يروى عن أحمد: أشياء تتعلق بالتوسل، والقسم بالنبي ﷺ، والتمسح بالمنبر، يعني: أشياء من هذا. **[مجلس ٦/ ١٤١٨هـ]**.

س ١٣٢: عن كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية، ألا يؤخذ منها أصول وقواعد؟

الجواب: لكن ليس بعلم.

السائل: يعني: مثلًا الصوفية وأحوالهم وكذا؟

الجواب: نعم طرح لا شك، مثل: ما تفضل به الأخ عبد الرحمن أنه فيه كثير، كثير جدًا، في أول ما بدأ التصنيف في السلوك عند المتصوفة، تأثرًا بمدرسة أفلوطين الإشراقية في الإسكندرية، هذا أول ما بدأ، ثم بدؤوا بها كلامًا، وصارت تتناقل الأقوال الغريبة في السلوك وإشراق النفس وتربيتها، إلى آخره، فصنف من صنف على طريقته، ثم ألّف علماء السنة، ألّفوا كتب الزهد، مثل: الزهد لابن المبارك، مثل: الزهد لهناد بن السري، والزهد للإمام أحمد، والزهد لابن أبي داود، إلى آخره، وفي الرقائق كتب الحديث كثيرة: الرقائق في البخاري طويل، والرقائق في مسلم، إلى آخره، هذه

جعلوها في مقابلة أولئك، تلك المدرسة أيضًا امتدت، جاء عند الحارث المحاسبي، وجاء عند جماعات في هذا الباب، إلى أن وصلت إلى أبي عبد الرحمن السلمي، أبو عبد الرحمن السلمي صنف كتابين في الباب كتابا اسمه (طبقات الصوفية)، وكتابا آخر في أقوال أرباب الأحوال، أو أقوال العلماء، وطبقات الصوفية مطبوع، وله تفسير أيضًا ضمنه أقوال الصوفية مطبوع أيضًا، ثم بعد ذلك ألف في المسألة أيضًا من طبقة السلمي للحافظ أبي بكر الكلبابي، ألّف كتابه وهو كتاب طيب اسمه: (التعرف لمذاهب أهل التصوف)، وقسمه إلى أبواب، وذكر التعريفات في كل باب، لكنه أيضًا مشوب، يعني: ما يصدق عليه أنه علم، علم خُدم، ثم بعد ذلك آل الأمر إلى القشيري في (الرسالة القشيرية)، وتعتبر هي العمدة في هذا الباب، هذه الرسالة خدمها الغزالي في (الإحياء)، وسع أشياءه وأقواله، وقسمها تقسيمات، يعني: جعلها يستفاد منها، وقبل (القشيرية) هناك شيخه هو أحسن منه، هو أبو طالب المكي في كتاب سماه: (قوت القلوب)، كل هذه مطبوعة، ومن ضمن السلسلة كتاب الهروي (منازل السائلين)، الذي شرحه ابن القيم في (مدارج السالكين)، وجاء النووي، وكتب (بستان العارفين)، وجاء شيخ الإسلام، وكتب (التحفة العراقية)، يعني: هناك في هذا الباب مصنفات كثيرة جدًا.

السائل: يا شيخ - أحسن الله إليك - كتب الزهد والترغيب والترهيب ما تدخل في هذا الباب من الرقائق؟

الجواب: لا، الترغيب والترهيب ما يدخل في هذا الباب، لكن كتب الزهد نعم.

تواريخ العلوم مهمة حركتها، وهذه تأخذها من عدة كتب منها: (كشف الظنون)، ومنها: (أبجد العلوم)، ومنها: (كشاف اصطلاحات الفنون)، هذه تعطيك حركة العلوم كلها، سواء العلوم الشرعية، أو العلوم الأدبية، أو علوم الآلة بأنواعها، العلوم الصناعية، أو التاريخ، كل العلوم، تأخذ حركتها كلها تجدها، هذه تعطيك حركة العلوم. **[مجلس ٦/ ١٤١٨هـ]**.

السائل: البحث ينقسم فيها إلى قسمين: قسم الكتابات الرسمية، الذي هو كتاب القاضي للقاضي، وتعيين القاضي وعزل القاضي، وقسم للكتابات الفردية، كتب البياع والسماسرة؟

الجواب: إذا كان الكاتب معروف الخط، نجعل لها بحثًا خاصًا، إن شاء الله. **[مجلس ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ]**.

س ١٢٣: لماذا كان الناس لا يتقبلون الزمخشري؟

الزمخشري: كان أبتر الرجل، ويضع خشبة، وكان الناس لا يقبلونه، إذا أتى بلدًا لا يقبلونه، يرون رجله مبتورة، فيخشون أنها في حد أو في سرقة، أو في شيء، فلما رأى أن الناس ما أرادوه، فحدث بقصته.

يقول ابنه: كان في أحد بلاد الثلج، وكان الثلج كثيرًا وكثيفًا، وهو مرتحل من بلد إلى بلد، فأصابه الثلج، وهو نائم، كثر وكثر جدًا حتى جمدت أطرافه يقول: (حتى أحسست بأن رجلي انتهت ما عادت فيها حياة)، يقول: (أضربها، أحركها، ما عادت فيها حياة)، يقول: (لما أردت في الصباح أن أمشي، فإذا بالرجل ميتة، فتحاملت على نفسي، ومشيت، ومشيت، لكن وجدت أنها صعبة، فأخذتها فخلعتها)؛ لأنها تعطله في الرحلة، أي قال

لواحد معه : اخلعها ؛ لأنه لا يقدر أن يخلعها ، أي أمر غيره بذلك . [**مجلس ١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ**].

س ١٢٤ : عن قول أبي الوفاء ابن عقيل في آخر المناسك لما ذكر التفضيل للنبي ﷺ وحجرته على سائر المخلوقات، هل هذا الكلام صحيح؟

الجواب: لا ، ليس بصحيح، هذا مما رُد عليه، رد عليه ابن تيمية وابن القيم وجماعة، هذا اجتهاد منه . [**تعليقات على تحفة الطالب والجليس**].

س ١٢٥ : كان من المعلوم عن العلماء في السابق أنّهم يأتون بالمختصر أي: المتن المشروح، فيلاحظ أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاش فترة كان فيها الجهل، وعبادة غير الله ﷻ منتشرة، تحتاج إلى شرح، وكلّ ما ذكره شرح بعده هنا، هناك شرح موسع للشيخ رحمه الله، كآل الشيخ شُرِح من بعده، فما أدري هل شرح هذا الشيء، ولم يظهر رحمه الله؟ أو أنهم كانوا يكتفون بهذا المختصر، يفهمون الفهم ونحن الآن بحاجة إلى شرح؟

الجواب: بل شرحه أعظم شرح عن طريق الدعوة العلمية؛ ولهذا في عهده ما حصل من جهل التوحيد مثل ما حصل في العهود التي بعده، والتي آل الناس فيها إلى الكلام، إلى الأوراق، هو شرح من دعوة، شرح بالجهاد، بالمجاهدة، فهو ألّف كتاب التوحيد، ابتدأ تأليفه في البصرة، لما كان في البصرة، وأتمّه في حريملاء، ومكث فترة يدرّس هذا الكتاب لخاصة التلاميذ، ثم ذهب من حريملاء إلى الجبيلة وعيينة، في القصة التي تعلمونها

فإذًا هو من حيث الشّرح الورقي ما قصده بالشرح، لكن شرحه بدعوة وجهاد، ولهذا كان يكثر الكلام عند مسائل التوحيد، كلّ كلامه فيما يتعلّق

بالتوحيد، حتّى التفسير والحديث، هو كلّه يرجع إلى التوحيد، لهذا سألوه مرّةً، قالوا: أيّها الشيخ التوحيد فهمناه، نريد علومًا أخر، العلماء يدرسون علومًا أخر، ما جوابك؟ أي: لو جرّبت لنا علومًا أخر؟ قال: دعوني من هذا الجواب الآن، أنا مشغول بمسألة عظيمة، قالوا: ما هي؟ قال: ذكر لي، ولم أتثبّت، قال: ذكر لي أن فلانًا وقع على أمّه، فهل نقول: إنّ فلانًا وقع على أمّه دون تثبت؟! فأنا مشغول بهذه المسألة، عن سؤالكم هذا، قال: فتعاظموا الأمر، وتعجّبوا من هذا الّذي وقع على أمّه، ما هذه المصيبة؟! أعوذ بالله، أعوذ بالله، من هذا الّذي فعل؟! ثمّ بعد ذلك لمّا أتى في اليوم الثاني، قالوا: يا شيخ ما خبر هذا الذي وقع على أمّه، قال: لا، ليس الأمر كما نُقل لي، بل إنّ أمّه كانت مريضة، فأتى بديك صغير، وقطع رقبته عند الباب، قالوا: طمّنك الله، قال: هذا التّوحيد الّذي فهمتموه، ذبحه عند عتبة الباب تقرّبًا للجنّ، أم أنّه يقع على أمّه؟ إذًا التّوحيد لم تفهموه، فهذه الجملة أوردها في كتاب كشف الشبهات لمّا أورد بعض مسائل التوحيد، قال: (ومنه تعلم أن قولهم: التّوحيد فهمناه. من أعظم مداخل الشيطان على القلوب)، التوحيد يحتاج إلى أمرين:

أولًا: تدرسه علميًّا، ثم تدرسه قراءةً وتعلّمًا، كيف؟ أوّلًا: آيات التوحيد في القرآن انتبه لها، قبل أن تسمع كلام العلماء انتبه للآيات؛ لأن التوحيد في القرآن، ما أتى العلماء بشيء من عندهم، إنّما هو في كتاب الله، لو قرأنا كتاب الله ﷻ متدبّرين وقارئين لكلام أئمة الإسلام من السّلف والصّحابة من المفسرين لهذا القرآن يكفي؛ فهم فهموا التوحيد، الناس فهموه علمًا، يبقى العمل، لكن الواقع أنهم يقرؤون القرآن، ولا يعلمون منه أشياء

إلا أماني، ما يعلمون الحقيقة، ما يعلمون الحقيقة، يأتي واحد يجادل، يقول: لا يا أخي دعوة غير الله جائزة، كيف يا أخي؟ قال: من العلماء المشركين، الله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] كيف تقول إنّه جائز؟ قال: يا رجل هذه ليست دعوة، هذا الّذي يفعلونه ما يدعون غير الله، هؤلاء يجعلونهم وسائط، يجعلونهم وسائل، الله ﷻ يقول عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] قال: ما ذكره عنهم على سبيل نسبة، يعني: ما قالوا ذلك على سبيل الجد، أنّهم فعلًا ما عبدوهم إلا ليقرّبوهم، يعني: في معنى كلامه أنّهم لو كانوا قالوا ذلك على سبيل الجدّ، لمّا كانوا كفّارًا.

فإذًا عندك اليوم علماء يقرؤون القرآن، ويحرفونه عن مواضعه؛ ولهذا كان من أشدّ حاجتنا اليوم لدراسة كتاب التوحيد، بل دراسة التوحيد، ولهذا الناس ما يقعون في الضّلال إلا من جراء ترك التوحيد، والتوحيد إذا تركته مطالعةً في كتبه، وتدريسًا، وتعلّمًا، وتعليمًا، حتّى لأهلك في البيت هو ينقص عندك الفهم، انظر الآن النّاس، الآن هنا مثلًا بعضهم عوام، بعضهم كذا من أهل التوحيد، أحيانًا يطلقون عبارات تستغرب، تقول: كيف هؤلاء علموا التوحيد ودرسوه؟ لكن غفل الناس، من سنين ما دُرّس التوحيد في بيوتهم، ولا سمعوه في إذاعاتهم، أو أنصتوا له، ما سمعوه ليل نهار؛ لذلك حصل عندهم نوع تشويش، فمثلًا يأتون في نسبة الأشياء لغير الله من قبيل لولا، يقول: لولا فلان لحصل كذا وكذا، هذا كفيل، لولا هذا، ما شاء الله، لولاه لضعنا، لولا هذا السائق كان أصابنا كذا.

هذا نوع من الشرك الأصغر، نعم، انظر الحلف بغير الله، كذا الحلف

بالأمانة: وأمانتك، ونحو ذلك، انظر الذّهاب للمشعوذين من العرّافين. . . وواحد يقول: يقرأ الكف، والثاني ما يدري يقرأ ماذا، والثالث يذكر، ونحو ذلك، هذه من ادعاء علم الغيب، هذه كلّها من أصول التوحيد، كيف الواحد يدّعي علم الغيب؟! ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥] ما فيه شك ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فإذًا الإقبال على التوحيد منجاة، منجاة للعبد، بل وللنّاس جميعًا، ولهذا أضر الناس في هذا الأمر فئتان:

الأولى: من لم يقبل على تعلم التوحيد وتعليمه؛ جهّال ما أقبلوا عليه، فأصبحوا يقعون فيما يقعون فيه.

الثاني: من درس بعضًا، ولم يدرس بعضًا، وأصبح يخوض فيما لا يعلم ظانًّا أنّه يعلم، وهذا واقع يدخل في التكفير والإيمان، وذا وهو ما فهم التوحيد، قرأ بابين، أو قرأ كلامًا من كلام أهل العلم، ويدخل فيه أكبر المسائل في إثبات الإيمان وإثبات الكفر، ونحو ذلك، يأتي يقول: لا، هذا شرك أكبر، يفسّر آية بتفسير هو لم يعلم تفسيرها، وينسب لأهل العلم أشياء في ظنّه؛ لأنّه قرأ بعضًا، لا ينبغي لنا أن نتعلّم ذلك، حتّى يكون التوحيد في قلوبنا راسخًا علمًا وعملًا، ولا نفرّط فيه، علمًا وعملًا، ولا نفرّط فيه بأيّ وجه، لابدّ أن نكرّره، لا بدّ من تكرّيره، إذا انتهيت من الكتاب أعد، لا تغفل، تقول: أنا قرأت فتح المجيد، انتهى، قرأت الواسطية أو شرح الطحاوية، انتهى الأمر، لا، لازم نكرّره، إذا كنت معلّما، كرّر تعليمه، إذا كنت متعلمًا، كرّر التعلّم، وهكذا دون كلل يثبت، لكن إذا تركته، تبدأ تشتبه

عليك المسائل، وتختلف عليك، وتظنّ هذا، وانظر الآن حال بعض طلبة العلم الذين درسوا التوحيد في القدم في صغرهم، وهم منتسبون للعلم وكذا، تجدهم يقعون في أشياء تستغرب، نعم، يقعون في أشياء تستغرب، كيف يفعلون هذا؟! كيف يقولون هذه العبارة؟! لكن هذا يدّل على عدم عناية، لأنّ هذا الأمر هو حقّ الله على العبيد، أسأل الله ﷻ أن ينفعنا، وأن يلهمنا، ويوفّقنا إلى تعلّمه وتعليمه، وأن يعزّ أهل توحيده، ويضلّ أهل الإشراك به، وصلّى الله وسلم على نبيّنا محمد. [**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**].

س ١٢٦: يا شيخ! هنا قول الشارح في فتح المجيد بعد حديث رويفع: قال النووي: أي بريء من فعله. وهذا خلاف الظاهر، والنووي كثيرًا ما يتأوّل الأحاديث بصرفها عن ظاهرها، فيغفر الله له، ما العمل المترتب على هذا؟

الجواب: لا شكّ النووي رحمه الله عنده نوع تأويل، فهو يؤوّل؛ لأنّه متأثّر بمشايخه الأشاعرة، هو درس على مشايخ أشاعرة، ولهذا في شرحه على مسلم يقول: (قال أصحابنا المتكلّمون)، فكثيرًا ما يكرر هذه العبارة: (قال أصحابنا الأشاعرة، قال المتكلمون، ونحو ذلك)، وهذا نسأل الله ﷷ له فيه المغفرة، فهو إمام هُدى، بيّن كثيرًا من أحكام الشريعة، وصنّف، ونفع الله ﷷ به الأمة، فنسأل الله ﷷ له المغفرة فيما أخطأ فيه، قوله هنا يتأوّل، هنا فيه (بريء منه) قال: من فعله، هذا تأويل، فالنبي كان ممكنًا أن يقول: بريء من فعله، لكن قال: «**فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**»، يعني من ذات الشخص، وهذه هي البراءة، البراءة من الأشخاص، ومن الأفعال جميعًا، والّذي

يكون عنده عمل صالح وآخر سيئ، تكون البراءة من شخصه متبعّضة، يعني: ليست براءة منه كلّية، لكن براءة من شخصه بقدر ذلك، ولا يصحّ أن يقول قائل: هذا يقول: نحن نتبرّأ من أفعال النّاس، ما نتبرّأ من ذواتهم، نقول: هذا، فعله خطأ، ولا نقول هو خطأ، هذا ليس بصحيح، إذا أخطأ نقول: هذا مخطئ، إذا علم بالشيء نتبرّأ، نهجر الفعل والشخص؛ لأجل فعله ذلك الفعل، ونحو ذلك في أشياء كثيرة.

فإذًا قوله ﷺ: «فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»[1] يعني من ذاته وفعله جميعًا، (منه) يعني: ممّا يتعلّق به: ذاته وفعله، فقول النووي: «فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ» يعني: من فعله، هذا ليس هو الظاهر، فالظاهر أنّه من ذاته وفعله جميعًا. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٢٧: أحسن الله إليك! بالنسبة لبعض المحدثين يقولون: باب ما جاء في كذا.. من صفات الله ﷻ؟

الجواب: لا تقل بعض المحدّثين يقول كذا، هذا ما فعله إلا الحافظ البيهقي، وهذا الكلام الذي تقوله، تقول: بعض المحدثين، فعله الحافظ البيهقي، وذلك لأنّه ينفي بعض الصفات، فقوله باب ما جاء في كذا، يعني: أنّه يؤوّل - رحم الله الحافظ البيهقي -، فهو يقصد أنّها لا تحمل على ظاهرها، فهو فرّق بين الصّفات الذّاتية والاختيارية، ولعلنا نبحثها في وقت آخر.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ١٠٨، ١٠٩)، والطبراني في الكبير (٤٤٩١)، وأخرجه من طريق آخر النسائي في المجتبى (٨/ ١٣٥)، والبيهقي في السنن الكبري (١/ ١١٠).

السائل: والخطابي يا شيخ؟

الجواب: الخطابي ليس له كتاب ذكر فيه هذا.

السائل: هذا الباب شبيه بباب: يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها؟

الجواب: هو مثله؛ لأنها كلها راجعة إلى العلم بتوحيد الربوبية ونسبة النعم إلى الله ﷻ، الشيخ فرقها لذلك، وأتبع هذا الباب بباب قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٩٠] لهذا المعنى أيضًا. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٢٨: من السابقين لم يكتب أحد في الأسماء والصفات؟

الجواب: من السابقين لا يوجد أحد كتب بسلامة من الملاحظات؛ لأن أكثر الذين كتبوا في ذلك أشاعرة، القرطبي له كتاب مخطوط كبير في مجلد ضخم، ولكنه على طريقته في التأويل؛ لأنه متكلم.

الخطابي في كتاب (شأن الدعاء) فسر الأسماء الحسنى كلها، التفسير لا بأس به، حسن، ولكن في بعضها تأول شأن الدعاء. **[فتح المجيد شرح كتاب التوحيد]**.

س ١٢٩: ما الفرق بين هذا الباب وباب حماية النبي ﷺ جناب التوحيد؟

الجواب: هي متشابهة، لكن الحمى دائر بالمحمي، والجناب داخل فيه، فذاك ناسب أن يكون في أثناء الكتاب؛ لأن جانب الشيء، وجناب الشيء منه، وذاك وسيلة من الوسائل التي تؤدي إلى الغلو، وهذا حماية لجناب التوحيد في نفسه، وهذا حماية لجميع أجزائه وأنواعه؛ لهذا ذكر

لفظا قوليا، هو حق في نفسه، ذكر هذا اللفظ الذي أنكره النبي ﷺ، وهو له ﷺ حق، بخلاف عيادة القبور، أو جعل العيادة عيدا، يعني: يدور بدوران الزمان، فإن هذا في نفسه باطل، فهذا في نفسه حق، فدل على أن الوسيلة إلى الباطل قد تكون بشيء مباح في أصله، لكن يحرم؛ لجره لذلك، فالفرق بينهما أن هذا محيط بجميع أجزاء التوحيد، جميع أنواعه، ومثل بهذا للدلالة على الأكبر بالأصغر، وذاك من جهة الأفعال التي جنسها وقع فيه الغلو، وهو جعل القبور عيدًا تزار.

س ١٣٠: ما أسباب الحملة الشعواء على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، خصوصًا من أبناء جلدتنا؟

الجواب: أسباب متنوعة: قد يكون هناك هوى، وقد يكون هناك جهل، والدعوة كغيرها من دعوات المصلحين لها من يحبها، ولها من يبغضها ويعاديها، أو ينتقدها، فالشأن ليس في وجود المخالف، الشأن في أن هذه الدعوة واضحة بينة، على إرث عظيم من أئمة الإسلام والسلف الصالحين، ظاهر الدعوة - ولله الحمد - اتباع السنة والدعوة إليها، والاجتهادات فيما لم يرد فيه الدليل، والحمد لله أثرها بالغ، ما أتينا مكانًا في العالم إلا وجدنا فيه من ينصر هذه الدعوة السلفية - ولله الحمد -، فهي منتشرة، لا يضرها كلام متكلم، ولا عدم إنصاف مجحف، بل هي سائرة بإذن الله تعالى، والله ﷻ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] [سمات شخصية المسلم].

س ١٣١: أحسن الله إليكم، ذكر أحدهم في كتاب له أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ توافق عقيدة السلف جملة، فهل في تفاصيل عقيدة الشيخ ما يخالف عقيدة السلف؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، كلمة جملة الظاهر لي من كلامه أنه يقصد بلا استثناء؛ لأنها تُستعمل كلمة جملة، يعني: بلا استثناء، يعني: جملة لا يخالف في شيء، وقد تُطلق كلمة جملة بأن المراد بها في الأصول، ولكن قد يخالفهم في مسائل، وهذا إن كان مراد القائل، فليس بصحيح، فلا يُعرف عن هذه الدعوة ولا الدعوة السلفية بعامة ودعوة أهل الحديث أنها خالفت، بل هي الداعية إلى لزوم منهج السلف في الأصول والفروع. [**منهج أئمة الدعوة في الدعوة إلى الله**].

س ١٣٢: ذكرتم في كتابكم (المنظار)[١] أن الخوف من الجن يدخل في خوف السر، الذي عدّه العلماء من الشرك الأكبر، فهل هذا على إطلاق؟ وهل ينطبق ذلك على من يخاف إيذاء الجن في الأماكن الموحشة كالصحاري والبيوت المهجورة؟

الجواب: لا، معنى خوف السر ضبطه العلماء في شرح كتاب التوحيد، في مسألة الخوف، خوف السر: أن يخاف المرء من غير الله عَزَّوَجَلَّ في إيصال الأذى إليه بدون سبب، هذا هو الذي يختص الله عَزَّوَجَلَّ به.

والله جَلَّجَلَالُهُ يقدر على العبد مرضًا بدون سبب يعلمه، يقدر الموت بدون سبب يؤذيه، بدون ما يعلم، أما إذا كان الشيء له سبب ظاهر، أو كان له

---

(١) انظر: كتاب المنظار لشيخنا - حفظه الله - (ص ١٢، ١٣).

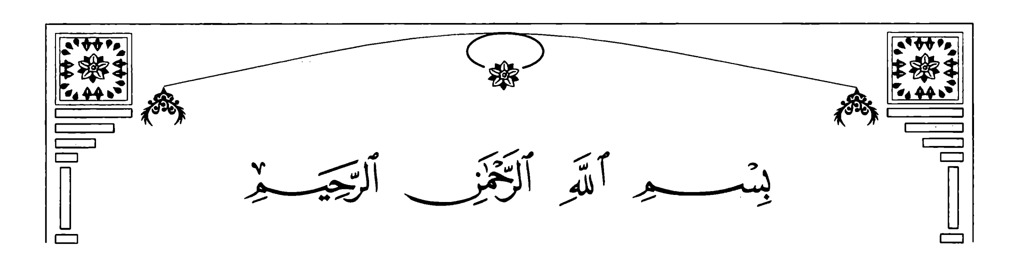
سبب، لكنه يخشى أن يكون الجن يتسبب فيه، ويكون سببًا طبيعيًا مثل: الخوف من الدخول في الأماكن المهجورة، أو في الظلام، أو نحو ذلك، يخاف من الشياطين ومن الجن؛ فهذه أسباب، لكن خوف السر: أن يخاف أن يناله الولي، أو أن يناله الجني، أو نحو ذلك بغير سبب، يعني: أن يعتقد أن عنده قوة وتصرفا؛ حيث يؤذيه بدون سبب، هذا ليس بحاصل، ما مُكن الجن من أن يؤذي العباد بدون سبب، الجني مثل الإنسي ما يؤذي بدون سبب، فإذا خاف من أن يوصله إلى الإيذاء بدون أسباب، يعني: لااعتداء من الإنس ولا فعل، يعني شيء يدل عليه من الجني، فهذا لايجوز.

وإذا كان الخوف خوفًا طبيعيًا ناتجًا، ليس خوف اعتقاد، وإنما هو ناتج عن ضعف الإنسان، وليس خوف اعتقاد في الجن، وإنما يخاف من إيذائهم واعتدائهم مثلًا في البيوت، فهذا قد يدخل في الخوف الطبيعي الذي يخشاه الإنسان، ولا يدخل في الخوف المحرم، ولا في الخوف الشركي.

إذًا المسألة ليست على إطلاقها، ولكن يوضحها لك ضابط خوف السر الذي وصفته لك: بدون سبب يُمْكنهم أن يعملوه، ما هو بدون سبب ظاهر، قد يقول: هو سبب خفي قد يعمله، ويقول: «الجني يؤذي بسبب خفي، ما أدري عنه»، لكن هو بدون سبب يمكنهم أن يعملوه، يعني مثلًا: أنه يتسلط الجني، يخاف من الجني أن يؤذيه دائمًا، يخاف من الجني أن يتسلط على أولاده، لماذا؟ لماذا يخاف؟ يخاف اعتقادًا، ليس خوفًا طبيعيًا، خوف اعتقاد يعتقد أن الجن يتسلطون، مثل ما كان الكفار إذا نزلوا واديًا، قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يظنون كل وادٍ له جن يمسكونه، وأنهم يعتدون على الناس، وهذا هو الذي نزل فيه قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ

﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]؛ لأن سبب الخوف هو الخوف من شيء لا يملكونه؛ فهذا خوف اعتقاد، خوف السر خوف اعتقاد، يعني: يعتقدون أن هذا الذي خاف منه يوصل الأذى إليه بدون سبب، بدون سبب يعلمه، بدون سبب معقول، ولكن هو عنده القدرة هذه، فإذا اعتقد هذا الاعتقاد في ولي، أو في جني، أو نحو ذلك، فهذا هو خوف السر، أما الخوف من مكان مظلم، خاف أن الجن يؤذونه، هذا قد يدخل في الخوف الطبيعي في بعض الحالات، ليس خوف اعتقاد [**شرح الطحاوية**].





س ١٣٣: من هم أهل الصفة؟

الجواب: الصفة(١) مكان في المسجد، يجلس فيه المساكين، لمن أراد أن يتصدق عليهم، أو يدعوهم للعشاء، وهم يجلسون فيه نهارًا ويبيتون فيه ليلا، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي قَالَ وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا**»(٢).

[تعليقات على صحيح البخاري].

س ١٣٤: هل كان للنبي ﷺ أملاك؟

الجواب: لا، ما كانت له أملاك ﷺ، فكان إذا أتاه شيء أسرع بتفريقه على الناس، ولا يبيت عنده، وفي حديث عقبة رضي الله عنه قال: «**صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ**

---

(١) (الصفة هي سقيفة مظللة كانت تأوي إليها المساكين في المسجد النبوي).
انظر: فتح الباري (١/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»(١)، وما تركه، فهو صدقة؛ مصداقًا لقوله ﷺ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» قَالُوا نَعَمْ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ فَقَالَ أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»(٢)، فما أحفظ أنه ﷺ أوقف أو حبس أرضًا، أو نخلًا، أو حائطًا، ولكن في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٣). [تعليقات على صحيح البخاري].

س ١٣٥: الآن بطحاء مكة مكانها بالضبط أين؟ هل هي قريبة من المعابدة أم من الحجون؟

الجواب: البطحاء معرس رسول الله ﷺ الذي كان في مكة، إذا انصرف من منى جلس فيه، ثم وافى البيت؛ لأن النبي ﷺ كان إذا انصرف من منى، بات فيه، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانُوا يَنْزِلُونَ الْأَبْطَحَ»(٤).

لهذا عدد من العلماء يرون أن البيتوتة فيه سنة، وليس مخرجًا خرجه

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥١)، ومسلم (٣٣٠٢) من حديث عقبة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٣١٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الرسول ﷺ وأنها من سنن الحج، وهذا ليس بصحيح، هذا غلط، لكن أين موقعه الآن؟ وهو وادي إبراهيم المنحدر من أعلى مكة والخارج من أسفلها فحده من المنحنى إلى مقبرة الحجون (المعلا). **[تعليقات على صحيح البخاري]**.

س ١٣٦: هل قصة ثمامة التي جاءت في صحيح البخاري: «**بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ....**» الحديث[١]. فيها جواز دخول المشركين للمساجد؟

الجواب: إذا كان للمصلحة، فليس هناك حرج، والمصلحة هي دعوة للإسلام، أو لنشر حقٍ، وما أشبه ذلك، فالنصارى قد دخلوا على النبي ﷺ في مسجده لما حصلت المناظرة، ووفد نجران بالمدينة حصل فيها المناظرة كذلك تلاوة الآيات عليهم إذا كان فيه مصلحة، فلا حرج، وقد أخرج أبو داود من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: «**أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنْزَلَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ**»[٢]، ومع أن الأصل هو عدم الدخول، لكن تارةً يكون لا بأس بالدخول إذا كان هناك مصلحة، وللأسف الناس لا يقبلون ذلك؛ لأنهم إما عوام أو جهلة، أو ما يعرفون الأحكام، فيرون أن دخول الكافر للمسجد من أعظم الذنوب، أو أنه تفريط في حق المسجد، فيدرأ من هذه الجهة، لكن الصواب إذا كان هناك مصلحة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩)، ومسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٢٦)، وابن خزيمة (١٣٢٨)، وأحمد (٤/ ٢١٨).

راجحة، فلا بأس من دخول المشرك أو دخول النصراني الكتابي للمسجد. **[تعليقات على صحيح البخاري]**.

س ١٣٧: هل الساعة التي أحلت للنبي ﷺ هي ساعة الوقت؟

الجواب: النبي ﷺ أحل له أن يدخل مكة بلباس القتال، وقد دخلها ساعة من نهار، والساعة هنا هي أكثر من ساعة الوقت، وقد كانت من الضحى إلى العصر، فهي بمعنى جزء من نهار، ولم تحل لأحد قبله، ولا يحل لأحد بعده ﷺ أن يدخل مكة بسلاح ليقاتل أهلها، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «حَرَّمَ اللَّهُ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدِي أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ. . .» الحديث[1]. **[تعليقات على صحيح البخاري]**.

س ١٣٨: ما صحة الرواية التي فيها أن شق صدره ﷺ كان وهو مسترضع في بني سعد؟

الجواب: هذا صحيح أن النبي ﷺ شق صدره ثلاث مرات، لكل مرة بما يناسبها، ومن العجيب ما رواه الإمام مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ»[2]. **[شرح الطحاوية]**.

س ١٣٩: هل كان المعراج بالبراق؟

الجواب: لا، البراق دابة؛ كما في حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه مرفوعا وفيه: «ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ الْبُرَاقُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَقَعُ خَطْوُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم (١٦٢).

عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقْنَا»[١] رُكب عليها ما بين مكة إلى بيت المقدس فقط، أما المعراج، فبالمعراج. **[شرح الطحاوية]**.

السائل: وما الذي جاء في وصف المعراج؟

الجواب: ورد أنه سلم له درجات مرقاة للصعود، إما من ذهب أو من فضة[٢]. **[شرح الطحاوية]**.

السائل: وهل الصخرة لها مكانة شرعية معينة؟ وماسبب شهرتها؟

الجواب: لا. الصخرة بناء القبة عليها حرام، والتعلق بها حرام، والصخرة ليس لها مكانة، وهي مثل غيرها من الأمكنة، وسبب شهرتها أنها ربط بها البراق؛ لأنها قريبة من المسجد الأقصى، وفي حديث بريدة بن الحصيب ﵁: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ فَخَرَقَ بِهِ الْحَجَرَ وَشَدَّ بِهِ الْبُرَاقَ»**[٣]، ثم مشى النبي ﷺ ودخل المسجد؛ كما جاء في حديث أنس بن مالك ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. . .»** الحديث[٤]،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم واللفظ له (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة ﵁

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٠٨)، وسبيل الهدى والرشاد (٣/ ٨٦)، والدر المنثور (٥/ ٢٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٣٣٧٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﵁.

ويقولون - وهذا لم أره في رواية ثابتة، ويحتاج إلى تأمل -: إنه ﷺ عُرج به منها، يعني: صعد عليها، ومنها طلع، لكن هذا ما أعرفه في رواية ثابتة.

ويقال: إن بها مغارة، وإن النبي ﷺ من هنا خرج، فلبعض الناس بها تعلقات، وقد نبه أهل العلم أئمة السنة، أن كل هذه التعلقات بالصخرة وبناء القبة عليها . . . إلى آخره، كل هذا كله حرام، بل ومن التعلقات غير الشرعية ومن وسائل الشرك. **[شرح الطحاوية]**.

س ١٤٠: ما الأفعال الجبلية التي فعلها الرسول ﷺ وليس علينا اتباعها؟ وهل يدخل فيها مشيته وأكله بثلاثة أصابع ﷺ؟

الجواب: هذا سؤال جيد، أفعال النبي ﷺ عند العلماء من الأصوليين والفقهاء والمجتهدين منقسمة إلى:

١ - أفعال يجب الاقتداء به فيها.

٢ - أفعال يستحب الاقتداء به فيها، يعني: أن يُستن به فيها ﷺ.

٣ - أفعال جبلية فعلها النبي ﷺ بمقتضى ما جبله الله ﷻ عليه من الرغبات وما يحب وما يكره، بمقتضى جبلته واختياره ﷺ، لا بمقتضى الوحي.

فهذه الأفعال الجبلية التي يدخل فيها طريقة نومه، أو هيئته في المشي، كان إذا مشى، فكأنما ينحدر من صبب، ونحو ذلك من صفاته ﷺ، التي هي بمقتضى الجبلة، كذلك ما يحبه من الأكل، يحب مثلًا الحلوى، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ»**[1]، وكان يحب أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٣١)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يخلط الرطب بالقثاء؛ كما في حديث عبد الله بن جعفر ﵁: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ الرُّطَبَ بِالْقِثَّاءِ»[١] وأشباه ذلك هذه ضابطها أنها:

أولًا: لا تدخل في نوع من العبادة.

ثانيًا: أنه لم يأمر بها النبي ﷺ، ولا حض عليها، لكن من فعلها اقتداءً بالنبي ﷺ، فإنه يثاب على نية التأسي برسول الله ﷺ، لا على نفس الفعل، ولكن على نيته التأسي.

أما الأفعال العبادية، أو ما أمر به، أو ما فعله النبي ﷺ من الأفعال العبادية، فهذه يؤجر العبد على التأسي به، يؤجر على الفعل نفسه، وعلى نيته التأسي جميعًا، أما الأفعال الجبلية، فمن فعل كفعله ﷺ مما لا دخل له في العبادة، ولم يأمر به ﷺ وإنما كان مقتضى ما يحب وما يكره، فقد كان يشرب الماء مصًا ﷺ[٢]، وكان إذا مشى كأنما ينحدر من صبب؛ كما في حديث علي ﵁: «إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ»[٣]، وكان يحب من الأكل كذا، وكان يحب الدباء يتتبعها[٤] في الإناء... ونحو ذلك مما هو من مقتضى الطبيعة، فتركه ﷺ للضب، ولم يحرمه ﷺ، وقال: «لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ»[٥] ونحو ذلك من الأفعال الجبلية، فهذه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٠)، ومسلم (٢٠٤٣) من حديث عبد الله بن جعفر ﵁.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٧٣)، والطبراني في الكبير (١٢٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٣٧)، وأحمد (١/ ١١٧) من حديث علي ﵁، وأصله عند مسلم (٢٣٣٠) من حديث أنس ﵁ «إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ».

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١) من حديث أنس ﵁.

(٥) أخرجه البخاري (٥٣٩١)، ومسلم (١٩٤٦) من حديث خالد بن الوليد ﵁.

لا يشرع التأسي به ﷺ فيها، لكن من تأسى، فإنه يثاب على نيته اقتداءه، ومحبته للنبي ﷺ، ومتابعته له في شأنه كله، لا على الفعل نفسه؛ لأن الفعل ليس محل التعبد. **[شرح الطحاوية]**.

س ١٤١: هل قصة إساف ونائلة صحيحة أم لا؟

الجواب: هي مذكورة في كتب السير ومعروفة. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ١٤٢: لماذا كانت عقوبة قوم نوح عليه السلام بسبب فعل الفاحشة؟

الجواب: لا، قوم نوح عليه السلام عوقبوا بسبب الشرك بالله. أظنه يقصد قوم لوط عليه السلام، لكن المكتوب قوم نوح عليه السلام. **[شرح كشف الشبهات]**.

س ١٤٣: هل كان النبي ﷺ يبيت جنبًا؟

الجواب: نعم، صحيح أنه كان ﷺ يبيت جنبا، لا يغتسل إلا الفجر؛ كما في حديث أبي سلمة رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْقُدُ وَهُوَ جُنُبٌ قَالَتْ نَعَمْ وَيَتَوَضَّأُ»(١)، وحتى في رمضان ربما لم يغتسل إلا إذا أصبح(٢) ﷺ **[شرح زاد المعاد]**.

س ١٤٤: ما معنى الجِبِلِّي؟

الجواب: الجبلي ما كان من الخلق، من الطبيعة، ما فعله اكتسابا من الطبيعة، حبه لشيء طبيعة، مثل: حبه أكل الحلوى ﷺ، وحبه ﷺ شرب العسل، ومشيته ﷺ على هذا النحو، يمشي كأنه ينحط من صبب، كأنما

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦)، ومسلم (٣٠٥) من حديث أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٦)، ومسلم (١١٠٩) من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

يتقلع ﷺ. [شرح زاد المعاد].

س ١٤٥: بالنسبة للادهان والترجل؟

الجواب: لا، هذا خارج، هذا مكتسب، الادهان والترجل هذا مكتسب ما كان داخلا في الخلق طبيعةً، وهذا هو الذي يقال له جبلي، يعني: غير مكتسب، فما فعله النبي ﷺ اختيارًا، وترك غيره، واختاره، فهذا يدخل في السنن، ترك شيئًا، واختار شيئًا، فهذا يدخل في السنن.

أما ما كان في طبيعته؛ كمحبته لبعض الأشياء، وشكله في مشيته، ونومه، وأشباه ذلك، فهذا داخل في الجبلي، فضابط الجبلي هو: ما كان من جهة الخلق، ولم يدخله الاكتساب.

أما ما كان من جهة الخُلُق، فهذا ليس بجبلي، ما كان من جهة الاكتساب، فعله النبي ﷺ بعد أن لم يكن فعله، اختار هذا، وترك هذا بعد التشريع، مما هو من قبيل الخُلق، لا من قبيل الخَلق، هذا يخرج عن كونه جبليًا إلى الاقتداء به فيه. [شرح زاد المعاد].

السائل: ألا يقال إن هذا فيه تفصيل؟

الجواب: لا، ما فيه تفصيل، الذي فعله ﷺ على جهة الاختيار لنا في رسول الله أسوة حسنة من حيث هي، قد يأتي عارض آخر، فيكون أولى من جهة، أولى من الاقتداء.

السائل: ألا يقال هنا إن الشَّعر عادة؟

الجواب: هذا لا يستقيم، الشَّعرُ ليس عادة، الشَّعرُ أمر به ﷺ: «مَنْ كَانَ

لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»[١]، المقصود من هذا أن اتخاذ الشعر سنة، لمن قوي عليه، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لو قوينا عليه لاتخذناه)**[٢] ولكن هذا يأتيه عارض آخر، هنا الاقتداء به فيه؛ لأنه اختار ﷺ هذا الذي اختاره سنة، سواء في إبقائه، أو في طوله، أو في هيئة فرقه، وافق أهل الكتاب، ثم خالف، سدل، ثم فرق؛ كما في الحديث المتفق عليه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ فَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤُوسَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ»**[٣]... إلى آخره. **[شرح زاد المعاد]**.

س ١٤٦: هل لبس النعال السبتية من العادات؟

الجواب: لبس النعال السبتية؛ كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: **«وَأَمَّا النِّعَالُ السِّبْتِيَّةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعَرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا»**[٤] فهذا من العادات؛ لأنه موجود عندهم كذلك هيئة تفصيل قميصه ﷺ، ولبس الإزار والرداء بخصوصه دائمًا، هذه كلها من أمور العادات. **[شرح زاد المعاد]**.

س ١٤٧: وما الذي نقول: إنه من أمور العادات؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٣٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٥١)، ومسلم (١١٨٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الجواب: لا ، ما نقول: إنه كان من أمور العادات؛ لأن مسألة أنه من العادة أولًا مرجعه إلى حالة العرب، وحالة العرب هناك أشياء كثيرة كان يفعلها ﷺ كانت عليها العادة، مثل: اللباس، هذا عادة، كونه كان يحب الأبيض؛ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ. . .»[1] هذا اختيار، فهذا مكتسب، هذا الآن سنة.

كان إذا مشى - مثلا - داخل بيته قدم يمينه؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»[2]، هذا اختيار، هذه سنة، وكان إذا أراد أن يشرب شرب ثلاثا؛ كما في حديث أنس رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ»[3]، وهذا اختيار، قد تجد واحدًا لبس العمامة، ولبس العمامة جرت به العادة - عادة العرب -، فالعرب كانت تلبس العمائم، فالنبي ﷺ لبسها؛ كما في حديث عمرو بن حريث رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ»[4].

إذًا ضابط العادة ما يستقيم، والذي يستقيم: هل هو خلق أم مكتسب؟ وإذا كان مخالفا للخلق، يعني: ما جرى عليه جبليًا وطبعًا هو في شأنه ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤)، وابن ماجه (١٤٧٢) من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٣٥٩) من حديث عمرو بن حريث رضي الله عنه.

واختاره، يعني ما لم يكن خلقا، واختياره هذا يكون الاقتداء به سنة ﷺ مثل: النوم على جهة اليمين، فقد أخرج الترمذي: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَسَّدُ يَمِينَهُ عِنْدَ الْمَنَامِ ثُمَّ يَقُولُ رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»[١]. **[شرح زاد المعاد]**.

السائل: عفا الله عنك كيف تضبط هذه المسألة؟

الجواب: ما دام قربت من المسألة في أنه الاكتساب، اضبطها بالاختيار والاكتساب تنضبط، أما العادة، فالآن كل الذين يعارضون السنن والأشياء التي لا تدخل في العبادات، يعني: داخلة في الهيئات، أو في الصفات أو الشكل العام يقولون: هذا عادة.

هذا يلغي الكثير من الاقتداء؛ لهذا إذا اشتبه الشيء، فانظر فعل الصحابة: هل اقتدوا به أم لا؟ تجد أشياء ما اقتدوا بها؛ لأنها داخلة ضمن الخلق ومن الجبليات. **[شرح زاد المعاد]**.

س ١٤٨: ما لون حذاء النبي ﷺ؟

الجواب: تقصد لون خفه ﷺ ماذا كان؟ كان أسود، كما في حديث بريدة ابن الحصيب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّجَاشِيَّ أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَاذَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا»[٢]، وقد رواه الترمذي في (الشمائل)[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٩٩)، وأحمد (٤/ ٢٨١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٥)، والترمذي (٢٨٢٠)، وابن ماجه (٥٤٩) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) انظر: الشمائل رقم (٧٤).

حصلت واقعة لمحمود الشنقيطي - وهو لغوي مشهور - وأحمد بن أمين الشنقيطي، والاثنان سكنا مصر في أول القرن الماضي، وقد كان من أهل الترف، وكان يلبس الحذاء الأسود من نوع معين في ذاك الوقت، وكان علماء الأزهر، ومشائخه ما يلبسون ذلك، بل ينتقدون من فعل، وكان أحدهم بينه وبين الشنقيطي منافسة، فلما رآه أتى وعليه هذا الحذاء، غمزه بها أمام الناس، قال: أنت تلبس هذا الأسود مثل لباس الإفرنج... إلى آخره. وهذا وجدها فرصة عليه، فاستفتح المقال - وكان حافظا - ذكر الأحاديث التي فيها أن النبي ﷺ يلبس كان الخف الأسود، ثم انتقل إلى الرجل الذي عابه، وقال: وصاحبنا هذا من أجهل الناس بالسنة، وأنا أطلب أن يخرج من عداد العلماء؛ لأنه ينتقد سنة النبي ﷺ، فلا يصح أن يكون من علماء الأزهر، وهذا لا أدري هل هو لبسها اقتداء بالنبي ﷺ أو لا - الله أعلم - المهم أن النبي ﷺ كان يحب من النعال السبتية المقطوعة المفصلة على هيئة ما.

ومن العجيب أن الخرافيين صوروا نعله ﷺ بصورة لم ترد في الأحاديث، على شكل نعل هندية، وقد رأيت الصورة، وهم يعظمون صورة النعل، وقد ألفوا مؤلفات كثيرة في ذلك، حتى في بعض كتب الحديث المتأخرة مثل: كتاب (فتح المنعم في الجمع ما بين البخاري ومسلم) للشنقيطي، و(زاد المسلم في الجمع ما بين البخاري ومسلم) قد صوروها، وصوروا ماذا عليها؟ وزواياها... إلى آخره، ويعلقها الخرافيون في أماكنهم، وفي بيوتهم، يقولون: النعل مثال الرجل، وهذه النعل ارتفعت فوق المخلوقات حين عرج بها ﷺ، فصارت فوق الملائكة، وصارت فوق الماء، وصارت،

وصارت. . . إلى آخر كلامهم الخرافي، حتى صار أمرهم إلى تعظيمها، أو جعلها شبه وثن يبرزونه، ويناظرونه، ويعظمونه، ويبكون عنده، وأشياء من هذا القبيل - نسأل الله العافية والسلامة -، فعلينا ألا نتتأثر بذلك، وألا يشغلنا معرفة شكل النعل. **[شرح زاد المعاد]**.

س ١٤٩: فضيلة الشيخ، ذكرت حديثًا في السيرة، وهو ﷺ: «**لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري**»[(١)] وقد ذكرت أن جماعة من أهل العلم قد ضعفوا هذا الحديث، والسؤال: ما الموقف في التعامل مع نصوص السيرة النبوية، وهل يُطبق عليها قواعد الجرح والتعديل؟

الجواب: الحمد لله، وبعد، ما يروى في السيرة إذا كان يتعلق بالعقيدة، أو بالأحكام، أو بما يترتب عليه عمل، لابد أن يكون الحديث فيه مقبولًا، إما صحيحًا أو حسنًا، بحسب قواعد أهل الحديث.

أما إن كانت من قبيل السِّيَر والأخبار العامة، فهذه يتساهل فيها؛ لأن المقصود منها هو ما نُقل ونقله أهل العلم، إلا أن تكون موضوعة أو منكرة أو ما أشبه ذلك، فلا يسوغ.

وأنا ما ذكرت أنه ضعفه جماعة من أهل العلم، بل قلت إن إسناده فيه نظر. **[محاضرة تفاني السلف في نشر الدعوة]**.

س ١٥٠: عن وصية الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ**

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ١٣٥)، والطبري في تاريخه (١/ ٥٤٥) من حديث يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس رضي الله عنه.

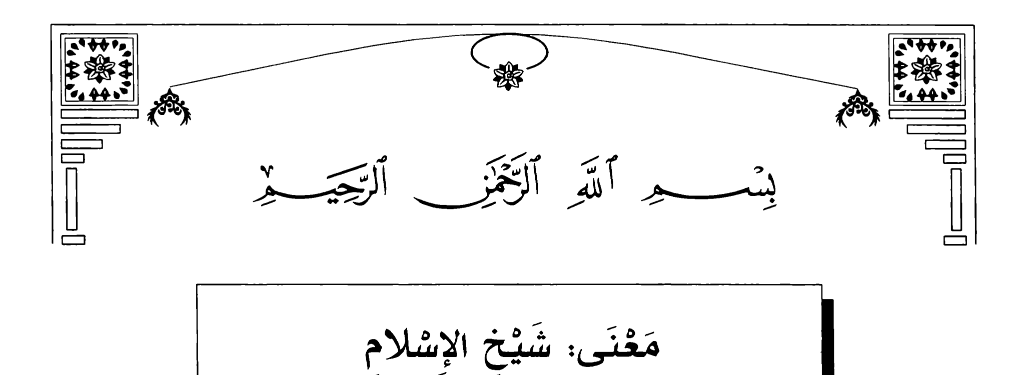
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ»[١] يعني: هل المرجع فيها وصية الشيطان أم إقرار النبي ﷺ؟

الجواب: لا شك أن المرجع إقرار النبي ﷺ، لكن كانت حقا جاء من ذاك الطريق؛ كما كان هناك حق قد جاء من طريق اليهود أو النصارى. **[محاضرة عهد ابن أم عبد ٢]**.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



مَعْنَى: شَيْخِ الإِسْلامِ

س ١٥١: هل يقال للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: شيخ الإسلام بدون تقييد، أي: هل يوجد للإسلام شيخ؟

الجواب: ما معنى شيخ الإسلام؟ هل هذا يعني أن الإسلام تلميذ عند إمام الدعوة، أو تلميذ عند ابن تيمية؟ ليس هذا المقصود.

(شيخ الإسلام) هذا لقب اصطلاحي، أطلق أول ما أطلق في أواخر القرن الثاني للهجرة على قلة، ثم بعد ذلك صار من حاز أنواعًا من العلوم والمعارف، وكان مقتديًا به، ليس في خاصة نفسه، وإنما له أتباع، وله أصحاب، وكان له أنواع من العلوم يشارك فيها، قيل له: شيخ الإسلام، وهو في مرتبة دون مرتبة الإمام؛ أعلى المراتب الإمام، ثم يليها شيخ الإسلام، وهذا ترتيب اصطلاحي، فالصحابة رضي الله عنهم، ما قيل فيهم: إنهم شيوخ الإسلام، وإنما ذكر هذا في بعض الأحاديث في وصف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع شيء من التغير. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

مُقَلِّدٌ أَمْ سَلَفِيٌّ

س ١٥٢: ما رأيك فيمن يقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فيه نوع تقليد للمذهب، وأنه ليس سلفي المنهج، وإن كان سلفي الاعتقاد؟

الجواب: هذا قول باطل، ولا شك، ومن قال بمثل هذا الكلام، فما يعرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا يعرف الدعوة بلا شك، ما يعرفها حق المعرفة، ربما اطلع على الكتب المشهورة للشيخ مثل: كتاب التوحيد، وبعض الكتب، وما درس دعوة الشيخ ولا رسائله ولا مؤلفاته، مما وقع بينه وبين الفقهاء في وقته أنه يدعو إلى نبذ التقليد والتعصب للمذاهب، حتى إنه قال للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي في وقته، في رسالة مشهورة مهمة، فيها أنواع من العلوم، قال فيها العبارة المشهورة: **(وأكثر الإقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه)**[1]، والشيخ محمد خرج عن المذهب في مسائل كثيرة جدًا، واتبع الدليل، والاعتناء بالدليل في هذه البلاد إنما كان ثمرة من ثمرات دعوة الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن في نجد ما كان عندهم إلا قول المذهب، انظروا إلى المؤلفات التي قبل الدعوة، راجعوا المؤلفات، طالعوها، تجد أنه قال فلان، وقال فلان، ليس فيها نوع استدلال، أما بعد الدعوة، فتجد أن المؤلفات كلها مشحونة بالأدلة، سواء في الفقه أو في العقائد، فهذه الكلمة إنما هي كلمة من لم يدرس الدعوة، ولم يعرف حقيقتها. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٥).

حقيقة الصَّاوِي

س ١٥٣ : من الصاوي الذي رد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وما مقولته على الشيخ؟

الجواب: الصاوي هذا أحد المالكية في زمن الشيخ، أو بعده بقليل أو قريبًا منه، وله كتاب (حاشية على الجلالين)، وهو من فقهاء المالكية، وله كتب كثيرة في الفقه المالكي، لكن له كتاب (حاشية الصاوي على الجلالين)، له كلام سيئ فيها في مواضع، ومنها عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، تكلم في هذا الموضع عن الاجتهاد، وإغلاق باب الاجتهاد، ومن يأخذون بظواهر النصوص، ونحو ذلك.

الصاوي هذا مالكي، كتابه (حاشية الصاوي على تفسير الجلالين) رد عليه الشيخ في وقته ردودًا كثيرة، أما الآن فرد عليه الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه أضواء البيان عند هذه الآية؛ لأنه طول على هذه الآية، حتى كتب ما يقرب من مائتي صفحة على هذا الموضوع[1].

وأيضًا رد عليه الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي، من علماء قطر، في كتاب اسمه: (المجوع)، لكن تتمته في: (الرد على من قال: إن الأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة من أصل الضلال والكفران)، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العافية والسلامة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. **[شرح مسائل الجاهلية]**.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ٤٣٧).

الفَرْقُ بَيْنَ ابْنِ العَرَبِي وابنِ عربي

س ١٥٤: هل هناك فرق بين ابن عربي وابن العربي؟ أم أنهما شخص واحد؟

الجواب: ابن العربي هذا فقيه مالكي معروف، صاحب كتاب (أحكام القرآن)، وصاحب كتاب (عارضة الأحوذي)، وصاحب (شرح الموطأ)، عالم من علماء المالكية معروف، لكنه كان قليل العناية بالسنة - كما سمعت ذلك من سماحة الشيخ عبد العزيز رحمه الله - ولكنه كان فقهيًا مالكيًا وعالمًا، وعنده ما عند غيره من أهل العلم.

أما ابن عربي بحذف الألف واللام، فأصله هو ابن العربي مثل الأول؛ لأنه أندلسي، كما أن الأول أندلسي، والعربي اسم هناك في تلك الجهات يكثر التسمية به، لكن لما كان على تلك الزندقة والضلال؛ فرق العلماء بينه وبين الأول، بأن حذفوا منه الألف واللام؛ لأن الألف واللام تشريف وتعريف، فحذفت من ابن عربي؛ لأنه لا يستحقها، فقيل: ابن عربي للتنكير. [**شرح العقيدة الواسطية**].

اِعْتِرَاضٌ

س ١٥٥: أحسن الله إليك، لقد قلت: إنه لم يكن هناك علماء يبينون الحق ومذهب أهل السنة في زمن شيخ الإسلام، وهذا في نظري غير صحيح؛ وذلك لوجود كثير من مشايخ شيخ الإسلام وتلامذته؟

الجواب: هو الكلام الذي ذكره صواب؛ بقوله: (لم يكن) يعني من قال: (لم يكن هناك علماء يبينون الحق ومذهب أهل السنة في زمن شيخ الإسلام) بهذا اللفظ الاعتراض عليه صحيح، لكن لو تأمل كلمتي جيدًا، فأنا قلت: لم يكن هناك من يظهرونه، تذكرون هذه كررتها كذا مرة في ظهورهم، وكان هناك قبله علماء صنفوا، لكن لم يكونوا في ظهورهم بالحق وإظهارهم له بمثابة شيخ الإسلام ابن تيمية، أما أن هناك علماء؟

فنعم هناك علماء، وشيخ الإسلام ابن تيمية نشأ على غير مذهب السلف، نشأ مبتدعًا، لم يكن على طريقة السلف الصالح، بل نشأ على غير طريقة السلف الصالح، ومشايخه لم يكونوا على طريقة السلف الصالح، يعني: أكثر مشايخه إلا نذرٌ منهم، وهذه ذكرها عن نفسه، قال في موضع في الفتاوى: (**وأما أنا فقد كنت في الأصلين على غير طريقة السلف الصالح**)، والنص في الفتاوى، وشيخ الإسلام إنما هداه الله ﷻ لذلك متأخرًا، يعني: بعد سنة ستمائة وتسعين، وعمره جاوز الثلاثين أو فوق الثلاثين، لم ينشأ على العقيدة الصحيحة؛ ولذلك رأى الغربة، وأكثر مشايخه من الحنابلة على طريقة السلف، ولكنهم يفوضون في الصفات، ويفهمون مذهب أحمد أنه التفويض، وهذا باطل، فشيخ الإسلام كان يواجه أشياء عظيمة في زمنه رحمه الله تعالى، وأجزل له المثوبة، وجزاه عنا خير الجزاء. [**شرح العقيدة الواسطية**].

معنى: أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ

س ١٥٦: ما معنى قول عمر رضي الله عنه: «**أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ**»[(١)]؟

الجواب: يعني فوت بعض العلم عليه؛ لأن هذا العلم أدركه صغار الصحابة رضي الله عنهم، وفات عمر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه لام نفسه أن شغله الصفق بالأسواق عن أخذ العلم، لكن هذا مبني على النظر في المصالح والمفاسد، فإن إغناء المرء نفسه وعياله واجب أن يغنيهم عن الناس، وألا يتعرض للناس أعطوه أو منعوه، وهذا إذا كان لا يكون إلا بتجارة، وإما بذهاب إلى الأسواق، وصفق فيها، وعقد المبايعات، فإنه واجب عليه؛ لأنه يجب عليه أن يمون نفسه وأهله، وألا يضيعهم، وقد جاء في الحديث: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ**»[(٢)].

وكذلك في الولايات العامة التي اشتغل بها عمر رضي الله عنه، واشتغل بها الأمراء من الصحابة الذين تفرقوا في البلدان، الأمير غير القاضي، غير المعلم، فكان يبعث أميرًا، ويبعث أيضًا قاضيًا، ويبعث معلمًا في بعض البلاد؛ كما بعث عمر إلى الكوفة الثلاثة، فالمقصود أن الفاضل قد ينشغل بالولايات العامة؛ نظرًا إلى أنها أفضل من تحقيق المصالح الخاصة؛ ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٢)، ومسلم (٢١٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، والنسائي في الكبرى واللفظ له (٥/ ٣٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأصله في مسلم (٩٩٦) بلفظ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**».

تجد أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما ولي من الأمر العام للمسلمين، وكذلك أمراء الصحابة في البلاد لم يتفرغوا للناس في تعليمهم، وفي الجلوس لهم، وفي التحديث لهم، كما كان عليه صغار الصحابة من مثل: ابن عمر، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وأنس، وأشباه هؤلاء، وكان أولئك أفضل، مع أنهم لم ينشغلوا عن العلم، أو عن تعليمه، أو عن إرشاد الناس إلا بما هو أفضل قطعًا عندهم؛ ولهذا القاعدة عند المحققين من أهل العلم أن الأجر في الأعمال التي يليها المرء - أعمال النوافل من العبادات والطاعات أو بعض الفرائض - إذا تمايزت وتفاضلت، الأجر يكون بقدر تحقيق المصالح، فإذا كانت مصلحة العمل أعظم، كان الأجر أعظم، وإذا كانت مصلحة العمل أقل، كان الأجر فيها أقل؛ لأن الشريعة مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها؛ كما قال طائفة من العلماء من شيخ الإسلام، وابن القيم، وجماعات: أن توجيه ترك بعض الصحابة الزيادة في التعلم، والالتقاء بالنبي ﷺ، والإكثار من سماع حديثه ﷺ مع أن في هذا حفظ الدين، لكن هم انشغلوا بواجب آخر لابد لهم منه، وذلك الواجب كان مرجحًا لما تركوه.

فلا يقال: إن مثل: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومثل: ابن عمر، وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ومن كانوا قريبين من النبي ﷺ أنهم أفضل ممن كانوا بعيدًا عنه، ولم يسمع من حديثه إلا ما هو أقل مما سمعه أولئك، بل الفضل منوط بتحصيل مصالح والنصرة وأشياء: من الإتيان بأصول عامة، وكليات عامة في نصرة الدين، وأشباه ذلك، فهذا يرجع إلى قواعد عامة في تفاوت الأجور. **[تعليقات على صحيح البخاري]**.



كِذْبَةٌ شِيعِيَّةٌ

س ١٥٧: هل شخصية عبد الله بن سبأ، شخصية وهمية؟

الجواب: قيل: إن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية، والشيعة يؤكدون على هذا، ولهم في ذلك عدة مؤلفات، ويؤكدون على أن عبد الله بن سبأ شخصية متوهمة، وليست بالحقيقية.

والذي عليه أهل السنة والجماعة ممن ألف في العقائد(١)، أو في التاريخ(٢)، أو الفرق(٣): أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية، وأنه كان باليمن، ثم أتى إلى المدينة، ثم ذهب إلى مصر والشام، وأنه هو سبب التفرقة بين المؤمنين في عهد عثمان، فكان يكتب - كما روي ذلك بأسانيد مختلفة - وشهرة اسمه عند أهل السنة، وتناقل ما ذكر عنه في تفصيل معروف في موضعه، وهذا يغني عن تتبع الأسانيد في هذا الباب.

فشخصيته مشهورة، وهو سبب إحداث الفرقة في عهد عثمان رضي الله عنه، حيث كان يكتب لكل والٍ في مصر من الأمصار بما أخذه هو على الوالي الآخر، ويكتب للناس بذلك؛ لإيغار الصدور بعضها على بعض.

والفرق السبئية من الفرق المشهورة المعروفة، المدونة في كتب التاريخ وكتب العقائد والفرق، فقد كانوا يقولون بألوهية علي رضي الله عنه، وهم الذين

---

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨/ ١٤٦١).
(٢) انظر: تاريخ دمشق (٢٩/ ٣).
(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٢).

يتبعون عبد الله بن سبأ، الذي نفي إلى فارس، وبسبب نفيه هناك ظهرت فرقة الشيعة الرافضة أكثر من غيرها. [**شرح الطحاوية**].

الرِّسَالَةُ الأحْسَائِيَّةُ

س ١٥٨: ماذا تعلمون عن الرسالة التي أرسلت إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من الأحساء؟

الجواب: هناك عدة رسائل تأتي للشيخ من بعض علماء الأحساء، وأخص منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي، فله عدة رسائل مع الشيخ، والشيخ رحمه الله لما رجع من البصرة مر عليه في الأحساء، وجلس عنده عدة ليالٍ، وفرح الشيخ رحمه الله بعبد الله بن عبد اللطيف فرحًا عظيمًا؛ لأنه وجده يخالف الأشاعرة الذين نشأ على طريقتهم في مسائل الإيمان؛ حيث قال له مرة في رسالة له: (**اجتمعت بك من نحو عشرين سنة، وتذاكرنا في شيءٍ من التفسير الحديث، وأخرجت لي كراريس من البخاري كتبتها ونقلت على هوامشها من الشروح، وقلت في مسألة الإيمان، التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدين الله به، فأعجبني هذا الكلام؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين من كلام الأشاعرة**)[١]، يعني: في مسألة الإيمان.

وفي رسالة أخرى قال الشيخ رحمه الله لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي: (**فإني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي، وأتمنى من قبل هذه**

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية(١/ ٣٦).

المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم، ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني أنك لا تقبل، وتسلك مسلك الأكثر، ولكن لا مانع لما أعطى الله، والله لا يتعاظم شيئًا أعطاه، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضي الله عنه في أوله!)[١].

ورسالته مع رسائله لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي هذه فيها فوائد كثيرة في العلم، تبين لك عظيم علم الشيخ؛ لأنه إمام الدعوة، وإمام الدعوة إذا كاتب العلماء كاتبهم بلهجة علمية قوية وتفصيل في المسائل، وإذا خاطب العوام أو المتوسطين في العلم خاطبهم بما يعرفونه: **(حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ)**[٢]. **[شرح كشف الشبهات]**.

لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ

س ١٥٩: فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فيما فيه اختبار لتلاميذه من أجل العلم والتعلم هل يعتبر من الكذب؟[٣] وهل هو جائز؟

الجواب: نستفيد من فعل الشيخ أنه جائز للتعلم، والكذب للمصلحة الشرعية جائز؛ كما هو معلوم، النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»[٤]، وهذا الذي فعله الشيخ من أعظم

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧) من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) انظر: القصة في التقريرات على كشف الشبهات لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله (ص١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) من حديث أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها.

الخير لهم، وليس هذا من الكذب.

بالمناسبة نذكر أن بعض الإخوة يكثر من الاعتراض، وهذا لا ينبغي؛ فإن أفعال أئمتنا والراسخين في العلم نستفيد منها، فالأصل فيها الاستفادة والسلامة، إلا إذا عارضت نصًا أو دليلًا من الكتاب، والسنة، أو الإجماع، أو فعل الصحابة، أو نحو ذلك، فإنهم لا عصمة لهم، لكن الأصل فيها السلامة، وإننا نستفيد من أقوالهم ومن أفعالهم. **[شرح كشف الشبهات]**.

قَتْلُ ابْنِ مُلْجَمٍ

س ١٦٠: لم قام ابن مُلجم بأمر أصحابه بتقطيعه حتى الموت؟

الجواب: هو ما أمر أصحابه أن يقطعوه، هو طلب من ورثة علي - من الحسن والمسلمين - ألا يقتلوه دفعة واحدة، وهم قتلوه بالسيف ضربة واحدة. **[شرح كشف الشبهات]**.

نَجْد لم تكن تَحْتَ الوِلايَةِ العُثْمَانِيَّةِ

س ١٦١: عن قول بعضهم: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله خرج على الدولة العثمانية هل هذا صحيح؟

الجواب: هذا ليس بصحيح؛ لأن نجدًا من سنة ست وخمسين ومائتين قد خرجت عن حكم الدولة العباسية، وتولتها دولة يقال لها: الأخيضرية، وربما كانوا من الشيعة أو من الزيود، فخرجت عن السلطة، ولم تطمع فيها الدولة العباسية أصلًا، ولم ترسل لها أحدًا؛ لما حصل لهم من التفرق

والاختلاف والضعف؛ لأن نجدًا ليس فيها مطمع في ذلك الحين، ثم توالت الإمارات والدول على عدم الطلب من أهل نجد أن يدخلوا في السلطان، وكانت لهم إمارات ودول مستقلة من سنة ست وخمسين ومائتين للهجرة، إلى أن انقضت الدولة الأخيضرية في نحو سنة خمس مائة تقريبًا.

ثم بعد ذلك توالت الدول أو الدويلات الصغيرة أو الإمارات الصغيرة، وكل من أنشأ بستانًا أو مزرعة، وجمع الناس حولها صار أمير البلد والقرى، ... إلى آخر ذلك، فأتى إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا الواقع، وهو أن الدول أو الإمارات في نجد ليس لها ارتباط بالدولة العثمانية فليست الدولة العثمانية تعطيها، أو تنفق عليها، وأيضًا لا تطلب من أمرائها خراجًا، ولا تطلب منهم بيعة، إلى غير ذلك، بل هي متروكة؛ لعدم رغبتهم فيها، فليس فيها مال، وليس في أهلها مطمع، بل هي بلدان صغيرة متفرقة.

فجاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا الواقع: للعيينة أمير، ولحريملاء أمير، وللجبيلة أمير، وللدرعية أمير، وللرياض أمير، وللمنفوحة أمير، وللخرج أمير... إلى آخره، كل واحد منهم له إمارة مستقلة، وطاعة مستقلة، فدعا في هذا الأمر، فقامت الدولة السعودية الأولى على التوحيد، وانتشرت بعد ذلك بيعة شرعية صحيحة، هذه حقيقة الأمر.

أما قول من قال: (إنه خرج على الدولة العثمانية)، فهذا غير معروف عند علماء الدعوة أصلًا؛ لعدم دخول نجد تحت الولاية العثمانية في ذلك الزمان. [**شرح كشف الشبهات**].



موقف أئمة الدَّعْوَةِ من الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّةِ

س ١٦٢: ما رأيكم في الدولة العثمانية؟ هل إذا كانت الدولة فيها شرك، هل لها الولاء مثل: دولة المسلمين والتوحيد؟

الجواب: على العموم الكلام في الدولة العثمانية هناك رسائل لبعض أئمة الدعوة فيها، وعلماء الدعوة تكلموا عن العساكر التركية العثمانية التي هاجمت أهل التوحيد، ودرست معالم التوحيد في ديار أهله، وقتلت أهل التوحيد، وساقت من ساقت إلى مصر أو إلى تركيا، وقُتل هناك من قتل، فهذه العساكر التركية التي أعلت رايتها لقتال أهل التوحيد في عقر دارهم هذه يكفرها أئمة الدعوة الذين قاتلوهم، فيشهدون على من قتل بالنار؛ لأنهم قاتلوا تحت راية شركية؛ لدحر التوحيد وقتل أهله.

وأما الدولة العثمانية، فليس أئمة الدعوة من المكفرين لها بإطلاق، لكن من المعلوم أن حال الدولة العثمانية في القرون الثلاثة الأولى لها شأن، ومنذ عهد سليمان القانوني وما بعده بدأ دخول القوانين الإفرنجية فيها، ودخول أيضًا الصوفية وأشياء كثيرة مما حصل لهم، فكلام أئمة الدعوة من جهة الكفر في العساكر التركية؛ ولهذا تجدهم في كتبهم ينصون على العساكر التركية، يعني حتى لا يعم الحكم. **[شرح كشف الشبهات]**.



حقيقة تَرْكِ أَحْمَدَ الرَّوَاتِبَ

س ١٦٣: ورد عن الإمام أحمد أنه كان يترك السنة الراتبة، فإذا سئل عن ذلك قال: اكتفينا الرواتب بمذاكرة العلم مع أبي زرعة[1]، هذه كلمة الإمام أحمد، فهل ينطبق هذا على وضعنا في هذا المسجد؟

الجواب: لا، . . . لا يتصور في عالم أو في طالب علم أو في رجل صالح يرجو ما عند الله ﷻ، ويحب المصطفى ﷺ أنه يترك النوافل؛ فمن ترك النوافل، ردت شهادته؛ كما قال أهل العلم[2]، وإنما قد يترك العالم أو طالب العلم بعض النوافل لمصلحة راجحة؛ لأن النوافل نفعها قاصر، وقد ينشغل طالب العلم بما نفعه متعد، ويفوت وقته؛ فأبو زرعة من أهل الري، فلما قدم بغداد تذاكر العلم مع أحمد ليلة كاملة، حتى أصبح من بعد صلاة العشاء، وفي النهار ترك الإمام أحمد الرواتب والوتر فيما يذكر؛ وهذا لأجل أن مذاكرة العلم مع أبي زرعة نفعها متعد للأمة، ومصلحتها عامة في العلم، وفي الإرشاد، وفي نقد الأحاديث، وفي تعليلها . . . ونحو ذلك.

والرواتب قاصر نفعها على من أداها، وأيضا مذاكرة أبي زرعة تفوت، والرواتب يمكن زيادتها من النوافل المطلقة في وقت لاحق، ويأتيه الثواب،

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٩٨)، وتاريخ دمشق (٣٨/ ١٧)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص(٣٨٦) (٣٨/ ١٧) **(ما صليت غير الفرض استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على النوافل)**.

(٢) انظر: المغني (١/ ٤٢٥)، والفروع (٦/ ٨٤٣)، والفتاوى الكبرى (٢/ ٢٣٧).

يعني أن الأصل المتابعة في السنة، الأصل أداء هذه الرواتب، وقد يعرض لطالب العلم، وقد يعرض لشيخ ما يرجحه من جهة أنه أفضل شرعًا، لا من جهة هواه، أو من جهة رغبته.

ومعلوم أن الرواتب ليست بمفروضة، لكن من جهة المصلحة التي يرجوها في تركها مصلحة متعدية، فهذا يسوغ، لكن لا يكون ديدنًا له، ولا هديًا له، وهذه لها نظائر، فبعضهم ترك قيام الليل؛ لأجل التفكر، وبعضهم ترك بعض الصلوات؛ لأجل التأليف - يعني الرواتب لأجل التأليف - ونحو ذلك مما هو معلوم. [**محاضرة أدب طالب العلم مع مشايخه**].

الجَانِبُ العِلْمِيُّ مِنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عبد الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

س ١٦٤: نتمنى إلقاء الضوء على الجانب العلمي من حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وخاصة في علوم الحديث والفقه وعلوم الآلة والتفسير؟

الجواب: الجانب العلمي يتميز أو يتضح بأمور:

أولًا: الطلب على المشايخ.

ثانيًا: ما هو موجود من سلاسل الأسانيد التي أُجيز فيها بكتب كثيرة.

ثالثًا: ما هو موجود بين أيدينا من مؤلفاته المتعلقة بهذه الموضوعات.

أما بالنسبة للحديث، فإنه - كما ذكرت لك - أخذ عن علماء الحرمين،

وأجيز بالكتب الستة وبغيرها، وهذه الأسانيد معروفة لدى العلماء، وموجودة في الكتب التي ترجمت له، مثل: تاريخ نجد لابن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو تاريخ نجد لابن بشر، أو المقامات للشيخ عبد الرحمن بن حسن[1]، أو غيرها من الكتب.

وكان حريصًا على تحصيل كتب السنة، فحصل كثيرًا من كتب السنة، ودرسها، وأكثر من الاستدلال بها، وثَمَّ عدد من مؤلفاته متعلقة بالسنة:

ففي التوحيد له انتخابات من كتب السنة فيما يتعلق بالتوحيد.

وفي الفتن له انتخابات من السنة.

وفي الفقه له مجموع من الأحكام في أربعة مجلدات موجود من الأحاديث، ونقله فيها، وانتخابه انتخاب حسن ومتميز.

أما من جهة الفقه، فإن دراسته أصلًا كانت على أبيه الشيخ عبد الوهاب، وعلى عمه الشيخ إبراهيم بن سليمان، كانت في الفقه الحنبلي، وأخذ منه من صغره، ودرسه أتم الدراسة؛ ولهذا ألف فيه مؤلفات، هي في غاية العناية - على اختصارها -، مثل: اختصاره للإنصاف، والشرح الكبير، وجعل مختصر الإنصاف والشرح الكبير مدمجًا كل باب في باب واحد، اختصر الروايات والأقوال المختلفة، وأقوال السلف والخلاف العالي والنازل في مكان واحد.

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها فأقام بها، وحضر عند العلماء منهم محمد حياة السندي، وأخذ عنه كتب الحديث إجازة في جميعها وقراءة لبعضها). انظر: المقامات (ص٧).

وفي الفقه الحنبلي له عدة رسائل، وكتب في ذلك موجودة، مثل: آداب المشي إلى الصلاة. . . ، وغير ذلك، واهتم كثيرًا بالسنة العامة، فاختصر كتاب ابن القيم (زاد المعاد)، والاختصار في ذلك الوقت ليس مثل الاختصار في هذا الزمان؛ الآن تجد كل طالب علم عنده زاد المعاد، تجد عنده كتب السنة كلها، تجد عنده كتب الحديث، تجد عنده - ما شاء الله - رفًّا، أو جدارًا مملوءًا، أو ربما غرفة، أو أكثر، أما في ذلك الزمان، فتحصيل الكتب صعب، ولذلك كان اختصاره لها؛ لتقريبها إلى طلاب العلم؛ ولتكون أيسر في النسخ وفي توزيعها على الناس في البلاد، وعلى طلبة العلم.

والاختصار إذا كان فيه ملكة، فهو يدل على قوة علمية؛ لهذا فتاوى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ - وهي موجودة - كثيرة، تدل على عمقه في علم الحديث، وعلى عمقه في علم الفقه.

في أحد الرسائل قال أحد العلماء الذين كتبوا له، وقد قال رسول الله ﷺ **(اطلبوا العلم ولو في الصين)**، فعقب عليه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله: **(أما جزمك بأن النبي ﷺ قال: (اطلبوا العلم، ولو في الصين)، فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحته، وهو القول بلا علم، فلو أنك قلت: وروي، أو ذكر فلان، أو ذكر في الكتاب الفلاني، لكان هذا مناسبًا، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح، فلا يجوز، فتفطن لهذه المسألة، فما أكثر من يقع فيها)**[1]، ومعلوم البحث في إسناد هذا الحديث، المقصود أن ملكة

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٨).

الشيخ العلمية متنوعة، وأخذ من علماء مكة والمدينة - كما ذكرت لك -، والبصرة، وعلماء الأحساء، وعلماء نجد.

الوَهَّابِيَّةُ لَيْسَتْ تُهْمَةً

س ١٦٥: ما حكم من يبغض هذا الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويقول عنه: إنه لا يحب الرسول ﷺ، ويُنفر منه؛ لأنه يحذر من إقامة الموالد، وأيضًا يتهم أتباع هذا الشيخ بأنهم وهابيون؟

الجواب: إن مسألة الوهابية ليست تهمة، وإن كان تابع أحمد متوهبًا، يعني: الذي سيتبع النبي ﷺ وهابي، يقول: فأنا المقر بأنني وهَّابي، مثل: ما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن كان رفضًا حب آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان أنني رافضي[(١)]

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ محبته للنبي ﷺ أعظم ما تكون المحبة؛ لأنها محبة قولية واعتقادية وعملية:

أما الجهة القولية: فإنه قد اهتم بسنة النبي ﷺ، وحفظ الحديث، ودرسه، والاهتمام بسنته، والدعوة إلى الصلاة عليه ﷺ في كل مكان.

ذات مرة كان اثنان يتناقشان، فأحدهم يقول لرجل من أتباع الدعوة السلفية ومن أنصار الدعوة السلفية: (إن محمد بن عبد الوهاب ما يحب

(١) انظر: مناقب البيهقي (٢/ ٧١)، وتاريخ ابن عساكر(٥١/ ٣١٧)، وطبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٩٩)، ومعجم الأدباء (١٧/ ٣٢٠).

آل البيت)، فقال له - وكان ذكيًا -: ما اسم أولادك؟ فعدد أسماء مختلفة، فقال له: لكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أتدري ما أسماء أولاده؟

اسماء أولاده: الكبير: علي، وعبد الله، والحسن، والحسين، وله ابنتان: واحدة اسمها فاطمة، والثانية اسمها سارة، فإذا كان من شدة محبته وتعلقه بآل البيت يُسمي أولاده بأسمائهم؛ حتى يراهم يتحركون أمامه، ويرى أن هذا علي، فيذكره بعلي بن أبي طالب ﷺ، والحسن والحسين، ويرى حب آل البيت عمليًا، وما اختار الأسماء الشائعة، بالذات في نجد مثل: سليمان، ومثلما سمى باسم أبيه عبد الوهاب، مع أنه تعبيد لله ﷻ، لكن سمى بها، وله ولد اسمه إبراهيم أيضًا، باسم خليل الله إبراهيم، فهو أيضًا في تسمية الأولاد كان له في ذلك المحبة، ومن رأى كتاباته بيده عليه رحمه الله، وانظروها في الرسائل التي دونها بيده، تجدوا أنه إذا وردت الصلاة على النبي ﷺ ليس كسائر المؤلفين يوردها بخط صغير، بل ربما في أكثر المخطوطات تجد الصلاة على النبي ﷺ ما تقرؤها، بحيث تعرف أنها الصلاة على النبي ﷺ، لكن الشيخ كان يكتبها بخط كبير واضح، وهي موجودة في رسائله، وفي الصكوك أو الوثائق التي كان يكتبها رحمه الله.

وأما الجهة العملية: هو قد دعا الناس إلى السنة، فإذا كان اتباع الحبيب ﷺ ليس دليلًا على محبته، فمتى يكون دليل المحبة؟ والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالنبي ﷺ حقه في محبته أن يُتبع، وأن يُستجاب له فيما أمر ونهى، وأن تعظم سنته، وأن يصلى عليه في كل مجلس ﷺ، كُلما ذكر اسمه الشريف ﷺ، لكن البدع والمحدثات التي نهى عنها هو ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» يحذر أمته: «وَإِيَّاكُمْ

وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»، يقول: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

لو كان النبي ﷺ بين الناس اليوم، وقال لهم: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»، وتسأل أي واحد: هل المولد محدث أو غير محدث؟ لا يوجد أحد يقول: إنه ليس بمحدث، بل سيقول: إنه محدث؛ لأنه لم يفعله النبي ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا معاوية ﷺ، ولا الأمويون، ولا العباسيون، إنما ابتدأ فعله من الفاطميين، من الدولة العُبيدية الإسماعيلية المعروفة، ثم انتشر في الناس من ذلك الزمان، واستحسنه عدد من العلماء، والعلماء يصيبون ويخطئون، وما استحسنه العدد من العلماء ليس هو على الصورة التي توجد في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي: من الأدعية الشركية، والاستغاثات، أو حضور روح النبي ﷺ، أو القيام له، أو نحو ذلك مما يجزم بأنه من البدع المغلظة في الشريعة، وقد تصل في بعض الأقوال - إذا كان هناك استغاثة بالغائبين - قد تصل إلى الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

المقصود: أن الشيخ لم يذنب بكونه دعا إلى السنة، وعظم قول النبي ﷺ، وعظم هدي النبي ﷺ، بل هذا المفروض عند كل مسلم أن يكون أدعى له أن يُحبه رحمه الله؛ لأنه أحب الحبيب ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، والترمذي (١٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

فإذا كان هو أحب النبي ﷺ، ونحن نحب النبي ﷺ، فإذًا نحب من أحب النبي ﷺ حقيقة، وليس لسانًا ؛ لهذا كان بعض العلماء من مصر جاء ليُدرِّسَ في الرياض، في كلية الشريعة، ولما أمضى فترة من تدريسه، قال لأحد المشايخ : الحقيقة أننا في مصر نحب النبي ﷺ بالقول، وأنتم تحبونه بالقول والعمل، يعني : أننا نحب أن نصلي عليه، ونحبه، وكلما ذكر صلينا عليه، وأنتم تصلون عليه، لكن أنتم شديدون في تطبيق السُّنَّةِ.

فالتزام سنَّةُ الرسول ﷺ هو نوع من المحبة العملية والاعتقادية التي تميزت بها هذه الدعوة، ورضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ، ورحم الله الأئمة المجددين. **[محاضرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب]**.

مِنْ تَقْوَى الإِمَامِ أَحْمَدَ

س ١٦٦: قول الإمام أحمد: (أخاف أن يكون استدراجا)[١] ألا يعارض الحديث الصحيح فيمن يذكر في الناس بالخير، قال ﷺ: **«تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»**؟

الجواب: لا ، الذي جاء في الحديث هذا اطلاعهم على عمله، يعني : هو يعمل لله، ثم اطلعوا على عمله الذي جاهد نفسه في إخفائه، وأثنوا عليه بذلك، فقال: **«تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»**[٢]، يعني : أنهم اطلعوا عليه،

(١) انظر: الورع عن الإمام أحمد (ص١٤٩)؛ قال المروزي: (قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعين لك، فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجا).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وأثنوا عليه، الناس شهداء الله في أرضه، لكن المؤمن ما يأخذ بهذه البشارة ولا يخاف أبدا، لا يخاف الاستدراج.

هذا عمر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، وأحد وزيريه، وأحد المقربين عنده، وصهر النبي ﷺ والمبشر بالجنة رضي الله عنه يمسك بحذيفة ويقول له: يا حذيفة ناشدتك الله: هل عدّني رسول الله ﷺ مع المنافقين(١)، البشرى لا تعني الأمن؛ فالخوف علاج القلب. **[محاضرة من معين الإمام أحمد]**.

مُحَدِّثٌ أَمْ فَقِيهٌ؟

س ١٦٧: هناك من يقول: إن الإمام أحمد محدث، وليس بفقيه، فما توجيهكم لأمثال هؤلاء؟

الجواب: في كتاب ابن الجوزي هذا القول من المتقدمين يعني: قيل عن الإمام أحمد: إنه محدث وليس بفقيه(٢)، وفي الواقع الإمام أحمد فقيه أكثر منه محدثا، يعني: أنه كان متصدرًا للفتوى، فكان يفتي من صغره، ومن عجائب فتياه في أول أمره، وحمدها العلماء له وأثنوا عليه بها؛ لعظم فقهه فيها: أنه سُئل عن رجل نذر أن يطوف بالبيت على أربع يعني: أن يطوف على يديه ورجليه - هذا ظاهر الكلمة -، فقال أحمد: يطوف بالبيت أسبوعين(٣)، يعني: سبعة أشواط وسبعة أشواط، فيكون قد طاف على

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ٢٧٦).
(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٨٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢١).
(٣) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٨٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢١).

أربع، وقد أخذه العلماء عن الإمام أحمد؛ ذلك لأن الطواف على أربع مثله، مثله بصاحبه أيضا، مثله بالبيت أن يطاف حوله على هذا النحو، وأيضا فيه إشغال للطائفين، فهذا من عظيم فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالمسائل الفقهية التي تميز بها أحمد، وأخذها العلماء عنه كثيرة جدا، إذا فقول القائل: (إن الإمام أحمد محدث وليس بفقيه)، هذه قديمة من بعد القرن الذي عاش فيه أحمد، ولكنها ليست كذلك، وإنما الإمام أحمد جمع له ربنا ما بين الحديث والسنة والفقه. **[محاضرة من معين الإمام أحمد]**.

حُكْمُ التَسْمِيَةِ بِشَيْخِ الإِسْلامِ

س ١٦٨: ما حكم تسمية أهل العلم بشيخ الإسلام، أو حجة الإسلام، أو تقي الدين ونحوه؟

الجواب: هذه إذا درج الناس عليها في تسمية أحد، فإنزال الناس منازلهم مشروع، فيكون الناس يسمون فلانًا - من أهل السنة - شيخ الإسلام، وأنت لا تسميه، أو يسمونه بإمام أهل السنة، وأنت لا تسميه.

أما الابتداء، فإنه لا ينبغي، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كراهته لتلقيبه بتقي الدين؛ وذلك لأن فيها التزكية، وما شاعت مثل هذه الألفاظ - يعني: تقي الدين وزكي الدين وما يماثلها - إلا متأخرة، في العصور المتأخرة، أما شيخ الإسلام، فأول من قيلت فيه: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ جاء في الحديث أن النبي ﷺ ذكر أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال عنه وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«هما شيخا الإسلام»**، أو كما جاء، ولا يحضرني درجة هذا الحديث.

وأول من قيلت فيه من العلماء: عبد الله بن المبارك، وقد قيل فيه: إنه شيخ الإسلام.

وفي الاصطلاح عند أهل الفنون أن شيخ الإسلام هو: من جمع فنونا عديدة تكلم فيها مما ينفع الإسلام والدين، فيقال له: شيخ الإسلام، ثم آل الأمر في الدولة العثمانية التركية، إلى أن يكون اسم شيخ الإسلام وظيفة مثل وظيفة المفتي، يقول: هذا شيخ الإسلام، ومشيخة الإسلام، يعني: مثل دار الفتوى، ووكيل شيخ الإسلام، ونحو ذلك. **[محاضرة من معين الإمام أحمد]**.

أَيْنَ الثَّرَى مِنَ الثُّرَيَّا؟

س ١٦٩: ماذا تقولون - جزاكم الله خيرًا - في أُناس ظهروا علينا يقولون: أنتم تنكرون على الترابي، والتلمساني، والغزالي، وتبدعونهم، وتتكلمون عليهم، وتغتابونهم، وتتركون ذكر محاسنهم، مع أن هناك أئمة وقعوا في بدعة أمثال ابن حجر، والنووي، وتذكرون المتقدمين بخير، وتتكلمون على المتأخرين؟

الجواب: نقول: أولًا: هذا التمثيل من هذا القائل يدل على جهله، كيف يقارن الحافظ ابن حجر والنووي بأمثال: الترابي، والغزالي؟! أين الثرى من الثريا؟! وأين البعرة من البعير؟! فأولئك محبون للسنة، شارحون لها، مبينون لها، وما تأولوه ووقعوا فيه قليل بالنسبة إلى ما بينوه من أمور الإسلام، فلم يزل أهل العلم ينتفعون بكلامهم، بل ويفهمون نصوص الكتاب والسنة على ما بينوه؛ لأنهم كانوا أهل علم بحق.

أما هؤلاء المعاصرون من أمثال: الترابي، والغزالي، والتلمساني، وأمثالهم، فهؤلاء رؤوس دعوا الناس إلى عدم الالتزام بالسنة وإلى نبذها، فالحال مختلف؛ من يخطئ ويجانب الصواب في مسألة، أو في فرع من الفروع، أو في مسألة عقدية، أو اثنتين، ومن يخالف في الأصل؛ فهؤلاء لا يقيمون للتوحيد مقامًا، ولا يرفعون به رأسًا، بل قد نال أهل التوحيد منهم أكبر الأذية؛ كما هو مشاهد.

فالترابي حاله معروف، يرى أنه يلزم تجديد أصول الإسلام، وتجديد في أصول الفقه، وأن أصول الفقه اصطلح العلماء على أن تفهم النصوص على هذه الأصول، وهذا لا يعني أننا ملزمون بها، فيقول: يجب أن نضع في هذا العصر أصولًا جديدة للفقه، نفهم بها الكتاب والسنة بما يناسب هذا العصر.

والغزالي يرد السنة إذا خالفت عقله، وإذا خالفت فهمه.

والتلمساني لا يعرف توحيد العبادة، ولا يعرف السنة، وإنما هو يخلط في هذا أكبر الخلط؛ ولا عجب.

فهؤلاء الأربعة ومن حذا حذوهم وشاكلهم متخرجون من مدرسة واحدة، ألا وهي مدرسة الإخوان المسلمين، والمدرسة معروفة في أصولها وفي مناهجها؛ فلا عجب أن يخرج أمثال هؤلاء في المستقبل، ولا عجب أن يكون أمثال هؤلاء موجودين في مثل هذا الزمان، مادام أنهم تربوا على أصول تلك المدرسة.

فالإنكار عليهم وعلى ما هم فيه من تأصيل متعين؛ لأنهم يضلون الشباب باسم الدعوة، والشباب يعظمونهم باسم أنهم دعاة إلى الإسلام.

أما الحافظ ابن حجر والنووي، فما سمعنا يومًا من الأيام أن أحدًا صار ينافح عن قضية من القضايا العقدية التي أخطؤوا فيها بحجة: أن الحافظ ابن حجر قال، أو النووي قال، وإنما مضت أخطاؤهم في وقتهم، وبقي انتفاع الناس بعلومهم الغزيرة وأفهامهم المستنيرة، وأما أولئك، فلا يقارنون، ولا يجوز أن يجعلوا في مصاف هؤلاء، ولا أن يقاس الثرى على الثريا. **[محاضرة في المنهج]**.

حكمُ حُضُورِ الصَّلاةِ بِمَلابِسِ العَمَلِ

س ١٧٠: نحن جماعة مسجد اختلفنا حول عمال يحضرون الصلاة، وهم بملابس العمل، فمنا من قال: . . . ، إلى آخره؟

الجواب: هذا السؤال من قبيل الفتوى، وما كان من قبيل الفتوى، فإني لا أجيب عليه؛ لأنه لا يفتى، ومحمد في عنيزة. أي سماحة العلامة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله. **[محاضرة المهم والأهم]**.

بِدْعَةُ الحَارِثِ المُحَاسَبِيِّ

س ١٧١: ما بدعة الحارث المحاسبي التي جعلت علماء السلف الصالح يحذرون منه ذلك التحذير؛ لأننا نرى اليوم كثيرًا من أهل البدع يمجدون، ويمدحون، ويُجعل منهم أئمة ومجددون، فما موقف أهل العلم منهم؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب: الحارث المحاسبي في زمن الإمام أحمد ذو علم وورع وزهد، إلا أن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بلغه عنه القول في الصفات، ولعله في عموم علم الله وشمول علم الله، وأنه ربما ذهب مذهب القدرية القائلين: إن العلم مستأنف وليس علمًا أزليًا كما بين الله؛ فعنده نوع من مذهب القدرية، وعنده شك في تبديع القائلين بخلق القرآن، فعنده شيء من المخالفات؛ ولهذا الإمام أحمد هجره، وأنكر عليه ما عنده من مخالفات، وإن كانت مخالفاته لم تبلغ ما عليه الجهمية المعطلة الضُلال، لكن عنده شيء من مذهب القدرية، وشيء من التردد في بعض الأمور التي كفر بها الجهمية، فكان الإمام أحمد يحب أن يسمع كلامه[1]، ويقول: إنه طلب من أحد أصحابه أن يستزيد الحارث المحاسبي، أن يجعله يحدث، وأحمد يسمعه من وراء حجاب، وقال: لا أحب أن يعلم الناس أني أجالسه؛ خوفًا من أن يظن أني راض بأقواله وأعماله، لكن الإمام أحمد يحب مواعظه ورقائقه، وإن كان يكره ما هو عليه من المخالفات.

ويظهر أن مخالفاته ليست بمنزلة الكبيرة، لكن عنده تساهل وشيء من الخطأ، فأحمد هجره على أخطائه، لكنه كان يسمع رقائقه ومواعظه؛ ليعظ بها قلبه.

وهكذا أهل العلم صدورهم رحبة مع مخالفتهم لخصمهم، لكنهم لا يتجاهلون جوانب الخير فيهم، يعني: يأخذون من خصمهم الحق الذي عنده، وإن كانوا يمقتونه على ما عنده من باطل، وهكذا الصدور الرحبة

(١) انظر: الخطيب في تاريخه (٨/ ٢١٤)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٢٥٣ - ٢٥٤).

والنفوس الطيبة التي ليس لها غرض ولا هوى، كون الإنسان يخطئ وتزل قدمه، هذا أمر لا ينكر، لكن كوني أتجاهل كل خير عنده؛ لخطأ وقع فيه، هذا أمر لا ينبغي.

فالإمام أحمد وأمثاله من أهل الاعتدال في الأمور كانوا هكذا، يقبلون الحق ممن جاء به، ويرفضون الباطل ممن جاء به، وإذا كرهوا من شخص باطلًا لم ينكروا عليه حقًا، اللهم إلا الغلاة الضلال أمثال: جهم، وبشر، وأمثالهم دعاة الضلال، فللأئمة منهم موقف التنفير منهم والتحذير منهم؛ لأنهم يعلمون أنهم دعاة ضلال، ليس للحق عندهم نصيب، أما من عنده التباس أو اشتباه وأمور تخفى عليه أحيانًا، فأئمة الإسلام يكرهون من أولئك باطلهم، ولا ينكرون ولا يتأبون عنهم. [**محاضرة التحذير من الغلو في الدين**].

مُوَافَقَةُ الصَّنْعَانِيِّ للشَيْخِ: مُحَمَّدِ ابْنِ عبد الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ

س ١٧٢: هل ثبت رجوع الصنعاني عن تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ؟

الجواب: لا، لم يثبت؛ لأن هذه دعوة، والأمير الصنعاني وافق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التوحيد، وجاء بمثل ما جاء به الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، جدد التوحيد في بلاده، وأثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأنه يعرف ما جاء به، وما دعا الناس إليه؛ لهذا قال في داليته

المشهورة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال: (**فوافق الذي عندي**)، لما جاءه الخبر وافق الذي عليه الصنعاني.

فإذًا الصنعاني على التوحيد، قبل أخبار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما أثنى على الشيخ محمد لما سمع أخباره، وسرته دعوته لتجديد الدين، والقيام بالتوحيد، والبراءة من الشرك، وإنكار الشرك، والقتال في ذلك، وهناك رجل يقال له: مربد أتى لأهل اليمن، فكذب على الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وتلقفها أحد أبناء الصنعاني، فكتب قصيدة على غرار قصيدته الدالية، مطلعها: (**رجعت عن القول الذي قلته فيه**)، لكنه في أثناء القصيدة ينكر أشياء كان عليها الصنعاني، وكان يعتقدها، وألف فيها مؤلفات، يقول هنا ينكر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب أشياء جاءت في كتب الصنعاني، بل أشياء زاد فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مثلا يقول في تحريق دلائل الخيرات يقول: وحرق عمدًا - هذه في الدالية، دالية الصنعاني الأصلية - يقول:

وحرق عمدًا الدلائل أصاب ففيها ما يجل عن...،

إلى آخر المقطع، والصواب أن الصنعاني إمام عندنا هو والشوكاني أئمة؛ لهذا كتب الشيخ ابن سحمان كتابه المشهور: (تبرئة الشيخين الإمامين من كذب أهل الزيغ والمين)، يقصد به الصنعاني والشوكاني، وهما عندنا من العلماء الكبار، وأئمة دعوا إلى التوحيد في بلادهم، وهدى الله بهم الناس هناك، الصنعاني له كتابه المشهور (تطهير الاعتقاد) رسالة عظيمة، والشوكاني له كتابه الآخر (الدر النضيد في أصل التوحيد). [**مجلس ٢٢/ ٥/ ١٤١٧هـ**].

حِوَارٌ حَوْلَ: مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ

س ١٧٣: يا شيخ، مقاتل بن سليمان الذي روي أنه مجسم، هل هو الذي قال بالتفسير؟

الجواب: هو المفسر.

السائل: سمعت أنهم يقولون عن صحة نسبته له في التفسير: إن بعض العلماء قال: إنه لا تصح؟

الجواب: يوجد اثنان: (**مقاتل بن سليمان**)(١)، و(**مقاتل بن حيان**)(٢).

السائل: لا، أنا قصدي مقاتل بن سليمان.

الجواب: هم قالوا: إنه لا يصح؟

السائل: قال أحد مشايخنا: إنه قرأ تفسيره كاملا، فما وجد في المقروء شيئًا مما يقال: إنه صحيح.

الجواب: نعم، لكن النقول عنه عند السلف.

السائل: لكن يعني اعتماده على التفسير؟

الجواب: ذكر في درس عقيدة، لكن كتاب التفسير لا يعني أنه ما يصح ما رماه السلف به، مُقاتل كُفر صراحةً في كتب التراجم.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١)، والجرح والتعديل (٨/ ٣٥٤)، وميزان الاعتدال (٦/ ٥٠٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٠).

المأمون والمعتزلة

س ١٧٤: هناك من يقول: إن المأمون ليس رجلا معتزليًّا، ولكنه أعجبته الفكرة، وأيدها، ولكن ما كان يبني على عقائد المعتزلة؟

الجواب: على كل حال الله أعلم عنه، لكن هو بنصرته للمعتزلة معتزلي؛ فقد نصرهم، وفتح الباب للكتب اليونانية، التي بدأت في الظهور قبله من عهد هارون الرشيد، لما كتبوا للروم قالوا: **(إن عندكم مكتبة - القصة المشهورة، وهي في روما - فيها من تراث القوم، وتراث الأولين، فنريد أن ترسلوا بها إلينا)**، فاجتمعوا في روما أو في القسطنطينية هذه أو هذه، المهم اجتمع مليكهم مع الناس والعلماء، وقال لهم: ماذا ترون؟ نرسل لهم أو ما نرسل لهم؟ فأجمعوا وقالوا: هذه ميزتنا، وهذه حضارتنا، وهذا تراث أوائلنا، كيف ترسل بها إليهم؟ فقال أحد النصارى للملك: أرى أن ترسل بها إليهم، فقال لم؟ قال: لأن هذه الكتب ما دخلت على قوم عندهم ديانة من السماء إلا أفسدتهم، فإن كنت تريد الغلبة، فأرسل بها إليهم، فقال: الرأي ما ترى، فحملها كلها لهم وترجمت، دخلت كل أشياء الكلام، يعني: الكلام وما نتج منه من الفلسفة اليونانية، الصوفية وما نتجت منه.

إن كل ما حصل في الأمة من الضلال كله نتج من حركة التعريب هذه، وأخذ تراث الأوائل، يعني: الآن الإشراق ممن أخذوه؟ أخذوه من أفلوطين في الإسكندرية، فهو أول من نادى بنظرية الإشراق: إن الحكمة هي الفلسفة، وما أصل الفلسفة؟ هي طلب الحكمة، والحكمة إما أن تطلب

الأشياء على ما هي عليه بإدراك ما ترى، أو بإدراك ما لا ترى، بإدراك المرئيات، أو إدراك غير المرئيات، إدراك المرئيات يعني الطبيعيات التي عندك والكلام إلى آخره.

والقوانين الموجودة في الأرض لابد لها من رياضة عقلية، وبالتالي طلع فيها المنطق والفلسفة العقلية، وهذا تيار.

والآخر ما وراءه، لابد فيها من رياضة روحية، وبالتالي طلعت حركة الإشراق عند الفلاسفة التي هي تنزيه الروح.

طلب الحكمة يعني: طلب الوصول إلى قمة ذكاء الروح، وأولئك طلبوا قمة ذكاء العقل، فطلعت الفلسفة بأنواعها، وهؤلاء أخرجوا المذاهب الإشراقية في السلوك، جاءت هذه، وجاءت هذه، هذه طلع منها الصوفية، وهذه طلع منها علم الكلام، يعني: الصوفية أرادوا أن يجمعوا بين ما عند المسلمين وما عند أولئك، طلعوا الحركات الصوفية هذه بآرائها وكذا، وعلماء الكلام أرادوا أن يجمعوا ما بين الشريعة والفلسفة، فطلعوا علم الكلام، فعلوم الكلام الحقيقة نتيجة تزاوج ما بين فهم طائفة للشريعة، وما بين عقل الفلاسفة، والسلوك أيضا نتيجة تزاوج ما بين هؤلاء وهؤلاء، فأصيبت الأمة بهذه المصيبة العظيمة، حتى الشرك الأكبر، وتفسير لا إله إلا الله، كل شيء ناتج عنها، هذه القضية هي التي أفسدت الأمة كلها بجميع اتجاهاتها، وأفسدت الفقه، وأفسدت الأصول، وأفسدت كل شيء، هذه القضية قد أفسدت الجميع، يعني: غيرت مجرى تاريخ المسلمين كله، الله المستعان. [**مجلس ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ**]

س ١٧٥: عندنا دكتور جل اهتمامه صبه في القواعد؛ لأنه أخرج له مجموعة كتب، فما قولكم؟

الجواب: لكن يبدو أنه عجل، أراه نقدني في أحد كتبه، وهو ما فهم المقصود، كأنه عجل، هو - ما شاء الله - في الذين درسهم يثنون عليه، يقولون: يعرض المسائل بدقة، فهو هاضمها تمامًا، يصورها بلغة عامية، وبلغة. . . ، يعني تعبيره دليل تمكنه، والواحد ينوع التعبير، ينوع العرض، وهذا دليل التمكن، يعني أنه واضح عنده مثل واحد يرشد للطريق، يقول: تذهب من هنا، وتعال كذا، وإن أردت تذهب من هناك، وإن أردت ذهبت من هنا، هذا دليل التمكن، أما الذي يكرر عليك نفس العبارة، فهذا يعني أنه ليس هاضمًا لها، هم يثنون عليه في هذا كثيرًا. **[مجلس ٩/ ١٠/ ١٤١٨هـ]**.

السائل: هل هو كبير في السن؟

الجواب: أنا ما قابلته، هو كبير في السن، هو رجل فيه تواضع، ومتمكن ما شاء الله.

السائل: وما أصله الفقهي؟

الجواب: والله أنا سألته، قال: أنا درست المذهب الحنفي أساسًا دراسة تامة في الأزهر.

السائل: وهو شافعي؟

الجواب: وما يظهر لي هذا؛ فمنهجه إلى الحنابلة أقرب، لما جاء ودرس في مصر، وعمل في الزبير فترة طويلة في البصرة، فيبدو أنه ذكر لي أن الشيخ بكرا عده في طبقات الحنابلة باعتبار مؤلفاته، فالشيخ بكر ذكر كل من ألف،

وهو يعمل في المملكة على منهج الحنابلة، بصرف النظر عن حقيقة ما هو عليه، أنا سألته وقال: أنا درست مذهب الشافعي كدراسة، لكن هنا درست المذهب الحنفي. **[مجلس ٩/ ١٠/ ١٤١٨هـ]**.

س ١٧٦: الشيخ أبو بكر له طبقات الحنابلة؟

الجواب: هو في كتابه المدخل، وكان قد عجل فيه، وما كان دقيقًا، لكن ذكر فيه أشياء كثيرة. **[مجلس ٩/ ١٠/ ١٤١٨هـ]**.

ابن تيمية والأشاعرة

س ١٧٧: الشيخ عبد المحسن العبيكان كنت أقول له: فلان كذا أشعري وفلان أشعري، قال: كل من كان قبل ابن تيمية يقول: يغلب عليهم الأشعرية فالسؤال الآن: هل ابن تيمية مثلًا فهم الأدلة، ولم يؤتوا الفهم بما أن الحمد لله العقيدة فطرة، مثل: الأئمة الحفاظ الكبار، مثل: البيهقي، الخطابي، يعني هؤلاء جبال في العلم، فكيف يا شيخ مثلًا تخفى عليهم، مع أنها فطرة أو أن هناك أشياء ثانية؟

الجواب: تخفى عليهم !! هي ما خفيت، هي راجعة إلى مسألة التأثر بالشيخ والمشايخ:

أَتاني هَواها قَبلَ أَن أَعرِفِ الهَوى فَصادَفَ قَلبًا خالِيًا فَتَمَكَّنا[1]

هم درسوه هكذا، فلا يعرفون غيره، انتهى الأمر عندهم، فما اعتنوا بها،

(١) انظر: روضة المحبين (ص١٣٨)، والبيان والتبيين (ص٢٣٣).

يعني بعض العلماء يكون عنايته بالنقل بالحديث، عنايته باللغة، عنايته بالفقه درس هذا على شيخه وانتهى، فاعتبرها مسألة مسلمة؛ فلذلك تجدها في تصانيف البعض.

والخطابي والبيهقي لا يصح أن يقال: إنهم من الأشاعرة مطلقًا، بل هم من أخف الأشاعرة، يعني هم أشاعرة في تأويل بعض الصفات، لكنهم في القدر، في الصفات الذاتية يقول مثلًا: باب إثبات الوجه، باب إثبات اليدين وإذا جاء صفات الفعل قال: باب ما جاء في الإتيان، باب ما جاء في النزول في كتاب الأسماء والصفات، فهو يفرق، يعني ما يقال: إنه أشعري مطلقًا.

لذلك شيخ الإسلام في موضع قَسَّم الأشاعرة خمس طبقات - يعني: الذين تأثروا بالأشاعرة -، وجعل أخفهم طبقة الخطابي والبيهقي وأشباههم رحم الله الجميع، المسألة عظيمة إلا من أتى الله بقلب سليم. [**مجلس٢١/ ١٠/ ١٤١٨هـ**].

سبب دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قرب النبي صلى الله عليه وسلم

س ١٧٨: مداخلة: هل هناك مأخذ في دفن الصديق وعمر رضي الله عنهما قرب النبي صلى الله عليه وسلم؟

الشيخ: المأخذ هو الصحبة، ليس لقرب الدفن، لكن لأجل الصحبة.

مداخلة: وعائشة لو دفنت بجواره؟

الشيخ: لو دفنت بجواره لها مزية، لكن ما لها أصل، فالأرض لا تُقدس

أحدًا، والناس لا يُقدس بعضهم بعضًا، يعني: لا يُطهر بعضهم بعضًا، إنما أبو بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه لأجل شدة ملازمتهما للنبي ﷺ في حياته، وهما خليفتاه بعد وفاته ﷺ كانا الأحقين بالقرب منه. [مجلس ١٤/ ٧/ ١٤٢٣هـ].

ابن الوزير والزيدية

س ١٧٩: يا شيخ ابن الوزير ما عليه ملاحظات في العقيدة؟

الجواب: أولا السؤال عن عقيدة فلان أنا ما أحبه، إلا إذا كان اقتضاها المقام في شيء، ابن الوزير زيدي، ثم تحول إلى السنة، وصار من أهل الحديث، لكن بقيت أشياء، ويكفيه أنه تحرر في بلده من مذهب الزيدية ومذهب المعتزلة، الذي هو أساس قام عليه مذهب الزيدية في المسائل، وذهب إلى الحديث في جو صعب، هو في وقته من أوائل، أو أول من ذهب إلى هذا المذهب، وأدى إلى هجره، وألف كتابه الهجر، واعتزل ومات رحمه الله وهو معتزل في الجبل، منفي من أهلِ اليمن، وكتابه نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وأثنى عليهما، ونقل كلام ابن القيم خاصة في الحكمة والتعليل، وابن حجر لما ترجم له: محمد بن إبراهيم بن الوزير، . . . إلى أن قال: وبلغنا عنه أشياء سارة من مخالفة، . . . وانتهاجه للحديث. [مجلس ١٠/ ٢/ ١٤٢٤هـ].



ابن القيم وابن تيمية

في مناقشة رسالة ماجستير قال معالي الشيخ للباحث:

قلت في الترجمة لابن القيم: «تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، والصواب أن يقال: تتلمذ له، ولا يقال تتلمذ عليه، كما قلت: ابن القيم قال بكثير من أقوال شيخ الإسلام، وابن القيم لا يُعرف أنه خالف شيخ الإسلام في مسألة، أنا ما أحفظ أنه خالفه في مسألة، هذا شيء.

الشيء الثاني: أنه نصر أقواله، وصنف فيها، ودلل عليها، وتوسع فيها في مصنفاته، فلا يقال في مثله: قال بكثير من أقواله، بل يقال: نصر أقواله، ابن القيم تلميذ ناصر لأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية، واضح؟ ما يقال: قال بكثير من أقواله، الكثير يعني: ليس الأكثر، يعني: بعض الكثير.

كذلك ما معنى كلمة (المحقق) في قولك: (وقد رجح جمع من المحققين كالطبري، وابن عطية، والقرطبي) ما معنى كلمة المحقق؟ فلان من العلماء محقق، ما معناها؟

الباحث: بلغ من الفن مبلغًا عظيمًا، وأضحت اختياراته في هذا الفن محل قبول عند كثير من الأمة.

الشيخ: أما القرطبي، فلا أعلم أحدًا وصفه بالمحقق قبلك، القرطبي هو عالم جليل، وكتابه من الكتب النافعة على خلل فيه في الاعتقاد، في سلوكه مسلك أهل الكلام في مسائل كثيرة، لكنه أن يكون محققًا، حتى في أقوال المفسرين ليس بمحقق.

كذلك هناك نقطة أخرى: هل الإمام الشافعي يُعبر عنه أئمة الدعوة ببعض العارفين؟! هل يعبرون عن الأئمة المتبوعين ببعض العارفين؟ ما لفتت نظرك هذه؟ هذا ملحظ في اللفظ، كان ينبغي أن يدلك اللفظ أن القائل غير الشافعي، هذه مسألة.

المسألة الثانية: في البحوث العلمية والتوثيقات لا يسوغ أن يُرجع إلى ما جُمع باسم ديوان الشافعي، ويُنسب للشافعي؛ لأن هذا خلط ليس فيه للشافعي إلا القليل؛ ولهذا فهذان البيتان للشاعر الواعظ: محمود بن حسن الوراق المتوفَّى سنة خمس وعشرين ومائتين، نسبهما إليه المُبَرِّد في الكامل، وهي مشهورة عند العلماء بأنها للوراق.

الباحث: ابن إسحاق عند الهيثمي.

الشيخ: لو رجعت للبزار، مسند البزار مطبوع، وزوائده (كشف الأستار) مطبوعة، لو رجعت إليها، لوجدت أن صواب العبارة فيه ابن إسحاق، وهو المعروف أنه ثقة عند الهيثمي، ولكنه مُدلس. **[مناقشة رسالة ماجستير]**.

صنع الله الحلبي

س ١٨٠: من هو صنع الله الحلبي؟

الشيخ: صنع الله الحلبي الحنفي هو أولًا حنفي، ثانيًا مكي، ثالثًا كان قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وله رسالة عظيمة من أنفع الرسائل، وقد طُبعت مؤخرًا[1]، وكان فيها نقول مهمة في (تيسير العزيز الحميد في شروح

(١) انظر: الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفا في الحياة وبعد الممات.

كتاب التوحيد)[١]، وفي بعض مسائل المشايخ والردود ينقلون عنه[٢]، وكنا لا نعرف أين مكانه، حتى وجدت أخيرًا، وطبعت هذه السنة، وهي بالضرورة تكون عند طالب العلم، بل حبذا لو تنشر أكثر؛ لأنها دليل شاهد على أن الحق يدركه طالب العلم، ويدركه العالم من نصوص الكتاب والسنة، فهذا قبل الشيخ، وهذا ما اتصل بالشيخ إلا على قول بعض الزائغين لما ترجم لابن تيمية قال: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رأس الوهابيين. [**تعليقات على تحفة الطالب والجليس**].

ابن دقيق العيد

كتاب ابن دقيق العيد، هذا الكتاب المطلوب منكم أن تتأملوا استدلالاته، فابن دقيق العيد على اسمه دقيق في النظر، وفي استعمال علوم الآلة من الأصول والقواعد، ومن فوائد كتابه هذا أنه يعطيك ملكة في الاستنباط، وأكاد لا أعرف كتابًا في قوته في إعطاء هذه الملكة؛ لأن عنده من دقة النظر، وحسن التعليل والإيراد، وتعليل أقوال العلماء بعبارة متينة أصولية عالية ما يستفيد منه طالب علم الحديث.

والملاحظ أن الذين يرومون فقه الحديث من طلاب هذا الوقت يطلبونه من جهة النظر في الطرق، وكثرة جمعها، وتعدادها، والاستنباط أو تفسير بعض الألفاظ ببعض الطرق، دون نظر في أصول الاستنباط والفقه.

---

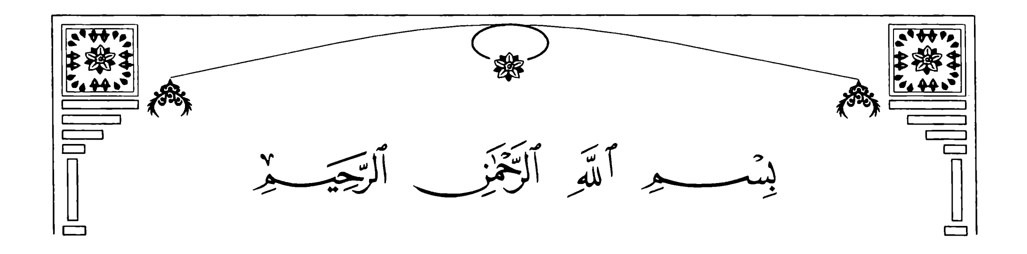
(١) (ص١٧٢، ١٩٦).

(٢) انظر: الدرر السنية (١١/ ٤٤٢، ١٢/ ٩٥، ٩٨، ٢٠٤).

كتاب ابن دقيق العيد هذا يعطينا تكملة الأمر، نعم جمع الطرق أمر مطلوب عند الترجيح ومعرفة الصواب من الغلط من الأقوال، ولكن إذا ثبت لفظ، أو ثبتت ألفاظ، فكيف يتعامل معها طالب العلم؟ لابد أن يكون استنباطه لها صحيحًا، وهذا لا يكون إلا إذا حدثت عنده ملكة، وهذه الملكة لابد أن يسبقها علم بالأدوات: بأصول الفقه، باللغة، بأوجه الاستدلال في الفقه.

إن هذا الكتاب قريب من كتاب آخر، ولا يدانيه، ولكنه قريب منه، وهو كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) هذا كتاب فيه من ذكر أقوال العلماء واختلافهم، ومأخذ كل قول وتعليله مما بلغ فيه مبلغًا عظيمًا، ولهذا استغرب على ابن رشد أن يؤلف مثل هذا، ولكن كتاب ابن دقيق العيد هذا فيه حسن العبارة وصفاؤها، واستعمال الأصول استعمالا صحيحًا قويًا **[تعليقات على أحكام الأحكام]**.





محاضرة عهد ابن أم عبد رضي الله عنه الأولى بمسجد شيخ الإسلام بسلطانة بالرياض

الحمد لله الذي أنعم على عباده المتقين بالتوفيق إلى الطاعات، وأنعم عليهم بقبولها منهم بعد التوفيق، وأنعم عليهم بمجازاتهم عليها يوم العرض عليه.

فالحمد لله الذي تفضل، وأنعم، وتكرم، وأعطى بغير حساب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، ولا معبود لنا غيره، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فلا خير إلا دلها عليه، ولا شر إلا حذرها منه، فتركها بعده ﷺ على طريق بين واضح ونهج بيِّن لا يزيغ عنه بعده ﷺ إلا هالك.

اللهم صلِّ على محمد كفاء ما أرشد وعلم، اللهم صل على محمد وعلى آل نبينا محمد، وعلى زوجاته وعلى صحابة محمد صلى الله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن من القصور الذي يعانيه الناس اليوم أنهم يعلمون كلام أهل

العصر، أو أهل العصور التي يعيشونها، ويقصرون في تتبع ومعرفة وتدبر كلام سلفنا الصالح.

كَلامُ السَّلَفِ وَكَلامُ الخَلَفِ

وكلام السلف قليل كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير قليل الفائدة(١)؛ كما قال ذلك ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم: (فضل علم السلف على علم الخلف).

وأساس ذلك أن السلف كانوا إذا تكلموا، اقتفوا في كلامهم أثر النبي ﷺ، والنبي ﷺ كان يوجز كلامه، وقد أوتي جوامع الكلم، وهي: الكلمات القليلة التي تحوي المعاني الكثيرة، فتجد صحابة رسول الله ﷺ لهم من الكلمات، ولهم من الوصايا، ولهم من الخطب، ولهم من الرسائل التي يوصي فيها بعضهم بعضًا ما هو قليل الكلمات، قليل الحروف، ولكن من تدبره، وجد تحت كل جملة العجب العجاب: من تفرع المعاني، وكثرتها، وقوتها.

وصحابة رسول الله ﷺ طبقات، ومنهم المهاجرون الذين أسلموا قديمًا، وصحبوا رسول الله ﷺ في مكة، ومن هؤلاء خاصة رسول الله ﷺ: «صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوِسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ»(٢) عبد الله بن مسعود الهذلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٣) المتوفَّى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة.

---

(١) انظر: بيان فضل علم السلف على الخلف للحافظ ابن رجب (ص ٦٠-٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٢) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٨٧)، والإصابة (٤/ ٢٣٣).

أَقْرَأُ الصَّحَابَةِ

عبد الله بن مسعود أو ابن أم عبد رضي الله عنه كما كان ﷺ يناديه، كان ممن أسلم في مكة، وصحب الرسول ﷺ في مكة، وسمع القرآن أول ما أنزل، وحفظ القرآن، حتى إنه كان يقول: «وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»(١).

وكان يحفظ القرآن، وكان أقرأ الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال فيه ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»(٢) يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال له ﷺ مرة: «اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قَالَ: حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»(٣).

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٨)، وأحمد (١/ ٧)، من حديث أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (٨٠٠).

وَصِيَّةُ الرَّسُول ﷺ بِابْنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه

ابن مسعود رضي الله عنه وصى النبي ﷺ الأمة أن تأخذ بعهده، وأن تقتفي أثره؛ فقد صح عن النبي ﷺ - فيما رواه عنه الإمام أحمد والحاكم وغيرهما - أن النبي ﷺ قال: «تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ»(١)، يعني: إذا عهد إليكم عهدًا، فتمسكوا به، وصح أيضًا عنه ﷺ أنه قال: «رَضِيتُ لأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ»(٢)، وصح أيضًا عنه ﷺ أنه قال: «قد رضيت لكم ما رضي لكم ابن أم عبد»(٣)، ولهذا كان ابن مسعود صاحب وصاياه، يوصي، ووصاياه - كما أسلفتُ - جمعت بين الكلام القليل والمعاني الكثيرة، وسيأتينا ما يدل على ذلك، وقد كان ورعًا خاشعًا، كان تاليا للقرآن، عاملًا به، آمرًا به وناهيًا، فهو الذي يقول: «إذا سمعت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعها سمعك، فإنها خير تؤمر به أو شر تنهى عنه»(٤).

وهو الذي يقول في أهل القرآن: «يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ»(٥)، وهو الذي أوصى في القرآن بقوله: «لا تَنْثُرُوهُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٥)، والحاكم (٤٤٥٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم (٥٣٨٧)، والبزار (٥/ ٣٥٤)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٦٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم (٥٣٩٤).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٦١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٣١)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٩٠).

نَثْرَ الدَّقْلِ، ولا تَهُذُوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ»[١]، فكان رضي الله عنه له أصحاب، وكان يوصيهم بوصايا حفظت لنا، وكان أصحابه على هيئته يترسمون خطاه، ويهتدون بهديه.

وكان رضي الله عنه أشبه الناس هديًا وسمتا بالنبي ﷺ[٢]، فقد كان حريصًا على السنة؛ ولهذا كان أشبه الناس بالنبي ﷺ.

فَاتِحَةُ الكَلِمَاتِ: لَوْ تَعْلَمُونَ ذُنُوبِي

كان له أصحاب، وهكذا العالم والداعي لا بد أن يتأثر به الناس، ومع ذلك كان مربيًا، حتى في إمامته وصحبته؛ رآهم مرة يتبعونه، ورأى العدد كثُر رضي الله عنه، فقال لهم كلمته، التي هي فاتحة الكلمات التي سنتدبر فيها من كلمات ابن مسعود، قال رضي الله عنه لهم: (**لو تعلمون ذنوبي، ما وطئ عقبي اثنان، ولحثيتم التراب على رأسي، ولوددت أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي، وأني دعيت عبد الله بن روثة**). أخرجه الحاكم وغيره[٣].

يقول لأصحابه: (**لو تعلمون ذنوبي، ما وطئ عقبي اثنان**)، وفي رواية أخرى يقسم، ويقول: (**والله الذي لا إله غيره لو تعلمون علمي، لحثيتم التراب على رأسي**)، وهذه الكلمات مدرسة ولا شك؛ لأن البروز في الناس

---

(١) أخرجه البغوي في تفسيره (١/ ٢٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٥٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم واللفظ له (٥٣٨٢)، والدارمي (٥٣٢).

متوقع، إذا تميز أحد في الناس بشيء، ربما عظموه، وربما مدحوه، وربما تتابعوا خلفه يمشون.

والمرء كلما ازداد علمه بالله ﷻ، علم أن ذنوبه كثيرة، كثيرة كثيرة، ولا عجب أن أوصى النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، وهو أفضل هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ، الصديق الذي قال فيه النبي ﷺ: «**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر**»[1]، علمه النبي ﷺ أن يدعوَ آخر صلاته بدعاء، فيقول فيه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[2].

القائل الموصِي: النبي ﷺ، **والموصَى**: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والوصية: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك».

كلما ازداد علم المرء بربه، خشي الله ﷻ، وخشي أن يطأ عقبه اثنان، خشي أن يُعظم في الخلق، خشي أن يرفع في الناس؛ لأنه يعلم من الله ﷻ ومما يستحقه الله ﷻ ما يوقن بأنه لن يبلغ أن يكون موفيًا لله ﷻ حقه، فيكون مقصرًا في الشكر، وذلك ذنب من الذنوب؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(لو تعلمون ذنوبي ما وطئ عقبي اثنان)**.

قد يشتهر الناس؛ فمنهم القارئ للقرآن، الذي يشتهر بحسن قراءته وبحسن صوته، فيجتمع عليه الناس، ومنهم العالم يشتهر بعلمه، وبفتواه،

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٦٥٣)، والبيهقي في الشعب (٣٦).
(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

وبصلاحه، وبورعه، فيجتمع عليه الناس، ومنهم الداعية، الذي يشتهر ببذله للناس، فيجتمعون حوله بما هداهم الله ﷻ به إلى الحق، ويشتهر من يؤدي الأمانة، ويشتهر من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهكذا. . .

ومقام الشهرة مقام مزلة عظيمة؛ لهذا ابن مسعود أوصى وصية على نفسه يبين فيها حاله، ويبين فيها ما يجب أن يكون عليه كل من كان له تبع، فيقول: **(لو تعلمون ذنوبي ما وطئ عقبي اثنان ولحثيتم التراب على رأسي)**.

لا بد في من كان على شهرة أو كان ممن ينظر إليه الناس أن يحتقر نفسه دائمًا بينهم؛ ويظهر ذلك، لا ليرتفع بينهم، لكن ليرتفع عند الله ﷻ، ومدار ذلك الإخلاص؛ فإن من الناس من ربما يزدري نفسه أمام الناس؛ ليظهر بينهم - وهذا من الشيطان -، ومنهم من يزدري نفسه بين الناس، والله ﷻ مطلع على قلبه أنه صادق في ذلك، يخشى لقاء الله ﷻ، يخشى يوم يوفَّى ما في الصدور، يوم يطلع على ما القلوب، ولا تخفى على الله خافية، ولا يكتمون الله حديثًا، هذه عبرة من العبر التي يتنبه لها كل تابع وكل متبوع: أما التابع، فينتبه إلى أن هذا المتبوع يجب أن لا يعظم، وإنما يستفاد منه بما يبلغ عن الله ﷻ، أو بما ينفع به الخلق، وأما التعظيم، فإنما هو لله ﷻ، ثم لرسوله ﷺ، وأما باقي الخلق، فلهم - إذا صلحوا - المحبة في النفس، وينبغي على من اشتهر أن يكون دائمًا خاشعًا، ذليلًا، ذاكرًا ذنوبه، ذاكرًا مقامه بين يدي الله، ذاكرًا أنه ليس بأهل أن يطأ عقبه اثنان، وأن يتبعه اثنان.

لما مُدح أبو بكر الصديق رضي الله عنه بين الناس، وخطب بعد ذلك صح عنه - فيما رواه أحمد وغيره - أنه قال رضي الله عنه علنًا - يقولها علنًا -: **(اللهم اجعلني**

خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون)[1] ينبه الناس أن عنده ذنوبًا ؛ حتى لا يغلو الناس فيه ، فهل يستقيم هذا مع ما نرى من أحوال يزيد فيها المعظم تعظيمًا لنفسه ، ويزيد فيها المعظِم تعظيمًا لمن عظمه واتبعه؟ ليس هذا من هدي الصحابة رضي الله عنهم .

عمر رضي الله عنه ربما أعجبته نفسه ، وهو خليفة ، وهو الذي بعد أبي بكر رضي الله عنه في التبشير بالجنة ، فأخذ يحمل الشيء في السوق على رأسه ؛ ليزدري نفسه ؛ حتى لا تتعاظم نفسه .

ومن أبواب الخطايا : العجب والتعاظم ، وهو : أن يرى المرء نفسه معظمًا ، وكان من السلف الصالح من إذا أتى ليلقي شيئًا ، فرأى الناس اجتمعوا تركهم ، لم؟ لأن صلاح نفسه ألزم عليه من صلاح الناس ، لما رأى هذا الجمع اجتمعوا ، ورأى أن نفسه بدأت تعالجه في أن هؤلاء حضروا ، وهؤلاء أنصتوا ، وهؤلاء فعلوا ، وأقبلوا علي ، عالج نفسه بتركهم ، سيقولون عنه ما يقولون ، لكن الأهم أن يكون صالحًا قلبه فيما بينه وبين ربه ، وصلاح قلبك أهم من صلاح قلب غيرك ، فينبغي عند ذاك مجاهدة النفس في هذا المقام .

---

(١) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٦٤٦)، والعسكري كما في كنز العمال (١٢/ ٧٦٥)، وأخرجه : البخاري في الأدب المفرد (٧٦١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٤٢) عن عدي بن أرطأة رضي الله عنه : **(كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكي قال : اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون)** .
وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٧)، والفريابي في صفة النفاق (٩٤) عن عمر مولى عفرة رضي الله عنه .

إذًا فهذه الوصية من ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: **(والله الذي لا إله إلا هو لو تعلمون علمي لحثيتم التراب على رأسي)**، نرجو أن يتذكرها كل من كان له بعض شهرة بين الخلق، سواء أكان معلمًا، أو عالمًا، أو قارئًا، أو آمرًا، أو ناهيًا، أو مسؤولًا في جهة، أو أميرًا، أو ملكًا. . . ، إلى آخره من أصناف الناس، ينبغي أن يكون مزدريًا لنفسه؛ حتى لا يتعاظم قلبه عليه، فيخسر الدنيا والآخرة.

هذه وصية، وهي وصية بليغة، تحتها معانٍ كثيرة، وفيما ذكرنا إشارات، وتحت الإشارات عبارات، وتدبر، تجد ذلك.

تَحْتَ جَبَلٍ أَمْ عَلَى أَنْفِكَ ذُبَابٌ؟

والكلمة الثانية عن ابن مسعود رضي الله عنه: ما رواه البخاري في صحيحه[١] عنه رضي الله عنه، ورواه مسلم أيضًا[٢]، ولم يخرج لفظ كلام ابن مسعود، قال رضي الله عنه: **(إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا، فذبه عنه)**.

فمقام الناس في الذنوب مقامان: مقام المؤمن يذنب، ومقام الفاجر يذنب، المؤمن يعمل الطاعات، وهو وجِلٌ؛ قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ما معناها؟ يعني: الذين يصلُّون، ويتصدقون، ويزكون، ويصومون، ويخافون ألا يتقبل منهم هذا

(١) برقم (٦٣٠٨).
(٢) برقم (٢٧٤٤).

في الطاعات، فكيف إذا أذنب ذنبًا؟! ماذا يكون حاله؟

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه**)، وهذه الحال التي ينبغي أن نكون عليها: أن نتعاظم أن نذنب في حق الله ﷻ، نذنب في التفريط في الفرائض، التفريط في الصلوات، التفريط فيما يجب في الصيام، التفريط في أداء الزكاة، التفريط في أداء حقوق الخلق، في المعاملات، في الكسب، في أداء الأمانة، في معاملة الأهل، في معاملة الوالدين، في العقوق، في عدم الإتيان بالخيرات.

إذا ازداد علمك، فسترى أن لله ﷻ عليك في كل لحظة تتحركها أمرا ونهيا، إما أن يكون في عمل الجوارح، وإما أن يكون في عمل اللسان، وإما أن يكون في عمل القلب، في كل لحظة من حياتك لله ﷻ عليك أمر ونهي، حتى لو جلست ساكنًا، فالقلب إما أن يتحرك في معاصي القلوب من الكبر، ظن السوء، وأن يدبر مثلًا، أو أن يعمل عملًا يرتب له مما لا يجوز، أو يفكر كيف يأخذ ما ليس له بحق. . .، إلى آخره، فهذه ذنوب تأتي بعد خاطر القلب، ومنها ذنوب قلبية لو لم يعمل مثل: ترك التوكل، مثل: ترك الصبر، مثل: العجب، مثل: الرياء، . . . إلى آخره.

فلله ﷻ عليك في كل تحريكة لك وتسكينة له عليك أمر ونهي، ولا بد أن يقع منك الغفلة، والغفلة، والغفلة، فالمؤمن يكون خائفًا وجلًا، يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل، يخاف أن يقع عليه؛ ولهذا يحذر الناس من ذنوبه، ومن أن يغتروا به، وأيضًا يحذر هو أن يختم له قبل أن يستغفر، يحذر أن يكون من الموسدين في الثرى قبل أن يحدث توبة واستغفارًا؛ فلهذا يكون

المؤمن مع هذا الخوف على حذر شديد، يتبع ذلك الحذر كثرة الاستغفار؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١)، وفي المجلس الواحد: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٢) ﷺ.

وهكذا كان حال الصحابة رضي الله عنهم، هذا حال المؤمن حال الخوف، وهو يخاف الذنوب، ويرجو رحمة الله عز وجل.

أما الفاجر الذي يعمل بالمعاصي بلا حساب، فيقع في كبائر الذنوب، وفي الموبقات، وفي البدع، وفي ترك السنن، وفي الأخذ بالرأي وترك الأثر، وغير ذلك من الذنوب، وهو لا يشعر بها، بل كأنها ذباب مر على أنفه، فقال به هكذا.

المؤمن رحمه الله بأن: الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما؛ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»(٣)، والعمرة إلى العمرة مكفرات لما بينهما؛ كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»(٤)، لكن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بشرط أن تجتنب الكبائر؛ كما قال ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، فشرط لتكفير السيئات أن تجتنب الكبائر، والصلاة إلى الصلاة مكفرات، لكن هل كل صلاة مكفرة؟ ليس كذلك، بل من الصلاة ما يفعلها العبد، ولا تكفر ذنوبه، كذلك من الصيام ما يصومه العبد - يعني: رمضان -، ولا يكفر ذنوبه، ومن العمرة ما لا يكفر به الذنوب؛ فلكل عبادة من هذه العبادات شرط في أن تكفر السيئات، فمثلًا في الصلاة ثبت عنه؛ كما أخرج أحمد من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: «مَنْ تَوَضَّأَ هَذَا الْوُضُوءَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا كَفَّرَتْ عَنْهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى مَا لَمْ يُصِبْ مَقْتَلَةً يَعْنِي كَبِيرَةً»، وأصل الحديث في مسلم بلفظ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[(١)].

كذلك الوضوء: تتقاطر مع الماء الذنوب؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «إِذَا تَوَضَّأَ الْعبد الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ»[(٢)]، لكن كما قال ﷺ فيما صح عنه: «مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٦٧) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأصله في مسلم (٢٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللَّهُ»[١]؛ ولهذا من رحمة الله أن جعل الصلاة إلى الصلاة مكفرات، من الناس من يبقى عليه شيء، فلا تكفره صلاته، فيكفره رمضان، من الناس من لا يقوم له رمضان بتكفير ذنوبه، فتكفرها الجمعة إلى الجمعة، منهم من لا تقوم له الجمعة، فتأتي العمرة، فتكفر ما بينهما من الكبائر، فيكون المرء على وجل من فعل المعاصي، فكيف إذا كان يفعل الكبيرة؟! من الكبائر: الزنا، وشرب الخمر، والربا، والسحر، وهذه يتنكب عنها الصالحون، لكن ثم كبيرة يغشاها الصالحون، ومنهم من لا يشعر بها، أو يكون - كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في خصلة الفاجر: كذباب مر على أنفه فقال به هكذا -، وهذه الخصلة وقع فيها الأكثرون في هذا الزمن ألا وهي: الغيبة، والغيبة من الكبائر؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال العلماء: جعل الغيبة كأكل الميتة، وأكل الميتة كبيرة، فدل على أن الغيبة من الكبائر، كذلك النميمة والبهتان من الكبائر.

فالغيبة: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»[٢]، الصلاة إلى الصلاة مكفرات ما اجتنبت الكبائر، فهل نخاف أو نطمئن؟! الله المستعان، إذا لم تجتنب هذه الكبيرة، فالصلاة إلى الصلاة ليست بمكفرات، فكيف إذا ازداد على الغيبة أن تكون بهتانًا؟! والغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، «قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ».

---

(١) أخرجه النسائي (١٤٤)، وابن ماجه (٤٥٩)، وأحمد (١/ ٥٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والبهتان أعظم إثمًا من الغيبة، فمن الناس من يغتاب، ويتكلم بلسانه، ولا يخاف، كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا، وهي أكثر ما تكون في الصالحين؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الصالحين يجتنبون كبائر الذنوب، مثل: الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، ولكنهم يقعون في ذنوب اللسان والقلب)، فهو يتعاظم بقلبه، يتجبر، يتكبر، يمر به أحد، فيستصغر ذاك، ويعظم نفسه، ولو علم الحقيقة، لربما كان ذلك الذي ازدراه أعظم عند الله ﷻ منه.

فالمرء ينبغي أن يكون حسيبًا على نفسه، قد يجلس الناس مجالس طويلة يغتابون فيها، والغيبة درجات، وأعظمها: أن يغتاب من له الحق عليه من أهل العلم، ومن الوالدين، . . . ونحو ذلك: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ**»، والله المستعان، هذه ذنوب.

فتأمل هذه الكلمة، ولا تغتر بأنك صاحب طاعة، وتنظر إلى نفسك، وأنك. . .، ولا تحس بالذنوب التي تغشاها، وأنت لا تشعر لقصور علمك، أما المسلم أو المسلمة إذا علم أمر الله، فإنه سيكون في القلب الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فإذا أذنب ذنبًا، كان القلب وجلًا خائفًا، لا يدري ما الله ﷻ يصنع فيما فعل من الذنب، الذي قد يكون ذنبًا لسانيًا، وقد يكون ذنبًا قلبيًا، وقد يكون ذنبًا من ذنوب الجوارح.

إذًا هذه الوصية مدارها على أن تعظم أمر ذنبك، ولا تخفف أمر الذنب، فإذا عظمته، وكأنك قاعد تحت جبل تخشى أن يقع عليك، فإنك ستسعى

إلى طلب المغفرة، ستسعى إلى التوبة، ستسعى إلى مفارقة الذنوب، وتلح على الله ﷻ أن يعفو عنك ويتسامح، وهذه عبادات تلو العبادات.

الصَّدِيقُ مِرْآةُ صَدِيقِهِ

الكلمة الثالثة من كلمات ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: **(اعتبروا الناس بأخدانهم؛ فإن المرء لا يخادن إلا من يعجبه)**[1]، وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح المروي في السنن: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»[2]، فقال ابن مسعود: **(المرء لا يخادن إلا من يعجبه)** يعجبه في تصرفاته، يعجبه في عقله، يعجبه في تفكيره، فإذا رأيت أحدًا يخادن أحدًا صديقًا له، ملازمًا له، محبًا له، فاعتبر هذا بذاك، فإن «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[3]، فاعتبروا الناس بأخدانهم، وهذا يدل على ذاك.

فمن جهة الأعمال: إذا رأيت من يغشى المعاصي والكبائر، ورأيت من يصاحبه ويلازمه، فاعتبره بذاك، واخش عليه أن يكون مثل صاحبه؛ لأنه إما أنه لم يعلم بفعل صاحبه، وإما أنه علم، فرضي، ومن علم بالمعصية، فرضيها كان شريكًا لصاحبها في الإثم، إذا وجدت أن فلانًا سبابًا، شتامًا،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩١٩)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٣٨)، ورواه ابن بطة في الإبانة (٣٨١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كثير الغيبة، كثير الوقيعة، وتجد أن فلانًا كثير الصحبة له، لا يخالفه، ولا ينهاه، ولا يفارقه، فاعلم أنه شبيه به؛ لأنه رضيَ صنيعه.

الناس يتقاربون في العقول وفي التفكير، فإذا وجدت في عقل أحدهم محبة للعلم، ووجدت من يصاحبه، فتعلم أن من يصاحبه محبٌ للعلم، وإن لم يكن من أهل العلم، وإذا وجدت من يصاحب صاحب السنة، فتعلم أنه صاحب سنة؛ لأنه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(اعتبروا الناس بأخدانهم)**، وإذا وجدت من يصاحب أهل الأثر، فهو محب للأثر ولأهله، وإذا وجدت من يصاحب أهل الرأي، ويلزمهم، فتعلم أنه محبٌ لهم، وأن له حكمهم، من أحب السنة، صحب أهلها، ومن أحب المحدثات، صحب أهلها و«**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**» كما قال رسول الله ﷺ.

فهذه وصية، وما وراء هذه الوصية بعد الاعتبار أن تعتبر نفسك، ليس المقصود أن تحكم على الناس، ولكن هذه عبارة لطيفة من ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: **(اعتبروا الناس بأخدانهم)**، لكن إذا أردت أن تعتبر الناس، فلا بد أن تعتبر نفسك قبل أن تعتبر الناس، ولكن من الناس من لا يحب أن يواجه بالنصيحة والوصية، ولكن ابن مسعود رضي الله عنه جعل هذا الموصى حكمًا على غيره، وإذا تأمل، وجد في العبارة أنه يحكم على نفسه، فاعتبر نفسك بأخدانك؛ فإن المرء لا يخادن إلا من يعجبه.

إذا كان كذلك، فتأمل نفسك ومن تصاحب، هل تصاحب أهل الطاعة أم أهل المعصية؟ إذا وجدت من يأنس لأهل العصيان، ولو كان ظاهره الطاعة، ففي الغالب أن نفسه من داخلها تنازعه إلى العصيان، ولو من طرف

خفي، وإذا وجدت من يصاحب أهل العلم، وجدت أن نفسه تنازعه إلى العلم، ولو لم يكن من طلبته، وإذا وجدت نفسك تصاحب أهل السنة، فمعنى ذلك أن قلبك محب لها، وإذا وجدت نفسك تصاحب أهل المحدثات، وأهل الغيبة، وأهل النميمة، وأهل الوقيعة، فاعلم أن المرء على دين خليله.

فإذًا تبدأ مع نفسك بالإصلاح، فكلمة ابن مسعود هذه لنفسك ولغيرك، وهذه وصية تربوية جامعة دعوية، وكلٌّ حسيب نفسه، والله ﷻ يقول مخبرًا عن قول بعضهم يوم القيامة: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

اتهم الرأي وعليك السلامة، اطلب السلامة، لا تأخذ نفسك بالأماني، بل كن على حذر، وكن طالبًا للسلامة، لا طالبًا للهو واللعب؛ فإن الحياة ليست مدتها كافية للهو واللعب، وإن غشي اللهو واللعب الأكثرون، وإنما هي لمن عقل، ودان فقط لطاعة الله ﷻ، ولا تنس نصيبك من الدنيا.

قِلَّةُ العُلَمَاءِ وكَثْرَةُ الخُطَبَاءِ

الكلمة الرابعة من كلمات ابن مسعود رضي الله عنه، التي أوصى بها الناس، وقد قال ﷺ: «تمسكوا بعهد ابن أم عبد»[1]، وقال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد»[2]، قال ابن أم عبد - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لأصحابه: **(إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليلٌ**

(١) سبق (ص ٢٩٤).

(٢) سبق (ص ٢٩٤).

علماؤه، كثيرٌ خطباؤه)[١]، في زمن الصحابة ابن مسعود تُوفِّي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، قال لأصحابه ينبه ويربي: **(إنكم في زمان كثير علماؤه)**؛ لأن الصحابة متوافرون، **(قليل خطباؤه)** في كل بلد فيه مسجد واحد يخطب فيه العالم في البلد، قال: **(وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه)**، العلماء قليل، تبحث عنهم، وهم قليل، ولكن الخطباء هم الذين يخطبون الناس، ويتكلمون فيهم، فيدخل فيه خطيب الجمعة، يدخل فيه المحاضر، يدخل فيه المدرسون، كل من يخطب، يعني: يلقي كلامًا علنيًا على مجموعة من الناس، هؤلاء الخطباء، وفي هذا الزمن الخطباء على هذا المعنى كثير، ولكن العلماء - كما قال ابن مسعود رضي الله عنه - قليل، هل يقصد ابن مسعود بهذا الكلام أن يثقف أصحابه ثقافة مجردة عن العمل؟ يعني: الآن أنتم في زمن العلماء كثيرون والخطباء قليلون، وسيأتي زمن الخطباء كثيرون والعلماء قليلون، هكذا معلومة ليس وراءها عهد، ولا وراءها علم، ولا وراءها وصية؟ حاشا وكلا، فابن مسعود هو العالم الداعي المربي، قال هذه الكلمة؛ ليحذر الناس من الابتعاد عن طريق أهل العلم، وإتيان طريق الخطباء؛ لأن في زمنه العلماء كثيرون، ولكن الخطباء قليلون، وأما في الزمن الذي يكون بعد زمنه سيأتيكم زمان قليل علماؤه، كثير خطباؤه.

وقد قال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٢]، فذكر ثلاثة قرون، وقال: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٤٩٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٣٧٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

رَبَّكُمْ»[١]، وثبت عنه ﷺ أنه ليلة عرج به إلى السماء رأى أقوامًا من أمته تقرض شفاههم، ويعذبون، ففزع ﷺ وقال لجبريل عليه السلام: «مَا هَؤُلَاءِ؟! قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»[٢]؛ ولهذا تجد أن أثر الكلام اليوم في النفوس قليل، لم؟ لأنه - كما قيل - إذا صدر الكلام من موفق مخلص، دخل القلوب بإذن الله، وأما إذا صار رياءً وسمعة، فإنه للذة، ولا يجاوز الآذان، يستلذ، كلام طيب جميل - ما شاء الله - وعجيب، ولكن هل أثر في حياة الناس؟ هل دخل في القلوب؟ ما دخل، ولا أثر، واليوم نحضر في خطب الجمعة، فيأتي أمر ونهي، وتذكر عظيم، لكن هل فزع الناس من هذا التذكير؟ هل قبلوا؟ القليل من يقبل، والأكثرون لا يقبلون، ومن أسباب ذلك المستمع، فما المخرج؟

وصية ابن مسعود رضي الله عنه وعهده أن تهتم بالعلماء، وأن تذر الخطباء، يعني أن التوجيه والعهد والوصية والعلم تأخذها من أهل العلم، أما الخطباء، فهم كثيرون، ولكنهم غير العلماء، فالعالم موصوف بالعلم، والخطيب موصوف بالخطابة، ولما غاير بين الخطباء والعلماء دلنا على أنه يريد العلماء غير الخطباء.

وإذا نظرنا إلى هذا الكلام، وتأملنا الواقع اليوم، وجدنا أن سماع الناس لكلام الخطباء أكثر من سماعهم لكلام العلماء، ولهذا قد يغفل الناس عن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان (٥٣)، وأحمد (٣/ ١٨٠)، والبيهقي في الشعب (١٧٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

السنة من جراء ذلك؛ فإن اهتمام العالم في البيان غير اهتمام الخطيب، وأثر العالم في النفس غير أثر الخطيب؛ لأن هذا وريث النبي ﷺ، أعني العالم؛ كما جاء في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١)، وأما الخطيب، فهو وريث الخطباء.

إذًا كلمة ابن مسعود رضي الله عنه هذه توجيه إلى أن يكون اهتمام العبد الذي يطلب نجاته بأهل العلم، لا بالخطباء الذين يحاضرون، ويلقون، أو يعلمون، أو يخطبون الجمع، أو. . .، إلى آخره، فإن هؤلاء إن كانوا علماء، فعليك بهم، وإن كانوا ليسوا بعلماء، فاحذر، واعرض كلامهم على أهل العلم، فما كان من حق فيه، فيقبل، وما كان من باطل فيه، فيرد؛ لأن الذين ورثوا النبوة إنما هم العلماء، وليسوا الخطباء.

لا تَكُنْ رَأْسًا فِي الضَّلالَةِ

الكلمة الخامسة من كلمات ابن مسعود رضي الله عنه: قال لأصحابه محذرًا، وموصيًا، وعاهدًا إليهم، بل وإلى أمة محمد ﷺ، قال: **(إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل ليكون تابعًا في الخير خير من أن يكون رأسًا في الضلالة)**(٢).

ابن مسعود رضي الله عنه توفي سنة اثنتين وثلاثين، قبل فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه،

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١٠٣٧١)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٧٧).

وقبل أن تبدأ الخلافات بعد مقتله، وما حصل لعلي رضي الله عنه، وما بينه وبين معاوية رضي الله عنهما، إلى آخر ما حدث، وبداية الفرقة في الأمة، وبداية الأقوال، وبداية الأخذ والرد، وتنوع الأفكار والأفهام، قال لأصحابه وللأمة من بعدهم قال: (**إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل يكون تابعا في الخير خير من أن يكون رأسًا في الضلالة**)، ستكون أمور مشتبهات . . .، ما معنى المشتبهات؟

العلم نوعان:

١ - محكم. ٢ - ومتشابه أو مشتبه.

المحكم: ما تعلمه حقًا بدليله، أو تعلمه حقًا من كلام أهل العلم الراسخين المؤتمنين على كلام الله عز وجل وعلى كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، هذا نوع من العلم محكم، وهو الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، هذه المحكمات الواضحة البينة التي علمتها، وعلمت ما فيها من المعنى، وأخذتها، لكن هناك أمور مشتبهات تحدث في الناس، ولا يجوز لك أن تنساق في المشتبهات والمتشابهات وفق رأيك وهواك، بل لا بد أن ترد المشتبهات إلى الشرع وإلى الدين: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فلا خير إلا دلّنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شر إلا حذرنا منه.

فماذا تفعل إذا أقبلت المتشابهات؟ قال رضي الله عنه مبينًا كيف تكون عند ورود المتشابهات: (**إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة**)، هذه الوصية: (**عليكم بالتؤدة**)، يعني: الزموا التؤدة، الزموا الرفق، والتؤدة هي الأناة.

والنبي ﷺ أثنى على أشج عبد القيس، فقال: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**»(١)، يحبهما الله ورسوله، التؤدة والأناة والرفق محبوبة لله ﷻ ولرسوله ﷺ؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(٢).

وقد دخل رجل يهودي إلى بيت النبي ﷺ، فقال للنبي ﷺ: (السام عليك) والسام يعني: الموت، فقال النبي ﷺ: «**وعليك**»، سمعت عائشة رضي الله عنها هذا الكلام فغضبت لرسول الله ﷺ، فقالت لليهودي: وعليك السام واللعنة، فقال لها ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ**»، فقالت: يا رسول الله ألم تسمع إلى ما قال؟ قال: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**».

وقد ثبت أيضًا - في صحيح مسلم وفي غيره - أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٣)، وثبت عنه أيضًا ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»(٤).

هذه وصية ابن مسعود رضي الله عنه، قال: (**إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة**) أمور مشتبهات في الأقوال، أمور مشتبهات في الواقع، في أحوال

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم، واللفظ له (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٠٧)، والدارمي (٢٧٩٣)، وأحمد (٤/ ٧٨) من حديث عبد الله ابن مغفل رضي الله عنه.

الناس، فماذا ينبغي؟ ما الوصية؟ الرفق، وهذه وصية ابن مسعود الذي قال فيه ﷺ: «**تمسكوا بعهد ابن أم عبد**»، قال: (**فعليكم بالتؤدة**)، إذا ابتدأت المشتبهات التي لا تدري كيف ترجعها، ولا تدري هل تفعل فيها كذا؟ أو تفعل فيها كذا؟ لا تدري ماذا تقول فيها، فماذا تعمل؟ عليك بالتؤدة؛ لأنه لا يجوز لك أن تتصرف تصرفًا إلا عن علم، إذا تصرفت على جهل، فأنت حسيب نفسك، وتصرفك عليك، لكن لا يجوز أن تتصرف إلا بعلم؛ لأن العلم به النجاة، والجهل أودى الناس بالهلاك، فعليك بالتؤدة، يعني: تأنَّ، فلا تتكلم إلا بكلام تعلم حسنه في الشرع، وإصابته في الشرع، فإن كنت عاميًا أو طالب علم، فاسأل أهل العلم الراسخين فيه، يبصرونك فيما ترى، فإذا ساقوا الأدلة على قولهم، فإنك تعتقد الحق بدليله، فإذا أتى من يقول لك فكرة غريبة، أو من يقول كلامًا جديدًا على سمعك، لم تسمعه من قبل، فماذا تتصرف؟ هل تقبله هكذا، أو تتئد، وتترفق حتى تسأل أهل العلم، وحتى تكون فيما تقبل، وما لا تقبل سائرًا على وفق العلم؟

وصية ابن مسعود رضي الله عنه: (**عليكم بالتؤدة**)، فإذا قيل لك كلام غريب تتئد، وتتأنى، وتترفق، فلا تقدم على شيء من تصديق قول أو من تكذيبه، أو من اعتقاد شيء أو نفي اعتقاده، أو من عمل ومسارعة في شيء أو بعد عنه إلا بعد الترفق، والتأني، والتأمل، والفتن إذا أقبلت، تشابهت، وإذا أدبرت، عرفها كل أحد؛ كما قال السلف: إذا أقبلت تشابهت، ما تدري هذه تشبه هذه، وتشبه هذه، وتشبه المشروع، وهذه لا تشبه، تشتبه على الناس؛ لأنها مقبلة، ولكن إذا أدبرت، وانتهت، عرفها كل أحد، لكن من يعرفها حين تقع؟

إنما يعرفها أهل العلم الراسخون، الذين هم ليسوا بأهل الزيغ، قال الله ﷻ في كتابه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، الذي في قلبه زيغ يتبع المتشابه، وأما الراسخ في العلم، هو الذي يعلم تأويله؛ قال: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] على أحد الوجهين في الوقف أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل ما اشتبه على أكثر الناس؛ لأنهم راسخون في العلم، فإذا أتت الأمور المشتبهات، فوصية ابن مسعود رضي الله عنه أن يكون المرء متئدًا مترفقًا، وقد قال معللاً لماذا؟ قال: **(فإن الرجل يكون تابعًا في الخير، خير من أن يكون رأسًا في الضلالة)**، إذا أقبلت الأمور المتشابهة: إما أحوال في المجتمع، وإما في بيت، وإما في مجلس، أو في عمل، يأتي من الناس من يغلي قلبه، يريد أن يكون رأسًا فيها، ومتقدمًا فيها، وآخر يتأنى، أيهما يحكم لفعله بالحسن؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(فإن الرجل يكون تابعًا في الخير)**، تكون تابعا، ليس المقصود أن تكون متبوعًا، أن تكون رئيسًا، أن تكون رأسًا، لا، المقصود أن تكون محصلًا للخير؛ فإن الرجل يكون تابعًا في الخير خير من أن يكون رأسًا في الضلالة؛ لأن الأمور المتشابهة إذا أقبلت، فإنك إذا أتيتها ربما كانت عاقبتها إلى ضلالة؛ لأنك دخلت فيها دون معرفة شرعية صحيحة.

والعلة أن تكون تابعًا في الخير خير من أن تكون رأسًا في الضلالة؛ لأن المحاسبة يوم القيامة على ما عملت، لا على هل كنت رأسًا أم كنت تابعًا؟ ومن عباد الله من يحتقر، فلا يشفع، ولا يؤبه له، ولكن من لو أقسم على الله لأبره.

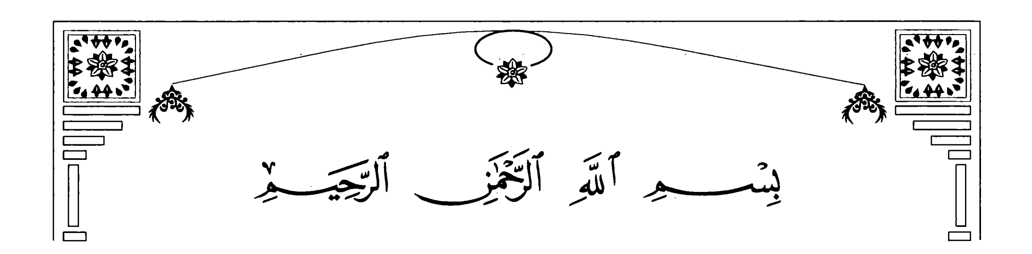
نسأل الله الكريم من فضله، لعل هناك بقية وصايا، لكن نكتفي بهذا القدر ساعة من الزمان، ووصيتي لنفسي، ولست بخيركم، ولكم جميعًا أن نستمسك بعهد ابن أم عبد؛ لأن النبي ﷺ هو الذي أوصانا بذلك.

ثم الوصية الأخرى: أن تتدبر كلمات السلف، أقبل على كلمات السلف، وتأمل هذه الكلمات، لا تمر عليها مرَّ عجلٍ، لكن قف عندها وتأمل، ماذا يدل عليه الكلام؟ تدبر، والتدبر فيه الخير، وأما العجلة، فيحرم معها المرء كثيرًا.

أسأل الله ﷻ أن يفقهني وإياكم في دينه، وأن يغفر لنا ذنوبنا - وما أعظمها! -، وأن يعفوَ عن زلاتنا، وأن يختم لنا برضاه، وأن يجعلنا من الذين إذا سمعوا، عملوا، وإذا عملوا، أخلصوا.

هذا ورضي الله عن صحابة نبيه ﷺ، رفع الله لهم المقام في الآخرة، كما رفع لهم المقام في الدنيا، وغفر لنا، وجعلنا معهم في الآخرة، وحشرنا تحت لواء محمد ﷺ، وأسأله أن يثيبكم على حسن الاستماع، وأن يجزل لكم المثوبة، وأن يتقبل منكم الصيام والقيام، وأن يزيدكم من الخير، وأن لا يكلكم إلى أنفسكم طرفة عين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





محاضرة عهد ابن أم عبد رضي الله عنه الثانية بمسجد شيخ الإسلام بسلطانة بالرياض

الحمد لله الذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، الحمد لله الذي له أنواع المحامد، وهو المستحق لأنواع الثناء، سبحانه من إله عظيم ذل له أولياؤه، وتكبر عنه الأشقياء.

سبحانه وتعالى ننزهه عن جميع ما لا يليق بجلاله وعظمته، عن اتخاذ الصاحبة والولد والشريك في الربوبية والألوهية، والشريك في الكمال في الأسماء والصفات، والشريك في الأفعال التي تكون موافقة للحكمة في كل شيء، وفي الشرع والقدر، وفي الأمر والنهي، وفي كلامه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. كلمة حق قامت عليها الأرض والسماوات، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فترك هذه الأمة على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده صلى الله عليه وسلم إلا هالك، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آل نبينا محمد، وعلى صحبه، وعلى زوجاته، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أسأل الله ﷻ لي ولكم الهدى والسداد والتوفيق والرشاد، وأن يجعلنا من الموفقين، وأن يباعد بيننا وبين سبيل المخذولين.

هذا الدرس في موضوعه تتمة لدرس سابق في هذا المسجد، في إحدى ليالي رمضان الماضي، وكان بعنوان (وقفات مع كلمات لابن مسعود رضي الله عنه) أو سمه إن شئت (عهد ابن أم عبد)، وقد ذكرنا أن النبي ﷺ أوصى باتباع عهد ابن أم عبد، وقال ﷺ: (**تمسكوا بعهد ابن أم عبد**)[١] في أحاديث ذكرناها فيما مضى، فهذه الكلمات التي نسوقها لأحد صحابة رسول الله ﷺ المهاجرين إنما هي للتفقه، وإنما هي للعلم والتربية، والنظر في ذلك؛ لأن أكمل المربين تربية من هذه الأمة هم صحابة رسول الله ﷺ؛ فهم الذين درسوا، وعلموا، ودعوا التابعين، وكانت نتائج تربيتهم ودعوتهم فائقة رائقة أخرج الله رضي الله عنه بهم الجم الغفير من الظلمات إلى النور.

هَذِهِ القُلُوبُ أَوْعِيَةٌ

من كلمات ابن مسعود رضي الله عنه التي نقف معها أنه قال: (**إنما هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره**)[٢].

قوله: إنما هذه القلوب أوعية، وهذا حصر، وهذا الحصر صحيح؛ لأن القلوب هي كالوعاء، فما جعلته فيه انبثق عنه، والألسنة مغارف للقلوب،

(١) سبق (ص ٢٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٦).

لا يظهر على لسان أحد كلام إلا وقد غرفه من قلبه، فبقدر ما يكون في القلب من العلم أو من غيره يكون مغروفا باللسان، ويكون مسيطرا على الفكر، ويكون مسيطرا على الفهم والتصرفات، ولا شك أن الله ﷻ أنزل هذا القرآن؛ ليهدي به الناس، فهو كتاب منير يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، وهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] وقوله ﷻ هنا: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ يعني: أكمل السبل، وأقوم السبل، وأقوم الطرائق في جميع ما يحتاجه العباد، بما يصلح قلوبهم وما يصلح جوارحهم وألسنتهم، وفي تصرفاتهم في الحياة، وفي عبادتهم، وفي تنظيماتهم، وفي أمورهم المالية، وأمورهم الاجتماعية، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم.

وابن مسعود رضي الله عنه أوصى، فقال: (**إنما هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن**)، إن الوعاء لابد أن يمتلئ، والناس في هذه الحياة الدنيا إذا امتلؤوا من شيء؛ فلأنهم سمعوه، أو قرؤوه، أو نظروا فيه.

فالنظرة مؤثرة في القلب، والسماع مؤثر في القلب، والقراءة مؤثرة في القلب، وأنواع الرؤية مؤثرة في القلب؛ ولهذا إذا امتلأ القلب من القرآن، فإنه إن جاءه حق يوافق ما في القرآن، فسيقر في القلب على الصواب، وأما إن أتاه ما ليس بحق، إن أتاه باطل من جهة الشهوات، أو من جهة الشبهات، فإن القلب الذي امتلأ بالقرآن يرد الباطل، يقبل الحق، وإذا عرض له شيء من الباطل، فسرعان ما يحرقه نور القرآن، بهذا ابن مسعود رضي الله عنه قال: (**فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره**)؛ لأن القلب إنما هو لما انشغل به،

هذه وصية بالقرآن، وصية بحفظه، وصية بتدبره، وصية بتلاوته، وصية بتأمله ومدارسته.

ولا شك أن الناس إنما يشرفون، وتعظم أحوالهم أفرادا وجماعات بمقدار ما استمسكوا بهذا القرآن، فكلما كان استمساكهم بالقرآن أعظم، كانت درجتهم أرفع عند الله ﷻ؛ لأن القرآن هو حبل الله المتين، وهو صراطه المستقيم، الذي من أخذ به نجا، ومن تخلف عنه هلك، اشغلوا القلوب بالقرآن، حتى تمتلئ به، ولا تشغلوها بغيره.

القرآن هو الأنيس، القرآن هو المؤنس في الخلوات، هو الذي ينير القلب هو الذي يكون به العبد يوم القيامة في رفعة من الدرجات، القرآن حفظا وتلاوة له عند من يحبه الدرجة العظيمة، التي لو تخلف عنها يوم واحد، لآنس من قلبه تغيرا، وآنس من قلبه شيئا من الكدر؛ لهذا شغل النفس بالقرآن وانشغال القلوب بالقرآن أمر عظيم تربويا، وعظيم في تزكية النفس، ولهذا قال ﷻ في وصف كتابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله جميعا: القرآن، وقال ﷻ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، والصراط المستقيم هو: القرآن، وهو: السنة، وهو: الإسلام، من الناس من يمر عليه أحوال وأيام لا يقرأ القرآن فيها، وقد كان الإمام أحمد رحمه الله كان لا يمر عليه يوم إلا وينشر المصحف، وينظر فيه، حتى ولو كان المرء حافظا لكتاب الله، فإنه يستحب له أن ينظر في المصحف كل يوم، لا يخالف ذلك، والقلب إذا امتلأ من القرآن حفظا وتدبرا وتأملا، كان في ذلك الخير، وإذا

لم يكن حافظا، فعليه بكثرة التلاوة، وما أحسن قول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول ألفيته في القراءات[١] قال:

وإِنَّ كِـتَـابَ الـلـهِ أَوْثَـقُ شَـافِـعٍ	وأَغْـنـى غَـنَـاءً وَاهِـبًـا مُـتَـفَـضِّـلاَ
وخَـيْـرُ جَـلِـيـسٍ لاَ يُـمَـلُّ حَـدِيـثُـهُ	وتَـرْدَادُهُ يَـزْدَادُ فِـيـهِ تَـجَـمُّـلًا
وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ في ظُلُمَاتِهِ	مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلًا
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً	وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزّ يجتُلَى
يُنَاشِدُه في إرْضَائِهِ لحبِيبِهِ	وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلًا إلَيْهِ مُوَصَّلاَ

نعم إن القارئ للقرآن لابد له أن يتدبر، والهذُّ نهى عنه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: «**لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثِرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ**»[٢]، وهكذا يجب أن يتدبر المرء القرآن: ينظر في الآية، ويتأمل: ما موقفه هو؟ ما حياته؟ ما اتصاله حين يقرأ هذه الآية؟ ما صلة هذه الآية بحياته؟ ما صلتها بما يفعل؟ إذا نظر وتأمل في آية فيها أمر، نظر في حياته: هل طبق، أم لم يطبق؟ هل امتثل، أم لم يمتثل؟ إذا نظر في نهيٍ، فإنه ينظر في حاله وحال من حوله؛ ولهذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**إن أنفع ما يكون لقارئ القرآن حين يقرأ القرآن أن يستحضر أن الله جَلَّ وَعَلَا يتكلم بهذا القرآن، وأن جبريل يسمعه منه، فينزل به من الرب الجليل العظيم جَلَّ وَعَلَا، ثم يلقيه على**

(١) انظر: حرز الأماني (ص١٥).
(٢) سبق (ص ٢٩٥).

النبي ﷺ، فإذا هو ﷺ يبلغ الناس به: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾. . .، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾. . .، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾. . .، إلى آخر ما هنالك)[(١)].

اللهُ يُنَادِيكَ

قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(إذا سمعت في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعها سمعك، فإنها إما خير تؤمر به، وإما شر تحذر منه)**[(٢)].

إذًا فالعناية بالقرآن هي وصية النبي ﷺ ووصية ابن مسعود، والناس في القرآن درجات: منهم من يقرؤه قراءة أماني؛ كحال أولئك الذين قرؤوه أماني؛ قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة: ٧٨] يقرؤونه أماني، لا يفقهون ما فيه، فالواجب على الناس أن يتدبروا القرآن، وأن يتأملوه؛ لأن الله عز وجل أمرهم بذلك، فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، وقال عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، دلت هذه الآية - آية سورة محمد ﷺ - أن من لم يتدبر القرآن، فإن على قلبه قفلًا، وهذا صحيح، إن من الناس من يقرأ القرآن، لكن

(١) انظر: الفوائد (ص٣) قال ابن القيم رحمه الله: (إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله).

(٢) سبق (ص ٢٩٤).

لا يستحضر أنه ينبغي له أن يفهم معانيه، فيمر بالآية مرة ومرتين وثلاثا، وهو لم يشغل قلبه بمعرفة معناها، يسمع الإمام يتلو آيات، وتمر على ذهنه - خاصة في المفصل، فيما يقرأ كثيرًا -، ولا يفهم بعض المعاني، ولا يتحرك إلى أن يعلم معاني تلك الآيات، ولاشك أن هذا قصور وانشغال عن القرآن بغيره.

إذًا فالانشغال بالقرآن في وصية ابن مسعود رضي الله عنه انشغال بحفظه، انشغال بمدارسته، انشغال بمذاكرته، انشغال بتدبره ومعرفة معانيه، وكل ما كان في سبيل القرآن، وتفهمه ودراسته، فإنه مأمور به؛ لأن القرآن هو الإسلام؛ ولأن القرآن هو الحجة على العالمين إلى قيام الساعة، قال رضي الله عنه: (**ولا تشغلوها بغيره**) غير القرآن كلام الخلق، والقرآن كلام الخالق جل جلاله، فهل يتساوى في قلب أحد كلام من خلق السماوات والأرضين، وصور الإنسان وصور الكائنات مع كلام المخلوقات؟ لا تشغلوها بغيره، فإذا انشغلت بغيره، فإن القلوب ستمتلئ من ذلك الغير، قد يمر عليه يوم، ولا يقرأ القرآن وتسأله لم؟ فيقول: أنا مشغول، لم أنت مشغول؟ وفيم أنت مشغول؟ في أمور الحياة، وفي الحقيقة تجد أنه ربما طالع جريدة ساعة أو ساعتين، أو ربما قرأ في مجلة ساعة أو ساعتين، ونصيب كتاب الله جل جلاله من قلبه في يومه وليلته قليل، وهذا لاشك أنه مما لا ينبغي، ومما تركه أولى؛ لأن القرآن حثنا، والرسول صلى الله عليه وسلم حثنا على أن نقرأه، وأن لا نترك ختمه فوق الأربعين.

إذًا القلوب أوعية، فإذا امتلأت بالقرآن، امتلأت بأوامره ونواهيه، وأفرزت، وظهر على العبد ما يأمر به الله جل جلاله في كتابه.

وإن انشغلت بغير القرآن، فإنه يظهر عليها في تصرفاتها، في أحوالها، في

آرائها، في أفكارها ما يكون من قبيل الفهم والرأي، ولا يكون من قبيل تحكيم القرآن على النفس وعلى القول والعمل، هذه وصية، وهي وصية عظيمة جليلة: (**اشغلوا القلوب بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره**).

من الحسن، بل من المطلوب أن تحفظ كل يوم - إن لم يتيسر لك حفظ الكثير - أن تحفظ بضع آيات: خمس آيات، ستا، سبعا كل يوم، وستحصل بعد زمن حفظًا كثيرا، وتردد ذلك، وتتأمله، وتتدبره.

اسْتَمِرَّ فِي القَرْعِ ولا تَمَلَّ

من وصايا ابن مسعود رضي الله عنه ومن كلماته أنه قال: (**إنك ما دمت في الصلاة، فأنت تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب يفتح له**)[(١)] إنك ما دمت في الصلاة، فأنت تقرع باب الملك الديان، ملك الأرض والسماوات، الذي هو على كل شيء قدير، وإذا أدمنت القرع، وأدمت ذلك، فإنه يوشك أن يفتح لك، هذا الأثر رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهما، هذا من ابن مسعود تعظيم لشأن الصلاة، وقد قيل له: إن فلانا يطول الصلاة، يعني: صلاته لنفسه. قال: إن الصلاة لا تنفع إلا لمن أطالها قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، الصلاة: التي تقام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، لا شك أنها تفتح للمرء

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٨٦)، والحلية (١/ ١٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٤٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٢٣).

أبوابا من الخيرات: من غشيان المعروف، ومن ترك المنكر، وما دمت في الصلاة، فأنت تقرع باب الملك الديان.

هذا القول من ابن مسعود رضي الله عنه فيه تنبيه إلى أن الذي يطيل الصلاة لا يمكنه أن يطيلها إلا إذا كان يعقل ما يقول؛ لأنك ما دمت في الصلاة، فأنت تقرع باب الملك، ولاحظ أن قوله: (**فأنت تقرع باب الملك**) أن فيه تشبيها بمن يقرع الباب، ويتكلم، والذي يقرع الباب ويتكلم مركز فيما يقول، مستحضر لما يقول؛ لأنه يريد أن يدخل، فشغله الشاغل في أن يفتح له، وهذه حال المتدبرين لما يقولون.

كثير من الناس لا يتدبرون ما يقولون في الصلاة، ومن العجب أن يكون المرء كثيرًا ما يصلي الفرائض والنوافل، وإذا سألته عن معاني ما يقول وما يناجي به الله عز وجل، لم يحسن من ذلك إلا القليل، إذا سألته عن معاني التسبيح، ما درى ما يقول، لم كانت هنا سبحان ربي العظيم؟ ما معنى التسبيح؟ سمع الله لمن حمده، ما معنى السماع هنا؟ سبحان ربي الأعلى، التحيات لله والصلوات والطيبات، ما معنى ذلك؟ كثير من الخلق، - يعني: من المسلمين - يقرؤون هذا، حفظوه، ويتلفظون به، دون علم بمعانيه، وهذا لا شك أنه يفوتهم فيما يقولون الخشوع في الصلاة؛ لأن الخشوع في الصلاة فرع عن التدبر، وقد ثبت في السنن والمسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**»[1]، قال العلماء: سبب ما فات من أجر الصلاة

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، والنسائي في الكبرى (٦١٢)، وأحمد (٤/ ٣٢١) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

هو ما فات من الخشوع، والخشوع في الصلاة ليس بواجب، هو مستحب، الطمأنينة ركن، والخشوع بمعنى خشوع القلب، وخشوع الجوارح مستحب إلا إذا كانت حركة جوارحه تخرجه عن هيئة الصلاة، فهذا يكون مبطلا لها، لكن الخشوع في أصله مستحب، والناس يتفاوتون فيه، ما السبيل إلى الخشوع في الصلاة؟ السبيل إليه: أن يكون المرء متدبرا لما يقول، هل يتدبر ما يقول دون أن يعلم؟ لابد إذا من العلم، العلم بما تقول، معاني الفاتحة، هذه السورة العظيمة ما معانيها؟ كثير من الناس يفتتح الصلاة، فيقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**»، فما معنى ذلك؟ ما معنى: وتعالى جدك وتبارك اسمك؟ يقول كلاما يردده، ولا يحسن ذلك؛ ولهذا نقول: إن اثنين يقفان في الصلاة، وبين هذا وهذا من فقه الصلاة ومن الأجر فيها كما بين المشرق والمغرب، والصلوات درجات.

تأمل ذلك الصحابي الذي قال: «**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**»، فلما انصرف ﷺ من الصلاة قال: «**مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟ قَالَ: أَنَا. قَالَ: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا؛ أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»[1]، هل هذا يحصل لكل أحد؟ لا يحصل لكل أحد، كلمة عظيمة من قلب وعى ما يقول، فعظم به الرب ﷻ، فوافق اللسان في ذلك القلب، هذا لا شك يحتاج إلى تأمل.

قال الوزير ابن هبيرة صاحب كتاب «الإفصاح في معاني الصحاح»: (لقد تأملت وجه كون الملائكة الذين ابتدروها ليرفعوها بضعة وثلاثين ملكا، لم لم يكونوا عشرين، أو عشرة، أو خمسين؟ قال: فلما تأملت وجدت أن عدد

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩٩) من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه.

حروف تلك الكلمات بضعة وثلاثين حرفا بالمشدد، حتى تأملت، وكأني أنظر إلى الملائكة يزدحم الملك مع الملك في الحرف المشدد؛ لأن الحرف المشدد عبارة عن حرفين حرف ساكن ومتحرك، قال: فتأملت فكأني أنظر بالملكين يبتدران الحرف المشدد كلٌ يريد أن يأخذ نصيبه من ذلك الحرف المشدد)، هذا لا شك أنه من المقامات العظيمة، إنما هذا لمن وعى وتدبر القرآن، من وعى وتدبر ما يقول.

إذا صليت الصلاة، إذا صليت الآن، وقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات، ولم تفقه معناها، فبادر الليلة، إذا قلت: سبحان ربي العظيم، ما تعرف معنى التسبيح، سمع الله لمن حمده، ما تعرف معاني الحمد، فبادر، وابحث؛ فإن هذا من العلم الجزيل، وبه تحصل الفضيلة التي قالها ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الوصية: (**إنك مادمت في الصلاة، فأنت تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له**)، إذا فتح لك، فأين تدخل؟ إنك تدخل إلى معية الله ﷻ لعبده، المعية الخاصة بتوفيق الله وإعانته وتسديده، وهذا كله إنما يكون لمن أدام الصلاة، وكان دوامه في الصلاة دوام فقيه فيها.

العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ

قال ابن مسعود رضي الله عنه أيضا فيما رواه عنه أبو الأحوص قال: (**قال عبد الله: إن الرجل لا يولد عالما، وإنما العلم بالتعلم**)[1]، الرجل لا يولد

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص (١٦٢ - ١٦٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٨٤)، وأبو خيثمة في العلم (١١٥).

عالما، وإنما العلم بالتعلم، وهذا كأنه مأخوذ من حديث النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقه»[١] (حديث صحيح)، إن الرجل لا يولد عالما، وإنما العلم بالتعلم.

لا شك أن فضيلة العلم عظيمة، لكن هل يحصل هكذا بالولادة؟ أم لا بد من التعلم والمجاهدة؟ من الناس من يروم أن يكون متعلما عالما أو طالب علم، هكذا بحديث ليل أو بحديث نهار، وهذا لا يحصل أبدا؛ لأن الأشياء منوطة بالهمة والاجتهاد: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقه» أنت لا تولد عالما، وإنما تولد وعندك أدوات الاستعداد للعلم؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨]، هذه وسائل الإدراك، وسائل تلقي المعلومات: السمع، والأبصار، والأفئدة، الفؤاد تعقل به، والسمع تسمع به، والبصر تبصر به فهذه وسائل الإدراك، أقام الله ﷻ عليك الحجة بالسمع والبصر وبالقلب، فتتعلم بهذه، فتكون وسائل، وتكون طرقا لتحصيل المعرفة، وتحصيل العلم.

إذًا فالعلم إنما يكون بالتعلم، في هذا الزمن من العجيب أن نرى كثيرًا من الناس انصرف عن العلم، مع أن العلم في هذا الزمن أسهل من أي زمن

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٣٤) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

مضى، يمكن أن تسمع العلم وأنت في المسجد، يمكن أن تسمع العلم وأنت في السيارة، يمكن أن تسمع العلم وأنت مستلق على فراشك، يمكن أن تسمع العلم وأنت تأكل، ابن الجوزي رحمه الله كان إذا دخل الخلاء جعل ولده يقرأ عليه خارج الخلاء، خارج البيت يعني: خارج الحمام، ما يريد أن يفوت شيئًا، عندك اليوم أنت في كل لحظة يمكن أن تسمع علمًا، وعقول العلماء وعقول المشائخ وألفاظهم سجلت، وهي عندك، يمكنك أن تحملها في أي مكان، ولكن يحتاج من العبد، يحتاج من الرجل إلى إقبال، يحتاج من المرأة إلى إقبال إلى ذاك، **(وإنما العلم بالتعلم)**.

العلماء ليسوا طائفة مخصوصين خلقهم الله عز وجل لذاك، ولا يحصل إلا لهم، لا، لكن من تعلم، علم بقدر ما كتب الله عز وجل له من ذلك.

وهناك قصة ذكرتها عدة مرات، وهي: فيما رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع[1] أن أحد رواة الحديث طلب العلم - علم الحديث والرواية -، فلم يدرك شيئًا، أو أدرك شيئًا قليلًا، ورأى الناس يمرون، وقد حصلوا علمًا جزيلًا، فقال: أنا لا أصلح لهذا العلم، فتوجه إلى غيره، قال: فمررت يومًا فإذا بماء ينسكب ويتقاطر من على صخرة، وتحته حجر، وقد أثر فيه حفرًا، قال: فوقفت متدبرًا متأملًا، فقلت: هذا الماء على لطافته أثر في هذا الصخر على كثافته، يعني: على غلاظته وعلى قسوته، هذا الماء على لطافته أثر في هذا الصخر على كثافته، فليس قلبي بأقسى من الصخر، وليس العلم بأرق وألطف من الماء، فرجع

---

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ١٧٩).

وطلب الحديث، حتى صار من المشهورين ومن علماء الحديث أو من الرواة المعروفين، لاشك أنه لابد من أخذ العلم شيئًا فشيئا؛ كما قال القائل[١]:

اليوم علمٌ وغدًا مثله — من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرء بها حكمة — وإنما السيل اجتماع النقط

تأمل في كل شيء عبرة، تأمل (السيل اجتماع النقط)، إذا نظرت إلى وحدة السيل، وحدة المطر واحدة كيف؟ قطرات تأتي، هل يمكن أن تسيل أودية أو أنهارًا؟ إنما السيل اجتماع النقط، فإذا اجتمع عندك خير، واحدة تلو الأخرى، فإنك تحصل مع الزمن خيرًا كثيرًا من العلم، وإنما العلم بالتعلم، هنا قضية مهمة، وهي أن العلم قد يرومه بعض الناس باستعجال، والعلم لا يصلح بالاستعجال، وإنما يطلب على مر الأيام والليالي، قال ابن شهاب الزهري الإمام المعروف: **(من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة، ولكن يطلب العلم على مر الأيام والليالي)**[٢] العلم ليس للصغير دون الكبير، نعم، العلم في الصغر كالنقش في الحجر، ولكن الكبير أيضا يحصل العلم، والصغير إذا كبر، ولم يواصل العلم، فإنه يفوته، ويذهب عنه العلم؛ لهذا رُئِيَ الإمام أحمد، ومعه على كبر سنه محبرة وأوراق، فقيل له: يا أبا عبد الله، وأنت في هذا السن، ومعك المحبرة؟! فقال كلمته المشهورة: **(مع المحبرة إلى المقبرة)**[٣]، ومن كلماته المشهورة قال: **(اطلبوا العلم من**

---

(١) القائل هو: محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس (٦٩٨هـ)؛ كما في بغية الوعاة للسيوطي (١/ ١٤).
(٢) انظر: الجامع لابن عبد البر (١/ ٤٣١)، والجامع للخطيب (١/ ٢٣٢).
(٣) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٣٧).

المهد إلى اللحد)، من المهد يعني: من أول لحظة، هل يمكن ذلك أنه من وأنت في المهد تطلب العلم؟ هذا من المبالغة في شدة الاستمساك بذاك، إنما العلم بالتعلم؛ كما قال ﷺ، وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(إن الرجل لا يولد عالمًا، وإنما العلم بالتعلم)** روى هذه الكلمة ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله.

ذِكْرُ الحَدِيثِ حَيَاتُهُ

كلمة أخرى لابن مسعود في هذا المعنى قال: **(تذاكروا الحديث؛ فإن ذكر الحديث حياته)**(١)، كل مسلم لا شك أنه يرغب في الاستمساك بالسنة، والاستمساك بهدي المصطفى ﷺ، فهل ينتظر إلى أن يسمع بين كل حين وحين حديثًا واحدًا؟ أم أن نعمر المجالس بتلاوة سنته ﷺ؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه لأولئك الذين يكثرون الجلوس أو للأقران: **(تذاكروا الحديث؛ فإن ذكر الحديث - يعني: تذاكره - حياته)** فإذا تذاكرت العلم به يحيا، وإذا غفلت عن تذاكره مات العلم، وهذا الذي ينبغي في مجالسنا: أن تكون المجالس مجالس علم، مجالس سنة، مجالس حديث، مجالس خير؛ لأنك إذا تذاكرت العلم ثبت، وإذا سمعت في مجلس واحد بضعة أحاديث، وقرت في ذهنك، فإنه يكون من ذلك عندك حصيلة عظيمة، وبها حياة القلب، وبها تحصيل العلم، والعلم يحصل شيئًا فشيئًا.

إذًا فهذه وصية لابن مسعود أن العلم لا يكون مع الرجل منذ ولادته،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٥).

والرجل لا يولد عالمًا، ولكن يطلب العلم، وإنما العلم بالتعلم، ومن يتحر الخير يعطه.

لا تَأْخُذِ العِلْمَ مِنَ الأشْرَارِ

من كلمات ابن مسعود ﵁ أيضا المتصلة بما سبق في تأصيل العلم، وكيف تطلب العلم، وعمن تأخذ العلم قال ﵁: (**لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وأمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوا من شرارهم وصغارهم، هلكوا**)[1] ماذا يقصد بقوله: (**إذا أخذوا من شرارهم وصغارهم هلكوا**)؟

ما قاله أيضا في رواية أخرى له - يعني: عنه في هذه الكلمة - قال: (**إنكم لا تزالون بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم، سفه الصغير الكبير**)، ففهمنا من ذلك أن الصغير الذي لا يقر له الكبير بالعلم، فإنه لا يؤخذ عنه العلم، إذا صار العلم في الصغار وفي الشرار وفي غير المأمونين، هلك الناس، الصغير يؤخذ عنه العلم إذا شهد له الكبار بالعلم، وهكذا كان سلفنا الصالح يطلبون العلم، يحدثون ويحدثون، لكن إذا شهد له بذلك.

أقف عند قوله: (**فإذا أخذوا من شرارهم**)، شرار الناس هم: غير المأمونين في العلم، وفي هذا الزمن وجدنا أن العلم صار يتلقاه كثير من

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٠١)، والخطيب في نصيحة أهل الحديث.
أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٩).

الخلق عن طريق ليس هو طريق العلماء، يأخذونه من جريدة، مقال في جريدة يقرؤه، فيه دليل أو دليلان، فيه رأي، فيه فكر، فيصبح الناس يتحدثون في مجالسهم، فلان قال: كذا وكذا، تظل مدة تريد أن تقنعهم بأن هذا الذي قاله ليس بصواب، وهم لا يقتنعون، فهذا الزمن بانتشار الجرائد والمجلات وأنواع من يكتبون فيها من صغار وشرار وأناس لهم أفكار مختلفة، أصبح كثير من الناس يتلقى العلم عن الجرائد، ويتلقى الثقافة - حتى الشرعية - عن الجرائد والمجلات، فصار العلم يؤخذ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ عن الأشرار والصغار. العلم يجب أن يؤخذ عن أهله الذين شهدوا لهم بذلك، عن الكبراء عن المأمونين بالعلم، أما أن تأخذ العلم عمن هب ودب، تقرأ مقالا، تقرأ جريدة، تقرأ مجلة، وتقتنع بما فيها، وتظن أن هذا العلم، ليس كذلك، وإنما ما يذكر هناك يجب أن يعرض على العلم، على أهل العلم، فإن أقروا به، صار موافقا للعلم، وإن قالوا: هذا ليس بصحيح، صار مخالفا للعلم، وكم رأينا في تلك الوسائل المقروءة من أشياء تهدم أصل الدين، وتدعو إلى البدع! بل إن منهم من كتب في أن اليهود والنصارى إذا ماتوا، فإنهم يدخلون الجنة بعبارات وأدلة، وأورد ما أورد في ذلك، وهذا قرأه ملايين الناس، أو مئات الآلاف من الناس، وقد يكون هناك من اقتنع بذلك، ولاشك أن هذا سبب من أسباب الهلاك بيَّنه ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: «**فإذا أخذوا من شرارهم وصغارهم، هلكوا**».

إذا رأيت من يقع في ذلك، فالتربية والتوجيه تقتضي أن تتكلم معه في تلك المسائل بهدوء، هؤلاء يكتبون، ليسوا من أهل العلم، تقول: هؤلاء يكتبون من وجهة نظر، ربما كانت ضيقة، ما عندهم علم شامل بالكتاب والسنة،

هذه الكلمة أخطأ فيها، والصواب فيها كذا وكذا، فتقنع من حولك، وربما صار من يتتلمذ لتلك الجرائد والمجلات من هو من أقربائك أو من أهل بيتك أو إلى آخره، فيكون هناك قناعة بما قاله شرار الناس وصغار الناس، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير)**.

كذلك من كلمات ابن مسعود رضي الله عنه هذه نأخذ أنه: لا يسوغ للمرء أن يتصدر قبل الأوان، إذا كان صغيرا، وآنس من نفسه قدرة على البحث وتجميع المعلومات والنظر، لا يعني ذلك أن يبتدئ، ويبدأ يتحدث، وهو مازال صغيرًا، لم تصلب قناته في العلم. لا، ولكن ينتظر، وينتظر، حتى يشهد له أهل العلم بذلك، ويجيزونه.

كان في الزمن الماضي ما يسمى بالمعيدين، المعيد هذا أحد طلبة العلم، العالم يختاره لكي يعيد الدرس على الطلاب، على من لم يفهم، يذهب الشيخ، ثم هذا يقعد، ويسمى معيدًا، يعني في القرون الماضية، ويبدأ يعيد ما قاله الشيخ لمن لم يفهم، وهذا تأهيل، فلا يسوغ للمرء أن يتصدر، سواء في جلسة صغيرة، أو كبيرة، أو محاضرة، أو درس، أو في تعليم علم إلا وهو ورع فيما يقول وخائف، والتصدر مذموم، ولابد إذا تصدر أن يكون مشهودا له، أجازه أهل العلم، وأثنى عليه أهل العلم؛ حتى لا تضطرب الأقوال، ويقتدي الناس بمن يكون خطؤه أكثر من صوابه.



اتَّبِعِ الْحَقَّ

من كلمات ابن مسعود ﷺ أيضا أنه أتاه رجل، فقال له: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع. فقال: (**اعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق، فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا، ومن جاءك بالباطل، فاردد عليه، وإن كان حبيبا قريبا**)[١] رواه أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء.

أما الجملتان الأوليان، فنمر عنهما، وهو قوله: (**اعبد الله ولا تشرك به شيئا، وزل مع القرآن حيث زال**)، ونقف مع الكلمتين الأخريين قال: (**ومن جاءك بالحق، فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا، ومن جاءك بالباطل، فاردد عليه، وإن كان حبيبا قريبا**) هذه قالها ابن مسعود ﷺ من اجتهاده، أو من فقهه في النصوص؟ الجواب: من فقهه في النصوص؛ لأن النبي ﷺ أقر تعليم الشيطان لأبي هريرة قراءة آية الكرسي قبل أن ينام، وهذه مشهورة من حديث أبي هريرة ﷺ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ»[٢]، واستفدنا من الشيطان.

أيضا رأت اليهود أن أصحاب النبي ﷺ ربما قالوا: ما شاء الله وشاء محمد، وفي حديث قتيلة: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ

---

(١) انظر: حلية الأولياء (١/ ١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»[١].

وفي حديث الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه: **«أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُمْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»**[٢]، فهاتان شهادتان من شيطان ومن يهود فيهما نقد ورد وإنكار من اليهود على المسلمين، وإنكار من النصارى على المسلمين، وقبلها النبي ﷺ وصحابته، وصارت شرعا ودينا، وفائدة نعمل بها إلى يومنا هذا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه في فقهه لهذه الأحاديث: **(من جاءك بالحق، فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا)**، حتى لو كان كافرًا، أو يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو شيطانًا، مبتدعا إذا جاءك بالحق في نفسه، ونقدك بشيء هو فيه محق، فاقبل؛ اليهود نقدوا الصحابة بشيء هم فيه، فقبلوا ذلك، وغيروا.

قال إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حين أتى لهذه الأحاديث قال فائدة عظيمة، لو رحل رجل من أجلها إلى آخر الأرض ما كان كثيرا، قال في مسائل كتاب التوحيد في تلك الأحاديث: **(فهم الإنسان إذا كان له هوى)**[٣]، فيها فهم الإنسان إذا كان له هوى.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٧٧٣)، وفي الكبرى (٤٧١٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٥)، وأحمد واللفظ له (٥/ ٧٢) من حديث الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: كتاب التوحيد باب قول: (ما شاء الله وشئت).

أحيانا الهوى والتعصب يجعل المرء يركز ذهنه، ويعكف بذهنه، حتى يجد مدخلا على من ينقده، قال: **(فهم الإنسان إذا كان له هوى)**، هل اليهود يغارون على التوحيد؟ هم أهل الشرك، هل النصارى يغارون على التوحيد؟ على توحيد الله ﷻ حتى في الألفاظ؟ يغارون؟ لا يغارون على ذلك، ولكن يريدون أن يجدوا مدخلا على المسلمين، فوجدوا ذلك، وانتفعنا من ذلك.

قال شيخ الإسلام وإمام هذه الدعوة: **(فهم الإنسان إذا كان له هوى)** إذا كان للإنسان هوى في أمر من الأمور، ونعرف أنه ما نقدني إلا لهوى، فهل يعني ذلك أن أرد قوله؟ هذا مخالف للسنة، ومخالف لوصايا الصحابة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(ومن جاءك بالحق، فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا)** إذا نقدك واحد بينك وبينه خصومة أو بغضاء، فاقبل منه إذا كان يصحح وضعك ويرشدك إلى الحق، فأنت أولى بالحق، فلا تجفل من ذلك، قد يكون فاسقا من الناس يبين فيك عيبا هو فيك، تجد أنت فيه مشادة، يقول: حتى أنت تفعل كذا... تغضب منه؟ لا، بل تقول له: صحيح جزاك الله خيرا، أصحح وأتوب إلى الله، كذلك قد ينقدك في أمر، قد يرد عليك فكرة، قد يعاندك، وتعلم أنه ضدك، ولكن إذا كان يأتي بالحق، فاقبل منه.

فإذًا الحق يوزن بالحق، وليس بالرجال، الرجال أدوات لفهم الحق، والحق يفهم للحق.

فإذًا لا تنظر إلى القائل، وانظر إلى فهم الإنسان إذا كان له هوى، صحيح يكون له هوى، وله رغبة في نقدك، له رغبة في أن يخرج عيوبا، لكن يعصر ذهنه، ويخرج أشياء صحيحة، وينقدك بأشياء صحيحة، فهل نرد ذلك؟ لا؛

الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها، فهو أحق بها ؛ لهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه : (**من جاءك بالحق، فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا، ومن جاءك بالباطل، فاردد عليه، وإن كان حبيبا قريبا**)، كذلك من جاءك بالباطل، ليس لأجل مودته وقربه تقتنع بالباطل الذي جاء به؟! لا ؛ العمدة: ما الحق؟ وما الباطل؟ فإذا عرفت الحق، وعرفت الباطل، فمسألة هل هذا قريب أم بعيد؟ هل هو محب أم مبغض؟ هل هو معي أو ليس معي؟ هذه مسألة لا توزن في الحقيقة، وإنما يوزن الصواب، فإذا كان الحق، قُبِل، وإذا كان الباطل، رد، سواء كان الحق مع بعيد بغيض، أو كان الباطل مع قريب حبيب، فإنه يرد الباطل، ويقبل الحق ممن جاء به، وهذا لاشك تأصيل ظهرت لك أدلته من الكتاب والسنة، من وصية ابن مسعود رضي الله عنه هذه، وهو من العلم المهم الذي ينبغي، بل يجب الاستمساك به ؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه : (**مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ**). رواه أبو داود في سننه موقوفا ومرفوعا[1]، ورواه أيضا الإمام أحمد في المسند[2]، قال الخطابي رحمه الله ما حاصله : (**معنى ذلك قد وقع في الأثر، وهلك كالبعير إذا تردى في بئر، فصار ينزع بذنبه، ويمده، ولا يقدر على الخلاص**).

كلمة ابن مسعود رضي الله عنه : (**من نصر قومه على غير الحق، فهو كالبعير**) ؛ لأنه إذا نصرتهم على غير الحق، تعلم أن ما هم عليه مشتبه، أو مشكوك فيه، أو باطل، ثم تنصرهم، معناه أنك تؤيدهم على ما هم فيه من الهلكة، فينبغي إذا أن ينظر في الحق وفي الباطل من حيث هما.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٤٩) مرفوعا.

أَنْتُمْ جِلاءُ قَلْبِي

قال ابن مسعود ﵁ - وهذه من وصاياه، بل من كلماته التربوية العظيمة - قال مرة لإخوانه وأصحابه: (**أنتم جلاء قلبي**)[(١)]، الجلاء: الذي يكون به صفاء الشيء، وجلاء الأفهام يُعنى به: ما تُجلى به الأفهام، فتكون به صافية صحيحة، وجلاء القلب يعني: ما يكون به القلب صحيحا غير مريض، صافيا غير مشوش، قال لأصحابه: (**أنتم جلاء قلبي**). لم، وهو المعلم والمربي، وهم تلامذته، وهم أصحابه، وهم التابعون؟ كيف كان التابعون جلاء قلب صحابي من الصحابة؟ لأن المرء يَحتاج كما يُحتاج إليه؛ المعلم محتاج، والمتعلم محتاج، فالصحابة ﵃ يعلمون العلم، وهم محتاجون إلى من يأخذ عنهم، والتابعون وتلامذتهم - يعني: تلامذة الصحابة - محتاجون إلى علم الصحابة، المرء إنما يصلح بأصحابه، فقال: أنتم جلاء قلبي، يعني: الذين يزينون القلب، وهذا يحتاج منا إلى تأمل، وهو أن المرء يحتاج إلى أصحاب يعينونه على الحق والهدى، والانعزال مذموم، وقد قال ﷺ: «**فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»[(٢)]، قد يظن المرء أن الانعزال فيه خير، هذا عند الفتن، حين لا يجد من أصحابه من يعينه على الحق؛ لأنه قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ يَعْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦) من حديث أبي الدرداء ﵁.

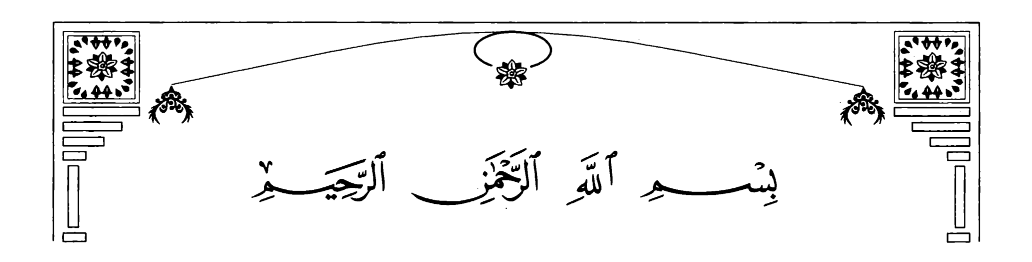
وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ. . .»(١) إلى آخر كلامه ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»(٢)، كما صح عنه أيضا ﷺ، المرء محتاج، أنت محتاج لإخوانك، وإخوانك محتاجون إليك فإذا انعزلت، صار ذاك سببا من أسباب الران على القلب؛ لأنك إذا وجدت من هو على الحق، يعينك على الهدى، فإنه جلاء قلبك، يعينك وتعينه، تسدده ويسددك، تطيعه ويطيعك، تبين له ويبين لك، . . . قال ابن مسعود لأصحابه: «**أنتم جلاء قلبي**».

بعض طلبة العلم قد ينعزل، ويجعل نفسه مثلا مع البحث، دون أن يكون له صاحب ألبتة، وهذا ليس بجيد، بل إن الصاحب إذا كان صادقا مخلصا، فإنه جلاء للقلب، كذلك الناس: الشاب، الكبير، الصغير، الرجل، المرآة إذا كان بنفسه، أتاه الشيطان، وأما إذا كان مع أصحاب له يعينونه على الهدى، فهم جلاء القلب، الذين يبعدون عنه الصدأ، ويجعلون الخير محببًا إليه، ويجعلون الشر مبغضا إليه، نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بالعلم النافع، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



من وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه محاضرة بالرياض

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، الحمد لله الذي جعل لهذه الأمة قدوة يقتدون بها، ومعلمين يأخذون عنهم العلم والعمل، فله الثناء الحسن أن أقام أعلامًا يرشدون، ويسددون، ويبينون، ويمْحَضُون الأمة النصح، وينقلون الخير في الناس بأقوالهم وبأعمالهم، فله الحمد كله، وله الثناء كله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فأسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من المستنِّين بهدي صحابة رسول الله ﷺ، اللهم وأوردنا الحوض المورود معهم، ولا تردَّنا عن ذلك برحمتك وفضلك يا أرحم الراحمين، اللهم نسألك اقتداءً بأقوالهم وأعمالهم، واستنانا بآثارهم، وعملًا بهديهم؛ فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.

تَعْرِيفٌ بِأَبِي الدَّرْدَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هذا وإن موضوع هذه المحاضرة موضوع تربوي مهم لا للشباب فحسب، ولا للكهول فحسب، بل لكل مكلف؛ لأن الوصايا جاءت في القرآن، وجاءت في سنة رسول الله ﷺ، والوصية بعامة يجب أن تكون ممن فقه القرآن والسنة؛ لأن الوصية تعظم إذا كانت من مشكاة الكتاب ومن مشكاة سنة سيد ولد عدنان ﷺ، وأبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] من أولئك النفر القليل من صحابة رسول الله ﷺ الذين لا يعرف كثيرون سيرته، ولا هديه، ولا ما ذكر العلماء من أحواله، فلقد كان عالمًا، وانتهى علم الصحابة إلى ستة، كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدهم؛ كما عن مسروق قال: **(شَامَمْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدْتُ عِلْمَهُمُ انْتَهَى إلى سِتَّةٍ: إلى عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَعبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَزَيْدِ بن ثَابِتٍ، ثُمَّ شَامَمْتُ السِّتَّةَ، فَوَجَدْتُ عِلْمَهُمُ انْتَهَى إلى عَلِيٍّ، وَعبد اللَّهِ)**[٢].

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة، متجانفًا بالكلية عن دار الغرور؛ حيث قال - فيما سيأتي بيانه -: **(لما أسلمت كنت تاجرًا، فاشتغلت بالتجارة والعبادة، فما اجتمعت لي، فتركت التجارة، وتفرغت للعبادة)**[٣]، . . . .

---

(١) انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٥)، والإصابة (٤/ ٤٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٩٤)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٥١)، وابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ١٥٤) عن مسروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩٢)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٠٧).

وقصته مع أخيه سلمان رضي الله عنهما في البخاري وغيره[1] - كما سيأتي - معروفة، والوصايا وسيرة الصحابة رضي الله عنهم مهمة؛ ولهذا أوصي جميع إخواني بأن يعمروا مجالسهم بذكر الصحابة رضي الله عنهم، بذكر هديهم، بذكر سنتهم، بذكر ما كانوا عليه، إذا جلسوا مجلسًا، فحبذا أن يعمر المجلس بقراءة ترجمة أو ترجمتين من تراجم الصحابة من الكتب المعتمدة؛ كتذكرة الحفاظ للذهبي، وكسير أعلام النبلاء له، وكطبقات ابن سعد، وأشباه هذه الكتب التي فيها ذكر حال الصحابة رضي الله عنهم.

واليوم كلامنا كثير، والعمل قليل، الكلام الذي يخرج من اللسان، ويغشى الآذان كثير، ولكن نريد أن ننتقل بروحنا وبحياتنا إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وإلى ما كان عليه التابعون - رحمهم الله، ورضي عنهم - فإن العيش مع أولئك يعطي المرء توازنًا في حياته، اليوم ترون الملهيات كثيرة، وما يصد عن الواجبات من المباحات كثير، فضلًا عن ما يصد من المحرمات -والعياذ بالله-، وكثيرون غشوا المباحات؛ حتى حرمتهم فعل الواجبات، وهذا ولاشك يؤول بالمباح إلى أن يكون محرمًا؛ لأن وسيلة المحرم محرمة؛ كما هو مقرر في القواعد والأصول، العيش مع الصحابة مهم ومفيد في أن ننظر إلى أقوالهم وأعمالهم، ونأخذ الدرس منها، نأخذ ما وراء الكلمات، نعم نحن لم نعش معهم، لم نرهم، ولكن الكلمات وراءها حال، وراءها سيرة، وراءها تربية، كلمات الصحابة هي التي خلفت لنا، ومعلوم أن ما خلف يكفي في التربية، ويكفي في الدعوة، ويكفي في التأثير في الناس، لكن إذا انتقل من ظاهر اللفظ إلى ما وراءه من المعاني؛ لهذا

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

أدعو الإخوة بعامة إلى أن يعمروا مجالسهم: في الدعوات، وفي اللقاءات، أو في المناسبات التي تكون إخوانية، يعني: مناسبات يلتقي فيها الإخوان، هذه نعمرها بذكر الصحابة، بذكر سيرهم، بذكر أحوالهم بمعرفة ما وراء وصاياهم، ما وراء كلماتهم من العلم والهدى؛ ولهذا أوصى ابن مسعود ﷺ وصية عامة بقوله: (**عليكم بصحابة رسول الله ﷺ؛ فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم**)[1]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[2]، يعني: نصيف المد، وهذا - ولا شك - يحتم الاهتمام بأقوالهم وأعمالهم، وهذا بالعموم من سمات المنهج السلفي الواضح أنه ينقل الناس إلى التلقي عن المصدر المأمون التلقي عنه، وهو كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ على فهم سلف هذه الأمة، وأعلى السلف صحابة رسول الله ﷺ.

لم اخترنا وصايا أبي الدرداء ﷺ؟ لأن أبا الدرداء جاء عن النبي ﷺ من وجه مرسل - ولكن يذكره أهل التراجم، ويعتنون به - أنه ﷺ قال: «**حكيم أمتي عويمر**»[3]، يعني: أبا الدرداء، وثبت عن عدد من الصحابة أنهم قالوا: (**أعقل الناس عويمر**)[4]، يعني: أبا الدرداء، فأبو الدرداء ﷺ جمع بتوفيق

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الطبراني في الشاميين (٢/ ٨٨)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٠٩) عن شريح ابن عبيد ﷺ.

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٤٩)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٣٤) عن =

الله ﷻ أشياء متنوعة: جمع العقل والحكمة، جمع الكلمات التي فيها التوازن بين العلم والعمل والدعوة.

أبو الدرداء كان مقرئًا للناس، معلمًا، لم تكن وصاياه ولم تكن كلماته ناشئة من توجيه محض، بل كان يعاني العلم والتعليم والإقراء، فربما عُدَّ له في مجلسه أكثر من ألف وستمائة يقرؤون عليه، ويقرئهم القرآن، وكان يجتمع عنده في المجلس الواحد في القرآن أكثر من ألف، يقوم عليهم، يدور فيقرئ هذا، ويقرئ هذا، ويقرئ هذا.

أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الحِلَقَ لإقْرَاءِ القُرْآنِ في المَسَاجِدِ

قال الذهبي رحمه الله: **(أول من سن الحلق لإقراء القرآن في المساجد أبو الدرداء رضي الله عنه)**[1].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه أحد الذين أخذوا القرآن عن النبي ﷺ، لم يقرأ على غير المصطفى ﷺ، كحال ابن مسعود وحال أبيّ، وجمع قليل من الصحابة، أخذوا القرآن كاملا عن النبي ﷺ.

إذًا فأبو الدرداء مدرسة، ووصياه تحتاج منك إلى عناية ورعاية؛ ولهذا أدعو الإخوة الذين لديهم فضل من الزمان والوقت أن يجمعوا هذه الوصايا، وأن يشرحوها بشرح منضبط، مع العلم والعمل على وفق كلام أهل السنة

= عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: **(حدثونا عن العاقلين، فيقال له: من العاقلان؟ فيقول: معاذ ابن جبل وأبو الدرداء)**.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٦) **(وهو الذي سن هذه الحلق للقراءة)**.

والجماعة وكلام أهل العلم؛ حتى يتأثر الناس بوصايا سادات الأولياء.

أبو الدرداء من هو؟ أبو الدرداء: أنصاري خزرجي، اسمه: عويمر بن زيد بن قيس، ويقال في اسمه: إنه عويمر بن عامر، أسلم رضي الله عنه يوم بدر، وشهد أحدًا والمشاهد بعدها، وفرض له عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشهر أربعمائة، جعله في البدريين؛ لأنه كان يخص لهم، ويعطون عطاءً - يعني: الصحابة - والناس في العطاء مختلفون بحسب سابقتهم، فأعطى البدريين أربعمائة، وألحق عمر أبا الدرداء في البدريين.

قال عنه الحافظ الذهبي في ترجمته: (**أبو الدرداء الإمام القدوة، قاضي دمشق، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق**)[1]، وهذه الكلمات الأربع من منصفٍ - وهو الذهبي - في وصف أبي الدرداء رضي الله عنه ونعته، قال: (**الإمام القدوة**)، وكونه كان إمامًا قدوة؛ لأنه تصدر لتعليم الناس وإقرائهم القرآن، وجمع بين العلم والعمل، وهذه الثلاث هي صفات الإمام القدوة، من كان معلمًا، عالمًا، عاملًا، مقرئًا للناس، نافعًا لهم، فمن جمع بين العلم والعمل والتعليم وبذل النفس للناس كان إماما قدوة.

قال: (**هو قاضي دمشق**)؛ لأنه ولي القضاء في دمشق.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٥).

رَأْيُهُ فِي القَضَاءِ

ولما ولي القضاء، جاءه الناس يهنئونه بتوليته القضاء؛ لأن الذي ولاه عثمان، وإذا كان عثمان ولاه القضاء، فمعنى ذلك أنه أهل لهذه الأمانة العظيمة بثناء عثمان ﵁ عليه، فجاؤوا يهنئونه، فلامهم، وعاتبهم، واشتد عليهم، فقال: (**أتهنئونني بالقضاء، وقد جعلت على رأس مهواة، منزلتها أبعد من عدن أبين، ولو علم الناس ما في القضاء، لأخذوه بالدول رغبة عنه، وكراهية له، والله لا أرى أحدا أحق بألاّ يهنأ من القاضي إذا ولي**)(١)؛ لأن هذه المسألة عظيمة، إذا ولي القاضي القضاء، أو ولي أحد ولاية صغيرةً كانت أم كبيرةً، فالأمر عظيم، وهي أمانة.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: (**مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ**)(٢)، وثبت عنه ﷺ أنه قال: (**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ**)(٣)، وهذا يجعل أهل العلم والعمل يخافون، وإذا ولوا الأمانات، ولوها، وتولوها مع خوف من الله ﷻ وحسابه ولقائه، فيعاملون، لا لأجل ثناء الناس، ولا لأجل رؤيتهم، ولا لاتباع أهوائهم، وإنما فيما يكون بينهم وبين الله ﷻ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩٢)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٧١)، والترمذي (١٣٢٥)، وابن ماجه (٢٣٠٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٠) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي واللفظ له (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، من حديث بريدة بن الحصيب ﵁.

حكيمُ هذه الأمةِ

هذا الوصف الثالث من الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه روي عنه ﷺ أنه قال: (حكيم أمتي عويمر)[1]، والحكيم هو الذي يوصي بحكمة، والوصايا يجب أن تكون موافقة للعلم، موافقة لما جاء في القرآن والسنة، قد يكون لقوم كثيرين وصايا يعتنون بها، ولكن الوصايا إذا كانت من مشكاة الكتاب والسنة، فهي الوصايا المعتبرة؛ فلهذا ينبغي على من يعجبه أحد أن لا يأخذ بوصيته إذا كانت مخالفة للكتاب والسنة، فالبقاء على وصايا مخالفة للكتاب والسنة هذا نوع من المخالفة لما أنزل الله ﷻ، فالوصايا مهمةٌ، ولكن يجب أن تكون منضبطة بما جاء في القرآن وفي حديث المصطفى ﷺ.

وأبو الدرداء سيد القراء بدمشق، لم؟ لأنه قرأ القرآن على النبي ﷺ، وجمع القرآن كله في حياة المصطفى ﷺ، وتصدر للإقراء في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بل وقبل ذلك في دمشق، وهذا التصدر لأنه كان يريد أن يجعل الناس يحملون القرآن بعده، وابن عامر الدمشقي اليحصبي القارئ المعروف كان ممن أخذ القرآن عن تلامذة أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أبو الدرداء له مقام كبير في الحديث، روى أحاديث كثيرة عن المصطفى ﷺ، وروى عنه من الصحابة جمع كثير، منهم أنس بن مالك، ومنهم فضالة ابن عبيد، ومنهم ابن عباس، ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص، ومنهم أبو أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وغير أولئك كثير.

---

(١) سبق (ص ٣٤٣).

أبو الدرداء ﵁ عاش على البعد عن الدنيا، وعاش على الزهادة فيها تمامًا، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين بعد ابن مسعود ﵁، وقبل عثمان بن عفان ﵃ أجمعين.

ومن أخباره ومن الثناء عليه - مما يشوقكم إلى قراءة ترجمته وإلى العناية بذلك - أنه كان يقول: **(كنت تاجرًا، فلما جاء الإسلام، جمعت التجارة والعبادة، فلم يجتمعا، فتركت التجارة، ولزمت العبادة)**(١).

أَبُو الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَان

جاء في الصحيح: أن النبي ﷺ آخى بين أبي الدرداء وبين سلمان ﵄، فعن أبي جحفة ﵁ قال: **«آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ، حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ. فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ قُمْ الآنَ فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»**(٢).

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال: **«صدق سلمان إن لربك عليك حقًا،**

---

(١) سبق (ص ٣٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

وإن لبدنك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه».

أبو الدرداء ترك التجارة، ولزم العبادة، قال أهل العلم[1]: الأفضل الجمع بين الأمرين مع الجهاد، الأفضل الجمع بين العبادة والتجارة، يعني: الكسب للنفس وللعيال مع الجهاد، قال الذهبي: وهكذا كانت حالة أكمل هذه الأمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه كان يزاول الكسب، وكان عابدًا صديقًا، وكان يجاهد في سبيل الله، وهكذا كانت حالة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وهكذا كانت حالة ابن المبارك، فكان عالمًا عابدًا مجاهدًا رضي الله عنه، لكن لا يقوى على ذلك الكثيرون؛ فلهذا كلٌّ يأخذ بما يناسبه، لكن التفرغ للعبادة، أو التفرغ للمجاهدة، وترك الكسب للأهل وللعيال هذا مذموم.

نأخذ من هذا أن ما قد يفعله بعض الناس من أنهم يتركون أهليهم مدة طويلة، قد تبلغ أربعين يومًا، وقد تبلغ أحيانًا أربعة أشهر ونحو ذلك، ويتركون أهليهم، ويتركون أولادهم دون كسب ودون رعاية أن هذا مخالفة لما كان عليه السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، فالأصل أن لا يضيع المرء من يعول، وأن يجعل لنفسه عليه حقًا، وأن يجعل لربه عليه حقًا؛ لأن الله عز وجل له الحق، وأن يجعل لأهله عليه حقًا، فكل أحدٍ يعطيه حقه الذي جعله الله عز وجل له، قال أبو ذر رضي الله عنه: **(ما حملت ورقاء، ولا أظلت خضراء أعلم منك يا أبا الدرداء)**[2].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣٧).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٢٢)، وأخرجه الترمذي (٣٨٠٢)، وأحمد (٦/ ٤٤٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ =

ما حملت ورقاء - يعني : الأرض - ، **ولا أظلت خضراء** - يعني : السماء لأن الزرقة يقال لها خضرة - **أعلم منك يا أبا الدرداء**، وهذه شهادة عظيمة من أبي ذر رضي الله عنه، وعن مسروق - وهو من سادات التابعين - رضي الله عنه قال : (**شَامَمْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدْتُ عِلْمَهُمُ انْتَهَى إلى سِتَّةٍ: إلى عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَعبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَزَيْدِ بن ثَابِتٍ، ثُمَّ شَامَمْتُ السِّتَّةَ، فَوَجَدْتُ عِلْمَهُمُ انْتَهَى إلى عَلِيٍّ، وَعبد اللَّهِ**)[1]، وروي عن ابن عمر بإسناد رجاله ثقات أنه كان يقول : (**حدثونا عن العاقليْن**)، قالوا : ومن العاقلان؟ فقال : (**معاذ وأبو الدرداء**)[2]، وصدق ابن عمر رضي الله عنهما ؛ فإن معاذًا كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وكان أعقلها، وكذلك أبو الدرداء رضي الله عنه كان أعقل هذه الأمة، فإذا عرفت ذلك، فخذ شيئًا من وصايا أبي الدرداء وشيئًا من الدروس والفقه المتعلق بتلك الوصايا .

ثَلاثُ وَصَايَا لأَبِي الدَّرْدَاء

من تلك الوصايا أنه جاءه رجل، فقال له : يا أبا الدرداء أوصني، فقال : (**اذكر الله في السراء، يذكرك في الضراء، وإذا ذكرت الموتى، فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا ، فانظر إلى ماذا**

= وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أبي ذَرٍّ)، وأخرجه الترمذي (٣٨٠١) وابن ماجه (١٥٦)، وأحمد (٢/ ١٦٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعا .

(١) سبق (ص ٣٤١).

(٢) سبق (ص ٣٤٤).

يصير)[١]، هذه الوصية الأولى تشتمل على ثلاث وصايا، قال: أوصني. وهذا نأخذ منه أن من هدي السلف أن يطلبوا من علمائهم ومن أهل الفقه والعلم والعمل فيهم أن يوصوهم، وينبغي على من طُلِبَ منه الوصية أن يبذل النصح كاملًا لمن طلب منه الوصية، هذه هي الفائدة الأولى، قال: أوصني.

والنبي ﷺ قال له رجل من الصحابة: أوصني يا رسول الله. قال: «لَا تَغْضَبْ»[٢] أوصني يا رسول الله. قال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»[٣]، وهكذا في عدد منها.

فإذًا طلب الوصية مهم، وحبذا أن يكون في كتاب، يعني: تكتب له، فتقول له: أوصني، إذا كان يعرفك، فإنه إذا عرف حالك وفي الكتاب - يعني: في رسالة - يعطيك محض النصيحة، ويجهد نفسه في بيان ما يناسبك، ويخلص لك النصح، وهذا مما ينبغي تعاهده، فقد كان بين أبي الدرداء وبين إخوانه مراسلات كثيرة؛ كما يعلمها من قرأ ترجمته، فإذًا ينبغي أن نأخذ بهذه الوصية أن تكتب لأخيك: أخي أوصني؛ لأن الرسالة لها أثر غير المواجهة، قد لا يواجهك بالكلام، قد لا يواجهك بما فيك، قد

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٩)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١) من حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه وفيه: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ».

يستحي، وتستحي أنت، لكن إذا كان الطلب منك فيما يسددك في أمر دينك وفي أمر التزامك بالطريق المستقيم والنهج الصحيح، فإن هذا أدعى للتأثير، فتكتب له، وتقول له: يا فلان أوصني. فيكتب لك وصيته لك بما يناسب حالك وبما تستفيد منه.

قال: أوصني. فأوصاه أبو الدرداء بالآتي: قال: **(اذكر الله في السراء، يذكرك في الضراء)** اذكر الله، هذا أمر عام، ذكر الله ﷻ ما معناه؟ هل هو حركة اللسان بالذكر؟

قال العلماء: الذكر له مراتب ثلاث[1]:

أولها: أن يواطئ القلب اللسان فيما يتحرك به اللسان.

الثاني: ذكر القلب، وهو: تفكره، وتأمله، وتدبره، واعتباره.

الثالث: وهو أدنى المراتب وأقل المراتب أجرا: ذكر اللسان فقط.

يعني: إذا ذكر المرء الله ﷻبقلبه ولسانه، فذاك أفضل المراتب؛ كما كانت حالة الأنبياء والمرسلين وحالة الصديقين، دائمًا يواطئ القلب اللسان، فإذا تحرك اللسان، تحرك معه القلب، والمرتبة الثانية: أن يتحرك القلب بالذكر - وسيأتي معنى الذكر الواسع -، ولو بلا حركة لسان، والثالث والأخير: أن يتحرك اللسان، ولو كان القلب مشغولًا بما يزاوله أو بما يفكر فيه.

---

(١) انظر: الأذكار للنووي (ص٢٠)، والوابل الصيب (ص١١٧)، وروضة المحبين (ص٣٠٩).

قال العلماء: فإن كان الذكر باللسان مع شغل القلب فيما مصلحته أعظم، فإن ذكر اللسان مع انشغال القلب بما مصلحته أعظم أفضل، مثاله: قول عمر رضي الله عنه: (**إِنِّي لَأُجَهِّزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ**)[1]، يجهز الجيش في الصلاة، يعني: هو مشغول في الصلاة بتجهيز الجيش، يتلو، ويذكر الله، ويقرأ الفاتحة، ويقرأ القرآن، ويسبح، ولكنه مشغول في الصلاة بما هو أكثر نفعًا، وما هو أكثر تعديًا نفعه للمسلمين، وهو تجهيز الجيوش للجهاد، إذا كانت هذه المرتبة، فلاشك هي أفضل من ذكر اللسان مع القلب، إذا كان القلب مشغولًا بما هو أهم، وهذه إنما تكون في حالٍ دون حال.

اذكر الله. ذكر الله ما معناه؟ هل هو التسبيح والتهليل والتحميد فقط؟ لا، ذكر الله عامٌ في كل ما يذكرك بالله؛ جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (**إن صفة أولياء الله، أنهم إذا رُؤوا ذُكِر الله**)[2]، يعني: إذا رأيتهم ذكرت الله بالقول، ذكرت الله بالعمل، ذكرت الله بالعلم، هذه صفة الصادقين: (**إذا رؤوا ذكر الله**)، ليس في رؤيتهم ذكر للدنيا، وإنما هو ذكر لله عز وجل، فذكر الله يعم أنواع العبادات، كل العبادات القولية والعملية منها، عبادات القلوب أو عبادات اللسان والجوارح كلها ذكر لله عز وجل، تلاوة القرآن ذكر لله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] على أحد وجهي التفسير[3].

كل نوع من أنواع العبادة فهو ذكر، إذًا اذكر الله بجميع أنواع العبادات،

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (٣/ ٩٠ فتح)، ووصله ابن أبي شيبة (٢/ ١٨٦).
(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٣).

اذكر الله في السراء، يعني: إذا كنت في نعمةٍ، فاذكر الله حال تمتعك بالنعمة، وقد قال بعض الصحابة ﵃: **(ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ)**(١)؛ لأنه إذا نزلت المصيبة، إذا نزلت الضراء، فالصبر دواعيه كثيرة، لكن من يصبر على ذكر الله في السراء؟ تتوافد عليك النعم، تتوافد عليك أنواع الإحسان، تتوافد عليك أنواع الملذات، فتصبر أن لا تغشى خلاف ما أمر الله ﷻ، هذا لاشك يحتاج إلى قلب معلق بالذكر؛ لهذا أوصى أبو الدرداء بقوله: **(اذكر الله في السراء - وهذا هو الميزان - يذكرك في الضراء)**، وهذه من مشكاة وصية المصطفى ﷺ: **«احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»**(٢).

إذًا فينبغي لنا أن نتنبه إلى وضع النعمة، وضع السراء، وضع الحال الذي نحن فيه، نغشى النعم، منذ الصباح إلى المساء، ونحن في نعم، أين ذكر الله؟ أين الشكر؟ الواحد قد يأتي له الشيطان، فيظن العبد أنه مستحق لهذه النعمة لما هو عليه، وينسى ذنوبه، ينسى إعراضه، ينسى تقصيره، ينسى فضل الله ﷻ عليه، وسواء في ذلك حال الأفراد أو حال المجتمعات، فيجب على عباد الله ﷻ فردًا كان أم مجتمعًا أن يعتنوا بحال السراء، أن يعتنوا بحال النعمة، وأن يجعلوا أنفسهم مقيدة بالذكر، لم؟ إذا جاءت الضراء جاء الله ﷻ بالفرج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٤)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٤٥٧)، عن عبد الرحمن ابن عوف ﵁.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣٩)، من حديث ابن عباس ﵄.

الوصية الثانية من هذه الوصية قال: «**وإذا ذكرت الموت، فاجعل نفسك كأحدهم**»: فلان رَحِمَهُ اللَّهُ، فلان مات، صلينا على جنازة، فلان مات، حضرت عزاء، أين حركة القلوب بالموت؟ لو صحت القلوب لما جاء ذكر الموت إلا وقد اضطربت القلوب من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ.

إبراهيم النخعي - سيد أهل الكوفة وأعلم أهل الكوفة المعروف - إذا مات أحد في الكوفة عرف ذلك في وجهه أيامًا، فقيل له - حتى ولم يعرفه، ولو لم يكن من أصحابه - فقيل له في ذلك: يا إبراهيم أنت معلمنا، وأنت كذا، وكذا. . .، وأراك تجزع من الموت؟ فقال: ما بي من جزع من الموت، - أو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ -، ولكن نزل بأخيكم أمر هو بعده إلى نعيم أو إلى جحيم. وبينك كان يعيش، وكان. . .، وكان. . .، لكن بعد الموت أين ذهب؟ هل ذهب إلى روضة ونعيم، أم ذهب إلى جحيم وعذاب؟

مر ﷺ بقبرين، فقال - وأشار إليهما -: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»[1]. إذا ذكرت الموت، فاجعل نفسك كأحدهم، يعني: أعد العدة لما نزلوا به، هل الموت غدًا أو بعد غد. . . إلى آخره؟ إذا ذكرت الموت، فاجعل نفسك كأحدهم: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»[2]. هذا به صلاح القلوب، أما أن يرى المرء في شبابه وفي صحته أنه سيعمر طويلًا، فهذا نوع من غرور

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشيطان: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠] هذا نوع من الغرور، إذا ذكرت الموت ممن مات من أصحابك أو من العلماء الماضين، أو من الناس الحاليين، أو حضرت عزاء، أو مررت بمقبرة، أو حضرت دفنًا، أو صليت على جنازةٍ، فعد نفسك كهذا الذي مات، هذا به تنبت شجرة الإيمان في القلب، ويعظم ثمرها؛ لأنه إذا فارق ذكر الموت القلب، كان موتا له.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (**لو فارق ذكر الموت قلبي، لفسد قلبي**)[1]، لو حصل أنه فارق، فسد القلب لِمَ؟ لأن أول درجات فساد القلب أن يتعلق بالدنيا، وأن ينسى الموت وما بعده الآخرة؛ فلهذا تنبه لهذه الوصية: (**إذا ذكرت الموت، فاجعل نفسك كأحدهم**)، دائمًا عد نفسك أنت الذي صلي عليك، عد نفسك أنت الذي تحت أطباق الثرى، عد نفسك أنت المعزى، وهكذا.

الوصية الثالثة له: «وإذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا، فانظر إلى ماذا يصير»؟ إذا أشرفت نفسك على جاه، فانظر إلى ماذا يصير؟ إذا أشرفت نفسك على مال، فانظر إلى ماذا يصير؟ ما معنى: أشرفت نفسك؟ يعني: استشرفت وتطلعت، تريد هذا الشيء، وتطمع فيه، فانظر إلى ماذا يصير؟ عده صار إلى زوال، فما الذي حصل؟

أَلَحَّ بعض أبناء الإمام أحمد عليه أن يقبل عطية السلطان، مع أن الإمام أحمد كان يقول: (**عطايا السلطان أحب إليَّ من صلة الإخوان**)[2]. فألحوا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٧٥) عن الربيع ابن أبي راشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: المغني (٤/ ٣٣٣)، ومجموع الفتاوى (٣٠/ ١٩٣)، والدرر السنية (٩/ ٣٢٢).

عليه لدين كان عليه - دين عظيم -، فأبى لما كان عليه الأمر في ذلك الزمان من فتنة القول بخلق القرآن. . . إلى آخره، فأبى ذلك، فأرسل إليه، فرده - رَحِمَهُ اللَّهُ ورفع درجته -، فلما مضت السنة، جاءه الفرج، وسدد من ضيعة كانت له، أو مصدر رزق كان يأتيه، فالتفت إلى أبنائه، فقال لهم: ما رأيكم لو قبلنا؟ لقد فرج الله الأمر، مضت الأشهر، ومضت السنة، ولكن لو قبل، كانت عليه منة، فلما أراد أبناؤه منه أن تستشرف نفسه لهذا الشيء، وأن يقبله، وكان هو الإمام الكامل في العلم والعمل - رَحِمَهُ اللَّهُ ورفع درجته - أراد أن يربيهم، فقال: انظروا ماذا صرنا؟ ماذا لو قبلنا؟ يعني: لبقيت المنة مثلًا، أو لبقي أثرها، والأمر الآن اتسع وتوسع.

(**إذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا، فانظر إلى ماذا يصير**)، أشرفت نفسك على ولاية، انظر إلى ماذا تصير بعد ذلك؛ كما قال ابن الوردي[1] في لاميته:

لا تلِ الحكمَ وإنْ همْ سألوا ... رغبةً فيكَ وخالفْ مَنْ عذَلْ

والولاياتُ وإنْ طابتْ لمَنْ ... ذاقَها فالسمُّ في ذاكَ العسلْ[2] انعزل

---

(١) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردي المعري الكندي شاعر أديب مؤرخ، ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج وتوفي بحلب. (٦٩١- ٧٤٩هـ).

ودعِ الذكرى لأيامِ الصِّبا ... فلأيامِ الصِّبا نجمٌ أفلْ

(٢) انظر: الكشكول (٢/ ٦٤٥) لبهاء الدين العاملي (٩٥٣ - ١٠٣١هـ) ومطلع القصيدة:

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ ... وقلِ الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ

ودعِ الذكرى لأيامِ الصِّبا ... فلأيامِ الصِّبا نجمٌ أفلْ

يعني: انظر إلى آخر الأمر، وتحكم في الأمر منذ بدايته، فلا تستشرف نفسك إلى شيء من الدنيا؛ ولهذا فعل الصحابة أنهم كانوا يلون الأمور، ويعملون بما أوجب الله عليهم، والأمور في أيديهم، لا في قلوبهم، فإذا تحقق لهم ما يريدون، وإلا لم تتعلق قلوبهم بشيء من الدنيا، إذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا، فانظر إلى ماذا يصير، وبالتالي فإنك ستتركه أو تعامله بما تكون العاقبة لك.

اسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ تفْرِقَةِ القَلْبِ

من وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول في كلامه: **(أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: له وما تفرقة القلب؟ قال: أن يُجعل لي في كل واد مالٌ)**[1]، وهذا نشاهده في من ابتلاهم الله عز وجل بأموال، بأموال في الرياض، وأموال في الشمال، وفي الجنوب، وفي داخل المملكة، وفي خارج المملكة ...، إلى آخره، ابتلاهم الله بتفرقة القلب؛ لأن المال يريد من القلب نصيبه، يريد متابعة؛ ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه: **(أعوذ بالله من تفرقة القلب)**؛ لأن القلب يتقلب، القلب لا يمكن أن يجتمع على الذكر وعلى الطاعة، وهو له في كل وادٍ نصيب.

قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: **(أن يُجعل لي في كل واد مالٌ)**، وهذه وصية منه للأمة، أن المرء القنوع بما قسم له من الدنيا يكون ماله قريبًا منه، وأن

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٩)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٨١)، وابن عساكر (٤٧/ ١٥٦).

لا يجعل نفسه في تتبع المال بما يؤول عليه بتفرقة القلب، يتابع هذا، ويتابع هذا، ويتابع هذا، ويتابع هذا، وكثيرون رأيناهم كانت قلوبهم مجتمعة على العبادة، وعلى التلذذ بالطاعة، وعلى رعاية أهليهم وأولادهم، فلما جعل لهم في كل وادٍ مال، تفرقت قلوبهم، وما استلذوا بالحياة أصلًا؛ لهذا تعوذوا بالله من تفرقة القلب، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه.

وعن عون بن عبد الله - التابعي المعروف - قال: قلت لأم الدرداء، وبالمناسبة أم الدرداء اثنتان: كبرى وصغرى، وكانت الصغرى منهما عالمة[1]، والكبرى[2] أيضًا كان عندها علم، والصغرى كانت عالمة، وكانت فقيهة رضي الله عنها، كيف كانت فقيهة؟ يعني: نريد أن نقرأ ما وراء الكلمات، كانت فقيهة، زوجة عالم، زوج عالم وفقيه وعامل، كانت فقيهة، كيف كانت فقيهة؟ هل كانت تخرج تتبع العلم من هنا وهناك؟ فأين حق الزوج؟ لابد أن يكون وراء ذلك تربية العالم لأهله، وهذا نلحظه في كثيرين أنهم إذا خاطبوا أهليهم، لا يخاطبونهم بالعلم، تجد أن الناس يستفيدون منه العلم، وعنده علم كثير، وعنده خير وتوجيه، لكن إذا خالط أهله، خالطهم بشأن البيت، بالأكل والشرب، وبحاجة الرجل، وأشباه ذلك، وبالذهاب والمجيء، لا يسوغ هذا، أولى الناس بأن تعلم وأن تقيهم النار أهلك، وإلا فلا تلومن إلا نفسك.

***

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٧).

(٢) انظر: الإصابة (٧/ ٦٢٩).

تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ

أبو الدرداء كانت زوجه فقيهة، ولا بد أن ذلك كان من تعليمه لها، ومن تفقيهه لها، فإذا تحدثتَ معهم، تحدث معهم بالعلم، تحدث معهم بالفوائد، تحدث معهم بحال الصحابة، تحدث معهم بما سمعت من أهل العلم؛ فإن في ذلك نقلًا للعلم ونشرًا له، قد يكونون أول مرة - النساء والأهل - يستثقلون ذلك، ثاني مرة، عاشر مرة، يستثقلون، لكن إذا ألفوه، لانت قلوبهم، وكما أنت تؤثر على غيرك مرة ومرتين، وتؤثر عليه عشر مرات، فكذلك أثر على من في بيتك بالكلام مرة ومرتين وعشر مرات، أما الذي يدخل ويخرج، وهمه حاجة الرجل من أهله - من أكل، وشرب، وحاجة الرجل من أهله-، فهذا ليس بلائق ولا ينبغي؛ لأن المرء مسؤول عن رعيته: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**[1]، قال عون بن عبد الله: **(قلت لأم الدرداء: أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكر والاعتبار)**[2]، وقال أبو الدرداء أيضا: **(تفكر ساعة خير من قيام ليلة)**[3]، يعني: لمن كان في مثل فقهه وعلمه، التفكر والاعتبار كانت عبادة أبي الدرداء، **(أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكر والاعتبار)**، نقف عند هذه

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٨)، وابن عساكر (٤٧/ ١٤٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٤٩)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٩)، والبيهقي في الشعب (١١٨).

الكلمة في مسألتين:

الأولى: أن أم الدرداء رضي الله عنها - وكانت فقيهة - جعلت التفكر والاعتبار عبادة، وهذا حق؛ لأن التفكر أمر الله عز وجل به، وما أمر الله عز وجل به، فامتثاله عبادة قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦]، ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

الآيات في الحث على التفكر كثيرة، والتدبر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض؛ لهذا كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر والاعتبار، يتفكر في آلاء الله؛ ليدله ذلك على عظمة الله عز وجل، الناس ينظرون اليوم إلى السماء، وكأنها ليست بسماء، ينظرون إلى الإبل، وكأنها ليست بإبل، ينظرون إلى الجبال. . .، لا يتفكرون، والله عز وجل يقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

إن التفكر يورث التذكر، التفكر يورث الخشية، التفكر الحقيقي وصف الله عز وجل به أولياءه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وهم أولو الألباب.

ما أجمل ما قاله الحسن رحمه الله!

والحسن البصري كان عظيمًا في كلامه، وفي تربيته، وزهده، وتعليمه. الحسن البصري ماذا قال؟ قال رحمه الله: **عاملنا القلوب** - يعني: لإصلاحها - **(عاملنا القلوب بالتفكر، فأورثها التذكر)** - يعني: التفكر أورث القلوب التذكر، تذكر الله ﷻ، تذكر الآخرة، تذكر حق الله ﷻ، **فرجعنا** - هذا تمام كلام الحسن - **(فرجعنا بالتذكر على التفكر، وحركنا القلوب بهما، فإذا القلوب لها أسماع وأبصار)**، وهذه يعرفها من جرب؛ لهذا ينبغي لك أن تكثر من التفكر، تكثر من التفكر في الآخرة، في الجنة، في النار، في الذين ذهبوا في الموت، في ملكوت السماوات والأرض، في حق الله ﷻ في صفاته، تعامل القلوب بالتفكر، فإذا عاملت القلب بالتفكر، سيورثك التذكر.

فإذا تذكرت، وعظم قلبك في خشية الله وتذكره، ارجع مرة أخرى، فتفكر، فسترى أنه فُتح لك باب من التفكر لم يفتح لك قبل ذلك، فارجع بهذا على هذا، فسيؤول الأمر إلى قول الحسن: **وحركنا القلوب بهما** - يعني: بالتفكر والتذكر -، **فإذا القلوب لها أسماع وأبصار.**

لا نريد أن نكون من أهل الغفلة، من الذين يرون خلق الله ﷻ، ولا يتفكرون، يرون السماء، ولا يتفكرون، يرون الأرض. . .، يرون الموت، ولا يتفكرون، يرون آيات الله ﷻ، ولا يتفكرون، وهذا لا شك أنه صفة المعرضين: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] الإعراض عن الدين، الإعراض عن التفكر، الإعراض عن التأمل الإعراض عن الاعتبار هذا لا شك يجعل القلب تغشاه الدنيا والذنوب.

العُلَمَاءُ يَذْهَبُون

من كلمات أبي الدرداء رضي الله عنه ووصاياه لأتباعه، بل وللأمة جميعًا: أنه قال للناس يومًا: (**مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ تعلموا، فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر**)[١].

مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ كم بكينا على ذهاب عدد من العلماء، ممن أدركنا، ولم نأخذ عنهم، أو ممن سمعنا عنهم، ووددنا لو لقيناهم.

الناس يزهدون في العلماء؛ لأنهم بينهم، لأنهم أحياء، فإذا ذهبوا، تحركت قلوبهم لهم، **مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟** عندنا الآن العلماء الذين هم صفوة الأمة، وفقهاء الأمة، وعلماء الأمة بالتوحيد، والحديث، والفقه، وعلوم الشريعة، نراهم يذهبون، ونرى الناس عندهم قليل، لم؟ والشباب كثيرون، والملتزمون كثيرون، وكثير منهم عنده فراغ، ولا يقبلون على العلماء ليتعلموا، لم؟ الأمة اليوم بحاجة إلى العلماء الذين يعلمون ويربون، يقول أبو الدرداء: **مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟**

لا شك أن زمن الصحابة رضي الله عنهم العلماء فيه كثير، زمن التابعين يكثر الناس، لكن إذا كان عدد العلماء قليلًا، فإنهم لن يوفوا حاجة الناس، اليوم كم عدد العلماء؟ نقول: عشرة، عشرون، ثلاثون، خمسون، لكن بعد عشر سنوات

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٢)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٣٢).

كم يكون عدد الأمة؟ هنا في هذا البلد كم يكون عدد الناس؟ قد يصلون إلى ثلاثين، أربعين مليونا مثلًا، من الذي سيعلمهم؟ هل البشر الواحد سيستطيع؟ هل العشرة، المائة سيستطيعون؟ أين حال الأمة شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، أين حالهم؟ لا شك هم بحاجة إليكم، بحاجة إلى من أخذ العلم عن أهله، فعلمه؛ لهذا أوصي نفسي وإياكم، وأن تبقى هذه الوصية في قلوبكم، تعلموا، وخذوا من العلماء اليوم؛ فإنه سيأتي زمان سترونه بعد عشر سنين أو عشرين أو ثلاثين سنة يبحث الناس عن عالمٍ، وقد لا يجدون من هو متحقق في العلم والقول والعمل، من هو فقيه فيما يقول، انظروا يمينًا وشمالًا في الدول الأخرى، ترون كثيرين يتكلمون في العلم، لكن كلامهم غير منضبط، والأقل النادر الذين كلامهم ينضبط مع الكتاب والسنة، لم؟ لأنه ذهب العلماء، ولم يتعلم الجهال، لم يتعلم الناس، والناس يتسعون، ويزداد عددهم، فخذوا بوصية أبي الدرداء، فلقد كان حكيمًا ناصحًا برًا شفيقًا؛ إذ قال: «**مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ تعلموا فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر**».

ولا شك أن هذا مما تنفطر له القلوب، إذا تذكرنا قول المصطفى ﷺ: «**إن الله لا ينتزع هذا العلم انتزاعًا من صدور العلماء، ولكن بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا**»[1]، وهذه هي الرواية المعروفة، والرواية الثانية التي

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨١)، من قول عمر رضي الله عنه: (**سمع عمر أبا هُرَيْرَةَ يقول: يرفع العلم قال عمر: أما إنه ليس ينزع من صدور العلماء ولكن يذهب العلماء**).
وعند مسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنْ النَّاسِ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالًا يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ**».

في البخاري وهي المحفوظة - «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١] ولا شك أن هذا مخيف؛ لهذا خذوا عن العلماء أيها الشباب، أيها الذين عندهم وقت، عندهم فراغ، عندهم حصافة، عندهم فهم، اتجهوا إلى العلماء، وخذوا عنهم، واصبروا سنين عددا، فإن الناس - ولا شك - بحاجة إليكم في قريتكم، في مدينتكم، في حيكم، الناس بحاجة إلى طلاب العلم أكثر من حاجتهم إلى الأكل والشرب.

مُرْ وَلَوْ لَمْ تَفْعَلْ

من أقوال أبي الدرداء ﵁ التي فيها وصية قال: **(إني لآمركم بالأمر، وما أفعله، ولكن لعل الله يأجرني فيه)**[٢] العالم قد تتزاحم في حقه الواجبات، فيأمر بأوامر كثيرة، ولا يفعلها هو، يأمر بأوامر من المستحبات أو من الواجبات التي زحمها ما هو أوجب منها، فلا يفعله، لكن رغبة في الأجر والتوجيه، وأن يعمل الناس بذلك، وهو مشغول بما هو أعظم أجرًا وأكثر مصلحة في الأمة، قال أبو الدرداء: **(إني لآمركم بالأمر، وما أفعله)** نأخذ من هذا أنه لا يلام العالم إذا أمر بشيء، ولم يعمله، إلا إذا خالف إلى

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١١١)، وأبو نعيم (١/ ٢١٣)، وابن عساكر (٤٧/ ١٤١).

محرم، أوترك واجبًا متعينًا عليه، قال: (**إني لآمركم بالأمر، وما أفعله، ولكن لعل الله يأجرني فيه**).

الفائدة الأولي: ما ذكرتها لك، من أن العالم لا يقول - أو طالب العلم - لا يقول: أنا لا أفعل هذا الشيء، لا آمر به؛ لأني لا أفعله؛ قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عندما سئل: هل يأمر المرء بالمعروف، وينهى عن المنكر، وهو واقع فيه؟ قال: نعم، يأمر، وينهى، ولو لم يأمر وينه إلا من يفعل، لقل الآمر والناهي.

وإذا أمرت فاجعل نفسك مخاطبًا بذلك قبل غيرك؛ لهذا نأخذ من هذه الوصية:

أولًا: أنه في حق بعض الناس قد تتزاحم الواجبات، ويتزاحم الفاضل مع ما هو أفضل، فهو يقدم ما يراه أفضل وأعظم أجرًا.

الفائدة الثانية: أنه ينبغي أن لا ينظر إلى العالم في هذه المسألة كغيره، بل العالم قد يكون يأمر، ولا يفعل لعلة؛ ولهذا الإمام أحمد ترك مرة قيام الليل، بل ترك زمنًا قيام الليل، فقيل له ذلك قال: (**استعضنا عن قيام الليل بمذاكرة أبي زرعة**)[1]، أبو زرعة العالم الحافظ المعروف قدم من الري إلى بغداد، فاستعاض الإمام أحمد - عبر بالاستعاضة - قال: (**فاستعضنا عن قيام الليل بمذاكرة أبي زرعة**)؛ لأن هذا مصلحته متعدية، وفائدته مؤقتة؛ لأن أبا زرعة سيذهب، وقيام الليل مصلحته قاصرة، وهو إذا نوى النية الصالحة، فالله ﷻ يأجره على ذلك.

---

(١) سبق (ص ٢٦٤).

إذًا فالمرء يقول الخير أينما كان؛ قال ابن القيم رحمه الله: (**وقد يأتي الشيطان إلى العبد، فيقول له: لا تتكلم حتى تفعل، فيذهب كثير من الخير بهذه الشبهة، فيأتي ما يعرض للعبد، فلا يعمل، ثم لا يتكلم، فلا ينتشر الخير**)؛ ولهذا ينبغي علينا أن نذكر بالخير في كل مكان، ونخاطب أنفسنا به مع مخاطبتنا لغيرنا، لعله بذلك ينتشر ويكون فيه الصلاح.

بُغضُ اللهِ وَبُغْضُ العِبَادِ

من وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كتب مرة إلى مسلمة بن مخلد، فقال له: (**سلام عليك، أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله، أبغضه الله، فإذا أبغضه الله، بغضه إلى عباده**)[1]، وصية عجيبة، وتذكير عظيم.

أولها في الرسالة قال: سلام عليك، وهذا من آداب الرسائل، آداب السلف في الرسائل أنهم يقولون في صدر الرسالة: سلام بالتنكير، لا بالتعريف؛ ولهذا مما لا يحسن أن تبدأ الرسائل بقول المرسل: السلام، وإنما الرسائل تبدأ بـ(**سلام عليك**)، أو(**سلام عليكم ورحمة الله وبركاته**)، تبدأ بالتنكير، وتختم بالتعريف، قال بعض العلماء: هذا مأخوذ مما جاء في سورة مريم؛ فإن السلام إذا تكرر في مكان أو في مقام مرتين - مقام حديث أو مقام رسالة - فإنه يكون الأول منكرًا والثاني معرفًا[2]، وفي سورة مريم ذلك، في الآية الأولى قال ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ [مريم: ١٥] وفي الآية الثانية

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٥١)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٤١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٣٥٨).

قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، فإذًا هذا من آداب الرسائل.

الثانية: قوله: عليك. ولم يقل: عليكم؛ لأن هدي السلف والأكثر من حالهم أنهم يخاطبون المفرد بالمفرد في السلام، والتسليم على المفرد يجوز أن يكون بالجمع: سلام عليكم. بالنظر إلى المخاطب -الملقى عليه السلام- وإلى من معه من الملائكة؛ كما قال الفقهاء: ويقول للواحد: (سلام عليكم) له وللملائكة الذين معه، لكن الأفضل أن يقال للواحد: (سلام عليك)؛ مثل ما جاء في البخاري أن أول من ألقى السلام آدم عليه السلام، قيل له: «**اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**»[1] دل هذا على أن المفرد يخاطب بـ(عليك)، لا (عليكم)، فإن عنى هو والملائكة، فلا بأس.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه في وصيته هذه لمسلمة بن مخلد: (**إن العبد إذا عمل بمعصية الله، أبغضه الله، فإذا أبغضه الله، بغضه إلى عباده**). درجتان تحرك بهما القلوب، بعض الناس قد لا يتحرك قلبه تمامًا إذا ذكر بغض الله له، ولكن يتحرك إذا ذكر بغض الناس له؛ لهذا ينبغي على المذكر والداعية أن يحرك الناس بما يصلحهم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (**إن العبد إذا عمل بمعصية الله، أبغضه الله**) وهذا في حق الموحد المؤمن من أعظم ما يكره ويبتعد عنه أن يبغضه الله عز وجل، الناس - أعني: المؤمنين - لماذا آمنوا؟ آمنوا طلبًا لرضا الله عز وجل، وإخلاصًا

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

له، وتوحيدًا؛ فلهذا إذا كان في أمرٍ غضب الله ﷻ، وفيه مقته وأليم عقابه، فلاشك أنه يجب على المؤمن الموحد أن يسرع بالابتعاد عنه، إذا عمل العبد بمعصية الله، أبغضه الله. يعني: إذا داوم عليها، وأصر، أما إذا كان مذنبًا مستغفرًا، مذنبًا تائبًا، إذا أذنب، رجع، إذا أذنب، تاب، إذا أذنب، استغفر فإن هذه من علامات السعداء؛ كما جاء في الأثر: **(مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ)**(١) يعني: أن العبد إذا استغفر من الذنب، ثم غلبته نفسه، فعاد إليه بعد زمن، فاستغفر ثانية لا يعد مصرًا؛ لأنه حين استغفر كان صادقًا في طلب المغفرة.

فإذًا هذه الوصية تبين لك أن المعاصي سبب بغض الله ﷻ؛ ولهذا إذا أبغض الله العبد، فإن لبغض الله للعبد أو للعباد آثارًا شرعية وآثارًا كونية:

فإن من الآثار الكونية: أن يحرم الرزق؛ كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**»(٢)، فهذا من الآثار.

من الآثار أنه يبتلى في نفسه بأمراض؛ لتكون كفارة؛ لأن الله ﷻ يحب أن يلقاه عبده، وليس عليه خطيئة، يحب أن يبتليه في الدنيا؛ حتى لا يعذبه في الآخرة، فإذا كان مقيمًا على المعصية، فربما ابتلاه في الدنيا بأمراض وشدائد تكون كفارة له، فيكون خيرًا له.

لكن ينبغي، بل يجب على العبد أن يبتعد عن أسباب غضب الله، وعن أسباب العقوبات بأنواعها؛ فالمعاصي لها آثار أيضًا شرعية، يعني: أن يكون العبد غير موفق، فإن العبد إذا عمل بالحسنة، وفق لحسنةٍ مثلها، وإذا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩)، من حديث أبي بكر ﵁.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، من حديث ثوبان ﵁.

عمل بالمعصية، خذل بأن يكون عنده معصية أخرى.

ولهذا قال من قال من السلف: (**إذا رأيت العبد يعمل بالحسنة، فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل بالسيئة، فاعلم أن لها عنده أخوات**)(١) يعني: أن العبد يعمل بالمعصية بطوعه واختياره، ولا يستغفر، ويقيم عليها، يخذل بأن يزاد عليه؛ كما قال ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

إذا عمل العبد بالمعصية أو بالخطيئة، نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واسترجع، صقل، وإن أقام، نكت أخرى، حتى تكون القلوب قلبًا أسود، وقلبًا أبيض، إذًا هذا مما يجب علينا أن نحذره.

أيها الإخوان، أيها الأتقياء، أيها المؤمنون بعامة، أيها الحريص على نفسه: إياك والمعصية بجميع أنواعها، وإذا غلبت على نفسك، وأصابك ما أصاب البشر، فاجعل نفسك سريعًا تائبًا؛ يقول ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»(٢) أكثر من الصالحات، واستعجل في التوبة والإنابة والاستغفار، لا تحسننَّ المعصية في نفسك.

هل تنتظر، ثم تنتظر، وتنتظر إلى أن يفسد القلب؟! تسمع، ثم تسمع، وتسمع، وتسمع، إلى أن يفسد القلب؟! تتكلم بالغيبة والنميمة، ثم تتكلم، وتتكلم إلى أن يفسد القلب؟! فإن العبد له مع المعصية أحوال، يستسهل بها

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٧)، وابن عساكر في تاريخه (٤٠/ ٢٦٩)، عن عروة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

بداية، ثم يقع في آخر أمرها.

ولهذا نهي عن النظر مثلًا، لم؟ لأن النظر وسيلة لمواقعة الكبيرة التي هي الزنا؛ لأن هذا وهذا يليه هذا، يليه هذا إلى أن يقع في الكبيرة، والعياذ بالله. قال ﷺ: «لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»[١] يعني: أن الثانية عليك، ليست لك، فكيف بمن يقيم على نظر، ونظر، ولا يخشى تقلب القلب؟ إذا ابتليت، فأكثر من الاستغفار، أكثر من الإنابة، اطلب من ربك صلاح القلب وصلاح الجوارح؛ فإن في ذلك الخيرَ لك في العاجل والآجل.

كذلك المعاصي: من أعظم آثارها أن تسلب عن العبد معية الله ﷻ الخاصة، الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، والذي يقيم على المعصية ليس من المتقين، الذي يعصي، ويصر عليها، ويقيم عليها ليس من المتقين، ما خاف الله ﷻ، واتقى عذابه وأليم عقابه، واتقى غضبه ﷻ.

لهذا من يقم على المعصية، يحرم نفسه أعظم ما يلجأ إليه العبد، وهو معية الله ﷻ، ومعية الله الخاصة لعباده المتقين ما معناها؟ معناها: معية التوفيق، ألا تترك لنفسك، معناها: معية النصر، معناها: معية التأييد، معناها: معية الإحسان للعبد وكل مقتضيات العناية بالعبد والإحسان إليه، الجزاء من جنس العمل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]؛

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد (١/ ١٥٩)، من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

لهذا إياك والمعصية؛ فإن المعصية - كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه - سبب لغضب الله عز وجل، وسبب لبغض الله عز وجل ومقته، وإذا أبغض الله عز وجل العبد، يبغّضه إلى عباده، وهناك حالتان: رضا الله عز وجل عن العبد ومحبته له ف «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»(١).

وإذا أبغض الله عز وجل عبدا من عباده بغضه إلى خلقه؛ ولهذا جاء في بعض الآثار أن الله عز وجل قال: (**إني إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإني إذا عُصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الولد**)(٢) الناس يستسهلون بالمعصية حبًا للدنيا، والمعصية شؤم كلها، فاحذر، ثم احذر، ثم احذر من الركون إلى الدنيا والتلذذ بالمعاصي، في المباح شيء كثير يغنيك، ويجعلك من السعداء؛ لهذا الذين يسعدون أنفسهم بالطاعات هم أعظم الناس لذة في الدنيا «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»(٣) الراحة فيها، الذين يسعدون أنفسهم بالمباح هم من المتلذذين في الدنيا والسعداء، قد يحضر لبعض الناس أن اللذة والسعادة والتلذذ بالدنيا يكون بالمعصية، غلط كبير، أولياء الله وأحبابه والصالحون من المتلذذين السعداء بالدنيا وما فيها، ولكن بالمباح، وهم سعداء فرحون، وأهل المعصية شؤمهم عليهم، ومن شؤم المعصية أن يكون صاحبها ذليلًا غير

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٤١)، عن وهب بن منبه رضي الله عنهما

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وأحمد (٥/ ٣٦٤)، من حديث سالم بن أبي الجعد رضي الله عنه.

قويٍّ في لفظه، غير قويٍّ في عمله؛ ولهذا قال بعض التابعين في أصحاب المعاصي: (**إنهم وإن طقطقت بهم البراذين، وهملجت بهم البغال إن ذل المعصية في رقابهم**)[١] تأتي إلى شخص تهابه وله شارة، وتفاتحه فيما بينك وبينه بإصلاح معصية، فتجده ضعيفًا، صاحب المعصية دائمًا ضعيف، ضعيف في لفظه، ضعيف في عمله، ضعيف في إقدامه، ضعيف الشخصية، ضعيف فيما يزاول، دائمًا يكون ضعيفًا إلا أن يكون مبتلىً بما ابتلاه الله ﷻ به؛ لهذا المعصية في عباد الله سبب للذل، سبب للبغض، سبب لعدم التوفيق.

لهذا نحرص على هذه الوصية من أبي الدرداء ﵁ في ألا نقدم على المعصية، وإذا غلبت المرء نفسه، فعمل بمعصيةٍ، فليكثر من الاستغفار، ولينب إلى التوبة.

آخِرُ وَصِيَّةٍ الأَذَان

آخر وصية، أو آخر كلمة نقلبها وصية من كلمات أبي الدرداء، فكلماته كثيرة ووصاياه متعددة، ولكن الوقت إنما يسمح بمثل ما ذكرت لكم، يقول: (**لو يعلم الناس ما في الأذان لأخذوه بالدول، رغبةً فيه، وحرصًا عليه**)[٢] يعني: بالتناوب، هذا يلي هذا، هذا يلي هذا، يقول: أنت أذِّن يومًا، ما أسمح لك أكثر، والناس يتناوبون عليه؛ حرصًا عليه، والأذان فيه فضل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٦)، والجواب الكافي (ص٣٨)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٩٢)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٤٠).

عظيم: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا»(١) كما قال المصطفى ﷺ، لكن هذا لمن أخذ الأذان بحقه، أما المؤذن المفرط في هذه الأمانة، فهو متوعد، الأذان أمانة الوقت، ما معنى الأذان؟ أن يؤذن المؤذن بإعلاء ذكر الله، ويعلن للناس أن الصلاة التي هي كتاب موقوت ابتدأ وقت أدائها، فإذا كان المؤذن يفرط في هذا الواجب في هذه الأمانة الشرعية، التي قال فيها النبي ﷺ - فيما يروى، والحديث في إسناده مقال -: «الْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ»(٢) مؤتمن على الوقت، ومؤتمن على العورات، ومؤتمن على الحال.

المؤذن حاله عظيمة في الأجر، ولا شك أن الأجر على قدر المشقة؛ لأن وضعه، ومتابعته للأذان، وحرصه عليه وعلى الوقت عظيم، كان الأجر عظيما، لأنه يعلن ذكر الله ﷻ.

إذا فليس من اللائق، بل وليس من الجائز شرعا، بل من المحرم أن يفرط المؤذن في أمانته، الأذان أمانة، إنما يأخذها من يقوم بهذا الواجب وهذه الأمانة، أما أن يؤذن مرة بعد دقيقتين، ثلاث، مرة بعد خمس، لا يتأكد متى ما فرغ أتى، كان من المؤذنين الذين أدركنا من تقلقه نفسه بالدخول إلى المسجد قبل الأذان بنصف ساعة؛ خشية من أن يعتريه عارض، فيمنعه من الوصول إلى المسجد، تقلقه نفسه؛ حتى يأتي، وينظر الوقت، ثم يؤذن.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٧)، والترمذي (٢٠٧)، وأحمد (٢/ ٢٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا فالأذان فضله عظيم، لو يعلم الناس ما في الأذان، لأخذوه بالدول، كما قال ﷺ: «ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا» يعني: بالقرعة؛ من شدة فضله، «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، لكن الأذان أمانة؛ فلهذا هذه الوصية من أبي الدرداء منها وصية أخرى للمؤذنين بأن يحرصوا على الوقت، بأن يتقوا الله في هذه الأمانة، الأذان ليس مغنما، الأذان مغرم، حسابه شديد في أن تؤذن في الوقت، إذا أذنت قبل الوقت بدقيقتين من يسمعك في البيوت من المرضى ومن النساء ونحو ذلك ربما صلى بعد ما تبدأ في الأذان، فيكون دخل في الصلاة قبل الوقت، تؤذن بعد خمس دقائق، عشر دقائق حرمت بعض الناس من أداء الصلاة في أولها، ويكون لهم رغبة في ذلك، وفي ذلك حكم كثيرة.

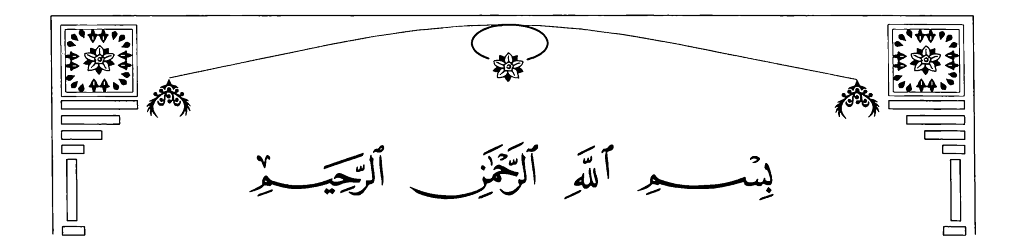
لهذا يجب على المؤذن شرعا أن يتقي الله، وأن يعلم أنها أمانة، وأنه محاسب على ذلك، فعليه أن يؤدي الأمانة كما يجب، فهو ليس مغنما، ليست المسألة مسألة مكافأة ومسألة رزق من بيت المال، وبيت يسكن فيه، لا. المسألة وراءها حساب، هي أمانة، فليتق الله المؤذن، وإذا قام بأمانته، فنبشره بالأجر مع الإخلاص بالأجر العظيم عند الله ﷻ، «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أسأل الله ﷻ أن ينور قلبي وقلبكم بهدي كتابه، وهدي السنة، وهدي السلف الصالح، وأن يجعلنا من المتبعين لما أنزل الله ﷻ على رسوله، وأفهمنا إياه صحابة رسول الله ﷺ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل قلوبنا مطمئنة

(١) أخرجه مسلم (٣٨٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

للإيمان، حريصة عليه وعلى أسبابه، وأن يغفر لنا ذنوبنا، اللهم وفقنا ووفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، اللهم نسألك أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل الطاعة، ويعافى فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالحق والمعروف، وينهى فيه عن المنكر؛ إنك سميع الدعاء، اللهم واحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، اللهم ويسر لنا كل خير، وباعد بيننا وبين كل شر. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





محاضرة من معين الإمام أحمد
محاضرة في مكة المكرمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يهدون من ضل إلى الهدى، وينقذونهم من العمى، ويحيون بكتاب الله الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أعظم أثرهم على الناس! وما أقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن دين الله تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، وانتحال الضالين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وماروا في الكتاب.

أحمد الله ﷻ، وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا، أما بعد:

فأسأل الله ﷻ لي ولكم العلم النافع، والعمل الصالح، والقلب الخاشع اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا من العلم والعمل والهدى والسنة يا أرحم الراحمين.

أيها الإخوة هذه المحاضرة عُنوِنَت بـ(من معين الإمام أحمد) ويعنى بهذا العنوان أن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، المولود سنة أربع وستين ومائة،

والمتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين في شهر ربيع الأول[1] أن ما أثر عنه هو كالماء المعين، الذي يرده الظمآن، فيرتوي، ويرده الذي أثقلته الذنوب، فيغتسل منها، ويرده أصناف الناس، فيصدرون عن ذلك مُرتوين بالغين إربهم وحاجتهم.

إِمَامُ هُدَى

والإمام أحمد أجمع الناس على أنه إمام هدى، ورأس أئمة أهل السنة والجماعة، وأن محبته ودراسة سيرته علم على محبة ما اندرس من سنة النبي ﷺ، فكان الناس في ذلك الزمن يمتحنون بمحبة الإمام أحمد، فمن أحبه، فهو صاحب سنة، ومن قدح فيه، فهو صاحب بدعة وضلالة، وليس هذا بعجب، فسيرة الإمام أحمد رحمه الله سيرة من أول يوم فيها إلى آخر يوم فيها سيرة صاحب سنة، وصاحب اتباع، سيرة إمام محدث فقيه، عالم أمضى ليله ونهاره في طاعة الله وعبادته، كان الإمام أحمد رحمه الله منذ كان شابًا، وهو يرى عليه آثار النُسُك.

آثَارُ النُّسُكِ

قال معروف الكرخي رحمه الله: **(رأيت أحمد بن حنبل فتى عليه آثار النُسُك،**

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٩/ ١٦١)، وتاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، وطبقات الحنابلة (١/ ٥)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٢٥٢)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧).

فسمعته يقول كلامًا جمع فيه الخير)[١] ، وهذه الكلمة وصف لهديه إذ كان فتى - يعني : إذ كان شابا - ، وكان عليه آثار النسك ، ويعنى بالنسك : العبادة والطاعة ، والعبادة والطاعة أثرها ليس في الهيئة واللباس فقط ، بل أثرها في الكلام ، والسلوك ، والتعبد ، والطاعة ، وإيثار الآخرة على الأولى .

مَشْغُولٌ بِالرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ عَنِ الزَّوَاجِ

ذكروا أن الإمام أحمد قال عن نفسه : **(ما تزوجت إلا بعد الأربعين)**[٢] ، قال أصحابه : لأنه كان مشغولًا بالرحلة في طلب العلم ، قبل ذلك رحل إلى مكة ، ومنها إلى صنعاء ، وله في ذلك قصة ، وهو أنه ذهب مع يحيى بن معين صاحبه إلى الحج ، وقال ليحيى : إذا فرغت من الحج ، فإني سأذهب إلى اليمن ؛ للقاء عالم اليمن ومحدثها عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المتوفَّى سنة مائتين وعشرة ، فلما وصل إلى مكة ، كان عبد الرزاق قد حج تلك السنة ، فلقيه يحيى ، وعرفه ، لقيه ، وهو يطوف ، فعرفه ، وسلم عليه ، وقال يحيى لعبد الرزاق - وكان يعرفه - قال : هذا أحمد بن حنبل ، فسُر به عبد الرزاق ، وقال : قد بلغنا عنه أنه صاحب خير ، فلما صليا ركعتي الطواف ، قال يحيى للإمام أحمد : يا أحمد قد ذهبت عنا مُؤنةُ السفر إلى صنعاء ؛ فهذا عبد الرزاق فهلم بنا نلازمه ؛ حتى نأخذ عنه الحديث ، فقال أحمد ليحيى بن معين : قد مضت نيتي ، ولن أخلفها ، فسأرحل إلى صنعاء[٣] ، وهذا من أثر الرغبة في

---

(١) انظر : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص١٠٩) .

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٤٠٢) .

(٣) انظر : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٣٥) .

التنسك والتعب في طلب العلم، والرحلة إلى صنعاء في ذلك الزمان ليست على سيارة فارهة، أو في طائرات أو نحو ذلك، وإنما كانت من المشقة بالدرجة التي لا توصف لهذا.

قال معروف في هذه الكلمة: **(رأيت أحمد بن حنبل فتى عليه آثار النسك)** وهذا في الحقيقة هو الذي ينبغي أن يكون عليه الشباب والفتيان: في أنهم يعاهدون أنفسهم في إصلاحها في فترة الفتوة، في فترة الشباب؛ لأن هذه الفترة إن لم يقم عودها على الصلاح والنسك، فإنها تستعصي بعد ذلك، إلا ما شاء الله ﷻ، ومن تنسك في شبابه، في صباه، رجي له الثبات، وهذا يعني أن الانتساب إلى التدين وإلى الطاعة ليس كلمة أو انتسابا هكذا بالفخر أو بالظاهر، وإنما لابد فيه من التنسك، لابد فيه من العبادة، لابد فيه من الطاعة.

صَاحِبُ الحَدِيثِ لا يَتْرُكُ قِيَامَ اللَّيلِ

ولهذا يأتي فيما نستقبل أن الإمام أضاف مرة أحد أصحاب الحديث وهو: عبد الصمد بن سليمان، فلما أضافه في بيته، وحان موعد النوم، قرب له ماء ليتوضأ منه، أو ليستعمله، ونام، فلما أتى الصباح، ورأى الإمام أحمد أن الماء لم ينقص، فسأله، فقال: لم أستعمل الماء.

قال: صاحب حديث، وليس له ورد في الليل؟![1]، يعني: إلى الصباح

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ١٦٦)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢١٦)، وتاريخ دمشق (٥٧/ ٤٢٦).

لم تقم الليل، ولم تتعبد، ولم تصل ركعتين؟!

قال: إني مسافر.

قال: ولو كنت مسافرا. يعني: أين الوتر؟! أين بعض الصلاة؟!

وهذا لا شك أنه إذا كان مهما في ذلك الزمن في التربية وفي التوجيه، فنحن بحاجة اليوم إليه - خاصة الشباب الذين يطلبون العلم - أو الذين يتمسكون بالهدي، أو الذين عليهم آثار الصلاح، أو الذين يرغبون في الخير، لابد من قسر النفس على النسك، لابد من قسر النفس على الطاعة، والنفس إن طوعتها، أطاعت، وإن تركتها، فهي أمارة بالسوء؛ ولهذا صح عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ**»[1]، «**إِنَّما العِلمُ بالتَّعَلُّم، وإِنَّما الحِلمُ بِالتَّحَلُّم، ومَن يَتَحَرَّ الخَيرَ يُعطَه، ومَن يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَه**»[2].

فإذًا هذا الوصف لإمام أهل السنة يدل على نشوء في طاعة الله، وفي التنسك، حتى كان يقسر نفسه على كثير من أنواع الزهد والمتاعب؛ حتى تستقيم نفسه على طاعة الله ﷻ.

إِذَا ذُكِرَ العِلْمُ تَكَلَّمَ

قال أبو داود سليمان بن الأشعث - صاحب السنن، تلميذ الإمام أحمد،

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١١٨)، وفي مسند الشاميين (٣/ ٢٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٧٤)، والخطيب في تاريخه (٥/ ٢٠١)، وابن عساكر في تاريخه (١٨/ ٩٧)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقد روى عنه مسائل كثيرة مطبوعة - قال فيما وصف فيه الإمام: **(ما رأيت مثل أحمد بن حنبل؛ لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم)**(١)، وهذه الصفة لا شك أنها صفة الأئمة المتقين، الذين جعلوا حياتهم جدًا فيما ينفع الناس، أما الذي يتكلم في كل شيء، فهذا ليس عليه سمت أهل العلم، ولا سمت أهل الصلاح؛ ولذلك ينبغي أن يعرف الرجل الصالح الذي علق قلبه بالآخرة أن يعرف بصمته إذا صمت، وبكلامه إذا تكلم، فيكون كلامه في خير، ويكون صمته عن شر؛ كما قال ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

الإمام أحمد رحمه الله إذا تكلم، ربما اجتمع مع إخوانه، ربما اجتمع مع أصحابه، ربما اجتمع مع تلامذته، ربما اجتمع مع الناس، فتكلموا في أنواع من الكلام، لكن هو لا يتكلم إلا إذا كان كلامه في خير، وهذا الخير هو ما يعطي فيه علمًا، أو يأمر فيه بمعروف.

قال: **(فإذا ذُكِرَ العلم تكلم)**، وهذه في الحقيقة جربت، وهو أن القلب لا يمكن أن يعيَ أشياء كثيرة من المتناقضات في شخصية الإنسان، فطالب العلم ينبغي له أن يوطن نفسه على أن يكون للعلم أولًا وآخرًا، وأن يبتعد عن اللهو وعن إضاعة الوقت، وأنه إذا فكر، فكر في العلم، وإذا تكلم، تكلم في العلم، وهذا يعطي حياته إقبالًا على العلم ورغبة فيه؛ ولهذا يختلف منطق فلان عن منطق الآخر، لم؟ لأن هذا عاش لغة أهل العلم، عاش مع الصحابة

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١٦٤)، وابن عساكر في تاريخه (٥/ ٢٩١).

عاش مع التابعين، عاش مع مالك والشافعي وأحمد وسفيان، عاش مع البخاري، عاش مع الأئمة: كابن خزيمة، وشيخ الإسلام، ابن تيمية، وعاش مع أئمة الإسلام، فمنطقه منطقهم؛ لأنه يحاورهم، ولأنه يغرف من بحار علمهم.

أما إذا كان السماع من كل ما يتكلم فيه الناس، ويتكلم أيضًا بما يسمع، يقرأ ما هب ودب من كل شيء، ويتكلم بما يقرأ، فلابد إذًا أن يؤثر هذا على قلب المسلم بعامة، وأن يؤثر على قلب الخاصة وطلاب العلم، وهذا يعني أن المرء ينبغي أن يلاحظ نفسه، وألا يجعل قلبه موردًا لكل شيء، ولكن يحدد طريقه، ويبين لنفسه منهجًا، ثم يسلك ذلك، وأعظم المناهج منهج ورثة النبوة الذين قال فيهم ﷺ: «ألا إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1]؛ لهذا ما أعظم أن يفكر المرء إذا فكر في دينه، في العلم، فيما ينتفع به! وإذا تكلم، تكلم في أمرٍ ينفعه في دينه، في أمرٍ بمعروف، في صدقة، في خير، في تعليم علم، في تعلُم، حتى في محاوراته يكون راغبًا في طلب العلم؛ ولهذا يسمو المرء إذا قوي على نفسه، والنفس ترغب في كل شيء، فلا تجعلها كما ترغب، بل اجعلها كما يطلب الله جَلَّ جَلَالُهُ منك.

❊ ❊ ❊

(١) سبق (ص ٣١٠).

كَانَ يَخَافُ مِنَ الاِسْتِدْرَاجِ

(المروزي) كان من أصحاب الإمام أحمد، وتلامذته الذين نقلوا عنه مسائل كثيرة، قال للإمام أحمد - رحمه الله، ورحمهم أجمعين -: (**يا أبا عبد الله ما أكثر الداعي لك! يعني الذين يدعون لك، فالتفت إليه، فقال: أخاف أن يكون استدراجًا**)(١).

يقول له تلميذه - وهو صادق فيما قال -: (**يا أبا عبد الله ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون استدراجًا**) هذه الكلمة لا تكون إلا من قلب خاف الله ﷻ، واتقاه، وخشي لقاءه، وعلِمَ أن القلب يتقلب، وعلم أيضًا أن الدنيا ليست بشيء، وأن الآخرة هي المقبلة، أكثرنا بل كلنا إلا من شاء الله إذا ذُكر له ثناء الناس عليه، أو دعاء الناس له، فرح واستبشر، وربما أعجبته نفسه، والإمام أحمد - مع معالجته لنفسه - قال: (**أخاف أن يكون استدراجًا**)، وكلمة أخاف هذه؛ لأجل أن قلبه جمع ما بين الرجاء والخوف فهو يرجو، ولكنه يخاف، وإذا سمع بشيء مما فيه ثواب للعمل، قال: (**أخشى أن يكون استدراجًا**)، يعني: أن الله ﷻ يستدرجني بذلك؛ ليرى هل أعجب بنفسي أم لا؟ يستدرجني الله ﷻ؛ كما وصف ربنا ﷻ نفسه بأنه استدرج أقوامًا، يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣] فخسروا.

---

(١) انظر: الورع عن الإمام أحمد (ص١٤٩) قال المروزي: (**قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجا**).

فإذًا هذا هو الذي يجب أن يكون عليه قلب الموحد، قلب المؤمن، أن يكون دائمًا خائفًا، واليوم الكلام في فتح باب الرجاء كثير، ولكن الناس عاشوا في الرجاء، ودخلوا في الرجاء، حتى قلَّ أو ندر الخوف فيما بينهم، كلٌ يرجو، يُذكر ثواب الحسنات وثواب الطاعات، وهذا يعمل، وهذا يعتمر، وهذا يصلي، وهذا يتلو، وهذا يفعل، وكلها في أبواب رجاء، لكن أين الخوف؟ أين الخوف من الجليل ﷻ، وتقدست أسماؤه، والله ﷻ وصف ملائكته الذين لم يدخلوا تحت التكليف، الذين هم عباد نَفَسُهم تسبيح، وعملهم طاعة؛ كما قال ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ**»[1] وصف الله الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

فإذًا ليفتش كلٌ منَّا نفسه مع قول الإمام أحمد هذا، أين الخوف من قلوبنا؟! فرَّطنا في واجبات، وكلٌ حسيب نفسه، فأين الخوف؟! عملنا ذنوبًا، والله ﷻ هو المطلِّع عليها، فأين الخوف؟! فرَّطنا في حقوق الخلق، فأين الخوف؟! فرَّطنا في حقوق إخواننا المؤمنين بالغيبة، والنميمة، والحقد والحسد، والضغينة، فأين الخوف من الله ﷻ؟! ليحرِّك كلٌ منا نفسه في عمله بالخوف؛ فإن الخوف يجلب على القلب الخشوع والخضوع والرغبة في الاستعداد للقاء الله ﷻ، هذه كلمة عظيمة، ما أكثر الداعي لك! قال: (**أخاف أن يكون استدراجًا**)، فرحمه الله، ما أعظم بصيرته! وما أعظم شأنه!

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

كان أكثر جلوس الإمام أحمد أنه كان يجلس جاعلًا رأسه بين ركبتيه[١]، وكان يقال: هذه جلسة المتخشِّع؛ لأنه يفكر في نفسه، ويفكر في مآله، ويبتعد عن الجلسة التي فيها نوع تعاظم ورؤية للنفس، ولما حضرته الوفاة، ورأى الطبيب بوله وكثرة الدم فيه، قال: هذا لا يكون إلا من قلب خائف[٢] يعني: أن فترة الخوف جعلته كذلك.

مَا أَنْكَرَتْهُ العُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَهُوَ مُنْكَرٌ

من كلماته رحمه الله، ورفع درجته، وجزاه عنا وعنكم خير الجزاء، وأجزل له، ورفعه أنه قال: **(ما أنكرته العلماء من أهل السنة، فهو منكر)**[٣]، يعني: أن العلماء من أهل السنة المرجع إليهم فيما ينكر وما لاينكر، وما أنكرته علماء السنة في أبواب العقيدة، فهو المنكر، ما أنكرته علماء السنة في أبواب السلوك، فهو المنكر، ما أنكرته علماء السنة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو المنكر، يعني أن المرء لابد له أن يرجع في معرفة السنة ومعرفة المنكر إلى علماء السنة، فما أنكرته العلماء من أهل السنة، فهو المنكر الذي لا شك فيه، وهذا لا شك من الإمام أحمد فيه تربية عظيمة لكل

---

(١) انظر: الإقناع (١/ ١٩٤)، والآداب الشرعية (٣/ ٤٠٣) والفروع (٣/ ١٨٠).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٥٤٤): **(هذا الرجل قد فتت الحزن والغم قلبه وجوفه)**.

(٣) انظر: عقيدة الإمام أحمد بن حنبل (ص٦٤)، ومناقب الإمام أحمد (ص٢٢٨)، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص٥٦)، **(وما أنكرته العلماء من أهل السنة من الشبهة فهو منكر)**.

مسلم، في أنه يكون دائمًا متبعًا، مقتديًا بعلماء أهل السنة - يعني: الذين يهتمون بسنة النبي ﷺ - في أبواب التوحيد والعقيدة بجميع أبوابها، وفي أبواب العبادات والمعاملات، وفي أبواب السلوك، وفي أبواب التربية، وفي أبواب التعامل والمواقف في المجتمع، أو مع الناس، هذا المرجع فيه إلى علماء أهل السنة.

وهذا يخلي قلبك من رؤية الهوى، يخلي قلبك من تحسين ما رآه عقلك حسنا، ومن تقبيح ما رآه عقلك قبيحا، فلابد إذًا من اتباع، لابد إذًا من رجوع إلى أهل العلم، إلى أهل السنة في الفتوى.

ما أنكرته علماء السنة، فهو المنكر، يعني: لا تنكر أنت بما تراه، ولا تُعرِّف أنت بما تراه، بل لابد من رجوع إلى العلماء من أهل السنة فيما تأتي وما تذر، وهذا - لا شك - لم؟ لأن علماء أهل السنة هم ورثة الأنبياء، وهم الدالون على الشريعة، وهم الذين قال فيهم الإمام أحمد في خطبة كتابه: **(الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يهدون من ضل إلى الهدى، ويبصرونهم من العمى، ويحيون بكتاب الله الموتى. . .)**[1].

فإذًا هذا تقعيد في المرجعية، في سلوكك، لا يكن الأمر فيما تأتي وما تذر: هل هذا منكر، أم ليس بمنكر؟ هل أفعل كذا، أو ما أفعل؟ هل هذا

---

(١) انظر: عقيدة الإمام أحمد بن حنبل (ص٥٩)، ومناقب الإمام أحمد (ص٢٢٤)، **(الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى وينهونه عن الردى ويحيون بكتاب الله الموتى وبسنة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والردى)**.

الأمر صحيح، أو ليس بصحيح؟ هذا لا يكون اجتهادًا يجتهد به المسلم فيما يراه، بل لابد فيه من رجوعٍ إلى علماء أهل السنة، لم؟ لأن هذه الأبواب من أبواب العقيدة ومن أبوابِ الدين، فأبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلٌّ يدّعيها: ادّعتها الخوارج، فخرجوا بها على الأئمة، وادّعتها المعتزلة، فحسنوا بها الخروج على الأئمة، وكذلك ادّعاها طوائف، فخرجوا بها على الأئمة، لكن الشأن فيما قال علماء أهل السنة: إنه السنة، وما قال علماء أهل السنة: إنه المنكر.

حُبُّ أَهْلِ السُّنَّةِ

ومن كلماته في علماء أهل السنة أنه قال: **(أُحِبُّ أهل السنة على ما كان منهم)**[1] يعني: أن الحب يكون على السنة، تُحب لا على زهادة، لا على محبة دنيوية، لا على قرب، إنما الحب الحقيقي أن يكون حبًا لصاحب السنة، وقد يكون صاحب السنة عنده بعض المنكرات، ولكنه في اعتقاده وصفائه وتسليمه للكتاب ولسنة النبي ﷺ، تجد أنه صاحب قلب سليم من البدع والشبهات؛ لهذا قال: **(أحب أهل السنة على ما كان منهم)**، وهذا يعني بالمفهوم أن المرء يبغض أهل البدع أيضًا على ما جاء منهم؛ فإنهم لو جاءت منهم عبادة، وجاء منهم زهد، وجاء منهم بعض العلم، فإنهم يبغضون، لا لهذه الأمور، ولكن يبغضون؛ لأنهم خالفوا سنة الحبيب محمد ﷺ، ولهذا كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: **(يا حبذا نوم الأكياس**

---

(١) انظر: عقيدة الإمام أحمد بن حنبل (ص٦٦)، ومناقب الإمام أحمد (ص٢٢٩).

وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترين)[(١)] .

قال العلماء في شرح كلام أبي الدرداء هذا : إن أبا الدرداء يحبذ النائم الذي لا يقوم الليل، ويحبذ المفطر الذي لا يصوم النفل، لم؟ يقول: لأن هذا مع السنة، ومع اليقين هو على خير، قال: (**ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترين**) يعني: أن المرء إذا كان على يقين - يعني: على سنة -، فإن عمله القليل يبارك الله ﷻ فيه، وأيضًا قد يكون العبد مكثرًا من العبادة، ولكنه صاحب غرور، مغتر بعبادته، مغتر بكثرة تلاوته، مغتر بكثرة صيامه، ينظر إلى الناس، وكأنهم لا شيء، ولا يدري كيف المآل؟ ولا يدري إلام الخاتمة؟ وقد قال ﷺ: «**فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ**»[(٢)] .

لذلك كان كثير من السلف إذا تذكر الكتاب السابق بكى، وقال: قلبي معلق، ماذا سبق لي؟ وآخرون إذا تذكروا الخاتمة في هذا الحديث: «**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**»، إذا تذكروا الخاتمة، بكوا، ويقولون:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٣٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١١)، وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قلوبنا معلقة بالخواتيم، بماذا يُختم لنا؟(١)، وهذا يعني: أن المرء إذا تعبد، فإنه يتعبد مع الخوف أن لا يقبل الله ﷻ منه؛ لهذا قال بعض السلف: لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم واحد، لم يكن غائب أحب إلى من الموت، أتدري ممن يتقبل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧](٢).

إذًا في كلمة الإمام أحمد هذه تعليق لكل مسلم بأهل السنة، بأهل الاعتقاد، بأهل التوحيد، لأهل العقيدة الصحيحة الذين لا يعارضون السنة بعقولهم، لا يعارضون السنة بأهوائهم، إذا شيء مضى عليه الدليل من كلام النبي ﷺ، الذي هو بيان للقرآن، أو مضى عليه عمل الصحابة أو أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم -، فهو الحق الذي من أخذ بغيره، فهو على شفا هلكة، وكذلك العلماء الذين اقتفوا أثرهم، وعملوا بسنتهم، وساروا على هديهم.

ظَهَرَتِ البِدَعُ فَأَيْنَ طُلاَّبُ الحَدِيثِ؟

من كلماته رحمه الله أنه قال: **(ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٢١)، والبيهقي في الشعب (١/ ٥٠٨)، وابن عساكر في تاريخه (٢٠/ ١٩١)، عن السري السقطي **(قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم وقلوب المقربين معلقة بالسوابق أولئك يقولون: ماذا من الله سبق لنا؟ وهؤلاء يقولون: بما يختم لنا)**.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٢٥٦)، وابن عساكر في تاريخه (٣١/ ١٤٦)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الحديث من هذا الزمان. قالوا له: ولم؟ قال: ظهرت البدع، فمن لم يكن عنده سنة أو قال حديثًا، وقع فيها)[١]، لماذا يقع في البدع من لم يكن صاحب سنة أو صاحب حديث، لماذا؟ لأن البدع محبوبة للنفس، من جهة أن البدع يعملها أصحابها لِتُقربهُم إلى الله ﷻ.

مثل: لما جاء ابن مسعود رضي الله عنه إلى قوم - وكانوا مجتمعين -، فيقول أحدهم لأصحابه: سبحوا مائة. فيسبحون مائة، ثم يقول: احمدوا مائة. فيحمدون مائة، ثم يقول: كبروا مائة. فيكبرون مائة، وبين أيديهم حصى لذلك، فأتاهم ابن مسعود رضي الله عنه لما أخبر بذلك، وأنكر عليهم[٢]، وقال: «**لأنتم أهدى من صحابة رسول الله ﷺ، أو أنتم على شعبة ضلال، هذه آنية رسول الله ﷺ لم تُكسر، وهؤلاء أزواجه لم يتوفين** - يعني: أن العهد قريب بالنبي ﷺ -، **قالوا له** - **وكانوا من الصالحين** -: **يا أبا عبد الرحمن الخير أردنا** - يعني: ما أردنا إلا الخير: نُسبح، ونُهلل، نُسبح مائة، نحمد مائة، نكبر مائة، والأحاديث التي في التسبيح والتحميد مائة في كل يوم تعلمونها - **قالوا: يا أبا عبد الرحمن الخير أردنا. قال: كم من مريد للخير لم يحصله**»؛ يعني: أن الأمر لابد فيه من سنة، البدع مبناها على الخير، أردنا مثل ما قال أولئك، يعني: ما أردنا إلا الخير. فكل أنواع البدع التي تراها: البدع الاعتقادية في نفي صفات الله ﷻ، يقول القائل: نفينا الصفات للتوحيد - يعني: أرادوا الخير -، نفوا ما يستحقه الله ﷻ من الكمالات،

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٢٥١).
(٢) أخرجه الدارمي (٢٠٤).

ويقولون: أردنا الخير، يعني: أرادوا التنزيه، مثل ما سمت المعتزلة نفيهم للصفات: التوحيد، وآخرون سموا نفيهم للصفات: التأويل، وهكذا . . . ، يعني: أرادوا ماذا؟ أرادوا تنزيه الرب ﷻ، لكن قال ابن مسعود: «**كم من مريد للخير لم يحصله!**» وهذه - ولا شك - قاعدة، كيف ينجو المرء من هذا؟ أن يتعبد بعبادة، أو يستحسن عبادة، أو يقر آخرين على عبادة مبتدعة، وهي في ظاهرها حسنة وقربة إلى الله، وفيها خشوع، وربما فيها بكاء، كيف يكون ذلك؟ لابد من معرفة السنة والحديث وكلام أهل العلم.

. . . . **وَلَكِنْ لا تُصَاحِبْهَمْ**

كان أحد أصحاب الإمام أحمد يختلف إلى الحارث المحاسبي، فقال للإمام أحمد: إن الحارث يقول: كذا، ويقول: كذا، وفيه من الخشوع والصلاح والطاعة.

فقال أحمد: متى يأتيك؟

قال: يأتيني بعد المغرب.

فقال: إذًا سآتي، واجعلني في مكان أسمع كلامه، ولا يراني.

فأتى الإمام أحمد، واختبأ، فلما صلوا المغرب، جلسوا، فقدم لهم طعامًا، ثم صلوا العشاء، وجلسوا - يعني: رجعوا وجلسوا في البيت -، ثم جلسوا مدة، يقول: لم يتكلم الحارث فيها، وإنما كان متخشعا، عليه آثار الخوف والخشوع والطاعة، فسأله أحد أصحابه سؤالا، فتكلم بكلام أهل السلوك والرقائق، فظل يتكلم، وأصحابه منهم من تخشع، ومنهم من بكى،

قال - هذا الرجل صاحب الإمام أحمد - : فصعدت إلى أحمد ؛ لأرى ، فإذا هو يبكي .

فقلت : يا أبا عبد الله كيف الذي سمعت؟

قال : ما سمعت كلاما أحسن من هذا ، ولكن لا تصاحبهم ، لم؟ لأن هذا الكلام الذي قالوه لم يكن عليه هدي أهل السنة فيما مضى ، وإنما أتوا بكلام في السلوك جديد ، وتخشع لم يعرفه العلماء ، وطريقة جديدة لم يكن عليها من مضى ؛ فلذلك خشي عليه لهذا الإحداث أنه إذا كان معهم زاغ إلى البدعة ؛ ولهذا نهى الإمام أحمد عن صحبة الحارث وعن مجالسته في كذا موضع ؛ لأجل ما نقل له من كلام آخر له فيه بعض الغلط . قال : لم أسمع بكلام أحسن من هذا - يعني : من كلام القصاصين ، ومن كلام أهل الرقائق - ، لكن لا تصاحبهم ؛ لأن ذلك ليس من الطريقة التي جرى عليها أهل العلم ؛ لهذا قال الإمام أحمد هنا : «**ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان ، قيل : ولم؟ قال : ظهرت البدع ، فمن لم يكن عنده سنة أو حديث وقع فيها**»[١] .

وهذا في الواقع ينبغي أن يتنبه له كل أحد ؛ لأننا في هذا الزمن كلٌّ يحب الدين ، وكل يحب أن يتدين ، وأن يكون مطيعا ، وأن يخشع قلبه ، ولكن لا بد أن يكون ذلك على سنة ؛ لأن العبادة إذا لم تكن على سنة ، فهي مردودة ؛ كما قال ﷻ : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] ، قال الفضيل بن عياض في تفسير الآية : (**أحسن العمل أخلصه وأصوبه ، قيل : هذا الخالص ، فما**

(١) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٢٥١) .

الصواب؟ قال: أن يكون على سنة النبي ﷺ)(١)، وهذا هو معنى قول النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢) رواه مسلم في الصحيح.

فإذًا المسألة ليست مسألة أن هذا يرقق القلب، هذا ينفع الناس، هذا يُذكر الناس بالنبي ﷺ، هذا الفعل حسن، ما فيه إلا الخير، كونه ليس على سنة يكفي في رده، لم؟ لأن نبينا الذي نقتدي به ﷺ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، وهناك أعمال أحدثت، لم تكن في زمن النبي ﷺ، واعتبرت من البدع والمحدثات والضلالات، وهناك أعمال أحدثت بعد النبي ﷺ، ولم يعدها أهل العلم من المحدثات المذمومة، فما الضابط؟ كيف يميز المرء ما بين ما يُعدُّ بدعة، وما لا يعد بدعة؟

ضَوابِط البدعة

الضابط: أن ترى هل المقتضي لهذا العمل والباعث لهذا العمل موجود في زمن النبي ﷺ أم لا؟ فإذا كان الباعث للعمل موجودًا في زمن النبي ﷺ، وتركه، ولم يعمله، ولم يأت فيه تشريع، فقد قال الله ﷻ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]؛ ولهذا قال الإمام مالك: (**من زعم أن في الدين بدعة حسنة، فقد قال أو زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة**)(٣)، والعياذ بالله.

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم واللفظ له (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ٢٢٥)، والاعتصام (ص٣٣).

إذًا ما الباعث عليه في زمن النبي ﷺ، ولم يفعله، ولم يفعله صحابته ﵃ فهذا يدل على أن الأمر إحداثه بدعة، لم؟ لأن الباعث موجود في زمنه واليوم، الباعث والمقتضي للعمل موجود في زمنه، وموجود في هذا الزمان وموجود في الأزمان التي قبله، فإذًا إحداثه لو كان من الدين، لكان مشرعًا في زمن النبوة، فإذ لم يشرع في زمن النبوة، دل على أنه بدعة ضلالة.

القسم الثاني: ما لم يكن الباعث له والمقتضي له في زمن النبي ﷺ، نمثل الأول والثاني:

الأول: مثل الاحتفالات البدعية، الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، الاحتفال بليلة القدر، الاحتفال بليلة المولد - وهي أعظمها -، ونحو ذلك، كل الغرض من هذه الاحتفالات ماذا؟

الغرض منها أن يُجلب في النفوس محبة النبي ﷺ، وأن يسمع الناس سيرة النبي ﷺ، وأن يحب الناس النبي ﷺ، وهذه إرادة خير، لكن هذا الباعث أليس موجودًا في زمن النبي ﷺ؟ الناس في زمن الصحابة، في زمن النبي ﷺ من الصحابة ﵃ ومن الأعراب وممن حول المدينة أليسوا بحاجة إلى أن يتذكروا؟ أليسوا بحاجة أن يحبوا المصطفى ﷺ؟ هم بحاجة، فإذًا لماذا تُرِكَ؟

لا شك أن الترك دين، كما أن الأمر دين، فإن الترك مع وجود الباعث دين، وإلا فيكون ثم جزء من الدين الذي يقربنا إلى الله ﷻ لم يبلغنا ﷺ.

النوع الثاني: أن يكون المقتضي للفعل جاء بعد زمن النبي ﷺ، وفي زمنه لم يكن الباعث على العمل الذي أحدث موجودًا في زمنه، مثاله: جمع

القرآن، ومثاله أيضًا: صلاة التراويح، فالنبي ﷺ صلى بهم ليالي ثم ترك؛ خشية أن تفرض عليهم[١]، فلما تُوفي ﷺ، وأتى زمن عمر رضي الله عنه المانع زال، جمع القرآن في عهده ﷺ، القرآن ينزل، فلو جمع في دفة مصحف، لكان كلما نزلت آية إما أن يمتهن القرآن، فتعلق على حواف الصحائف، ويكون شكل المصحف ليس بجيد، وإما أن تنسخ كلما نزلت آية، والله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء، معناه: لابد أن تنسخ المصحف مرة ثانية، ولهذا بدأ بجمع القرآن في مصحف واحد أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته ﷺ، هذا مثال.

إذًا فما أعظم وصية الإمام أحمد رضي الله عنه في وصيته بالسنة! يقول: **(ما أعلم الناس أحوج منهم إلى الحديث وإلى السنة من هذا الزمان لم؟ قال: ظهرت البدع)**[٢].

هذا إذا كان في البدع السلوكية والأخلاقية، فكيف بالبدع المتعلقة بالاعتقاد؟ مثلًا: مسائل الإمامة، مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسائل طاعة الولاة، عدم الخروج على الأئمة، ونحو ذلك، عارض فيها أناس كثير من أهل الصلاح، عارضوا فيها السنة بالرأي؛ فلهذا ما أعظم الحاجة إلى السنة! وتذكر مع ذلك قول الإمام أحمد في آخر الكلام: فمن لم يكن عنده حديث، وقع في البدع؛ ولهذا من لزم السنة واستسلم للحديث،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١)، من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ».

(٢) سبق (ص ٣٩١).

فإنه يجنبه الله ﷻ المحدثات بفضله وكرمه.

قال عبد الصمد بن سليمان تلميذ الإمام أحمد - في الكلمة التي ذكرتها لكم في أول هذه المحاضرة - قال: بت عند أحمد بن حنبل، فوضع لي ماءً، فلما أصبح وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب حديث لا يكون له ورد من الليل؟!

قلت: أنا مسافر.

قال: ولو كنت مسافرًا[1].

وهذه تربية عظيمة جدًا في أن طالب العلم لابد أن يكون له نسك، لابد أن يكون له إقبال على الله ﷻ، كيف يحفظ السنة؟ كيف يعلم؟ كيف يتعلم؟ كيف يعلم الفقه؟ كيف يفقه معاني القرآن؟ كيف يفقه التفسير؟ كيف يكون صاحب قرآن؟ وهو لا يعاهد نفسه بالعبادة والطاعة، وخاصة قيام الليل بما تيسر: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: ٢]، فقال ﷻ في آخر السورة: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المزمل: ٢٠]، يعني: في الليل قم بما تيسر، ولو أن تقوم بثلاث ركعات، فقم بما تيسر، يعني: لا يكن دأب طالب العلم أن يترك قيام الليل، يترك التهجد، يترك التعبد، فلابد أن يكون الرجل الذي يريد صلاح نفسه معتنيًا بهذه العبادة العظيمة، ألا وهي قيام الليل.

قيام الليل! نحن اليوم نتكلم في أمرٍ أعجب منه، وهو في أداء الواجب من صلاة الفجر في الجماعة، إذا كان الناس فيما مضى يرشدون إلى قيام الليل، فأين نحن، وكثير من المنتسبين إلى الخير لا يقوون على أداء صلاة الفجر في

---

(١) سبق (ص ٣٨٠).

الجماعة؟ فكيف إذًا يكون الحال؟ وبم يكون الكلام معهم؟ لا شك أن الأمر صعب، وكل يفتش نفسه، ولا بد من التوبة النصوح العاجلة من كل ذنب، إذا كان التفريط في الواجب، فالتوبة واجبة، وإذا كان التفريط في المستحبات، فالمرء يعاهد نفسه على ما جعل الله ﷻ فيه الفضل العظيم.

قال الله ﷻ في وصف المتقين في سورة الذاريات: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٨]، ولقد تكلم على هاتين الآيتين الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلام عظيم حسن، قال على قوله ﷻ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: قاموا الليل، فلما أتى السحر استغفروا خشية ألا يقبل منهم[1]، هذه كلمات أصحاب القلوب الحية، ونحن ليس حظنا منها إلا النقل، ورب مبلغ أوعى من سامع.

ومن كلمات الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **(عزيز عليَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن)**[2]، إذا حمل المرء القرآن في صدره، فقد آتاه الله ﷻ فضلًا عظيمًا، فيقال لقارئ القرآن يوم القيامة: «اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٥١).

(٢) انظر: الآداب الشرعية (٢/ ٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

القُرْآنُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون

صاحب القرآن هو أحق الناس بالطاعة، صاحب القرآن هو أحق الناس بالخشوع، صاحب القرآن هو أحق الناس بالإقبال على الجنة والهرب من النار، صاحب القرآن هو أحق الناس بالبعد عن الانجراف في الدنيا؛ ولهذا قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عزيز عليَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن**) يعني: الدنيا لمن وعى خير أم القرآن؟ وهل ثم مقارنة؟! وهل ثم نسبة؟! لهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة يونس: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، عند تفسير هذه الآية روى ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناده في التفسير، قال: لما أتت إبل الصدقة، قال غلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له: يا أمير المؤمنين هلم بنا ننظر إبل الصدقة، فذهب، وكانت إبل الصدقة محبوسة في المراعي خارج المدينة، فلما أقبل عليها، انبهر الغلام بذلك من كثرتها، فقال: يا أمير المؤمنين هذا فضل الله ورحمته، فالتفت إليه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: كذبت، ولكن فضل الله ورحمته: القرآن؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وهذا مما يجمعون[١]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٠)، (**لما قدم خراج العراق إلى عمر، خرج عمر ومولى له، فجعل عمر يعد الإبل، فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله ويقول مولاه: يا أمير المؤمنين، هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت، ليس هذا هو، يقول الله**: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأخرجه الطبري (٦/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٦٥٩)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (**فضله الإسلام ورحمته القرآن**).

القرآن لمن حفظه، وعلم تفسيره، وأنس به، وقام به، أو أم الناس بالصلاة بالقرآن، عزيز أن تذيبه الدنيا، عزيز أن يكون صاحب شهوات، عزيز أن يكون موغلًا في الشبهات، أو متوغلا في الشهوات، عزيز أن يكون صاحب القرآن الذي عرف بالقرآن أن يكون صاحب عصيان وصاحب إعراض، والله ﷻ أكرمه بأن يكون قلبه وعاءً لكلام الله ﷻ؛ لذلك ما أعظم هذه الكلمة في تحسر الإمام على أصحاب القرآن: «**عزيز علي**»، يعني: يعظم علي، وأتحسر، «**عزيز عليَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن**»، ما الدنيا بجاهها؟! ما الدنيا بمالها؟! ما الدنيا بنسائها؟! ما الدنيا بجميع ما فيها بجنب أو بالقياس إلى كلام الله ﷻ؟!

النبي ﷺ وصف ركعتي الفجر، فقال: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[1]، هذا لمن؟ لمن وعى حقيقة الدين وحقيقة المآل.

مَعَ المَحْبَرَةِ إِلَى المَقْبَرَةِ

الإمام أحمد له ولدان: عبد الله وصالح، وليسا بشقيقين كل واحد منهما من أم، قال صالح بن الإمام أحمد: رأى رجل مع أبي محبرة، يعني: المحبرة مكان الحبر سابقا، كانت الكتابة بقطعة خشب مبرية أو تبرى، تغمس في المحبرة في الحبر، ثم يكتب بها، فكان طالب العلم دائما معه المحبرة، ومعه القلم، قال: رأى رجل مع أبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله - انظر كيف الناس يغرون حتى عظماء الرجال - قال: يا أبا عبد الله

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين؟ يعني: مستنكرا أن يحمل المحبرة؛ كما يحملها صغار الطلبة، أو أن يقرأ في كتاب، أو أن يحرص على الاطلاع؛ كما يحرص عامة طلبة العلم، فالإمام أحمد قال له كلمة تقطع كلامه وفكره، قال له: **(مع المحبرة إلى المقبرة)**[١]، ماذا يعني؟ يعني: مع العلم إلى أن أموت، وهذه هي التي قالها في رواية أخرى لأناس آخرين: قال: **(أنا أطلب العلم، حتى أُدخل القبر)**[٢]، ولهذا لما كان في وقت احتضاره، يعني: في قرب وفاته، قال لهم: هاتوا لي حديث هشيم، فذكروا له من حديثه - وهشيم هو: هشيم بن بشير، وهو أول شيخ للإمام أحمد لقيه الإمام أحمد سنة **١٧٩** هـ، وكانت سنه إذ ذاك إذ طلب العلم بين الخمس عشرة والست عشرة؛ لأنه مولود سنة **١٦٤**هـ، وبدأ في طلب العلم سنة **١٧٩**هـ - فقرؤوا الحديث، وذكروا أن ابن سيرين كان يكره الأنين، وكان المرض قد اشتد بالإمام أحمد، وكان يئن، فلما قالوا له: إن ابن سيرين كان يكره الأنين، قالوا: فما أنَّ حتى مات[٣]، هذه: **(أنا أطلب العلم حتى أدخل القبر)**، يعني: لابد أن أستفيد العلم، لا أن أتعلم في فترة الشباب، حتى إذا بلغت مبلغا: صرت مدرسا، أو صرت معلما، أو صرت محاضرا، أو صرت دكتورا، أو صرت مؤلفا يشار إليه، هل انتهيت؟! هذه

---

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٣٧).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٣٧).

(٣) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٥٤٦)، عن عبد الله بن أحمد: **(قال أبي في مرضه الذي توفي فيه: أخرج كتاب عبد الله بن إدريس، فقال: اقرأ علي حديث ليث، قال: قلت لطلحة: إن طاووسا كان يكره الأنين في المرض فما سمعت أبي يئن في مرضه حتى مات)**.

حال من لا يعرف حقيقة الأمر.

العلم علم ماذا؟ علم كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، وهل أحد يرتوي من معرفة معاني كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ وما قاله العلماء في بيان الكتاب والسنة؟ لا أحد يرتوي لمن صحت نيته وصح قلبه؛ لهذا قال الإمام أحمد: (**مع المحبرة إلى المقبرة**)، يعني: أنه خاطب الجميع بأن يلازم طلب العلم، وألا يترك طلب العلم لأي عارض من العوارض.

ونحن نرى اليوم في حلق المساجد طائفة كثيرة ممن رغبوا في العلم، طلبوا العلم شهرين، ثم تركوا، ثلاثة شهور، ما هذا؟ وبعضهم طلب ثلاث سنين، أربعًا، خمس سنين، سبع سنين، وترك لماذا؟ هل إذا جاءتك الدنيا، انصرفت إليها؟ هل إذا جاءك منصب انصرفت إليه؟ هل إذا جاءك جاه، وأصبحت مديرًا لمدرسة، وأصبحت دكتورا انقطع العلم؟

لا، لابد أن تكون طالب علم حتى تموت، وبهذا يصلح حال الناس إذا كان علماؤهم، وإذا كان طلبة العلم فيهم دائما مع هذه الوصية: (**مع المحبرة إلى المقبرة**)، يعني: مع الكتاب إلى الموت، مع القراءة، مع التعلم، مع الحفظ، مع المذاكرة، مع المدارسة إلى الأبد. الآن الناس يقولون: أحكام الصلاة عرفناها، وإذا سألتهم عن كثير من الأحكام لم يعلموها، لم؟ لأنهم قنعوا بما عندهم، وفرحوا بما عندهم من العلم، نسأل الله العافية، إذا سألتهم في أمر أعظم من الصلاة، في مسائل في العقيدة، في التوحيد، وجدت أنه لا يحسن، وكان طالب علم لم؟ لأنه فرط وترك.

العلم عزيز، إن تركته، تركك، وإن أقبلت عليه، أعطاك شيئا منه بما قدر الله ﷻ لك.

لقد أخذت في هذه النخبة المختارة من كل تلميذ للإمام أحمد وصاحب قول قولا ، وإلا فسيرته عطرة ، وكلماته كثيرة متنوعة ، ومدرسة ينبغي لكم أن تنظروا فيها ، وأن تتدبروا ، فلا شك أنه إمام أهل السنة قولا وعملا .

اللَّهُمَّ مُنّ عَلَيَّ بِحِفْظِ القُرْآنِ فِي عَافِيَةٍ

قال الخلال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كنت أحفظ القرآن - يعني : كنت حافظا للقرآن - فلما طلبت الحديث ، اشتغلت بطلب الحديث ، وبحفظه عن تعاهد القرآن وعن حفظ القرآن - يعني : فنُسي بعض القرآن ؛ وذلك لاشتغاله بالحديث - قال الإمام أحمد : كنت أحفظ القرآن ، فلما طلبت الحديث ، اشتغلت ، فتفلت مني ، فسألت الله ﷻ أن يمن علي بحفظه ولم أقل في عافية - يعني قال : اللهم منَّ علي بحفظ القرآن - يقول : ولم أقل في عافية - يعني : كان الذي ينبغي أن يقول : اللهم مُنّ علي بحفظ القرآن في عافية - قال : فما حفظت القرآن إلا في السجن والقيود ؛ فإذا سألت الله حاجة ، فقل : في عافية .

أولًا : السجن والقيود للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كانت سجنا وقيودا في إحقاق الحق ؛ لإحقاق عقيدة السلف ، لدرء ورد فتنة القول بخلق القرآن ، فسجن ، انتفع الناس جدا بسجنه ؛ إذ دل الناس على سنة النبي ﷺ وعلى الاعتقاد الصحيح في مسألة خلق القرآن ، لكنه وإن كان سجن في هذا الأمر ، لكن السجن ليس بعافية ؛ ولهذا قال الإمام أحمد : ولم أقل : في عافية ، فسألت الله أن يحفظني القرآن ، ولم أقل : في عافية ، قال : فما حفظته إلا في السجن والقيود .

وهذه لا شك كلمة عظيمة في أن المرء ينبغي أن يتفطن في دعائه، وأن يسأل الله ﷻ العفو والعافية دائما، وإذا طلبت شيئا من ربك ﷻ، فاطلب أن يكون في عافية؛ لأنك لا تدري ما الذي يحدث لك؟ ربما لا يحصل لك شيء إلا في مرض يقعدك، ربما لا يحصل لك شيء إلا في فقدان لأولادك وأهلك، وتجلس منفردا في بيتك، ربما لا يحصل لك شيء إلا في غربة لا تحمدها، ولا تختارها؛ فلذلك اسأل ربك دائما في عطائه أن يكون مع العفو والعافية.

مثلها: الاستعاذة بالله من الفتن، يعني من الفتن المضلة؛ ولهذا في دعاء الداعي بأن يعيذه الله ﷻ من الفتن قال العلماء: الأفضل أن يستعيذ من الفتن المضلة، يقول: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن أو من الفتن المضلة أو أن يدعو، ويقول: اللهم إني أعوذ بك أن أفتن عن ديني أو نحو ذلك؛ لأن الخير فتنة، ولأن الأهل فتنة، ولأن المال فتنة، وهذه أشياء لابد للإنسان من أن يتعامل بها، لابد أن يتزوج، لابد أن يكون له ولد، لابد أن يكون له مال، لابد، لابد...، إلى آخره، فهذه أنواع فتن، لكنها فتن تكون من الخير، لكن قد تضل بعض الناس؛ لذلك يستعيذ المرء بالله ﷻ من مضلات الفتن.

سِمَاتُ كِتَابَةِ العَالِمِ

قال عبد الله بن الإمام أحمد: ولد لأبي مولود، فأعطاني عبد الأعلى - وعبد الأعلى أحد العلماء علماء الحديث - قال: فأعطاني عبد الأعلى رقعة يهنئه - يعني: يهنئه بقدوم هذا المولود -، فقرأها أبي، ثم رمى بها، وقال: ليست هذه كتابة عالم ولا محدث، هذه كتابة كاتب من الكتبة.

هذه تربية لعبد الله، وأيضا استنكار من هذا العالم الذي إذا كتب لم يظهر العلم في كتابته، وهذه في الحقيقة نشكو أنها أيضا في هذا الزمان، أن لغة العلم في المكاتبات، وفي التهاني . . . ، وإلى آخره فقدت، أو أنها لا يعتني بها أصحابها، والذي ينبغي أن يكون طالب العلم، أو أن يكون العالم، أو أن يكون المعلم، أن يكون لعلمه أثر فيما يكتب، حتى في التهاني، لايكتب كما يكتب الصحفي، لا يكتب كما يكتب العامي، لا يكتب كما يكتب رجل الدنيا، لابد أن يكون له سمت، وله هيئة في كلامه وفي كتابته أيضا، فلما خالف عبد الأعلى ما ينبغي في ذلك رمى بها الإمام أحمد، وقال: ليست هذه بكتابة عالم ولا محدث، هذه كتابة كاتب من الكتبة، يعني: أن صيغتها ليست بصيغة كلام لأهل العلم، الذي فيه دعاء مثلا، وفيه ذكر بعض السنة في الإتيان بالمولود، وفيه تذكير ببعض الفوائد، أو نحو ذلك مما ينبغي.

لا تُكْثِرْ مِنْ تتبع الأَئِمَةِ في الطرقات

الهدي الأخير من معين الإمام أحمد الذي لا ينضب قول محمد بن الحسن بن هارون: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد[1]، وقال عبد الله بن الإمام: كان أبي إذا خرج يوم الجمعة، لا يدع أحدًا يتبعه، وربما يقف؛ حتى ينصرف الذي يتبعه[2].

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٣٧٧).
(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص٣٧٧).

لماذا يكره الإمام أن يتبعه أحد؟

لأن هذه فتنة للمتبوع، ومذلة للتابع، الإمام يعلم أنهم إن تبعوه، فسيستفيدون من هديه، سيستفيدون من دعائه، ربما سألوه عن علم، لكن لعظم معالجته لنفسه كره أن يفتن بكثرة من يمشي وراءه في أمر من أمور العبادة، كان لا يرضى أن يتبعه أحد، يحب أن يمشي وحده، ويحب أن يعالج أمره، وأن ينصرف من الصلاة، وأن يقبل على بيته وحده، وهذا أدب لكل من ابتلاه الله ﷻ بالتصدر، سواء كان تصدرا علميا، أو تصدرا من جهة الجاه، أو كان تصدرا من جهة الدنيا، فيجب أن يذل نفسه، ويجب ألا يعين الشيطان على نفسه.

إن الوسائل لها أحكام المقاصد، فإذا رأى من نفسه إعجابا وكبرا وعظمة، أو أن نفسه تعاظمت، فليقصرها على ما فيه زلتها؛ حتى تستقيم له؛ لأن الكبر أمر عظيم وكبيرة من كبائر الذنوب، وقد قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[1]، وهذا مما ينبغي أن يتعاهده هؤلاء الذين ابتلاهم الله ﷻ بالتصدر على أي نوع كان، وأيضا مما ينبغي أن يعتني به الأَتْبَاعُ ألا يخالفوا من يرغب في ذلك، فإذا كان العالم يرغب في ذلك، فليتخففوا، فليستفيدوا منه في أي موطن يلقونه فيه: في مجالس العلم، ومجالس التدريس، وفي أي مكان، لكن لا يتبعونه في كل مكان؛ لأنه ربما يكره ذلك، بل كل عالم رباني مخلص صادق يكره أن يتبعه الناس وأن

---

(١) أخرجه مسلم (٩١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

يعظموه؛ لأن التعظيم يخشى على القلب من آثاره؛ لهذا قال ابن مسعود في نصيحته لتلامذته، ونهاهم أن يتبعوه قال: **(إنها مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع)**[(١)].

أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الملازمين لتقواه، القاهرين أنفسنا على ما فيه رضاه، كما أسأله سبحانه أن يجزي عنا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله خير الجزاء، فلقد كان في زمنه كأبي بكر رضي الله عنه في زمنه، فكانت الردة في زمن أبي بكر، وكان لها أبو بكر رضي الله عنه، وكانت فتنة القول بخلق القرآن والفتن المضلة في زمن الإمام أحمد، وكان لها أحمد بفضل الله ﷻ ونعمته.

اللهم اجز عنا أئمة الإسلام وعلماء الملة خير الجزاء على ما ورثونا من هذا العلم العظيم وهذا الهدي النافع.

اللهم واجعلنا من المهتدين بنبيك، المستنين بسنته، الناهجين طريق صحابة نبيك ﷺ.

اللهم ومنَّ علينا بالاستقامة على السنة وبالختام الحسن.

ربنا ثبتنا على ما فيه رضاك، حتى نلقاك وأنت راض عنا.

اللهم أحسن خاتمتنا. اللهم أجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة.

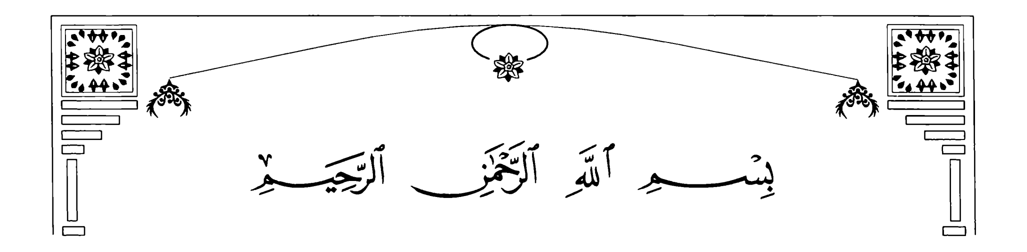
اللهم إنا نعوذ بك أن نزل أو نُزل، أو نضل أو نُضل، أو نظلم أو نُظلم، أو نجهل أو يُجهل علينا.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٠٢).

اللهم وأصلح ولاة أمورنا، ووفقهم اللهم إلى ما تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل له المثوبة والمغفرة محاضرة في مكة المكرمة

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والقائل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، والقائل: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، والقائل: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى تركنا على بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك، اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد كلما صلى عليه المصلون، وصلِّ اللهم عليه كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلم اللهم تسليمًا مزيدا.

أما بعد: فأسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم وإخواننا المؤمنين ممن إذا أعطيَ شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وهؤلاء الثلاث هن عنوان السعادة لمن وفقه الله ﷻ إليها.

ثم إني في فاتحة هذه السلسة من المحاضرات، التي تفضل باقتراحها أخي الشيخ أحمد بن نافع المورعي، ودعاني إلى إلقاء هذه المحاضرة الخاصة بإمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ لأنه من أهل مكة، وأهل مكة يقولون: أهل مكة أدرى بشعابها، كما أني أشكر للأخ الشيخ العزيز: عبد الرحمن فقيه مكالمته لي، ودعوته الكريمة، وترحيبه بي في هذه المحاضرة، وأشكر إخواني في مركز الدعوة والإرشاد وفرع الوزارة في هذه المنطقة على عنايتهم بالمحاضرات وبالدعوة وبالإرشاد، وبكل ما فيه تقريب للناس إلى ما يحبه الله ﷻ ويرضاه، ولا شك أن الدعوة إلى الله ﷻ والإرشاد هي مهمة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وهي مهمة من أحب رسولنا محمدا ﷺ؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

الحديث عن أئمة الإسلام الذين أثروا في الأمة بالدعوة إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح، ودعوا إلى ذلك، وألفوا، وجاهدوا، وأرشدوا، الحديث عن هؤلاء مهم في هذا الزمن؛ لأن تقديم النماذج الحية من أهل العلم والدين، ممن أثر، ودعا، وعلم، وصبر؛ حتى كان لدعوته الأثر البالغ في هذه الأمة، إن الحديث عن سير هؤلاء العلماء والأئمة يؤثر في النفوس من جهات عديدة: يؤثر أولًا في أن يعلم أنه ليس التمسك بالإسلام والدعوة إليه والجهاد في سبيله شيئا اختصه الله ﷻ بالرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ، بل إن دين الله ﷻ كما خاطب الله به الأولين، فقد خاطب به المتوسطين والآخرين، فدين الله واحد، والناس مخاطبون به في كل زمان ومكان.

وفي كل زمان جعل الله ﷻ من أهل العلم والدين من يجدد لهذه الأمة أمر دينها؛ كما جاء في السنن بإسناد قوي، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»[١]، وهذا أيضًا مهم ليعلم كل أحد أن هذه الأمة لابد أن تبقى فيها طائفة ظاهرة على الحق، قائلة به، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم.

فأئمة الإسلام وأعلام الدين منهم من بلغ، وأدى الأمانة، ونصح، وجاهد، لكن لم يظفر بأن رأى نتيجة دعوته، أو أن يكون له التمكين، ومنهم من دعا، ومكن الله له، وإذا تأمل المرء ذلك، فإنه ينظر إلى أن ظهور هذه الطائفة في الأمة بما وعد به الرسول ﷺ لابد حاصل بوعد الله الكريم؛ قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»[٢] وفي رواية: (**حتى تقوم الساعة**)[٣].

وهؤلاء ظاهرون بالعلم واللسان والبيان، وظاهرون تارة بالسيف والسنان، ولابد أن تكون هذه الطائفة موجودة في الأرض، ولابد أن يكون نصيبها الظهور دائمًا بالبيان والحجة واللسان، وبما كان بالسنان والجهاد في سبيل الله جهاد اليد.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

سِيرَةُ الأَئِمَّةِ تُنْعِشُ النُّفُوسَ

ولهذا فإن تقديم سيرة أئمة السلف الصالح وأئمة دعوة الإسلام ينعش النفوس، ويصل الشباب الحاضر بأئمتهم الماضين؛ حتى يعلموا أن العلم لا يُنال براحة الإنسان، وأن التأثير والدعوة ليست كلمة تقال، وإنما لابد فيها من العلم والعمل؛ كما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقال لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] فالعلم والعمل بهما الصلاح، وبهما الفلاح للحاضر من عباد الله ولمن نستقبل من الناس؛ لأنه لابد أن يكون للعلم والعمل الأثر في الحياة.

لهذا جاء اختيار هذه السلسلة مبتدئة بإمام مصلح مجدد هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي الوهابي التميمي[(١)]، وسيرته معروفة لدى الأكثرين، ولن نتطرق إلى تفاصيل سيرته، بحيث نتطرق إلى ما كان عليه في أول حياته، وما كان عليه في طلبه للعلم، وسيرته بالتفصيل إلى وفاته، فهذه شأنها في المؤلفات الكثيرة التي أُلِفت عنه رحمه الله، ولكن نأخذ نبذة من سيرته وحياته، ثم نتطرق إلى أثر حياته ودعوته، وما تميزت به في الناس، وما أثرت به في ذلك الزمن وفي حاضرنا الذي نعيشه.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (ص٧٥)، وعنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٦)، وعلماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٦)، والرسائل والمسائل (٣/ ٣٧٨)، والدرر السنية (١٢/ ٣).

مَوْلِدُ الإِمَامِ وَبِدَايَاتُه

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد سنة ألف ومائة وخمسة عشر من الهجرة، وتوفي سنة ستٍ ومائتين وألف لهجرة النبي ﷺ، وكانت حياته تلك - منذ عشر السنين الأولى - وهي في العلم والعمل، إلى أن توفاه الله ﷻ، قد حفظ القرآن صغيرًا، وأمَّ الناس حفظًا من القرآن، وهو لم يبلغ سن الخامسة عشرة، وحج بيت الله الحرام بعد أن احتلم، وهو دون الخامسة عشرة، يعني في نحو الثالثة عشرة؛ لأنه ولد سنة خمس عشرة ومائة وألف، وحج سنة سبع وعشرين ومائة وألف.

وهذه الحصيلة المبكرة من حفظ القرآن، والرغبة في الحج، مع بعد المسافات إذ ذاك، وتعب الراحل إلى مكة المكرمة، لا شك أنها تنبئ عن قوة علمية وقوة في العمل، ورغبة في عبادة الله تعالى.

رِحْلاتُهُ فِي طَلَبِ العِلْمِ

منذ ذلك السن المبكر رعاه والده أحسن رعاية، وكانت له عدة رحلات، أولها إلى حج بيت الله الحرام، فحج البيت، ومكث في مكة مدة، ثم ذهب إلى المدينة، ثم رجع إلى العيينة إلى نجد.

وبعد ذلك حج مرة أخرى نحو سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، يعني: وهو ابن عشرين سنة، وكانت هذه الرحلة الثانية، رحلة قصد فيها بعد أداء العبادة أن يتصل بعلماء الحرمين - علماء مكة، وعلماء المدينة -؛ ليأخذ

عنهم العلم؛ كما قال طائفة ممن ترجموا له أنه بعد رحلته الأولى وقع في نفسه أن يأخذ من علماء مكة وعلماء المدينة وعلماء الشام، فرحل رحلته الثانية هذه، واتصل بعدد من العلماء في مكة والمدينة، ولازمهم طويلًا.

وكان من أبرز من لازم في تلك الفترة الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من أهالي نجد، ولكنه سكن المدينة، ومنهم الشيخ محمد حياة السندي في المدينة، وممن أجازه في حجته الأولى مسند مكة وعالمها الذي جمع مسند الإمام أحمد بعد تفرقة: الشيخ العالم عبد الله بن سالم البصري، فأجازه بكتاب القرى لقاصد أم القرى.

ويُروى من طريق عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن أبيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذه الإجازة نازع فيها بعضهم، ومنهم - وهم الأكثر - من أثبتها، وتحقيقها محل نظر، لكنه معروف في الإجازات أنه أخذ ذلك عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري؛ كما أثبت ذلك الكتاني في فهرس الفهارس، والإثبات نقلًا عن الشيخ محمد عابد السندي.

ثم بعد ذلك رحل إلى البصرة عدة مرات، رحل إلى البصرة، ورجع إلى الأحساء، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى البصرة، وأخذ عن عدد من علمائها، وكانت له في هذه الرحلات العلمية مواقف مع العلماء الذين أخذ عنهم، ودرس عليهم؛ حيث إنه كان بعد حفظه للقرآن في صغره، كان مهتمًا بتفسير القرآن العظيم، ولذلك تأثر في دعوته وفي أسلوبه وفي كلامه في التوحيد بإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث إن الإمام محمد ابن جرير الطبري من أوائل العلماء الذين تكلموا بتفصيل فيما كان عليه أهل

الجاهلية في أنواع عباداتهم، وعبادة الأوثان والأصنام، والفرق بينها، وعبادة الآلهة المختلفة، وتقسيم التوحيد إلى: توحيد ربوبية، وأُلوهية، وإلى الإيمان، والتوحيد بالأسماء والصفات، تأثر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثيرًا بمدرسة الإمام محمد بن جرير في التفسير، فأخذ بالتفسير المأثور، مع ما قرره الإمام محمد بن جرير في ذلك مبكرًا.

ثم إنه حصل كثيرًا بعد ذلك من كتب شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية، وتلميذه العلامة: شمس الدين ابن القيم، واستفاد منها كثيرًا، وقرأ كتب الحديث، وأُجيز بكثير منها، وكان - كما وصفه ابن بدران في المدخل[١] - قد ملأ وطابه من السنة والحديث وشروحه، ومن علم الفقه على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، وهذه السيرة المبكرة في الأخذ عن العلماء، والشرف في العلم، والحفظ، والتدوين، واقتناء الكتب، ومعرفة ذلك لم تكن بعيدة عن النظر في واقع الناس إذ ذاك، وما هم عليه من أنواع المخالفات الشرعية، فكان ينكر في نفسه، وربما حاور أباه الشيخ عبد الوهاب - قاضي العيينة وقاضي حريملاء - ربما حاور أباه في بعض ما يصنعه الجهلة في نجد من عبادة بعض الأشجار واعتقاد فيها، أو بعض الغيران في بعض الجبال، أو الاعتقاد في بعض الموتى، وأن الأولياء لهم تصرفات في ملكوت الله عَزَّ وَجَلَّ، وامتلأ ذلك في نفسه، حتى أتى وزار بلاد الحرمين، وحاور عددًا من المشايخ في بعض ما يراه، وكلهم أوضح له ما هو الصواب في أنه ما يفعله الجهال في الاعتقاد ببعض الأماكن الأثرية،

---

(١) انظر: المدخل لابن بدران (ص٤٤٩).

أو بعض الأشجار، أو بعض القبور، أو نحو ذلك، أنه ليس موافقًا للسنة، بل هو من الشرك المحقق؛ كما قاله له عدد من علماء مكة والمدينة.

ورحلة الشيخ إلى البصرة أخذ فيها عن عدد من العلماء، وهذه السيرة المبكرة قوي فيها جانبه في العلم، وتحصيل الكتب، والنظر فيما عليه المسلمون في عدد من أماكن العالم الإسلامي.

وغلط من قال: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحل إلى الشام، أو رحل إلى بغداد أو إلى الموصل، بل هو لم يتعد البصرة، كان ينوي أن يذهب من البصرة إلى الشام، وكان ينوي أن يذهب من المدينة إلى الشام، ولكن وقعت له حوادث وابتلاء، وضرب من بعض قطاع الطرق؛ ما منعه من إكمال المسير في ذلك.

اتصل بالعلماء في الأحساء وفي نجد، وأخذ ما عندهم، وعرف حتى تمكن من معرفة الأمرين المهمين، وهما:

معرفة العلم الشرعي، والنصوص، ووجه الاستدلال منها.

ومعرفة ما عليه الناس، وتطبيق النصوص على واقع الناس، وهذه مسألة يحتاج إليها العلماء دائمًا في أنهم يطبقون النصوص على ما عليه حال الناس، ومن الناس ومن أهل العلم من يظن أو يأخذ العلم على أنه أداء.



مُوَافَقَةُ العُلَمَاءِ لَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأخذ العلم على أنه صنعة، وأداء، وتعليم، وتأليف، وإنما أخذه على أنه يأخذ ما تعلم؛ لأنه يدعو إليه، ويجهر بتلك الدعوة، ويجاهد في الله حق جهاده، بقدر ما أعطاه الله وآتاه، بهذا تميز مبكرًا بأنه كان يسأل، ويناظر، ويبحث في تلك المظاهر الشركية والمظاهر البدعية التي كانت في زمنه في بلده، وفي غيرها من البلاد، والعلماء وافقوه؛ كما ذكر في رسالة له.

قال: وعرضت ما عندي على عدد من علماء مكة والمدينة والشام وعلماء نجد والأمصار، فوافقوني على ما ذكرته في التوحيد، وهذا صحيح؛ لأن أكثر العلماء في ذلك الزمن، بل وما قبله يتفقون على معنى التوحيد إجمالًا، وعلى بعض التفصيلات فيه، وكذلك على إنكار الشرك، وعلى بعض أفراد الشرك.

ولهذا كان لما نظر فيه من الأدلة، وربطها بالواقع، الأثر في أن تتمخض دعوته رحمه الله إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك بالله عز وجل، فمكث يقرأ، ويتعلم إلى أن توفي والده الشيخ عبد الوهاب رحمه الله.

ولما توفي، كان الشيخ قد أصبح يافعًا وقويًا، وأصبح يعلن بعض ما عنده من الفهم بنصوص الكتاب والسنة، والإنكار للمنكرات التي في زمنه، وهذا كان في حريملاء أولًا، وفي العيينة، ثم في بعض البلاد من القرى التي حولها؛ كالجبيلة ونحوها، حتى صار لقاؤه بأمير الدرعية محمد بن سعود بن

مقرن في اللقاء المعروف سنة سبع وخمسين ومائة وألف، ثم تكونت الدولة السعودية الأولى بعد ذلك العهد في الفترة الأولى، ولم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تلك الفترة الأولى قبل بدء الدولة مقتصرًا على تعلمه، بل كان يجمع ما بين العلم وما بين الدعوة، وبين الإنكار وكتابة الرسائل.

لُطْفُهُ فِي الدَّعْوَةِ

وكان لطيفًا للغاية فيما ينكر فيه، وفيما ينصح به، حتى أنه كان يأتي إلى من هم عند قبة الصحابي الجليل زيد بن الخطاب رضي الله عنه، الذي قتل في بلد تسمى الجبيلة قريبة من الرياض، قريبة منها في وقعة اليمامة المعروفة، وكان يأتيه الجهال - كما في عدد من بلاد العالم الإسلامي - يعتقدون في ذلك الصحابي، ويطلبون منه أشياء لا تجوز أن تطلب إلا من الله ﷻ، مثل: شفاء المرض، ومثل: فتح الخيرات، وترك أو دفع الشرور عن الإنسان، . . .، ونحو ذلك، **وكان يأتيهم بالقرب من القبر، فإذا سمعهم يقولون: يا زيد بن الخطاب افعل كذا، أو أعطنا، أو اشف مرضانا، أو زوج بنتنا، أو اشفع لنا في كذا، كان يقول لهم بعبارة هادئة: الله خير من زيد**[1]، وكرر ذلك أشهرًا كثيرة، الله خير من زيد، الله خير من زيد، يرشدهم إلى أن التوجه إلى الله ﷻ وحده لا شك أنه هو المأمور به، وهو الطلب في ذلك، حتى قوي، واقتنع به الأمير - أمير البلدة -، فأمر بأن تهدم تلك القبة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٢١١).

أَنَا أَبْدَأُ بِذَلِكَ

وكانت تلك من أول مظاهر دعوته إلى التوحيد ونهيه عن الشرك، فخشيَ أهل البلد أن يفعلوا ذلك، وخشيَ الأمير أن يفعل شيئًا في قبة الصحابي زيد ابن الخطاب؛ لما يعتقدون فيه من السر والولاية الخاصة، ونحو ذلك، حتى قال له الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا أبدأ بذلك، فأخذ هو يهدم القبة، فلما رأوه لم يصبه شيء أقدم الناس على هدمها، في قرى متجاورة انتشر الخبر، حتى صارت هناك أرضية صالحة لهذه الدعوة، بحيث سمع أكثر القرى بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك.

ثم بعد ذلك حصل في قصة معروفة ارتحاله أو طرده من العيينة - بسبب سياسي - طرد من العيينة إلى الدرعية، ثم نصر دعوته الإمام المجاهد محمد ابن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتكونت الدولة السعودية الأولى التي كانت ممثلة بحق لما كان يذهب إليه الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مَلامِحُ دعوته

إذا تأملنا هذه السيرة الوجيزة، فمرحلة الدعوة والدولة يمكن أن نبين شيئًا من ملامح الدعوة - دعوة الإمام المصلح - في الفترة الأولى، ولكن في الفترة الثانية ظهرت بوضوح، حتى سمع بها القاصي والداني.



أول ما تميزت به الدعوة الدعوة إلى التوحيد:

لبُّها وروحها، أنها دعوة إلى توحيد الله ﷻ في ربوبيته وإلهيته، وفي أسمائه وصفاته، كان أكثر ما يقع فيه الناس إذ ذاك سواء في نجد، أو في الحرمين، أو في عدد من بلاد المسلمين في الجزيرة، وفي غيرها، أكثر ما يقعون فيه من أنواع الشرك المختلفة، سواء كان الشرك الأكبر أم الشرك الأصغر جهلًا منهم؛ ولأجل عدم وجود من ينبههم على ذلك في تلك الأزمان أو من يجهر بالتنبيه لهم، والإغلاظ عليهم في ذلك، فقام رحمه الله بالدعوة إلى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وألف فيها عددًا من الكتب المختلفة، التي هي سهلة في عبارتها، ولكنها موضحة لمقصود تلك الدعوة؛ ككتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وكتاب ثلاثة الأصول، وكتاب كشف الشبهات، والقواعد الأربع، ونحو ذلك من الكتب والرسائل التي تبين هذا الأصل العظيم، الدعوة إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة كانت سمة لما دعا إليه الشيخ رحمه الله.

وركز على توحيد العبادة بألا يعبد الا الله ﷻ، فنبه الناس إلى أن أنواع الشرك التي وقع فيها الجاهليون في زمن النبي ﷺ أنها يمكن أن تتكرر، ويقع فيها الناس بعد ذلك، فكان الناس يعتقدون في نجد وبعض البلاد في بعض الأشجار، وفي بعض الأحجار، وفي بعض الجبال، وفي بعض الآثار، يتمسحون بها، يقولون: هذه البقعة حل فيها الرجل الصالح، وهذه مات فيها الرجل الصالح، وهذه فيها الولي الفلاني، وهذا قبر فلان، ونحو ذلك، وتعلقت القلوب تعلقًا خفيًا بهؤلاء الأولياء وتلك البقع والأماكن.

فأعلن دعوته بأن حق الله ﷻ أن تُجعل العبادة فيه لله وحده ﷻ؛ فهو ذو الأُلوهية والعبودية على خلقه أجمعين استحقاقًا، هو الذي يستحق العبادة وحده ﷻ.

وبين لهم معنى العبادة، وأن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه وكما أنه لا يقول أحد بأنك تصلي للولي فُلان، أو تصلي للنبي ﷺ، وتجعل صلاتك له، وليست لله، فكذلك الدعاء، فإنما يُدعى الله وحده لا شريك له.

التَّوْحِيدُ وَالإِخْلَاص مِفْتَاحُ القَبُولِ

فكما أن الصلاة لا تقبل إلا بمفتاح، وهو الطهارة، فكذلك العبادة لا تقبل إلا بمفتاح، وهو التوحيد والإخلاص، فإذا أوقع العبد شكل الصلاة وهو لم يتطهر، قال الناس: هو قد صلى، ولكنه عند الله ﷻ لم يصل؛ لأنه لا تقبل صلاته إلا بطهور، وكذلك أنواع العبادة: يتعبد، ولكنه ليس بمخلص - يعني: ليس بموحد لله ﷻ في العبادة -، فإذا لم يأت بمفتاح قبول العبادة الذي أمر الله ﷻ به في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤]، وقال ﷻ لنبيه ﷺ أيضًا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، يعني: تنزيهًا لله وتعظيمًا.

فدعا إلى توحيد العبادة، وجاهر في ذلك، وأغلظ، حتى أنه إذا قدر على أي مكان يتوجه فيه إلى غير الله ﷻ، فإنه يهدم ذلك المكان؛ إنكارًا للمنكر، وتحقيقًا لما يحبه الله ﷻ ويرضاه، وإفرادًا لله ﷻ بالعبادة، فكسر عددًا من الأشجار، وهدم عددًا من القباب على القبور ونحو ذلك؛ لأجل أن لا يتعلق الجهال بها.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ في دعوته إلى التوحيد - توحيد العبادة - يجعل توحيد العبادة هو الأصل؛ لأنه من وحد الله بالعبادة، فقد وحد الله في الربوبية، يعني: من عبد الله وحده، دونما سواه، ولم يتجه إلى أحد بالعبادة، ولم يستغث بغير الله، ولم يتوكل على غير الله، ولم يخف خوف السر من غير الله، ولم يعتقد اعتقاد السر في بعض الأولياء والأنبياء، فإنه في داخله مقر بأن الله وحده هو ربه، بخلاف غلاة المتصوفة في ذلك الزمان إلى زماننا هذا، فإن منهم من كان يعتقد أن الأرض فوض الله ﷻ أمرها إلى أربعة من الأولياء، أو إلى سبعة من الأولياء، أو في بعض البلاد إلى أربعين من الأبدال، يصرفونها كيف يشاؤون، فتوجه الناس إلى هؤلاء الأقطاب، أو كما يسمونه الغوث، أو نحو ذلك في اعتقادات، طهر الله ﷻ منها هذه البلاد بفضل الله ﷻ أولًا، ثم بفضل قيام الدولة - هذه الدولة - بحقوق التوحيد ثانيا، ثم دعا إلى توحيد الأسماء والصفات، وهذا يدخل في أركان الإيمان (الإيمان بالله).



عَدَمُ الحُكْمِ عَلَى النَّاسِ دُونَ مُحَاوَرَتِهِم

ومن صفاته العامة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يحاور، ولم يكن متصفًا بالحكم على الناس دون محاورتهم، فمرة بلغه عن أحد علماء الأحساء، هو عبد الله ابن عبد اللطيف الأحسائي أنه كان ينكر بعض ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، فكتب إليه رسالة - موجودة طويلة، فيها فوائد كثيرة وهي موجودة في الرسائل والمسائل، وموجودة في الدُرر السنية، وفي تاريخ ابن غنام، وفي غيرها . . . - أجاب عن عدة مباحث وأسئلة، ثم قال له في آخر رسالته: **(وإني لما زرتك في الأحساء رأيتك كتبت على أول كتاب البخاري - فيما قرره من أن الإيمان قول وعمل - رأيتك كتبت عليه في هامش كتابك: هذا هو الحق)**[1]، وسرني هذا منك جدًا؛ لأجل مخالفته للعلماء الذين أخذت عنهم - لأن الأشعرية في ذلك الوقت في الأحساء لا يقولون بهذا الأصل؛ لأنهم من المرجئة، وهو سَرَّه أن يكون هذا يخالف؛ لأن هذا دليل على أنه يبحث عن الحق، ومادام علق على أحاديث النبي ﷺ التي تدل على أن الإيمان قول وعمل بأن هذا هو الحق، دل على رغبته في الخير - قال له - وهذه من الأشياء المهمة التي ينبغي لطالب العلم والدعاة أن ينتبهوا لها -: **(وإني لأدعو لك في صلاتي، وأسأل الله لك أن يجعلك فاروقًا لهذه الأمة في آخر الزمان، كما جُعِلَ عُمر بن الخطاب فاروقًا لهذه الأمة في أولها)**[2]، وهذا لين وتواضع ومحبة، وكل داعية إلى الله ﷻ إذا كانت دعوته

(١) سبق عزوه (ص ٢٥٩).

(٢) سبق عزوه (ص ٢٦٠).

مع اللين والمحبة والرغبة في نفع الخلق وعدم التعالي عليهم، فإن هذا ينفع كثيرًا برسالة حسنة الأسلوب، وبكلام طيب، فإنه ينفع، ثم إذا لم يكن إلا الجدال والعناد، فإن حق الله ﷻ أعظم من حق المخلوق؛ كما هو معلوم، وكانت له مراسلات كثيرة في تقرير هذا الأصل، وهو توحيد الله ﷻ، وله كتابات في ذلك متنوعة.

التَّرْكِيزُ عَلَى العَقِيدَةِ العَامَّةِ فِي الدَّعْوَةِ

من الأصول العامة التي ركز عليها، ودعا إليها: العقيدة العامة في الدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، على ما كان عليه السلف الصالح؛ لأنه كان في زمنه في الجزيرة كلها كان هناك عدة مذاهب كثيرة في مسائل الاعتقاد، وكان مذهب السلف لا يكاد يُذكر فيها، وإنما كان الأكثرون على مذاهب المتكلمين: مذهب الأشعرية، أو الماتريدية، أو الزيدية، أو نحوها من المذاهب، فقرر الإمام رحمه الله مذهب السلف الصالح، ودلل عليه، وناظر في ذلك، حتى انتشر، ورأى الناس فيه، في زمنه من العلماء ومن طلبة العلم، رأوا في مذهب السلف الصالح البساطة والوضوح، وأنه هو النقاء الذي لا يدخل طالب علم العقيدة، لا في مباحث كلامية، ولا في مناظرات لاهوتية - كما يقال - أو تدخل في فلسفة غير محمودة، فدعا إليها ببساطة، وقال: إن الأصل الشرعي أن لا يتجاوز القرآن والحديث، فما جاء في كتاب الله، قلنا به، وما جاء في سنة رسول الله ﷺ، قلنا به، وما عدا ذلك، فإنه يُعرض على الكتاب

والسنة، فإن كان فيهما، فإن الحق قبوله، وإن كان قيل بعد ذلك ليس فيهما، فإن الحق رده؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(١)، وفي لفظ قال: «**هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(٢).

وهذا يدل على أن الأمة ستفترق، فإذا كانت الأمة ستفترق؛ لخبر النبي ﷺ الصادق، وقوله: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(٣) كلها في النار - يعني وعيد لها -، وليس معناه أنها مخلدة في النار، ولكن متوعدة على بدعتها وانحرافها بالنار؛ لأن الفرق الخارجة عن الإسلام لا تدخل في الثنتين والسبعين فرقة هذه، لما قال: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ**»، وجب أن يُرجع إلى الحق، وجب أن يُرجع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

ونحن نعلم يقينًا بأنه في مباحث الاعتقاد في مسائل الإيمان، في الغيبيات في القول بالأسماء والصفات، في عدم الأخذ بتأويل الغيبيات، لا الأسماء والصفات، ولا الميزان، ولا أخبار الجنة والنار، ولا ما يتصل بذلك، وفي القدر. . . ، إلى آخره، كل ما هو من سبيل الغيب، مما لا ندركه إلا بخبر

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٩٢)، والدارمي (٢٥١٨)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، من حديث معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأخرجه: الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٧)، والصغير (٢/ ٢٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (**وما هي تلك الفرقة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي**).

(٣) أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ (٣٩٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

الله جَلَّ وَعَلَا، أو خبر رسوله ﷺ، فإنه لا مجال لنا إلا التسليم بخبر الله عَزَّ وَجَلَّ وخبر رسوله ﷺ، وإذا كان كذلك، فإنه وجب على الجميع أن يستسلموا للنص، وهذه البساطة في العقيدة هي التي كان عليها السلف الصالح؛ ولهذا كان من كلام والد إمام الحرمين الجويني في رسالة له قال: لما تأملت الأقوال المختلفة في الصفات وفي العقيدة، ومذهب الأشعرية وغيره من المذاهب التي كانت في زمنه، لما تأملت ذلك، ونظرت فيما كان النبي ﷺ، وجدت أنه كان يتلو القرآن، ويخبر بحديثه ﷺ فيما يتصل بالغيبيات، وفي الخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته وأسمائه، وكان يحضر مجلسه ﷺ - هذا كلام العالم والد إمام الحرمين في رسالته المعروفة -[(١)] قال: (**كان يحضر مجلسه ﷺ الأعرابي، ومن هو من الحضر، وكان يحضره الذكي، وكان يحضره غير الذكي، كان يحضره العالم، وكان يحضره غير العالم، وكان يحضره القوي الملكة والإدراك، ويحضره أيضًا غير قوي الملكة والإدراك، ومع ذلك كان يخاطبهم خطابًا واحدًا بالكتاب والسنة، ولم يأت في مرة من المرات أن قال: ليس معنى هذه الآية هو كذا، وإنما معناها على خلاف ظاهرها - يعني في نصوص الغيبيات -، فلم يقل لهم مرة: إن الاستواء ليس معناه كذا، وإن العلو هو علو القهر وعلو القدر، وإن السمع أو إن القوة لله عَزَّ وَجَلَّ، أو الرحمة تفسر بكذا، والغضب يفسر بكذا مما هو خلاف ظاهره، بل أطلق ذلك، ولم يعقبه ببيان، فدل بيقين على أنه أراد ظاهر ما دلت عليه النصوص، أو هذا هو البساطة، بحيث إنه يمكن أن تلقن العقيدة للصغير والكبير بسهولة، دون**

---

(١) انظر: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لأبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين(ص٣٠).

الدخول في تفصيلات كلامية، وتفصيلات فلسفية).

وهذا هو الذي دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأسيس عقائد السلف إجمالًا وتفصيلًا، في مسائل الصفات، وفي مسائل الغيبيات: الملائكة، والكتب والرسل، وفي مسائل الإيمان، وأنه قول وعمل واعتقاد خلافًا لمذاهب المرجئة في أن الإيمان قول، أو أنه قول واعتقاد، أو أنه اعتقاد فقط، على اختلاف مذاهبهم في ذلك، أو الكلام في الجبر، في القدر أو القول بأنه لا قدر في مسائل القدر الجبرية والقدرية، فنهج بالناس ما كان عليه الناس في القرن الأول الهجري، وقرر ذلك بما قرره أئمة الإسلام: أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والإمام أحمد بن حنبل - رحمهم الله تعالى - في هذه المسائل العظام.

تَحْرِيرُ النَّاسِ مِنَ التَّقْلِيدِ

ثم بعد ذلك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتقل بالناس إلى مرحلة تالية، وهى تحرير الناس من التقليد - وهذا نأتيه سواءً في مسائل الفقه أو مسائل الاعتقاد -، وأرشد الناس إلى العناية بكتب الحديث والسنة، ونجد بالذات في ذلك الزمن لم يكن فيها من كتب الحديث إلا البخاري وأجزاء من البخاري، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مهتمًا بالسنة والحديث، فحينما رحل إلى مكة والمدينة استجاز من العلماء الأحاديث وكتب السنة، وكان أول ما أجيز في ذلك الحديث المسلسل بالأولية المعروف، وحدثه به الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف عن شيخه أبى المواهب الحنبلي الشامي الحنبلي المعروف، وهذا الحديث

هو حديث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ»[١].

وأدخل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في نجد وعند أهل العلم وطلبة العلم كتب الحديث، وصارت تدرس، وهي لم تكن تدرس، كان غاية ما في الأمر عند الفقيه في ذلك الزمان أن يفتي على المذاهب الأربعة.

كان يحفظ أربعة متون: يحفظ في المذهب الحنفي متنًا، وفي المذهب المالكي متنًا، وفي المذهب الشافعي متنًا، وفي المذهب الحنبلي متنًا، فإذا أتاه السائل يستفتيه، قال له: على أي مذهب أنت؟ فيقول له: أنا على مذهب كذا، فيقول الفتوى كذا على مذهبه، وكان يثني على فلان من الناس بأنه كان يفتي على المذاهب الأربعة، أو كان يقضي بالمذاهب الأربعة.

ولا شك أن هذا ليس هو دين الله ﷻ؛ لهذا يذكر أن المرء يفتي، يخبر المستفتي: (**تريدني أن أفتيك على أي مذهب؟**)، الواجب على العالم أن يفتي بما دل عليه الدليل، فإذا لم يجد الدليل، دل بظهور على المسألة، فإنه يأخذ بقول إمام معتبر، يقتنع بحجته أو بقوله واجتهاده.

مما يذكر في هذا المقام: أن الشيخ منصور البهوتي الحنبلي المعروف (مصنف عدد من كتب المذهب: الروض المربع شرح زاد المستقنع، وشرح منتهى الإيرادات، وشرح كشاف القناع عن متن الإقناع، وغيرها من كتب المذهب والحواشي المعروفة) استفتاه أحد الناس مرة في مكة، وقال له في

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠) من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

مسألة سأله عنها، فأجابه، فقال له أحد تلامذته الذين معه: يا شيخ منصور هذه تخالف ما ذكرته في كتابك كذا وكذا! قال: نعم؛ لأن الكتاب ألفناه على المذهب للتعليم - أو نحوها -، وأما الفتوى، فهي لما سأل عنه يوم القيامة، وهذا الحس هو الذي عند العلماء.

الشيخ في نجد أول ما بدأ في الدعوة جعل الناس يهتمون بالدليل، ويحرصون عليه، وهنا لابد من التنبيه إلى أن الاجتهاد الذي دعا إليه الشيخ رحمه الله عورض بشدة، حتى إن من الناس من كفر الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأجل أنه ادعى الاجتهاد.

شُرُوطهم فِي المجْتَهِدِ لا تَتَوَافَرُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما

قالوا: والاجتهاد قد قفل بابه منذ أزمان؛ لأنه لا وجود لشروط المجتهد ورد عليهم الشيخ بعبارة قال: (**والمجتهد هو الموصوف بكذا، وكذا؛ أوصافًا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما**)[1]؛ لأنهم اشترطوا في المجتهد أن يحفظ كتاب كذا، وأن يحفظ من الأصول كذا، وأن يحفظ من علم البلاغة كذا، وأن... ، إلى آخره.

وهذه الأشياء متأخرة، والاجتهاد إنما هو فقه النصوص - نصوص الكتاب والسنة -، وإنما تفقه باللغة العربية وبما فهمه الأئمة، فالاجتهاد مبني على أن يكون العالم عنده الآلة للاجتهاد -الآلة العربية لفهم النصوص-

(١) انظر: الأصول الستة من الدرر السنية (١/ ١٧٤).

وأن يكون مطلعًا على أقوال الأئمة السابقين، وألا يقول قولًا يخالف ما عليه العلماء والأئمة، ولهذا لا يعرف لإمام الدعوة رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة أنه قال فيها بخلاف قول الأئمة الأربعة، لا يعرف له أنه أفتى في مسألة لا توافق قول أحد من الأئمة، بل لابد أن تكون في مسائل الفقه مما اجتهد فيه، وخالف فيه مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، أن تكون موافقة لأحد المذاهب الأخرى حرصًا منه على هذه المسألة، ولهذا قيل له رَحِمَهُ اللَّهُ على كلمة قالها، قيل له: إنك لا تلتزم بالمذهب، قال في رسالة: **(وأكثر ما في المنتهى والإقناع - يعني: من كتب المذهب الحنبلي - مخالف لنص أحمد وقوله)**[1] (وأكثر) يعني: كثير، ليس أكثر يعني: الغالب، (أفعل) هنا بمعنى: (فعيل) بما في الإقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد أو لنص أحمد وقوله.

ثم بعد ذلك، لما شنعوا عليه بعد ذلك بأنه يخرج عن المذاهب، . . . إلى آخره، ألف رسالة: آداب المشي إلى الصلاة، انتزعها من كتاب كشاف القناع عن متن الإقناع انتزاعًا حسنًا، وجعلها على أصول المذهب؛ لأجل التعليم.

هذه الحركة - حركة الاجتهاد ودعوة لعلماء ألا يلتزموا في كلامهم بمذهب معين - لا شك أنها أطلقت للنفوس وللعلماء البعد عن التقليد والتبعية.

❊ ❊ ❊

---

(١) سبق عزوه (ص ٢٥٢).

التَّفْرِيقُ بَيْنَ الفَتْوَى وَالقَضَاءِ

وأول سبيل يكون به الاتباع أن يكون المرء حريصًا على فهم كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، أما إذا كان وطاب أحد الناس مليئًا بقول فلان وفلان، ووطابه وقلبه لا يوجد به إلا القليل من كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، هذا لا شك أنه مذموم؛ فإن طالب العلم يجب عليه أن يحرص أكثر الحرص على حفظ القرآن وعلى حفظ السنة قدر الإمكان؛ وبعد ذلك إذا حصل منهما، فإنه يطلع على كلام أهل العلم في فقه النصوص؛ وتحصل عنده بعد ذلك ملكة.

لكن الشيخ رحمه الله فرق فرقًا مهمًا في مسألة الاجتهاد بأن الاجتهاد يكون في الفتوى وفي طلب العلم، ولا يكون في القضاء؛ ففي الفتوى تجد أنه لم يلزم الناس بمذهب معين، لكنه في القضاء أوصى القضاة، وأمرهم بأن يكون الحكم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

سبب التفريق ما بين الفتوى وما بين القضاء

القضاء خصومة، والفتوى فيما بين المرء وبين ربه ﷻ، والخصومات تقع متشابهة، فلو قال لفلان من الناس في مسألة: هذه اجتهد فيها قاض من القضاة في بلد على مذهب معين، وفي البلد الذي بجانبه قضى فيها بمذهب آخر، ثم - وهم تحت ولاية واحدة - صار هناك اختلاف في القضاء، هذا يقضي بحكم، وهذا يقول: يقتل على مذهب المالكية، والثاني يقول: لا، لا يقتل، فيهدر دمه في مذهب، ولا يهدر دمه في مذهب، أو تطلق زوجته منه

في مذهب، ولا تطلق منه زوجته في مذهب، ويحصل في هذا خلل كبير للناس.

وكان من السياسة الشرعية الحكيمة أن يجعل الناس في القضاء على مذهب الإمام أحمد بن حنبلٍ؛ أخذًا بالقاعدة: (إن الاجتهاد لا ينقض باجتهاد) باتفاق العلماء، حتى من هم على المذاهب الأخرى، عندهم أنه إذا حكم قاضٍ من أي مذهب، فإن حكمه يكون صحيحًا؛ باعتبار ما حكم به من مذهب؛ لأن الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهادٍ آخر؛ لأنه حينئذ تكون الأمور فوضى.

تَرْتِيبُهُ لأَهْلِ الحِسْبَةِ

صفحة أخرى من صفحات الدعوة وعناية الإمام رَحِمَهُ اللهُ: أنه اعتنى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرًا، فلأول مرة وجد ترتيب أهل الحسبة - وهم النواب- تسمية ذلك الوقت، أو يسمونهم المطاوعة في ذلك الوقت، يعني: الذين يأمرون الناس بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، أو في عرفنا الحاضر أعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فرتب في كل بلد أهل حسبة يحتسبون، وينكرون، ويأمرون الناس بالمعروف وأداء الصلاة في الجماعات، وينهون عن المنكر، ورتب في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رتبه؛ على ما عليه أصول أهل السنة والجماعة، وأرسل في ذلك الرسائل بأنه لا يجوز أن ينكر منكرٌ، ويحدث بعد ذلك منكرٌ أكبر منه؛ لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها،

ودرء المفاسد وتقليلها، فإذا أتى أحد، ويقول: أنا أريد أن أنكر منكرًا، ومن هذا المنكر يحدث منكر أكبر منه، فلا تنكر المنكر الأقل بقاءً في الأقل خيرًا من أن يفضي إلى ما هو أكبر.

ضَوَابِطُ فِي النَّهْيِ عَنْ المنْكَرِ

وهناك قصة تبين حكمة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة من أنه مرة كان هناك صراع وقتال بين قبيلتين، وطلبهم الإمام في ذلك الزمان، أظنه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وأتوا، فأصلح بينهم الإمام والشيخ محمد بن عبد الوهاب، واصطلحوا، وكفوا عن الغارات وعن القتال الذي بينهم، وهم في المسجد كان أحد شيخي القبيلتين، لما أراد أن يسجد سقط من جيبه أنبوب شرب الدخان، وكان سابقًا في أنبوب، أنا ما رأيته، لكن بما يصفونه بأنه أنبوب طويل يحشى بالتبغ، ثم بعد ذلك يشعل في أسفله، ويمتصه إلى آخره، وكان في ذلك الوقت يعزر من كان يشرب التبغ إذا وجد، وسقط من هذا الرجل في المسجد، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بجنبه يراه، فلما فرغ من الصلاة، أتى الطلاب وبعض أهل الحسبة، قالوا: فلان معه كذا وكذا. قال: ما رأينا شيئًا. قالوا: معه، كان بجنبك وسقط. قال: ما رأيت شيئًا، اتركوه. ونهرهم، حتى تركوه، سكتوا عن المسألة، وهم مستغربون.

فلما مر الزمان، أوضح لهم أن هذا الآن أصلحنا بينهم في مسألة قتال، هم اقتتلوا، والآن قبل الصلح، فنأتي ننكر عليه مسألة شرب الدخان! هذا ليس من الشريعة، وهذا من حكمته؛ لأنه لو استشاطه، وأنكر عليه، ربما عدل عن صلحه، ورجع، وسالت الدماء من جديد، فكان من سيرته رَحِمَهُ اللَّهُ في

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فثم عدة رسائل موجودة عندكم - أنه كان يوصي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالقيام بالحسبة كما أمر الله ﷻ؛ لأن الأمر والنهي من سمة هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فرتب ذلك، وبين لهم درجات الإنكار شيئًا فشيئًا، حتى صار - لأول مرة - ترتيب لأهل الحسبة في ذلك، هذه سمة مهمة من السمات التي تميزت بها دعوة الإمام المصلح رحمه الله.

تَرْتِيبُ الوَضْعِ الإِدَارِيِّ لِلإِمَارَاتِ فِي نَجْد

من السمات المهمة التي تميزت بها الدعوة أنه رتب رحمه الله ما أمر به إمام وقته: الإمام محمد بن سعود، وبعده الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، والأئمة من آل سعود بعد ذلك، رتبوا الوضع الإداري للإمارات في نجد، وهو لأول مرة تكون الإدارة في الحكم، وفي الجهات الشرعية، وثم عدة رسائل تبين ذلك، موجودة محفوظة في التاريخ، وفي كتب الدرر السنية، والرسائل والمسائل وغيرها، رتبوا أن يكون - مثلًا - أهل الحسبة يرجعون إلى القاضي، والقاضي يرجع إلى الأمير، والأمير في بلد ما إذا ما استطاع يحل المسألة، فإنه يرجع إلى الدرعية - يعني إلى الإمام -، ثم بعد ذلك ينظر فيها الإمام، ويستشير في ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا، وكتب في هذا رسالة، وقال لهم: لا تستعجلوا بأن ترفعوا إلينا كل ما يحصل عندكم، بل راجعوا القاضي، والقاضي يبحث مع الأمير، فإن صلح الأمر

واستقام، وإلا فيرفع الأمير إلى الإمام، وحينئذ ينظر في الأمر -إن شاء الله- وهذا الترتيب الإداري هو نواة لترتيب جديد لم تعهده المنطقة قبل ذلك، وهذا هيأ أن تكون الإدارة - إدارة الدولة في ذلك الحين - إدارة منظمة وقوية، ليس فيها خلل.

الدَّعْوَةُ قَامَتْ بِالجِهَادِ

لم يكن انهيار الدولة السعودية الأولى بخلل في داخلها، وإنما كان بظلم من العباد، لما جاءت العساكر التركية في ذلك الوقت، وهدموا الدرعية، وقضوا على الدعوة في هذا الأمر، وثم ربط تاريخي ربطه المؤرخ الجبرتي في كتابه في التاريخ، ونقله عنه الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه (**رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**) ربط ربطًا حسنا بين بدء الحملة الفرنسية على مصر، وبين الحملة المصرية أو التركية على الدرعية أو على الدولة السعودية الأولى؛ حيث إن الحملة الفرنسية على مصر لما أتت بعد بضع سنوات فقط، ثم ولي محمد علي مصر - وكان ألبانيا -، كان قائدًا ليس بالمشهور، مرسله الوالي التركي إلى مصر؛ لينظر في حال المماليك، وفي حال الولاية، ثم اتفق مع الفرنسيين في قصة معروفة تاريخيًا، المقصود أنه بعد مجيء الحملة الفرنسية على مصر، وتولي محمد علي ببضع سنوات، أربع أو خمس سنوات، بدأت الحملة على نجد وعلى الدولة السعودية الأولى، خلصا منها - المؤرخ الجبرتي، والأستاذ محمود شاكر - بعبارة موجزة، لكنها منبئة، خلصا منها إلى أن الغرب درسوا أن هذه الحركة تتميز بشيء، وهو تخليص الناس من التقليد والتبعية، وتخليص الناس من التقليد والتبعية والصوفية،

ونحو ذلك يهيئ روح الجهاد عند الناس، وإذا قامت في المسلمين روح الجهاد، فإنه لابد أن يكون هناك توسع، وبالتالي فإن هذا فيه خطر على المصالح.

قَنَابِلُ ابْنِ تَيْمِيَةَ فَجَّرَهَا ابن عَبْدِ الوَهَّابِ

قال بعض المستشرقين من الكتاب لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: **(لقد زرع ابن تيمية قنابل على طول العالم الإسلامي، أتى بعده ابن عبد الوهاب ففجرها)**، وهذه نظرة من مستشرق؛ لأنهم كانوا يدرسون، ويتأملون، ما السبب؟ ما يأخذون بالظواهر، بل يأخذون بالحقيقة، إذا كانت الدعوة ليس فيها تقليد، فيها دعوة إلى الدليل، فيها دعوة إلى تحقيق الحق، فيها دعوة إلى توحيد الله ﷻ، ولابد من تحكيم الشريعة، ولابد من كذا وكذا، والأمر بذلك والجهاد فيه، فإذًا لن يكون هناك ولاء ولا موالاة مع الكفار، ولا خضوع أو ترك للجهاد في سبيل الله ﷷ.

لهذا تميزت الدعوة أنها قامت بالجهاد، وكان جهادًا ليس جهاد طلب، وإنما كان جهادًا لأجل دحض المظاهر الشركية، كانوا يراسلون أهل بلد معين قائلين: عندكم من المظاهر الشركية كذا وكذا، حتى إنه أرسل رسائل للوالي العثماني، أرسل رسائل لملك المغرب، في ذلك الوقت أرسل رسائل للعديد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام عبد العزيز بن محمد أرسلوا رسائل كثيرة في تبيين حقيقة الدعوة، ثم أتى الناس بعد ذلك، وجنوا عليها، ونسبوا إلى الشيخ وإلى الدعوة أشياء الله ﷷ تولى الدفاع عنهم ﷻ، ورحمهم الله تعالى.

المقصود من ذلك أن الدعوة تميزت بهذه الميزة، وهي: أنها حررت المجتمع، أحيت في الناس روحًا جديدة، قوة جديدة، نظرة للأشياء جديدة لم يكونوا يألفونها، ولذلك حوربت أتم حرب، وقضي عليها بالدولة السعودية الأولى.

الدعوة أيضًا مورست في الدولة السعودية الثانية، فقامت على دعوة، وكذلك الملك عبد العزيز ﵀ قام على دعوة، وكانت كلها مستمسكة بأصل هذه الدعوة، وهى دعوة الإمام المصلح السلفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، لم يأت بشيء جديد، وليس داعيًا إلى مذهب يخصه، ومن رأى في كلامه مسألة من المسائل يخالف بها المذاهب الأربعة، فإنه حينئذ يدلي بها، ولكن الشيخ يقول: أنا ما خالفت أحدًا - من يعني؟ - ما خالفت الأئمة الأربعة، وإنما دعوت إلى ما دعا إليه الأئمة، إلى ما دعا إليه الإمام مالك، والشافعي، وأحمد في أصول الاعتقاد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والإمام ابن جرير، وإسحاق، ونحوهم من الأئمة، وفي الفروع أنا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﵀ إلا فيما خالفوا فيه الدليل، فإن كلام الله ﷿ وكلام رسول الله ﷺ أحق أن يطاع.

افْتِرَاءَاتٌ عَلَى الدّعْوَةِ

وهذا الأصل مهم أن يعرف، وهو أن من يسمون الدعوة بأنها دعوة وهابية أو مذهب وهابي، هذا فيه جناية، وهناك من جنى جناية أكبر من ذلك، ممن كتبوا في عصر الشيخ وفيما بعده، جنوا أكبر جناية حينما كتبوا في بعض رسائلهم؛ كما في رسالة مثلًا: الدرر السنية في الرد على الوهابية، قالوا عن

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: إن الظاهر من حاله أنه كان يدَّعِي النبوة، وقال: الظاهر أنه كان يأخذ من النساء أكثر من أربع، وكان يأمر من اتبعه أن يحلقوا رؤوسهم عنده، حتى قال بعضهم في كتاب له: وجاء في حديث عن الرسول ﷺ يقول: «يخرج في ثاني عشر قرنًا من الزمان رجل كهيئة الثور، لا يزال يلعق براطمه، يحدث فتنة، يعتز فيه الأراذل والسفل، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال بعدها: وهذا الحديث - وأنا لم أعرف من خرجه - يعني: هو الذي وضعه، لكن شواهد الصحة تدل عليه، ومع ذلك كان الإمام رحمه الله صابرًا محتسبًا، وما التفت إلى هذه الأقوال التي تعترض إلى شخصه، لا تجد في رسالة منه إلا أنه يدافع عن الدين، حتى أنه قيل له مرة: (**إنك تقول لو قدرت على القبة، التي على قبر رسول الله ﷺ، لهدمتها، فقال: جوابي أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم**)[1]، وهذا ولا شك ينبئ الدارس للدعوة، ولسيرة الشيخ أنه كان في دعوته يريد الحق، وهو أن يدعو الناس إلى ما كان عليه السلف الصالح من عبادة الله وحده لا شريك له، ومن عدم التعلق بالأموات والاستغاثة بالأولياء، والاعتقاد فيمن ذهبوا إلى ربهم ﷻ، ونرجو لهم عنده المنزلة العليا والزلفى برحمة الله ﷻ فيمن كانوا يعتقدون أن في كل بلد وليا، وكل بلد فيها قبرٌ، وكل بلد فيها قبة، حتى في وقت قريب، ربما رأيتم بعض الصور في مكة، مقبرة المعلاة، كانت كلها قباب: قبر السيدة خديجة، وقبر السيد فلان في كل بلد، حتى آمنة أم النبي ﷺ رأيت بعض الصور الفوتوغرافية إلى أن الحجاج يذهبون يمكثون عند قبرها، كان عليه قبة كبيرة، يمكثون عنده عدة أيام، لا بد

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٣٤).

يوم أو يومين أو ثلاثة، يمكثون عند القبر، وفعل الجهال هذا لا شك أنه ليس بمرضي شرعًا، بل هو الشرك المحقق الذي أخبر الله ﷻ به، ونهى عنه عباده، وأمر المرسلين بالنهي عنه.

دَعْوَةٌ نَاصَرَتْهَا دَوْلَةٌ

الحديث عن الدعوة وعن سيرة الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يتنوع، ويتشعب، لكن نختم بسمة مهمة من سمات تلك الدعوة: أن الدعوة تميزت عن كل الدعوات التي سبقتها بأنها دعوة ناصرتها دولة، وأنها دعوة لم تكن دعوة نظرية أو علمية، وإنما كانت دعوة استجابت لها دولة، وقام لها كيان، وأثرت في الجزيرة، وأثرت في بلاد كثيرة، حتى إن عددًا من الباحثين - سواء من المسلمين أو غير المسلمين - أرجعوا كثيرًا من الحركات الإصلاحية - سواء كانت السلفية، أو غير السلفية - في العالم الإسلامي إلى التأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقالوا مثلًا: إن الشيخ محمد عبده المصري، وجمال الدين الأفغاني ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقالوا: إن السنوسي ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وقالوا: إنه في السودان المهدي ممن تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقالوا، وقالوا... في دعوات لا يمكن أن توصف بأنها دعوات سلفية بتمامها، ولكن كل الحركات الإصلاحية نراها جاءت بعد الدعوة والدولة، وهذا يبين لك حقيقة أن البداية أو سن السُّنة الحسنة، التي سنَّها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في دعوته أنها كانت سنة حسنة، كان لها الخير الكبير في الجزيرة وفي غيرها.

من علماء الجزيرة مثلًا في مكة، في نحو زمن الشريف غالب رحمه الله هناك اتفاق كبير معروف، صك وثيقة كبيرة اجتمع علماء الدعوة، أتوا من الدرعية منهم الشيخ حمد بن معمر، وجماعة من العلماء، وعدد من علماء مكة عن المذاهب الأربعة، واتفقوا فيها على أُصول التوحيد، وهي موجودة بأختام الجميع، واتفقوا فيه على أن هذا هو الحق، وهذا كان أيضًا موافقًا عليه من قبل عدد من علماء اليمن مثل: الأمير محمد الصنعاني صاحب سبل السلام، وصاحب رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، وصاحب القصيدة المعروفة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدالية المشهورة، كذلك الشوكاني، وعدد من العلماء، وفي جنوب الجزيرة أيضًا، في عسير، والمخلاف السليماني في ذلك الوقت، عدد من العلماء تأثروا بالدعوة قبل وصولها إليهم - يعني: كدولة -، وكذلك في الخليج، وفي الشام، وفي مصر وغيرها.

أَثَرُ الدَّعْوَةِ فِي أَمْصَارٍ كَثِيرَةٍ

فالدعوة - لا شك - كان لها الأثر الكبير في أمصار كثيرة، لكن لم يكن لها الأثر إلا بفضل الله ﷻ أولًا وآخرًا، ثم مساندة الدولة، وكل فضل يُنسب إلى الدعوة لابد أن ينسب قبل ذلك إلى الأئمة من آل سعود، الذين أيدوا هذه الدولة وهذه الدعوة، وإذا نظرنا إلى الدعوات السالفة لعدد من العلماء، وجدنا أنهم لما لم يصن دعوتهم، ويسند دعوتهم سيف وسنان، كانت دعواتهم قاصرة، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية مثلًا، وهو أعلم وأفقه وأكثر اجتهادًا، وإنما الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسنة من حسنات شيخ

الإسلام ابن تيمية، لكن لم يكن لدعوته من التأثير العام والفعلي، حتى في بلده مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا زالت القبور الشركية موجودة، ولا زالت عدد من الأشياء في بلده، وفي مصر التي ذهب إليها لم يستطع أن يخلص الناس؛ لأنه ما مده السلطان، بل كان السلطان في زمنه ضده، فسجن في مصر، وسجن في الشام - كما هو معلوم -، ومات في سجن القلعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعدد من العلماء الذين لهم مؤلفات قوية، ولهم إنكار، ولهم معرفة بالسنة وتأليف في التوحيد، لكن أين أثرهم العام في الناس؟ تجد أن الأثر العام كان قليلًا، كان محصورًا في طلبة العلم الذين تأثروا بهم أو في مصنفاتهم، أما أثر الدعوة الإصلاحية كان أكبر الأثر - كما ترون اليوم دولة -، وهناك من تأثر، ودعوات كثيرة في عدد من البلاد، حتى وجد في جزيرة بعيدة تدرس كتب السنة والتوحيد والدعوة إلى نبذ الشرك والخرافة وأنواع البدع والمحدثات، ووجد ولله الحمد الأثر الكبير، هذا الأثر لا يكون إلا بدولة.

الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ

من السمات البارزة لهذه الدعوة أن الدعوة نظرت إلى سنة النبي ﷺ في أن النبي ﷺ إنما قوي لما هاجر إلى المدينة، ولما تعهد الأنصار في بيعة العقبة الأولى وفي بيعة العقبة الثانية بأن ينصروه وأن يؤيدوه، حتى قالوا له ما قالوا، ثم قال النبي ﷺ: (**بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ**)، يعني: لن أستبدل بكم يا أهل المدينة من الأوس والخزرج أحدًا، قالوا: نخشى أنه إذا نصرك الله

أن ترجع إلى مكة. قال: (**بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ**)[١]؛ كما هو معروف في السيرة، وبقي في المدينة ﷺ؛ لأنها دار هجرته، ولأن أهلها أهل نصرة دعوته، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما اتفق مع الإمام محمد بن سعود أمير الدرعية إذ ذاك، قال له الأمير محمد: أخشى أنك تترك البلد بعد أن يُظهر الله هذه الدعوة. فقال له - وهو مدون في كتب السير - نفس الكلمة التي قالها إمامه وقدوته محمد بن عبد الله ﷺ: (**بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ**)، وفعلًا مكث في الدرعية، حتى توفاه الله ﷻ فيها، وهذا مما نأخذ منه درسًا مهمًا في أن كل مصلح ومخلص لله ﷻ ولهذا الدين، فإنه لابد أن يضع يده في يد من يساند الدعوة، والآن أنتم تنظرون، وتعلمون الخير الوفير، والعلم الجم، ونشر العقيدة الصالحة، وما حصل من تحقيق التوحيد ومن نبذ الخرافة والشرك بأثر الدولة - المملكة العربية السعودية -، وما قام به الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نشر هذه الدعوة في الداخل وفي الخارج واستقطاب من هم على الدعوة من السلفيين في أماكن مختلفة، ومدهم ونصرتهم، مما حصل منه هذا الخير الكثير.

على كل حال هذه سمات متفرقة لهذه الدعوة، ولا شك أن حديثي قاصر عن الشيخ وعن دعوته، ولكن هي كلمات تفتح الباب لمن أراد المزيد في دراسة سيرة هذا الإمام المصلح، ودراسة أثر الدعوة والدولة على الناس في هذه البلاد وفي خارجها.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٩٣)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٨٧، ٢٥٠)، عن عروة ابن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

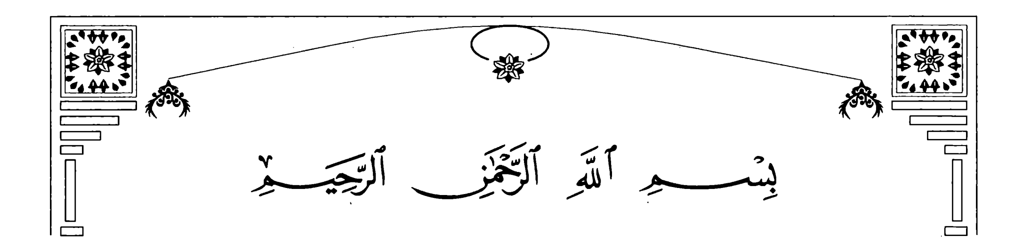
أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن كتب له القبول، وأصلح له علمه وعمله، وبارك له في قوله وفي عمله، ونماه له.

كما أسأل الله ﷻ أن يغفر لأئمتنا ولعلمائنا ولعلماء المسلمين السالفين، وأن يرضى عن صحابة نبيه ﷺ أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان، وأن يجزل المثوبة، وأن يرفع درجة أئمة الإسلام الذين جاهدوا في الله حق الجهاد، وبينوا، وجددوا لهذه الأمة أمر دينها حقًا، فتركوها على أمر بيِّن.

ويتوالى العلماء والمصلحون، فنسأل الله ﷻ لهم الرفعة في الدرجات، والمغفرة في الزلات، كما أسأل المولى ﷻ أن يخص برحمته، وأن يزيد من فضله الإمام المصلح الأوَّاب محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -، ورحم ورفع درجة من نصره وأيده وساعده في دعوته من الأئمة المصلحين من أُسرة آل سعود، ومن نصر دعوته من تلامذته وأبنائه وأحفاده، ومن تأثر بهم؛ إنه جواد كريم.

كما أسأل المولى ﷻ بأسمائه وصفاته أن يرينا دائما الحق حقًا، وأن يمن علينا باتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا، وأن يمن علينا باجتنابه، وأن يجعلنا من المتحرين للحق، المنصفين في أقوالهم وفي أعمالهم؛ إنه سبحانه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





محاضرة معالم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشبهات المناوئين لها ١٤٢٤/١١/٩هـ بالجامع الكبير بالرياض علق عليها سماحة المفتي ورئيس هيئة كبار العلماء فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ حفظه الله وسدده

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، نشهد بأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . .

وإني لأحمد الله ﷻ حمدًا كثيرًا متواليًا أن جعل هذه الأمة على الخير والهدى إلى قيام الساعة، وأن منها طائفة منصورة ينصرها الله ﷻ بالحجة

والبيان في كل حال وأوان، فلا يمكن لأحد أن يقاوم ويغلب حجة القرآن وحجة سيد ولد عدنان ﷺ، فمن كان معه السيف - سيف الحجة والبرهان والآية والبيان -، فهو المنصور والمهتدي: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وأحمد الله ﷻ أن ورثنا هذا الخير بطريق حمله أئمة تلو أئمة، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، ونافحوا عنها، والحمد لله أن الأمر كما وصفه النبي ﷺ بقوله: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١). فحقيقة الأمر أن الملة بيِّنة واضحة، وأن الهدى لا التباس فيه، ولكن الله ﷻ ابتلى الناس بأنواع من الابتلاء، ومنها أنه ابتلى صاحب الحق بصاحب الباطل، وابتلى أهل الهدى بأهل النفاق.

وهذا قديم قِدَم الحق والباطل؛ ولهذا لا تستغربوا أن القرآن - في سوره وآيه - فيه ذكر هذا الصراع بين الحق والباطل، وبين الأنبياء والرسل ومن ناوأهم وعاداهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]، والحظْ في هذه الآية أن الله ﷻ بيَّن أنه جعل لكل نبي - لا يُستثنى من ذلك أحد - عدوًا من المجرمين، الذين خرجوا عن ما يقتضيه الحق، وعادوا الأنبياء والرسل، فكانت عداوتهم واضحة بيِّنة، لكن هذه سنة الله، ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، والله ﷻ هو الكافي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه واللفظ له (٤٣)، وأحمد (٤/١٢٦)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

في الهداية، فمن كان معه هداية ربه بحجة القرآن وحجة الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، فهو مُكتفٍ، لا يحتاج إلى زيادة، ثم كفى بربك نصيرًا، فلا يظنن أحدٌ - مع قلة النصير أو مع قلة الموافق له فيما قام عليه البرهان والدليل، ومشى عليه الأئمة خالفًا عن سالف - أنه وحده في هذا السبيل؛ فطريق الهدى ماضٍ، والله ﷻ كفى به نصيرًا لأوليائه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وإذا كان إبراهيم أمة، وليس بواحد عليه السلام، بل هو أمة من الأمم، فكل من سلك طريقه فلا يستوحشنَّ من قلة السالكين.

واختُتمت الرسالات برسالة محمد ﷺ، التي هي رسالة الإسلام الخاتمة ونبينا ﷺ جاء أهل الجاهلية، وهم على أنواع من الاعتقادات والعبادات، وأحوال في الاجتماع والسلوك، فحملهم على أكمل هدى، وجاءهم بأكرم طريق، حتى اشتهر الإسلام، وظهر، ونصر الله عبده، وفتح له الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ثم جاء الناس أفواجًا أفواجًا؛ ليدخلوا في دين الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ - ٣].

ثم مضى على ذلك النهج الصحابة الكرام رضي الله عنهم، لم يظهر فيهم ضلال ولا نحلة باطلة؛ لأنهم استمسكوا بالأمر الأول، ثم بزغ نجم الفتن - والعياذ بالله -، وظهرت الفتن بين الناس، وكان من أول الفتن ظهورًا في الناس الطعن في عثمان بن عفان رضي الله عنه في أمرين:

الأول: تعيينه لأقاربه في الأمصار.

والثاني: تصرفه في المال العام كيف شاء.

فظهرت الخوارج، وقُتل عثمان رضي الله عنه بسبب ذلك، ثم قُتل علي رضي الله عنه بسبب ذلك، ثم ظهرت فرق كثيرة من السبئية الغلاة، ثم الروافض، ثم ظهر القدرية والمرجئة، وافترقت الخوارج على فرق أيضًا، ثم أتى الأمر، وزاد حتى ظهرت فرق مختلفة، نحت نحو عقائد موجودة في فارس والهند وفي غيرها، كاليونان وغيرها، فآل الأمر في أمة الإسلام إلى أنها فارقت في كثير من أنحائها - إلا من هدى الله عز وجل - ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وما كان عليه الهدي في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في انحرافات شتى.

وكان من الانحرافات التي ظهرت في القرن الثالث الهجري: التوجه إلى قبور الأولياء، واعتقاد أن لهم تصرفًا في الكون، وأن من أتاهم يطلب منهم شيئًا، فإنه قد أتى الله عز وجل بطلب حاجته؛ لأنهم وسائط يوصلون الأمور إلى الله عز وجل، وكان ممن قرر هذا في كتبه أصحاب رسائل (إخوان الصفا)، فبينوا أن إتيان قبور الأولياء إنما هو إتيان للأرواح التي لها منزلة عند الله عز وجل، ثم آل بهم الأمر في تعظيم هؤلاء الأولياء إلى أن يعظموا قبورهم، وأن يبنوا عليها، ويتخذوا عليها المساجد، وأن يحجوا إليها، وأن يوجهوا الناس لذلك.

فقام أئمة الإسلام منذ القرن الثالث - في أواخره - والرابع بإنكار ذلك أشد النكير، وتكلموا في ذلك ببيان حق الله عز وجل، وسطروه في أن هؤلاء الأولياء لهم مكانتهم عند الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وإذا كان الأمر كذلك، فإنهم في ولايتهم وكرامتهم عند الله عز وجل ليس لهم

التصرف في الكون في ذلك، فبين أهل العلم في القرن الرابع الهجري والخامس أن من أتى إلى قبر ولي، أو من أتى إلى مكان معظم؛ ليعظمه، وليتوسل به، فإنه قد ولج بابًا من أبواب الشرك بالله ﷻ، ثم ازداد الأمر مع ازدياد الجهل، والعلماء يبينون، ويسطرون ذلك في مؤلفاتهم - مؤلفات الاعتقاد -، حتى جاء انحراف كبير في تاريخ الإسلام، وهو مأخوذ من نظر المنطق اليوناني وعلوم الكلام، وهو أن الابتلاء وتحقيق العبودية لله ﷻ إنما يكون بالإيمان بأن الله ﷻ هو الرب، الخالق، الرازق، المغيث، الذي يُستجار به، وأنه من آمن بأنه لا خالق، ولا رازق، ولا مُعطي، ولا مانع إلا الله ﷻ، فإنه قد حقق لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ كما قال أحدهم في عقائده، حيث قال: معنى لا إله إلا الله: لامستغنيًا عن ما سواه، ولا مفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، قال: فمعنى الإله هو المستغني عن ما سواه، المفتقر إليه كل من عداه، وهذا بداية افتراق كبير في فهم معنى لا إله إلا الله، فظن فئام من الناس لما جاءت طوائف، فعرَّفوا الإله والرب بهذا المعنى، والإله بمعنى الرب، ظنوا أنه حينئذٍ لا أثر للتوجه إلى غير الله ﷻ بعبادة أو دعاء؛ لأنه ما دام أن لا إله إلا الله معناها: لا خالق، ولا رازق، ولا مستغنٍ عن ما سواه، ولا قادر إلا الله، فالجميع يؤمن بذلك، فلا يؤثر أن يتوجه إلى ولي، أو إلى قبر، أو إلى شجرة، أو إلى حجر، فإن المقصود بالإيمان هو الإيمان بربوبية الله ﷻ، وأن معنى الإلهية هي الربوبية.

والله ﷻ قد فرق في القرآن العظيم بين الرب والإله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١-٣]. فالربوبية غير الألوهية، والرب غير الإله.

ولذلك فإن الأمر لما التبس على هذا النحو، ظل العلماء يبينون هذا الأمر، ولم يكن في كثرته في القرن الخامس والسادس الهجري كثرة في كل مصر، وإنما زاد شيئًا فشيئًا مع ازدياد الجهل، ومع ازدياد الشبه، حتى أتى إلى القرون التي ضعف فيها العلم في القرن العاشر الهجري والحادي عشر الهجري، فكثر ذلك الأمر في الناس؛ لضعف من ينبههم من أهل العلم، ويبين لهم ذلك، وكان الأمر في القرون التي قبل ذلك أنه يُنكر، والعلماء يبينون ذلك، ويقل هذا الأمر كلما أُنكر، وبُيِّن الأمر، فضعف، وخبا ولله الحمد، ثم لما ازداد الجهل، وضعف المُنبه، كثرت هذه الأمور في أمصار المسلمين، فكثرت الشبه العلمية والاعتقادية، وكذلك كثر التوجه إلى غير الله ﷻ في العبادة، حتى أتى القرن الثاني عشر، فقيض الله ﷻ عالمًا أخذ العلم عن عدد من علماء المسلمين في بلده وفي غيره أوابًا تقيًا نشأ نشأة صالحة، هو الإمام الأواب: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي الوهابي التميمي، المولود سنة ألف ومائة وخمس عشرة والمتوفى سنة ست ومائتين وألف، فلما بلغ من العمر نحوًا من ثلاثين سنة بدأ بإظهار ما تعلمه من إنكار هذه الأمور، التي فشت في الناس، وقام بدعوته شيئًا فشيئًا في بلده، وعرضها على أمراء وقته، فاستجاب له بعض، ونكص بعض، حتى آل الأمر إلى أنه استجاب لدعوته في توحيد الله ﷻ الأمير الصابر محمد ابن سعود بن مقرن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان العهد المعروف سنة سبع وخمسين ومائة وألف، ثم بدأت الدعوة بالانتشار لما التقى السيف والقلم في بيانٍ للناس وظهور.

❊ ❊ ❊

الوَهَّابِيَّةُ لَيسَتْ فِرْقَةً جَدِيدَةً

هذه الدعوة الإصلاحية لا يصح أن تُسمى وهابية، وكلمة وهابية هذه إنما هي من أعداء هذه الدعوة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري؛ لأجل تنفير الناس منها، ولكي يقولوا لهم: إن هذه جاءت بمذهب جديد، وعقيدة جديدة، وبشيء لم يكن معروفًا، فسموها بالوهابية؛ حتى يظن الظان أنها نحلة وفرقة جديدة ظهرت في المسلمين.

وحقيقة هذه الدعوة الإصلاحية التجديدية، التي أتى بها الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ أنها هي دعوة أئمة الإسلام: الإمام أبي حنيفة، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن حجاج النيسابوري، وابن خزيمة، وأحمد ابن تيمية، وابن القيم، وغير هؤلاء من علماء الإسلام، بل كل علماء الإسلام في الحديث والفقه يقرون بها وبأصولها، بل شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب أخذ عنهم؛ كما هو موجود في مؤلفات الإمام.

المقصود من هذا أنها دعوة تجديدية، أخذ الإمام ما تفرق في كلام أهل العلم على مدى قرون من الزمان، فسطَّره في كتبه ودعا الناس إليه.



مَعَالِمُ الدَّعْوَةِ

وكانت معالم دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائمة على أمور:

الأول: أنها دعوة يراد منها تجديد أمر الدين في حياة الناس، وتبيين ما خفي عليهم، فكانت معتمدةً أولًا على كلام الأئمة (أئمة الإسلام ممن هم قبل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ومعتمدة على العلم، فهي ليست بدعًا: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، وليست وليدة جديدة، بل على أثر دعوة أئمة ودعوة تجديدية سابقة.

ثم هي معتمدة على العلم النافع، على (قال الله، وقال رسوله ﷺ)، فأول ما تتميز به الدعوة: أنها دعوة معتمدة على علم من سبق، وليست بقول جديد.

ثم معتمدة على العلم، والبرهان، والدليل؛ ولذلك كان من الطعون في الدعوة - كما سيأتي - أنها حاربت التقليد، وأحيت الاجتهاد، وكان الناس في ذلك الزمن يقولون: إن باب الاجتهاد قد أُغْلق، فلا بد من أن يكون الناس على نصوص العلماء، دون أن يرجعوا إلى نصوص الكتاب والسنة؛ لعدم وجود المجتهد الذي يفهم معاني القرآن والسنة.

الثاني من معالم هذه الدعوة وأساسياتها: أنها قامت على تحقيق التوحيد لله ﷻ، فبيَّنت أن أعظم حق لله ﷻ أن يوحد في العبادة، كما أنه الواحد سبحانه في الربوبية، فهو ﷻ الرب وحده، هو الخالق، والرازق، فكذلك يجب أن يُتوجه إليه في العبادة وحده، دونما سواه، فالتوجه إلى مخلوق

بالعبادة: بالدعاء، والاستغاثة، أو بذبح، أو نذر، أو بتعظيمه، أو بخلع بعض صفات الله ﷻ عليه، ونحو ذلك، هذا شرك بالله ﷻ، وهو قدح في الحقيقة في لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فكان من أعظم معالم هذه الدعوة التفريق بين نوعي التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

وطُعن في الدعوة بأنها فرقت بين نوعي التوحيد، وهذا لا يُعرف عن أحد من أهل العلم؛ كما قال المناوئون: بأن التفريق في التوحيد بين الربوبية والإلهية والأسماء والصفات إنما هو شيء اخترعه محمد بن عبد الوهاب، ولم يُعرف عن أحد من أهل العلم، وسيأتي جواب عن هذه الشبهة - إن شاء الله تعالى -، وحقيقة التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية هو ما ذكره الإمام حينما سُئل: ما الفرق بين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية؟

فقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرب والإله مختلفان في القرآن والربوبية والإلهية إذا اجتمعا تفرقا وإذا افترقا اجتمعا[١]، فهما كلفظ الإسلام والإيمان، والفقير والمسكين.

وهذا الذي قاله هو الحق الذي تدل عليه النصوص؛ لأن من آمن بأن الله هو الواحد المستحق للعبادة، فإنه يتضمن ذلك أنه مؤمن بأن الله ﷻ هو الرب وحده، وهو المالك للأمر، وهو المتصرف، وهو الخالق والرازق؛ لأنه لما توجه في عبادته، ورجائه، وخوفه، وإقباله، وإخباته، ودعائه، واستغاثته، وإنابته، وإعانته إلى الله ﷻ الواحد الأحد في استحقاق العبادة، فهو متضمن

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ١٠٦).

بأنه موقن بأن هذا الإله هو الخالق الرازق وحده، وهو المحيي والمميت وحده، وهو الذي يُجير، ولا يُجار عليه وحده سبحانه وتعالى.

فكل من آمن بتوحيد الإلهية، فإنه متضمن ذلك أنه مؤمن بتوحيد الربوبية، وأما العكس، فإن من آمن بأن الله ﷻ هو الخالق الرازق وحده، فإنه لا يتضمن ذلك أنه يتوجه إلى الله ﷻ بالعبادة وحده، فهناك المشركون في كل زمان ومكان يؤمنون بأنه لا خالق إلا الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

قل من بيده ملكوت السماوات والأرض؟! يقرون بأنه الله، من الذي خلقهم ورزقهم؟ يقرون بأنه الله، من الذي يُجير ولا يُجار عليه؟ يقرون بأنه الله ﷻ، لكنهم يعبدون غيره؛ ولذلك تجد في القرآن الاحتجاج على المشركين - مشركي قريش - في عبادتهم لغير الله بإيمانهم بالربوبية، فإذا كانوا قد آمنوا بأن الله هو الرب وحده، فمعنى ذلك أنه يستلزم ذلك، ويستوجب أنكم لا تعبدون إلا الله.

فإذًا فَرَّق هنا بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية؛ لأن النصوص دلت على التفريق بين الرب وبين الإله، وأن المشركين - مشركي قريش - الذين واجههم النبي ﷺ بالدعوة كانوا يؤمنون بالربوبية، ولا يؤمنون بتوحيد الله ﷻ في الإلهية؛ لذلك قال الله ﷻ عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فلم يكونوا يوقنون بأن الألوهية لا تتوجب إلا لواحد، وهو الله ﷻ، وإنما الربوبية هي لله ﷻ.

فكان من معالم دعوته أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصَّل، وقرر بالحجة والبيان أن هناك فرقًا

واضحًا بين الرب والإله، وبين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وأن أولئك الذين عرفوا الإله بأنه الخالق الرازق، أو الذي له قدرة على الاختراع، أن هذا باطل وانحراف عن ما دل عليه القرآن والسنة في تعريف الإله وتعريف الرب.

المعلم الثالث من معالم هذه الدعوة: أن الواجب عند التنازع الرد إلى كتاب الله ﷻ وإلى سنة رسوله ﷺ، وأنه عند الاختلاف لا يجوز أن نرجع إلى أقوال المختلفين، بل ننظر في نصوص الكتاب والسنة؛ لأنها هي الهدى، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ومعلوم أنه وقع النزاع في معاني التوحيد، سواء في الربوبية والإلهية، أو في الأسماء والصفات، وكذلك وقع النزاع في بعض مسائل الاعتقاد، ووقع النزاع في مسائل في الفقه والسلوك والعمل، فحين التنازع إلى أي شيء نرجع إلى نصوص الكتاب والسنة.

فحارب رحمه الله تعالى البدع، وأوجب على أهلها أن يرجعوا إلى هدي النبي ﷺ؛ فإن فيه القضاء على كل البدع الاعتقادية والعملية، والبدع شاعت، وانتشرت في الاعتقاد، والعلم، والعمل، والعبادة، وكان دواء ذلك أن يُرجع إلى الكتاب والسنة وإلى هدي السلف الصالح في ذلك، وهذا من الأصول العظيمة: أنه فيما اختلف الناس فيه، فإنه يجب أن نرجع إلى ركن ركين وثيق، وهو الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح.

تعلمون أن الكثير من الناس يقول: نرجع إلى الكتاب والسنة، ثم يؤول

الآي والأحاديث إلى فهم بعض العلماء، لكن الواجب أن نفهم القرآن والسنة على أي فهم؟ هل هو على فهم المتأخرين، أو على فهم السلف الصالحين؟ فكانت السمة البارزة في الدعوة أن فهم الكتاب والسنة، والرجوع إليهما في الحجة متعين على فهم الصحابة والسلف الصالح والتابعين لهم بإحسان؛ لأن الفهوم كثرت، وتنوعت، فنفهم على أي شيء؟ إذا أتى آتٍ، وقال: الآية هذه تدل على كذا وكذا، فنقول: هل هذا كان موجودًا في زمن السلف؟

يقولون - مثلًا - في قول الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] البشرى في الحياة الدنيا، منها أن يُسأل، وأن يُطلب منه، وأن يُتوسل به. فنقول: هذا فهم في الآية، هل فهمه السلف؟ هل فهمه الصحابة رضي الله عنهم؟ لا نجد عندهم هذا الفهم، ألم يكن أبو بكر رضي الله عنه من أولياء الله ﷻ؟ فلماذا لم يعتقد الصحابة رضي الله عنهم فيه هذا الاعتقاد، فيتوسلوا به؟! ألم يكن عمر رضي الله عنه من أولياء الله؟! بلى، ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم يعتقدون في هذه المعتقدات، ويأتون إلى قبورهم، ويسألونهم، ويرجون ما عندهم، وكذلك عثمان وعلي رضي الله عنهما والصحابة العشرة المبشرون بالجنة ومن بعدهم رضي الله عنهم.

فإذًا الميزان هو الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وأما إذا كان فهم فلان وفلان ممن أتى بعد ذلك، فإن هذا ليس بحجة على فهم السلف؛ ولذلك قال الشاطبي رحمه الله في (الاعتصام) - لما عرض لمسألة التبرك، وأن

الصالحين يُتبرك بهم -، فقال في (الاعتصام)[١]: إلا أنه عرض لهذا أمر قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، ألا وهو: أن الصحابة ﷺ لم يكونوا يفعلون بأبي بكر ﷺ شيئًا من هذا النوع من التبرك، ولم يكونوا يفعلون بعمر ﷺ في حياته ولا بعد مماته شيئًا من هذا التبرك، ولم يكونوا يفعلون بعثمان ولا علي، ولا العشرة شيئًا من هذا التبرك، فدل هذا - كما هو كلام الشاطبي - على أن هذا الفهم للتوسل والتبرك مقطوع ببطلانه؛ لعدم فهم السلف له.
وهذا أصل أصيل في دعوة الإمام المصلح في أن الفهم في المسائل المشتبهة يجب أن يرجع الناس فيه إلى فهم السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، فإذا كانوا أجمعوا على شيء، ولم يُعرف في زمنهم، فإنه في الحقيقة باطل أن يُذهب إلى غير فهمهم، وكذلك في المسائل العلمية، فإنه يجب أن نرجع إلى إجماع الناس.

من معالم هذه الدعوة (دعوة الإمام المصلح): أنها اعتمدت على ما أجمع عليه العلماء، ولم تذهب إلى ما اختلفوا فيه؛ قال ﷺ في رسالة أرسلها، بل في عدة رسائل، قال: وإنما دعوت الناس إلى ما أجمع عليه العلماء، ولم أُكفر أحدًا من الناس إلا بما أجمع العلماء على التكفير به،

---

(١) انظر: الاعتصام (ص٢٩٣): (إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه مشكل في تنزيله وهو أن الصحابة ﷺ بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ﷺ فهو كان خليفته ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر ﷺ وهو كان في الأمة ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها).

وأما ما اختلفوا فيه، فلم أتكلم فيه.

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ في أول أمره: هل أنت تقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وأن التوسل بالجاه ونحو ذلك أنه كفر، وأن المسلمين الذين لم يتبعوك أنهم كفار، ونحو ذلك؟ فأجاب في رسالة على عدد من الشبه، قال: (أقول سبحانك، هذا بهتان عظيم، فأنا لم أتكلم في هذه المسائل التي ذكرتم أصلًا، وإذا كنا لا نُكفر من عند قبة الكواز أو عند قبة البدوي؛ لأجل عدم وجود من ينبههم، فكيف أتكلم في مثل هذه المسائل؟)[1]، وهذه من أساسيات الدعوة: أنها قامت على الدعوة إلى ما أجمع عليه العلماء وبينوه من حق الله عَزَّ وَجَلَّ في توحيده، والإنابة إليه، وعبادته وحده لا شريك له.

من معالم هذه الدعوة: أنها قامت على تحقيق المتابعة للنبي ﷺ، وأن حقيقة الشهادة بأن محمدًا رسول الله هي أن يُطاع ﷺ، أن يُطاع فيما أمر، وأن يُجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرعه ﷺ، معلوم أن العبادة قد تخطر على بال إنسان أن يتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بنوع من العبادة، كأن يسجد مثلًا بنوع من السجود، أو أن يركع على نحو ما، أو أن يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ على نحو ما، ونحو ذلك بأنواع من العبادة.

فحقيقة طاعة النبي ﷺ هي في اتباعه، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]

---

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ١٠٤): (وإذا كنا: **لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر؛ والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم**).

فإذًا الدعوة قامت على أن الاتباع للنبي ﷺ هو حقيقة طاعته، فإذا كان الشيء في سنته ﷺ، فإن العمل به متعين، فإن العمل به دين ومشروع، سواء أكان مأمورًا به أمر إيجاب، أو أمر استحباب، أو كان عمله النبي ﷺ عملًا؛ ولهذا كان في الكثير من الأمور السلوكية التي كانت في وقت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عُطلت؛ لأنها لم تكن من سنة النبي ﷺ، ولا من هديه.

من معالم دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنها دعوة جاءت لجمع المسلمين، وليست لتفريقهم، بل كان حريصًا على جمع الكلمة ووحدة الصف، فكان الناس في نجد بخصوصها، كل بلد وكل قرية لها أمير، ولها والٍ، ولها من يأمر وينهى فيها، وكان القاضي موجودًا والمفتي الواحد يفتي على مذاهب شتى، فيأتيه السائل، ويسأله، فيقول: تريد الفتوى على أي مذهب؟ فإذا قال: أريد فتوى على المذهب الحنفي. أفتاه، هو نفس العالم، أريد فتوى على المذهب المالكي. أفتاه، أريد الطريقة النقشبندية، قال: هذه الطريقة النقشبندية، أريد الطريقة القادرية، قال: هذه الطريقة القادرية، . . .، وهكذا.

فكان الناس مختلفين في الولاية، ومختلفين في الدين بعبادة آلهة مختلفة، وأشجار، وأحجار، و. . .، إلى آخره، وكانوا أيضًا مختلفين، حتى في المذاهب التي يتبعونها، وفي السلوك، والعمل، فأتاهم بأمر عظيم، وهو جمع الكلمة، وعدم التفرق في دين الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣]، وهذا هو الأصل العظيم من أصول الإسلام: أن يكون هناك اجتماع على الدين الحق.

فدعا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الجماعة والنهي عن الفرقة، الجماعة بمعنييها: الجماعة في الدين، والجماعة في الأبدان، أن يكون الدين واحدًا، وأن يكون الولاية والاجتماع عليها واحدًا، وكذلك نهى عن الفرقة (الفرقة في الدين) بأخذ المذاهب والأقوال، كلٌ كما يريد، دون رجوع إلى نور من الهدى: من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكلام النبوة، وسيرة السلف الصالحين، أو التفرق في الأبدان، بأن يكون كل فئة لا إمام لها، أو يذهبون إلى أي نحو كان، وهذا من أعظم ركائز الإسلام التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية في أن يكون هناك اجتماع وعدم افتراق، فاجتمع الناس على ولاية واحدة، دعا الناس إلى أن يجتمعوا عليها وإلى دين واحد، فاجتمع الناس بعد زمن في هذه المنطقة الكبيرة الشاسعة من الأرض بقراها وبلادها وأناسها على دين واحد، والله عَزَّوَجَلَّ يرضى لنا أن نعبده، ولا نشرك بك به شيئًا: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...»[1]، ويرضى لنا أن نجتمع على ولاة أمرنا.

من معالم هذه الدعوة: أنها ألغت الإمارات المختلفة، وألغت الاختلاف، وجمعت الناس على كلمة واحدة؛ ولهذا كان في رسائل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه راسل أهل الأمصار المختلفين، دعاهم إلى ما آمن به في هذا الأمر، وإلى الاجتماع على كلمة واحدة، وعدم التفرق في الدين والأبدان.

من معالم هذه الدعوة المباركة: أنها دعوة قامت على محبة

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الناس، محبة المسلمين في البلاد هذه، في الجزيرة العربية (الدولة السعودية الأولى) كان الناس مختلفين - كما هو معلوم -، فيهم النعرات القبلية، والنعرات الطائفية، والنعرات الإقليمية، فأرسى فيهم ﷺ المحبة فيما بينهم امتثالًا لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ولقوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فأقام فيهم حب بعضهم بعضًا، وأن ينصر بعضهم بعضًا، وأزال تلك الجاهليات التي كانت في الرجوع في كل قوم إلى شيخ قبيلتهم، أو إلى العصبية لبلدهم، أو إلى ما هم عليه، بل دعاهم إلى أن يتحدوا، فكانوا فعلًا متحدين بعد أن كانوا مختلفين على اختلاف القبائل والبلاد والأمصار، بل تآخى لأجل هذه العقيدة من في الهند، ومن في نجد، ومن في الحجاز، ومن في اليمن، كلهم على محبة واحدة، السبب في ذلك أن الدعوة قامت على المحبة في الله ﷻ، وعلى الحب في الله والبغض في الله، فالمؤمنون يحب بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا.

فهذه الدعوة لم تقم على أساس تفريق الناس، بل كان الناس متفرقين، فقام الإمام المصلح ﷺ إلى إحياء النصوص الشرعية في نفوس الناس، التي تجعلهم يجتمعون، ولا يتفرقون.

ولهذا أئمة الدعوة وعلماء الدعوة من بعد الشيخ ﷺ إلى وقتنا الحاضر من علمائنا الموجودين - حفظهم الله تعالى - الجميع يدعو إلى هذا الاجتماع - اجتماع المسلمين -، وإلى محبتهم، وإلى مناصرتهم، وإلى أن تكون

الكلمة واحدة، وأن لا يتفرق الناس، بل أن يجتمعوا في أمر الدين وفي أمر الدنيا؛ حتى يكونوا أقوياء في عقيدتهم، وأقوياء على أعدائهم.

من يُعرف أنه ناصر المسلمين إلا من آثار هذه الدعوة السلفية الصالحة؟ مناصرة المسلمين واجتماعهم ومحبتهم وموالاتهم إنما كانت من آثار هذه الدعوة.

هذه الدعوة من معالمها: أنها قامت على الفقه الصحيح في دين الله ﷻ، الفقه في الكتاب والسنة باحترام المذاهب الإسلامية، وعدم الطعن في مذهب من المذاهب: (المذاهب مذاهب الأئمة المتبوعين) مذاهب حق وهدى في نفسها؛ لأن أئمة الإسلام ما منهم أحد إلا وقد أراد الحق والهدى فيما نحاه من الفقه والحكم في المسائل الشرعية، لكن الصواب المُطلق مع النبي ﷺ، وأما العلماء، فمنهم من يصيب، ومنهم من يُخطئ، والصواب الكامل مع النبي ﷺ.

ولذلك ما من إمام من الأئمة إلا وقد قال قولته المشهورة: (**إذا صح الحديث، فهو مذهبي، ولا تُقلدني، وتقلد سفيان ومالكا، وإنما خذ من حيث أخذوا؛ كما قال الإمام أحمد**).

فإذًا هذه الدعوة من معالمها أنها لم تطعن في مذاهب المسلمين الفقهية، وإنما أخذت منها واحترمتها، وأجلت العلماء والأئمة، وعظمتهم التعظيم اللائق بهم، وأخذت عنهم، وترحمت عليهم، وترضت عنهم، وقالت بما قالوا في ذلك، لكن إذا اختلف العلماء في هذا الأمر، فإنه يؤخذ بما رجحه الدليل من الكتاب والسنة؛ لأن الحق في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ،

وإذا وقع الاختلاف - والدليل أيضًا يقبل هذا الاختلاف -، فيعذر بعضنا بعضًا فيما قبل الدليل فيه الاختلاف.

ولهذا تجد أن الدعوة السلفية هي كما سطر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس (**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**) - يعني: لا يُلام العلماء في اختلافهم -، ولكن نُلام نحن إذا تعصبنا مع ظهور الحق في قول من الأقوال، ونقول: لا يهمني الدليل، ولكن يهمني ما قال به فلان؛ كما قال بعضهم: إنه إذا كان قول للإمام مخالفًا للحديث، فإن الحديث إما أن يكون مؤولا أو منسوخا، هذا ليس بصحيح، فالعلماء - رحمهم الله تعالى - على الحق والهدى.

فهذه الدعوة من أساسياتها احترام العلماء، واحترام أئمة الإسلام: الأئمة المتبوعين الأربعة وغيرهم؛ كالليث، وسفيان، وابن جرير رحمه الله، وأئمة الحديث، فلا نطعن في أحد منهم، بل نحبهم، ونتولاهم، ونطعن فيمن طعن فيهم، وكذلك شُرَّاح الأحاديث كالنووي رحمه الله، والذهبي، وابن حجر، ونحو ذلك من العلماء، لا نرضى أن يأتي أحد ويطعن في العالم، بل العالم إن كان مصيبًا، فله أجران، وإن أخطأ، فله أجرٌ واحد على اجتهاده، والعالم لا يُتبع في زلته، كما أنه لا يُتبع بزلته، فلا يُقدح في أحد من أهل العلم، فكان من أساسيات هذه الدعوة احترام المذاهب والعلماء، وعدم الطعن في أحد منهم، ولذلك لا يُعرف عن أحد من علماء الدعوة السلفية في الماضي، وفي زمن ابن تيمية وابن القيم، وفي زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى يومنا هذا ممن تحقق بهذه الدعوة السلفية أنه يطعن في أحد من أهل العلم، ولا من علماء المذاهب، بل نحن معهم على الحق والهدى، وما اختلفوا

فيه، فيُرجح فيه الراجح بالدليل، رحمة الله على الجميع، وجمعنا بهم في دار كرامته.

هذه بعض المعالم الأساسية للدعوة، اقتضاها الواقع الآن وما يُثار، وإلا فإن البحث العلمي أو النظر في الدعوة من جهة تفصيلية علمية، فله أنحاء كثيرة، وكل من سيتكلم في ذلك، فسيأتي بأشياء كثيرة، لكن اقتضاها المقام الذي نحن فيه اليوم، وما يُثار على هذه الدعوة.

هذه الدعوة خصومها ومناوئوها في أول وقتها طعنوا فيها بطعون كثيرة جدًا، بل منهم من كَفَّر الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ تبعًا لمن كَفَّر الإمام أحمد بن تيمية، وهنا لا نقضي العجب من أناس إذا أتوا، وقالوا هذه الدعوة تُكَفِّر الناس، ولا يتكلمون عن من كَفَّر الصحابة أو بعضًا منهم، ولا يتكلمون على من كَفَّر ابن تيمية، ولا يتكلمون على من كَفَّر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، كَفَّر شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يتكلمون على من كَفَّر الإمام أحمد بن حنبل؛ كبعض المعتزلة والرافضة ونحوهم، كيف يكون ذلك؟!

شُبُهَاتُ المُنَاوِئِين

هذه الدعوة أُتهمت بأشياء، ومن أعظم ما أُتهمت به في وقت الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وإلى هذا الوقت: أنها تدعو إلى التكفير بغير ضابط - تكفير المسلمين -، وأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: من لم يتبعني، فهو كافر. وأن من لم يؤمن بما أتى به، فهو كافر حلال الدم والمال. . . ، إلى آخره. وهذا من أعظم الباطل، بل قد

قال بعضهم: إن هذه الدعوة متعطشة للتكفير - والعياذ بالله -، يعني أنها لا ترتوي، حتى تُكفر، وهذا من أبطل الباطل، وبيانه:

أولًا: أن المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإنه لا يجوز إخراجه من هذا الدين، حتى يقوم به مُخرج من الدين ظاهر بيِّن، بمثل ظهور وبيِّنة ما أدخله في الإسلام، النبي ﷺ قال لأسامة: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[1]، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وشهد بها شهادة حق، فلا يُخرج من الدين بتأويل، أو بخطأ، أو بإكراه، أو بجهل، أو بغلط، كيف يكون ذلك؟!

الأمر الثاني: أن المسلم قد يقع منه الردة، وذلك بنص القرآن؛ حيث قال الله ﷻ: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟﴾ [التوبة: ٧٤]، وقال: ﴿كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]، وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

إذًا الحكم بأنه يمكن أن يخرج مسلم من دين الإسلام إلى غيره، أو يكفر بعد إيمانه، هذا بنص القرآن والسنة أنه يقع، لكن العلماء بحثوا ذلك، فما من كتاب من كتب الفقه إلا وتجد فيه - في كل مذهب: المذهب الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، والظاهري، وغير ذلك - إلا وتجد فيه باب حكم المرتد، لماذا؟ لأن النصوص دلت على أن المسلم قد يعرض له من الأقوال، والأعمال، والاعتقادات، أو الشكوك، والريب ما يسلب عنه اسم الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، من حديث أسامة بن زيد ﵄.

هذه الدعوة السلفية لكثرة ما جاء في كتب الفقهاء من الحكم بالردة ضيقت هذا الباب، وتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب، تكلموا - رحمهم الله - في أن باب التكفير ليس بابًا يلجه كل أحد، بل لا يُكفر أحد إلا بقيام الشروط وانتفاء الموانع، ما هذه الشروط؟ لا يمكن أن نُطبق هذا الأمر بأن هذا كافر، أو هذا يكفر، أو هذا كفر من الدين؛ لأنه اعتقد كذا، أو لأنه حكم بغير ما أنزل الله، أو لأنه حصل منه قول شركي، أو عمل شركي، أو ما أشبه ذلك، هكذا بمجرد القول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك، بل لا بد من وجود الشرائط وانتفاء الموانع من الذي فَصَّل من أهل العلم وجود الشرائط وانتفاء الموانع؟ لا تجد التفصيلات إلا عند الدعوة السلفية، فتجد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلام ابن القيم، وكلام الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكلام أئمة الدعوة تجده مفصلًا في هذه الأمور، لكن الكلام على التكفير موجود في كتب أهل العلم، وفي كتب الفقهاء.

فإذًا هذه الدعوة حدَّت من دخول الناس في هذا الأمر، أو تطبيق الفقهاء له بالتفصيل في الشروط والموانع، من الشرائط في ذلك:

أنه لا تكفير إلا بقيام الحجة، ما يُكفر أحدٌ إلا بعد البيان: شخص عمل عملًا كفريًا، لابد من التنبيه والبيان؛ لذلك الإمام قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه على من يعبد البدوي، وعند قبة الكواز - كما ذكر -، قال: (**وإن كنا لا نُكفر من عند قبة الكواز أو عند قبة البدوي، لماذا؟ قال: لأجل عدم وجود من ينبههم**)[1] فإذا كان ليس هناك بيان، فكيف يكون هناك حكم بغير قيام الحجة؟!

---

(١) سبق (ص ٤٥٧).

ثم العلماء بينوا أيضًا هذه الحجة التي تقام، ما المقصود منها؟ ومن الذي يقيمها؟ هل أي أحد يقيم الحجة؟ لا، يقيمها عالم يعلم كيف يقيم الحجة، يعرف كيف يجلي الشبه، ويوضح الحجة في التوحيد، ويبين الشرك، وينهى عنه، أي واحد يقيم الحجة؟! حتى قيام الحجة بيَّن العلماء من يقيمها؛ تضييقًا لدائرة التكفير.

من الشرائط: أنه لابد من العلم، هل يمكن واحد يكفر، وهو لا يعلم؟ يكفرون وهم لا يعلمون؟ ليس كذلك، ليس هناك انتفاع بالشهادة إلا بالعلم ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وكذلك سلب الشهادة لا يكون إلا بالعلم، فلا يمكن لأحد أن يُقال: فلان كفر، وهو لا يعلم، خرج من الملة وهو لا يعلم، لابد من العلم عنده بأن هذا الأمر الذي فعله، أو قاله، أو كذا، أنه يُخرجه من الملة، لابد من العلم؛ لهذا بيَّن علماء الدعوة السلفية، وبيَّنت الدعوة الإصلاحية التجديدية أهمية العلم، أنه لابد من وجود شرط العلم، وأما الجاهل - كما سيأتي في الموانع - لو كان عدم العلم كافيًا في الكفر، لكفر الذي قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ»(١) خطأً، ما علم ماذا خرج منه، أو واحد فعل فعلًا، وهو لا يعلم مثل: بعض الصحابة الذين كانوا حديثي عهد بكفر، وقالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط؛ كما لهم ذات أنواط، قال: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾»(٢)، القول كقول أصحاب موسى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٦)، وابن حبان (١٥/ ٩٤)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، قال علماء الدعوة: لكنهم لم يكفروا؛ لأنه نبههم، علمهم، فتعلموا، وتنبهوا.

انتفاء الموانع، ما يُمكن أحد يُكَفَّر إلا بانتفاء الموانع، ما الموانع؟ الخطأ، الجهل، ما يكون قاله عن طريق الخطأ، عن طريق الجهل، عن طريق التأويل، عن طريق الإكراه، الموانع أربعة: الخطأ، الجهل، التأويل الإكراه؛ شخص متأوِّل في شيء، لابد من البيان حتى يُنزع عنه، جاهل مُكره أُكره في شيء، قال قولًا خطأً، أو عمل على خطأ، أو نحو ذلك.

فإذًا الدعوة حدت من التكفير بوجود الشرائط والموانع، وضيقت ما قاله الفقهاء - رحمهم الله تعالى - ببيان هذا الأمر تفصيلًا.

ثم أيضًا من الذي يحكم؟ هل أحكم أنا وأنت والثاني والثالث من طلبة العلم، أو المستمعون، أو عموم الشباب، أو الذين فهموا الدين، وغاروا عليه، هم الذين يحكمون بأن هذا كفر، وهذا ارتد أو غيره؟ لا؛ لأجل لزوم وجود الشرائط وانتفاء الموانع؛ فإن الذي يحكم هو من يقيم الشرائط، وينفي الموانع، وهو القاضي أو من يصلح للقضاء؛ لأن هذا حكم يترتب عليه سلب الإيمان، وهناك أحكام تفصيلية كثيرة تترتب على الردة، من الذي يحكم بذلك؟ يحكم بها القاضي، ليس لآحاد الناس، ليس لي ولا لك، ما الذي علينا نحن من الدور إذا رأينا مثل هذه الأغلاط، رأينا الشركيات، رأينا بعض الموبقات، رأينا بعض الأقوال الكفرية؟ علينا النصيحة، الدعوة لكن الحكم ليس لنا، الحكم إنما هو للقاضي، وهذا هو الذي أصلته هذه الدعوة تضييقًا لباب التكفير.

مما أُتهمت به الدعوة - والوقت يضيق عن مزيد بسط - : أنها فتحت باب الاجتهاد، وادعت أن كل أحد يحق له الاجتهاد، وأن التقليد مُحرم، حتى قالوا في الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: إنه ادعى لنفسه الاجتهاد، والاجتهاد والتقليد مسألة معروفة عند أهل العلم، لا يجوز لأحد من الناس أن يُغلق باب الاجتهاد، في القرن التاسع والعاشر الهجري كثير من الفقهاء قالوا: الاجتهاد أُغلق بابه، وإنما على الناس أن يتبعوا كلام من سبقهم من العلماء، وألا يجتهدوا في الكتاب والسنة، الكتاب والسنة أُنزلت ليتعبد الناس بهما، وليتبعوا كلام الله عز وجل وكلام رسوله، فكان من معالم الدعوة: أنها أحيت الاجتهاد، والفقه في الكتاب والسنة، وفعلًا التقليد ضيقت نطاقه، وهذا من مميزات الدعوة، وليس مما يؤخذ عليها.

مما رُميت به الدعوة: أن هذه الدعوة كانت متعطشة للدماء وللقتل ولقتال الناس. وهذا باطل في نفسه، يقول الشيخ رحمه الله في رسالة له: ونحن لم نبتدئ أحدًا بالقتال، وإنما قاتلنا من قاتلنا؛ لأن الدفع عنا واجب. والذين أتوه، أو أغروا به، أو أرادوا الدولة الأولى، وهاجموها، فقتالهم لا بد منه، فكيف يُترك من قاتل، أو لم يصل للدين الحق؟

القتال والجهاد لابد فيه من فهم لمعنى القتال والجهاد في الإسلام، الجهاد في الشريعة جهاد للنفس، وجهاد للعدو، فمن صال على النفس، أو أراد الدولة، أو أراد المسلمين بسوء، فلابد من مجاهدته، لابد من قتاله، سواء أكان قاتلا بالفعل، أو كان مضمرًا للقتال؛ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل مع الناس، فإنه صلى الله عليه وسلم دافع، جاهد مدافعًا، وتارة اتبع أُناسًا لأنهم كانوا يضمرون له ذلك، ويريدونه، وهكذا كان حال الدولة السعودية الأولى ودعوة الإمام

المصلح رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنهم من أرادهم فعلًا، أو أرادهم نية، فإنهم قاتلوه، وجاهدوه؛ لأجل حماية الدين وحماية الناس. لهذا تجد أنها في كثير من الأنحاء في تاريخ الدعوة - تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية وما بعدها - كثير من الأنحاء يكون إقرار الحق ببعث علماء من الدرعية إلى مكة - مثلًا - أو إلى غيرها؛ ليشرحوا الدين، ويبينوه، فصارت هناك فتوح بدون قتال، هل سُفك في مكة دم؟ هل سُفك في المدينة دم؟ هل سُفك في مكان كذا دم ودم؟ لا . . لماذا؟ لأنهم اقتنعوا بكلام أهل العلم، وصارت مناظرات علمية، مدونة في الكتب كما هو معلوم، وختم عليها حتى علماء المذاهب.

وهناك وثيقة موجودة لعلماء الدعوة مع علماء مكة، تناظروا في مكة والوالي عليهم الشريف في ذلك الوقت، تناظروا في الحق، أقر الجميع على أن ما جاءت به الدعوة حق، وختموه بأختامهم، والوثيقة موجودة محفوظة اليوم، موجودة هنا في الرياض بأختام علماء المذاهب جميعًا في مكة وعلماء الدعوة؛ ولذلك لم يحصل هناك أي نوع من القتال ولا من المباينات لأجل حصول مناقشة أهل العلم لأهل العلم، أما إذا آل الأمر إلى أُناس جهلة أو إلى أمراء جهلة، فقاتلوا الدعوة، وقاتلوا المسلمين من أتباع هذه الدعوة، أو أرادوا أن يوقعوا شرًا بالناس، فهنا قتالهم واجب، والدفع عنهم واجب، أو لم يستجيبوا لأن يكون الدين لله ﷻ وحده، وأن تُهدم مظاهر الشرك والوثنية، وتُقر وحدانية الله ﷻ وعبوديته، فإن هؤلاء أيضًا يبين لهم، وتقام عليهم الحجة؛ حتى إذا لم يرضوا بذلك، جوهدوا في ذلك، وهذا اتفق عليه أهل العلم؛ كما هو معلوم في الفقه.

مما رُميت به الدعوة أيضًا: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ خرج على الدولة العثمانية، ولم يُقر بولاية الدولة العثمانية، بل أتى بأمير بديل، أو بايع أميرًا جديدًا، أو نحو ذلك، وخرجوا في إمارة عن طاعة الدولة العثمانية. وهذا الكلام قيل، وإن كان ليس بمنتشر؛ لأجل عدم قوته في الحق؛ لأن العلماء وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما رموه بذلك، وإنما جاء من بعض المعاصرين؛ لأنه معروف في ذلك الوقت أن هذا ليس بحجة صحيحة.

الجواب عنها واضح، وهو: أن نجدا بعمومها لم تكن خاضعة لسلطان دولة، ولم يُطلب أن تخضع لسلطان دولة منذ القرن الخامس الهجري؛ لأنها أولًا قرى صغيرة، لا يُلتفت لها، وليس عندها خيرات، إنما هي بعض النخيل والتمر، ولا يرغب فيها الولاة، وصعبة في مسلكها، وجوها، ووعورتها، . . . إلى آخره، وإنما كانوا يطلبون الولاية من الأحساء أو من جهة الحرمين الشريفين، وأما نجد، فاستقلت بها دولة عن الدولة العباسية الأولى، دولة كانت مستقلة عن الدولة العباسية، مشت في نجد نحو قرنين من الزمان من نحو سنة مائتين وستين إلى سنة خمسمائة هجري، ثم بعد ذلك اندثرت، ثم آل الأمر إلى أنه لا ولاية فيها، وإنما كل بلد لها إمارة.

فلما أتى الشيخ ﵀، لم تكن الولايات تتبع دولة، فقام وبايع أمير الدرعية، ثم اجتمعت الإمارات الصغيرة في دولة واحدة، وهي لم تكن تحت ولاية أصلًا في ذلك الزمان، ثم لما كان الأمر كذلك انتشرت الدولة؛ لأجل صحة الإمامة وإمامة مستقلة ليست تحت ولاية.

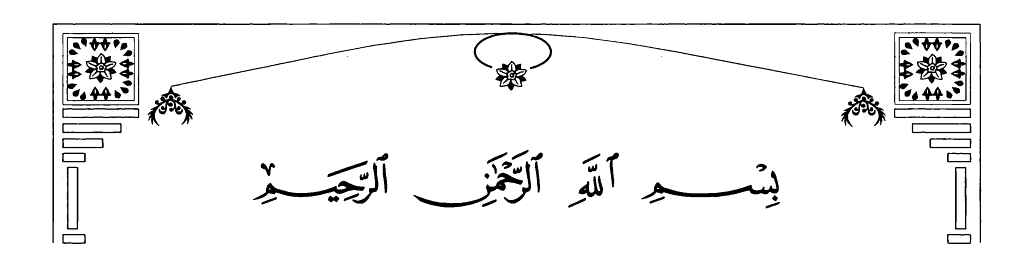
فإذًا لم يكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ خارجًا عن الدولة العثمانية؛ لأن نجدًا في ذلك الوقت لم تكن تحت الولاية العثمانية، ولم يُطلب منها ذلك، ولم تكن تحت الولاية العباسية قبل ذلك - كما هو معروف -، وإنما هي متروكة لأمرائها، لم يُطلب منها شيء من هذا.

هذه بعض الشبه التي ذُكرت في هذا الأمر، وهي شُبه متعلقة بالدعوة كحركة، وهي دعوة إصلاحية، وأما الشبه المتعلقة بالعقيدة وتفصيلات الدعوة هذه أكثر من أن تُبسط في هذا الوقت، ولعل فيما ذكرنا من الإشارة ما يُنبئ عما طُوي، ولم يتسع له المقام.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحم الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب وأسلافه العلماء المصلحين المجددين، وأن يرفع لهم منارًا عنده عَزَّوَجَلَّ، وأن يجعلنا وإياكم ممن مَنّ عليهم باستماع القول، فاتبع أحسنه.

اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم، اللهم اجز الإمام المصلح عن هذه البلاد خيرًا، واجز من آواه ونصره وأقام دولته عنا خير الجزاء، ووفق الجميع لما فيه رضاك، ووفق العلماء وولاة الأمور إلى النهوض بهذه الدعوة؛ إنك جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





محاضرة دروس وعبر من سيرة إمام الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجامع الراجحي بالرياض ١٨/٧/١٤١٨هـ

مقدمة:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

فأسأل الله ﷻ أن يهبني وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، والتوفيق لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وهذه الثلاث - كما يقول إمام الدعوة - عنوان السعادة، هذه المحاضرة يمكن أن تكون عميقة، حتى تتسع لما يخدم الدعوة في جميع مجالاتها، ولما توجه به جموع الدعاة والجماعات والأفراد في هذا البلد وفي غيره، ويمكن أن تختصر بما ينفع الحاضرين والمستمعين، بما يكون إشارة وعبارة لما طوي من الكلام.

مَعْنَى إِمَامِ الدَّعْوَةِ

ولا شك أن الأول يحتاج إلى استعداد خاص من المتلقي، ووضع الشيء في موضعه، يوجه بأن يؤخر ذلك؛ ولهذا ستكون الإشارات لما كان عليه إمام الدعوة من النهج في سيرته الدعوية، إذا قيل إمام الدعوة، فالمعني به الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، المولود سنة خمس عشرة ومائة وألف، والمتوفى سنة ست ومائتين وألف، والدعوة التي في اسمه - إمام الدعوة - هي الدعوة الخاصة التي قامت في هذه البلاد في القرن الثاني عشر الهجري، وإلا فإمام الدعوة - دعوة الإسلام - هو محمد بن عبد الله ﷺ.

فإذًا إطلاق لفظ إمام الدعوة يعنى بها المعنى الأخص في هذا البلد، ومن تأثر بدعوته السلفية النقية الصالحة المصلحة في أمصار الإسلام، ولهذا تتابع علماؤنا على هذا اللقب على الإمام المصلح؛ لأن هذه البلاد ليس فيها إلا دعوة واحدة في الماضي وفي الحاضر، وكل دعوة لا تتصل بسبب وثيق في العقيدة والمنهج مع منهج إمام الدعوة في دعوته، فهي غريبة عن هذه البلاد.

العِلْمُ هُوَ القَاعِدَةُ الأُوَلى

يقول القائل: إمام الدعوة يعني: وكأنه ليس عندنا إلا هذه الدعوة وحدها التي أثرت في الماضي، والتي تؤثر في الحاضر، والتي يرجى أن يبقى نفعها وأثرها في المستقبل.

إمام الدعوة رَحِمَهُ اللهُ محمد بن عبد الوهاب كان رجلًا من الرجال الذين وهبهم الله ﷻ العلم النافع، طلب العلم في بلده على والده وعلى غيره، ثم رحل إلى مكة، وأخذ علمًا عن عدد من علمائها، ورحل إلى المدينة، فأخذ علمًا كثيرًا عن عدد من علمائها، ورحل إلى البصرة، وأخذ العلم عن عدد من علمائها، ورجع إلى الأحساء، وأخذ العلم أيضًا، حتى استقر به المطاف، وقام بدعوته؛ فإذا هو متأهل للدعوة؛ لما حصل على العلم الواسع من أهله، ورحل فيه، وتتبع العلم من مظانه، وهذا القدر معروف في سيرته، ولا يحتاج إلى بسط، لكنه قاعدة مهمة، وعبرة عظيمة من العبر، وهو أن الداعية لا يصلح للدعوة التي تؤثر، حتى يكون علمه راسخًا، فإذا ضعف العلم، ضعفت الدعوة، وربما نتج عن الدعوة أشياء لا تحمد، لهذا يقول أهل العلم: إن العلم قبل الدعوة؛ كما أمر الله ﷻ في قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول، والعلم والعمل، والقول هما الدعوة، فالعلم إذا هو القاعدة التي بنى عليها الإمام المصلح دعوته، وإذا نظرنا إلى هذا الأمر، وجدنا أن هذه البلاد كان فيها نوع من العلوم واحد فقط، وهو الفقه على المذهب بفهم المتأخرين وأما العلوم الأخرى، فإنها لم تكن موجودة في هذه البلاد، ونعني بها نجدا وما حولها، فلم يكن ثم من يتكلم في التفسير ومن يحسنه، ولم يكن ثم من يتكلم في العقيدة والتوحيد على طريقة السلف الصالح ويحسن ذلك، ولم يكن ثم من يتكلم في السيرة - سيرة النبي ﷺ - بعلم ونظر، ويحسن ذلك، ولم يكن ثم من يعتني بعلم الحديث ألبتة في هذه الديار، فلما أتى الإمام المصلح بدعوته، بث هذه العلوم، بث علم التفسير والعناية به، وبث علم

الحديث والعناية به، وبث علم الفقه - كما كان -، وزاد عليه بمعرفة الخلاف ومعرفة الراجح في المسائل، وبث فقه السيرة، وهذه الأربعة له فيها مؤلفات.

فألف في التفسير، ولكن بما ينفع، لم يكرر صنيع من قبله، ولكن ألف كفوائد من كتب التفسير، وألف في الحديث مجموعًا في الأحكام، ومجموعًا في التوحيد، والفقه، والسنة، فكتب كتاب التوحيد، وكتب أصول الإيمان، وكتب فضل الإسلام، وكتب مجموعًا في أحاديث الأحكام طبع في أربعة مجلدات، . . . وهكذا، بل إن أبناء الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميعهم كانوا يشار إليهم بالبنان في الحديث، ورجاله، وفقهه، ونشر في الناس علم السلف الصالح فيما يتصل بالسنة والتوحيد بخاصة، ودعا إلى ذلك، وألف فيه.

إذا الدعوة - دعوة الإمام المصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ - لم تنتشر في الناس بمواعظ، لم تنشر في الناس بقوة مجردة، لم تنتشر في الناس إلا بالعلم، فالعلم كان هو الذي نفذ في الناس، قبل أن تنفذ الجيوش، وتنتشر، وتمتد الدولة، ولهذا ترى أن الإمام المصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه يهتم بالعلم، ويركز على العلم، انظر - مثلًا - في ثلاثة الأصول: اعلم - رحمني الله وإياك - أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم أربع مسائل.

إذًا نبدأ بالعلم، وذكر كلام البخاري في الصحيح أن العلم قبل القول والعمل[١]، هذا العلم ما هو؟ هل هو العلم التفصيلي الذي يدرس في

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١٦٠).

الجامعات اليوم؟ أو هو العلم النافع؟ نقول: الدعوة في العلم لا بد أن تنظر إلى واقع المجتمع الذي تعيش فيه، وكل مجتمع له مستوى من العلم يعيشه، وكلما زاد العلم، زادت الدعوة، فليس الطرح العلمي في دعوة الإمام المصلح واحدًا في جميع المجالات، بل اختلف ذلك، وتنوع بحسب المجتمع الذي فيه الدعوة، فتجد أن خطاب الإمام المصلح تنوع، فخطابه للعلماء بلهجة علمية عالية، خطابه للعامة بلهجة علمية نافعة؛ لأن المقصود من العلم التعليم.

وليس المقصود من نشر العلم أن يظهر العالم أنه يعلم، لا، **حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ**، لا بد أن يواكب العالم مستوى المتلقي، إن لم يواكب مستوى المتلقي، كان فيه عي علمي؛ لأنه كما أن في الخطابة عيا، فكذلك في العلم عي أيضًا، ويكون العي في العلم بأن تحدث الناس بما هو فوق مستواهم، والكلام إذا مر فوق الرؤوس - كما يقال -، لا يصل إلى القلوب، وكيف يصل؟

لهذا تجد بعض الناس أنه ذكر في كلام الشيخ الإمام في الدعوة - يعني في كتبه ومؤلفاته - بأنه يستعمل ألفاظًا عامية مثلًا، وهذا نادرًا، وأنه في عبارته ليست تلك العبارة التي ترى في كتب أهل العلم المتوسعين كالحافظ ابن حجر، أو النووي، . . . إلى آخره من التفصيلات والتحريرات الطويلة، وهذا لا شك له سبب؛ لأن التصنيف له غرض، واستخدام العلم للدعوة له غرض آخر.

فإذا وضع الداعي العلم في موضوعه وبمستوى المتلقين، فهذا من أسباب نجاح دعوته، فإذًا مما يستفاد، ويؤخذ عبرة من دعوة الإمام المصلح أنه

جعل العلم قاعدة الدعوة، والذين حملوا الدعوة من بعده طلبة علم، ليس ثم جاهل حمل الدعوة من بعده، وليس ثم جاهل كان يرسل في الدعوة، وإنما كانوا أهل علم، لكن يدعون إلى ما علموا، وكان علمهم قناعة - عن دليل- رباهم الإمام الشيخ رحمه الله على قبول الحق، والقناعة بما جاء في الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، مهما خالف المخالفون.

ذات مرة ذهب أحد أتباع الدعوة إلى أحد البلاد المجاورة - إلى اليمن-، فقال له بعض علمائها: إنكم تقولون ما تقولون تقليدًا للشيخ محمد بن عبد الوهاب في التوحيد والشرك، والسنة والبدعة، . . . إلى آخره. فأجابه قال: لو خرج محمد بن عبد الوهاب من قبره، وقال لنا: اتركوا الذي قلت لكم، لما تركناه، يعني: لاحظ (خرج من قبره) هذه الشبه قوية، ماذا رأى في القبر؟ وما الذي تبين له أنه على حق؟ لماذا؟ لأنهم أخذوه عن دليل وبرهان ويقين، وهذا هو الذي يبقي صف الدعوة قويًا، أما الدعوة التي تقوم على انفعالات وعلى عواطف، فليست مهيأة لامتداد، ولذلك ترى أن دعوة الإمام المصلح في نجد وفي الأمكنة التي انتشرت فيها تزداد يومًا بعد يوم، من وقت الشيخ رحمه الله إلى وقتنا الحاضر، حتى رؤي من أزمنة في أمكنةٍ بعيدة: في روسيا، وفي جزر القمر، وفي شمال، وفي جنوب، وفي شرق، وفي غرب وجدت كتب الإمام المصلح، تدرس، وتعلم.

هذا المنهج العلمي لا شك أنه يحتاجه الدعاة؛ لتكون دعوتهم صالحة مثمرة، على قاعدة سوية؛ كما كانت عليه دعوة الإمام المصلح رحمه الله، أبناء الإمام جميعًا طلبة علم، تلامذة الإمام طلبة علم، لهم رسائل وكتب سارت

وشرقت وغربت، وهذه تجعل الناظر في هذه المسألة يتيقن أن الصف الثاني والثالث والرابع في دعوة الحق - الدعوة السلفية الصالحة- لا بد أن يكون الامتداد علميًا، إذا كان الامتداد قناعات عقلية أو تبعية تقليدية، فإنه لن تستمر الدعوة.

ولهذا يجب على كل من يعتني بأمور الدعوة أن يعتني بالعلم؛ لأنه الأرضية للاستمرار؛ العلم لا ينقطع، والعواطف تنقطع، العواطف تأتي وتذهب، الفهم والآراء عرض يطرأ ويزول، يذهب ويأتي، لكن العلم يرتكز فيه على أصول ثابتة، لا تتغير مهما تغير الوقت، العلم الذي كان عند سعيد ابن جبير، وسعيد بن المسيب، وإبراهيم النخعي، وأصحاب ابن مسعود هو العلم، الآن الذي نراه لم يحجب عنا شيء من ميراث المصطفى ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]. العلماء ورثه الأنبياء «وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[(١)] هذه هي المسألة الأولى.

مُتَابَعَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ

مما يستفاد من سيرة الإمام المصلح رحمه الله: أن إمام الدعوة رعى في دعوته متابعة النبي الكريم، إمام المرسلين، وقدوة المؤمنين محمد بن عبد الله ﷺ، سار في نهجه في الدعوة حذو محمد ﷺ حذو القذة بالقذة، حتى إنه لما تعاهد مع الإمام محمد بن سعود رحمه الله، لما تعاهد معه عبر بالكلمة التي

(١) سبق تخريجه (ص ٣١٠).

قالها ﷺ، فقال له الإمام محمد بن سعود: يا شيخ نخشى أنه إن فتح الله علينا أن تستبدل بنا غيرنا، وأن تنتقل من الدرعية، وترجع إلى بلدك، قال له الإمام: «الدم الدم، والهدم الهدم»(١) وهي الكلمة التي استعملها، وقالها نبينا الكريم ﷺ للأنصار، فدعوته في مراحلها كان مقتديًا فيها سيرة النبي ﷺ، ثم بعد ذلك عرضت الهجرة، ثم مكث فترة، ثم بدأ يجاهد من حوله أول الأمر دفاعًا، ثم جهادًا، ثم امتدادًا على ما كانت عليه سيرة النبي ﷺ تمامًا، ودعوة النبي ﷺ هي دعوة الإسلام، هي دعوة الأنبياء والمرسلين جميعًا، الدعوة إلى التوحيد، وهذه الدعوة هي التي جعلها الإمام المصلح أول ما دعا إليه.

تَرْتِيبُ الأَوْلَوِيَّاتِ

وأَوَّلُهَا التَّوْحِيد، نرى في دعوة الإمام أنه - كما يقال في التعبير العصري - رتب الأولويات، يعني: جعل للدعوة أولويات، هذه الأولويات يمكن أن تكون بنظر مصلحي دعوي تطرح فيه الأطروحات العقلية، ما الأولى؟ ما الذي يقدم على الآخر؟ يمكن أن ينظر إلى هذه الأولويات، إلى الدليل البحت، وهذا هو الذي حصل مع الإمام المصلح، فلم تكن الأولويات التي طرحها، وبدأ بدعوته، وأخر ما أخر، لم تكن محض رأي واجتهاد له، وآراء مصلحية، وإنما كان فيها على ما كان عليه المصطفى ﷺ، فالمصطفى ﷺ بدأ بالدعوة إلى التوحيد - لهذا ذكرها الإمام في ثلاثة الأصول - فمكث عشر

---

(١) سبق عزوه (ص ٤٤٢).

سنين يدعو إلى التوحيد، الدعوة إلى التوحيد هي أولى الأولويات بلا شك، ولا يقدم عليها شيء، حتى إن الإمام المصلح سئل عن مسائل من السنة ومن إنكار بعض البدع، فقال: أنا لم أتكلم في هذه المسائل بشيء، لماذا قال ذلك؟ لأنها ليست هي أول ما دعا إليه، مثل الكلام على مسألة التوسل بالذوات ونحو ذلك، هي بدعة عند أهل العلم، يعني: كأن يقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أسألك بمحمد، أسألك بأبي بكر إلى آخره، هذه بدعة، ووسيلة إلى الشرك، سئل عنها، فقال: أنا لم أتكلم في هذه بشيء، وإنما تكلمت فيما أجمع عليه العلماء، وهو الدعوة إلى التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، تكلمت عن أن ينهى عن دعوة غير الله معه، هذا الذي دعوت إليه، وهذا يحتاجه الداعية؛ لأن الشريعة كبيرة، ولأن المصلحة يجب أن تكون تبعًا للشرع، وليس الشرع تبعًا للمصالح.

ونحن أمامنا سنة في الدعوة، وهي أن الناس لا بد أن تقر في قلوبهم دعوة التوحيد، أن تكون قلوبهم ذليلة خاضعة للرب ﷻ، وألا يرغبوا إلا إليه، متوكلين عليه، محبين له، والولاء والبراء فيه ﷻ، إذا جاءت هذه القاعدة، وهذا أصل قيام القلوب؛ فإن القلب لا يصلح إلا بتوحيد الله ﷻ.

إذًا فدعوة الإمام المصلح أتت على الشريعة بأنواعها، لكن كان هناك منهج في أن الدعوة للتوحيد، فلما قبل المجتمع ذلك، وصار موحدًا خاضعًا، جاء بعد ذلك أشياء كثيرة: من الوسائل، ومن العلم، ومن الإلزام بأحكام كثيرة في المجتمع، وهذا لا بد منه؛ لأن الأمور تكثر، والداعية لا يصلح أن يتشتت، لا بد أن يركز؛ حتى ينتج، والتركيز لا يكون على

هواه، على معطيات نظرية أو سياسية أو نحو ذلك، إنما على ما يصلح الناس؛ لأن دعوة الإسلام ليست لتحقيق مصالح دنيوية، وإنما المصالح الدنيوية تبعٌ، الدعوة أولًا، والدنيا تبع، قد ترى الدنيا، وقد لا تراها، لكن المهم الدعوة، وهذا هو الذي فعله الإمام المصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذًا فأولى الأولويات التي اعتنى بها الإمام المصلح: أن يدعو إلى التوحيد أن يعلم الناس التوحيد؛ لهذا كان في هذه البلاد كل يوم يمسك واحدا من جماعة المسجد، ويعلمه الإمام الأصول الثلاثة، ويحفظ ذلك ويردده؛ لأن التوحيد لا ينفع فيه التقليد، فيعرف ذلك بأدلته، هذا نشر للعلم النافع، الإمام عليه دور، الدعوة جعلت كل إمام في مسجده يمارس هذا الدور، الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإصلاح القلوب.

مَا فَهِمُوا التَّوْحِيدَ

مرة في الدرس عرضوا للشيخ في القصة المعروفة:

قالوا له: يا أبا علي، أو يا شيخنا: دائما ندرس العقيدة والتوحيد... التوحيد والعقيدة إلى متى؟! نريد الفقه، نريد أن نعرف - هذا كلام الطلاب - نريد أن نعرف الفقه. يعني: يريدون أن يتسعوا في العلوم.

فقال لهم الإمام: دعونا نتأمل، فلما أتى من الغد، وقد رأوا في وجهة التغير.

فقالوا له: ما الذي أزعجك يا شيخ؟

فقال: أخبرت بخبر أزعجني، وهو أن أحد البيوت في الدرعية قيل

لأصحابه أو أحد البيوت في الدرعية وقع الرجل فيه على أمه، يعني: - والعياذ بالله - زنى بأمه.

قال الطلاب: أعوذ بالله، كيف يكون هذا؟!

قال: ذاهبون لنتأكد من هذا الأمر، ثم بعد ذلك نرى، فلما أتى المرسل - طبعًا الشيخ عملها للتعليم -، وأسر إليه، فقال: الأمر ليس كذلك: وجدنا أن في بيت من البيوت الأم كان فيها بعض الحالة، وأن أحدًا قال: لهم اذبحوا خروفًا عند الباب يسيل دمه، فتكفون الشر.

فقالوا: الله يبشرك بالخير يا شيخ.

قامت القيامة عندهم، أو أخذتهم الغيرة لما كانت مسألة الوقوع على المحارم، لكن لما أتت مسألة الشرك الأكبر، هذه الصورة ما تغيظت لها القلوب، معنى ذلك أن التوحيد ما رسخ؛ مثل ما يكون الآن بعض الناس يأتي، ويرى امرأة متبرجة، فيقوم قلبه، لكن يرى بدعة أو شركًا أكبر في بلد من البلاد، لا يتغير قلبه، أو يرى قبة على قبر، ولا كأن شيئًا حصل، لا يتحرك قلبه.

إذًا القلوب لم تتعلم التوحيد بعد، ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة كشف الشبهات - ومنه بعد كلام ما معناه - **ومعرفة أن قول الجاهل: (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان**[1].

إذًا لا بد من وجود هذه الأولويات، بعض الناس يقول: المجتمع عندنا

(١) انظر: رسالة كشف الشبهات بتعليق العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٨٠).

- الحمد لله - ما نحتاج إلى التوحيد، نحتاج إلى بيان المنكرات، نحتاج إلى بيان الفقه، نحتاج إلى تعليم أشياء.

حَرِّكْ تَرَ

لا، الواقع ليس كذلك، حرك تر، فترى أن الولاء والبراء في القلوب ليس كما ينبغي، حرك، تر أن معرفة التوحيد والحب فيه وحب أهل السنة في أي مكان ليس كما ينبغي، حرك، تر أن إكرام الرجل لما فيه من التوحيد ونصرة التوحيد ليس كما ينبغي، وهكذا في أمور كثيرة.

إذًا الإمام المصلح حينما علَّم التوحيد؛ ليحدث قاعدة يكون الترابط فيها على هذا، والمجتمع لا يمكن أن يقوم إلا على التوحيد، لا يمكن أن يقوم المجتمع، وأن تكون ثم رابطة في مثل هذه البلاد وفي غيرها متنازعة متشتتة إلا بشيء يجمعها، وهو حبل الله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، حتى أنه في هذا الدرس استفاد بعض الخبثاء - ماركس الشيوعي - في مراسلة بينه وبين إنجلز، لما عرضوا لبعض المسائل في مد البروليتاريا والمستقبل الشيوعي في التنظير، قبل أن يحدث أمر عملي، تكلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة له، وقال: (**انظر إلى ذلك الثعلب - يسميه: الثعلب الصحراوي - كيف استطاع - طبعًا بتصوره - أن يلبس ثوب الزهد والعلم والدين، ويوحد هذه الجزيرة على كلمة واحدة، ويسعى في الانتشار خارجها**)، لماذا نقول: العقيدة، التوحيد، العلم، المنهج الواحد؟ لأنه لا يمكن أن تقوم للبلاد قوة، ولا للدعوة قوة، ولا للأمر والنهي قوة إلا بعصبية واجتماع على شيء، وهذا الشيء هو

توحيد الله ﷻ، لا يصلح غيره مهما كان؛ لأن غيره يقبل الخلاف، والتوحيد لا يقبل الخلاف، التوحيد يسري في النفوس؛ لأنه الفطرة.

فلذلك التجمع على توحيد الله ﷻ فيه القوة، وفيه القدرة على الانتشار، وهذا هو الذي رآه الإمام المصلح، لم يره مصلحة دعوية خطط لها، ولكن أتى نتيجة طبيعية لاتباعه لدعوة محمد ﷺ، فإذا ترتيب الأولويات كان عند الإمام المصلح في دعوته واضحا جليا، بدأ بالدعوة للتوحيد، العلم، بدأ في تنمية المجتمع، تنوع الخطاب عنده لطبقات المجتمع... إلى آخر ذلك.

مَا طَلَبَ الإِمَارَةَ

إن الإمام المصلح لم يطلب أن يكون أميرًا أو صاحب دولة، وإنما هو صاحب دعوة، عرض دعوته على أمراء الوقت، فعرضها على أمير العيينة، نصره فترة، ثم خذله، وأمر بالرحيل منها؛ حتى لا يقتل، إلى أن قيض الله ﷻ لنصرة دعوته الإمام المصلح محمد بن سعود بن مقرن - رحمه الله تعالى، ورحم عقبه، وأصلح الحاضرين -، هذا الإمام نصر الدعوة، الإمام محمد بن عبد الوهاب ما كان يطمع في أن يكون هو الأمير، إنما كان صاحب دعوة، وهذه مسألة مهمة في سيرة الدعوة - دعوة الإمام المصلح -، حتى دعوة الإمام لما وصلت إلى مكة ما طلب الإمام في حينها أن يتولى أحد من أهل نجد، وإنما دخلوا، وقالوا: الدعوة كذا، وناظروا علماء مكة، ولما أقروا بذلك، كتب الإمام لهم بأن يبقى أمير مكة كما هو، الذي هو الشريف غالب.

فإذًا دعوة الإمام المصلح لم يكن الهدف منها الإمارة في نفسه، وإنما كان الهدف التوحيد، كان الهدف نشر الدعوة، هذا هيأ له السبل، وبحث له عن نصير، وبحث عن السبل التي بها يكون الوالي نصيرًا للدعوة، ونجح؛ لأن الوالي لا يمكن أن يقبل - في أي بلد - بمنافس؛ لأن المنافس يحول المسألة عنده من دعوة إلى ولاية، وهذا معناه أن تختلف الطريق، فصار بدلًا من أن ينصر الدعوة يكون معاديًا للدعوة، الإمام المصلح صار المرجع، ومنه يصدر الأمر في أمور الشريعة، ويستشار في الأمور. . . إلى آخره، وكان هو ومن بعده من أبنائه وتلامذته يعون هذا الأمر، في أن طلبة العلم وأن أئمة الدعوة إنما هم للدعوة، إنما هم للإصلاح، يصلحون الناس، يصلحون الرعية، يصلحون المجتمع، يصلحون الراعي، يكونون محتسبين في هذا الأمر، ونصحة، ودعاة، وطلبة علم، ينشرون الخير، ويجاهدون في ذلك، وهذا لا شك درس مهم تحته تفصيلات وفروع.

ثَلاثُ رَكَائِزَ

إن الإمام المصلح في دعوته لما أقام الدعوة، جعل هذه الدعوة التي نصرتها الدولة - دولة السعودية - جعلها قائمة على ثلاثة أمور، وعلى ثلاثِ ركائز، ثلاث لا محيد عنها، ثلاث لازمة لا محيد عنها، هي: الدعوة من أول يوم إلى اليوم.

الأصل الأول: الدعوة إلى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتحكيم الشرع في اختلاف المختلفين، يعني: تحقيق التوحيد والحكم بالشريعة، هذا الأصل الأول.

الأصل الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إصلاح الناس.

الأصل الثالث: الارتباط بالولاية الشرعية القائمة: ولاية الدولة السعودية الأولى، الدولة السعودية الثانية، والدولة السعودية الثالثة، كل هذه امتداد لدعوة واحدة، فهذه العناصر الثلاثة عليها إمام الدعوة ومن تبعه إلى يومنا هذا، ثلاث مسائل يكون عليها مدار الدعوة، ومنها المنفذ، وإليها المرجع.

أولًا: تحقيق التوحيد، والسعي في ذلك، وبذل الوسائل فيه في ما يتاح من ذلك في أي مكان: في الداخل، في الخارج، في أي مكان، تحقيق التوحيد، والدعوة إليه، والدعوة إلى تحكيم الشريعة.

والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا أسست الهيئات ... إلى آخره، زاد الله قوتها، ونصر أهلها، ووفق ولاة الأمور في أمرها لما يحب ويرضى.

الثالث: الارتباط بالولاية؛ ولذلك كل متبع لدعوة الإمام المصلح نجد عنده هذه الثلاث، تجد عنده التوحيد وتحكيم الشريعة، تجد عنده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تجد عنده الارتباط بالولاية، هذه انظرها في سيرة العلماء السابقين والحاضرين ومن نهج نهجهم، وهذا الدرس، وهذا الموقف، وهذا الأمر هو الذي به تصلح البلاد؛ لأن غير التوحيد لا يصلح، ولأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوقع البلاء في الناس والاختلاف والفرقة والوبال، ولأن ترك الارتباط بالولاية يفرق الناس، ويحدث مفاسد الله بها عليم، وكل هذه المسائل مسائل شرعية.

فالتوحيد هو أساس الدين، ولا خير فيمن لا توحيد عنده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند بعض أهل العلم هو الركن السادس من أركان الإسلام، يعني: أن أمره في الإسلام عظيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤] هذا أمر فرض، واجب على الولاة، وواجب على أهل العلم، وواجب أيضًا على الناس بحسب الاستطاعة.

الأمر الثالث: الارتباط بالولاية - ولاية الدولة - يعني: الارتباط بالحكومة، الارتباط بالمملكة، سمها ما شئت من التسميات الحاضرة، وهذه الثلاث بها اجتمعت القوة في الماضي، وبقيت القوة إلى الآن في الدعوة، وإذا تخلخل واحد من هذه الثلاث، ستخلخل قوة الدعوة، ولهذا كل محب للإسلام وللتوحيد ولهذه البلاد لأئمة المسلمين في هذه البلاد ولعامتهم يسعى في تحقيق هذه الثلاث ما استطاع، فهذا إذا نهج، وهذا النهج مضى وبقي.

مُرَاعَاةُ الحِكْمَةِ فِي أُمُورِهِ

قد يرى الناظر فرقًا ما بين وضع أتباع الدعوة في وقت ووقت الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، فيقول: لا، العلماء بعده تركوا طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام المصلح نفسه - في دعوته - تنوعت مواقفه بحسب المراحل.

فمرحلة كان له فيها خطاب وموقف، ومرحلة كان له فيها خطاب وموقف

مع الولاية ومع العامة، وهذا مهم، وهكذا فَهْمُ أئمة الدعوة ومن نهج نهجهم من العلماء إلى يومنا الحاضر في أن الدعوة في أصولها لا يعني أن تطبق في كل حين، بمثل ما طبقت به في وقت الدولة السعودية الأولى، قد لا يتاح، فهل نقول: إما يكون أولا يكون؟ ليس هذا من الحكمة، بل العالم هو الذي يرعى القاعدة الشرعية، وهي التي رعاها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سيرته في حياته، ورعاها تلامذته من بعده، وهي أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها.

خذ مثلًا: الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يعاقب على شرب الدخان أول ما ظهر - يعني: من مائتين وخمسين سنة -، كان هناك من يشربه، فكان يعزر من يشربه؛ حتى لا ينتشر في الناس، مرة طلب عددًا من قبيلة من القبائل، حصل بينهم وبين قبيلة أخرى محن وثارات، وربما أدى إلى مقتلة، فأتى مشايخ البدو إلى الدرعية، وكلمهم الإمام محمد بن عبد الوهاب، وألزمهم، فالتزموا بأن يكفوا عن القتال، وأن يصلحوا ذات بينهم، وأرسل معهم أحدا، فقبلوا، وهم يصلون، وهذا الرئيس من رؤساء البادية، وهو يصلي سقط منه أنبوب الدخان الذي كان يشرب فيه في ذاك الوقت، أنا لا أعرف هيئته، لكن هكذا قرأت هيئته: أنبوب يحشى فيه الدخان - يعني: المادة -، ثم بعد ذلك يشعل فيه، سقط منه الأنبوب في المسجد، الناس رأوه، الإمام محمد بن عبد الوهاب لما رآها، التفت، فقالوا - ذاك أخذ الأنبوب وأدخله في جيبه - فقالوا للإمام: الرجل معه أنبوب يشرب الدخان، يعزر، هذا الأصل، كيف تترك تعزيره؟ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ما رأينا شيئًا. قالوا: رأيناه يا شيخ. وتركه، ولم يقل له شيئًا، بل حمل بالهدايا الرجل.

هذا الموقف لو كان في غير هذه الظروف، لعزر، لكن لما كان في هذه الظروف، قال الإمام المصلح: ما يناسب الآن، ما يناسب الآن، قبل حقن الدماء، وقبل ألا تحصل مقتلة، فأقابله، أعزره على شرب الدخان، هذه ليست من صنيع الأئمة، ولا من صنيع من يفهم المقاصد الشرعية في الأمور

فإذًا الدعوة لم تتنوع في مواقفها من علمائها السابقين من الدولة السعودية الأولى، ولا الدولة السعودية الثانية، ولا الدولة السعودية الثالثة، هي مدرسة واحدة، لكن ترعى فيها المصالح؛ لأن الإمام المصلح في حياته تنوع خطابه، وليس تقليدًا له، ولكن لأجل أن المصلحة الشرعية تقضي بذلك، وكما قلنا: أئمة الدعوة بعده على وضوح، وعلى أمر بين بما تقتضي به الأوامر الشرعية والأدلة المرعية.

وَسَائِلُ الدَّعْوَةِ

إن الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله استعمل في دعوته وسائل مختلفة:

الوسيلة الأولى: استعمل الكتاب، فألف، وكان تأليفه بحسب المصلحة بحسب ما يصلح الناس، لم يؤلف شرحًا للبخاري، ولا شرحًا لمسلم، ولا تفسيرًا كتفسير الطبري، ونحو ذلك، ولم يؤلف كتابًا عظيمًا في الرد على أهل الفرق من المعتزلة والخوارج... إلى آخره، ولكنه جعل كتبه مشتملة على العقيدة النافعة في دليلها، وعلى المنهج الصحيح في السنة والبدع، وهذا بحسب مستوى الناس، الإمام المصلح في دعوته استخدم الوسائل

جميعًا، ووسيلة الكتاب التي تناسب المخاطب، هذه واحدة.

الوسيلة الثانية: وسيلة المراسلة، والمراسلة وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، تجد أن كثيرًا من رسائل الشيخ مراسلات بينه وبين أناس يريد أن يصلحهم، والمراسلة فيها فائدة في الدعوة.

ما الفائدة؟ الفائدة في المراسلة: أنك تلقي ما عندك بهدوء، تأتي المؤثرات العاطفية في الرسالة، والمؤثرات العلمية، وتكون ميدانًا للتأمل والنظر، وباب الرسائل - اليوم - أظنه قل من يعمله من أهل العلم أو من طلبة العلم أو من الدعاة، وهو وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، مراسلة فيها بيان الحق، حتى أنه في رسالة من رسائله أرسلها إلى أحد العلماء الذين خالفوا في بعض المسائل، وهو عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي، قال له:

(كنت زرتك من عشرين سنة - أو كما قال-، فرأيتك علقت على مسائل في كتاب الإيمان في أول البخاري، بأن كلام البخاري فيها حق، ففرحت بذلك؛ لأنه يخالف ما عليه أهل بلدك - يعني في مسألة الأرجاء -، وأن الإيمان قول وعمل، وكنت أرجو - في الرسالة - أن تكون فاروقًا لدين الله في آخر هذه الأمة، كما كان عمر بن الخطاب فاروقًا لدين الله في أول هذه الأمة، وإني لأدعو لك في صلاتي)[1] ورسالة طويلة فيها مناقشة علمية، وفيها تأثير عاطفي، وفيها أمر ونهي، وترغيب وترهيب.

المراسلات عملها الشيخ، وأخذ بهذه الوسيلة بقوة، لا يقال: اليوم جاء

---

(١) سبق (ص ٢٦٠).

الهاتف، جاء الشريط، جاء، جاء. . لا . الرسالة لها أثر؛ لأنه يتلقاها المتلقي، ويقرؤها في هدوء، وأنت تكتب في هدوء، ويمكن أن تملي فيها أشياء جيدة، وأن تقنع بها الناس من الحق.

الوسيلة الثالثة: الإرساليات، كان الإمام يرسل العلماء للبادية، يرسلهم للقرى؛ ليعظوا، وليذكروا، وما كان أهل العلم - في وقت الشيخ - ينتظرون أن يأتيهم الناس، فكانوا يذهبون، بل كان الناس يذهبون، يعني: كان طلبة العلم والعلماء يذهبون، ويتنوعون.

الوسيلة الرابعة: وسيلة الولاية، يعني أن من خالف، ألزم بالولاية، حتى إنه في رسالة له - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عتب على بعض الناس بأنه نشر ما عنده في بلده من المنكرات، وقال له: كان الواجب عليك أن تكتب إلينا في ذلك، ونحن نسعى فيه بما يجب، وأما حديثك بين الناس بما ينكر، فإن هذا لا يحقق مصلحة، أو كما قال.

الاستفادة من ولاية، الولايات على أنواعها هذا مطلب من المطالب، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ استفاد منه في دعوته، القاضي في بلده له ولاية يستفاد منها، القاضي لا بد أن يشعر بهذه الولاية، ويقرر الحق والتوحيد والسنة، ويرد على الباطل، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى ربط الناس بالولاية من خلال ولايته الصغرى؛ لأن القاضي نائب الإمام فيما أنابه فيه، رجل الحسبة كذلك عنده سلطة، وعنده نوع ولاية، العالم عنده نوع ولاية، المسؤول عنده نوع من الولاية، والولاية العظمى هي التي بها يقوى الحق وينفذ، ولهذا كل من دعا إلى انفصال ما بين أهل العلم والولاية، سواء كانت

ولاية عظمى أم ولاية صغرى، الولاية العظمى يعني: الإيمان بالملك المسؤول الأعظم، أو الولاية الصغرى: مسؤول، قاض، رئيس هيئة، وزير. . . ، إلى آخره.

ولا شك كل من دعا إلى هذا الانفصال والتشكيك، فهذا لا يخدم الدعوة ولا يخدم نصرة الحق، بل يسعى إلى التفكيك، ولا شك؛ لأن الدعوة مشت من قرون، وقويت البلاد؛ لأنه بقي هذا التواصل الأعظم وهذه الوسيلة من وسائل الدعوة في التأثير.

إذا الإمام المصلح ما اقتصر على وسيلة، وإنما طرق الوسائل جميعًا، التي فيها إصلاح الناس، لكن لا بد من أن تكون الوسيلة مشروعة، وهذا يقيمه أهل العلم.

هذه كلمات موجزة في دروس مختصرة تناسب الحاضرين، ولا شك أن دروس الإمام المصلح متنوعة في دعوته، وكلما نظرت إلى دعوته - لأنها دعوة ناجحة - استخرجت فوائد؛ لأنها دعوة ناجحة، ولم ير في العصر الحديث - بل ما بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - دعوة نجحت كنجاح دعوة الإمام المصلح، وقامت عليها دولة، وبقيت هذه الدولة قرونًا.

لهذا أوصي في الختام أن يكون لنا من هذه الدروس عظة وعبرة، فلا بد من الاهتمام بالعلم، لا بد من طرق وسائل الدعوة، بحسب المتاح والمتيسر بما يقره أهل العلم، لابد من تعليم الناس ما ينفعهم، ونشر الدعوة والتوحيد حتى تكون القلوب ذات عبادة، لا بد من قيام الأمر على الثلاث التي ذكرتها لك: التوحيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الارتباط بالولاية.

هذا به نجحت في الماضي، وبه يرجى الاستمرار، ونعود في الختام لما بدأنا، بأن هذه البلاد قامت على دعوة، ولا يصلح لها إلا هذه الدعوة، فأي دعوة أخرى، فإنها تفسد - في هذه البلاد -؛ لأن البلاد فيها دعوة، وأي مجيء آخر معناه يفرق الناس عن الدعوة الأصلية، وهذا - ولا شك - يحدث انفصالًا في الناس، وتعدد الولاء من جديد، وتعدد العصبيات، وهذا تفرقة للناس.

الدعوة كونت مجتمعًا بمناصرة الأئمة من آل سعود، كونت مجتمعًا قويًا، وبه انتشر خير كثير في البلاد وفي غيرها، وهذه القوة والرابط كان على أساس العصبية للتوحيد، ليست عصبية وطنية، وليست عصبية إقليمية، إنما كانت عصبية على الدين، عصبية على التوحيد، فكلما سعينا في تقوية هذه العصبية على التوحيد وقوتها، بقينا أقوياء، وهذا - ولا شك - درس عظيم من دروس هذه الدعوة، فاستمرار هذه البلاد وهذه الدعوة هذه المدة الطويلة كان بسبب مهم، وهو بقاء العصبية العظيمة العصبية الشرعية، وهي العصبية للدين، يعني الولاء للدين، نرى أن الدولة السعودية الأولى ذهبت، لكن رجعت مرة أخرى، ذهبت الدولة السعودية الثانية، لكنها رجعت ثالثة، لم؟

لأن الأساس الذي بنيت عليه الدول السعودية الأولى والثانية والثالثة هو أساس واحد، وهو العصبية للتوحيد، العصبية للدين، فإذا زالت الدولة بظلم من الأعداء، والأساس بقي، فإن التجمع عليه سهل وميسور، فإذا العدو يدخل لهذه البلاد من مدخل عظيم، وهو تفتيت العصبية التي قامت عليها هذه البلاد، فإذا فتت العصبية ضعفت الدولة، ولذلك كل محب للتوحيد ولدعوة الإمام المصلح يسعى في بقاء العصبية؛ لأن بقاء العصبية

على التوحيد بقاء لهذه البلاد مجتمعة على القوة وعلى السنة وعلى التوحيد.

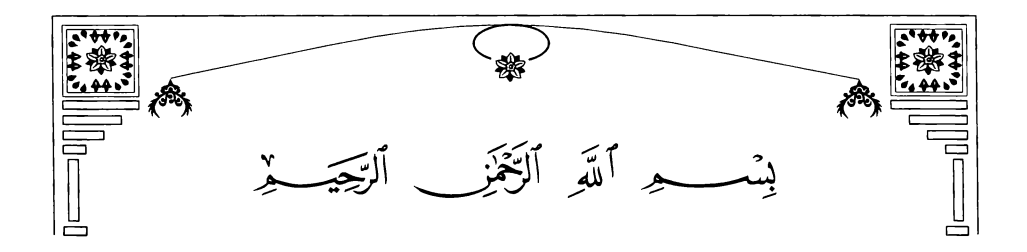
أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلىٰ أن يرفع درجة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ودرجة من آواه ونصره الإمام محمد بن سعود، وأن يصلح في عقبهما، وأن يجعل عقب الأسرتين هداة مهتدين، وكل من نصر هذه الدعوة من الناس جميعًا.

اللهم أصلح الجميع، وألهمهم رشدهم، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، وأساله - سبحانه - أن يقينا الفتن، وأن يجعلنا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، رافعين لواء التوحيد، لا تأخذنا في ذلك لومة لائم.

وأسأله ﷻ أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا متكاتفين متعاونين على البر والتقوى، من ذوي النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

وأسأله ﷻ أن يبقي في قلوبنا الحق حقًا، وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا، وأن يمن علينا باجتنابه، وأن يمن علينا بالحكمة في القول والعمل، وأن نضع الأمور مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها؛ أنه ﷻ جواد كريم. أصلح الله لي ولكم السر والعلن والظاهر والباطن، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

❊ ❊ ❊



محاضرة منهج الإمام المجدد في العقيدة
١٤٢١/٨/١٤هـ بمسجد شيخ الإسلام بالرياض

الحمد لله الذي بعث في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم ضال تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس! وما أسوأ أثر الناس عليهم! ينفون عن دين الله تحريف الغالين وتأويل المبطلين ونزعات الجاهلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد...

فيا أيها الإخوة في الله - طلبة العلم، ومن يحرص على كل خير -:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...، وأسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، كما أسأله ﷻ أن يجعلنا حملة العلم ومحصليه، حتى يتوفانا الله ﷿ إليه

كما أرغب إليه ﷻ أن يثبتنا على طريقة أهل السنة والجماعة - أئمة السلف الصالح - ومن نهج نهجهم، وسار على منوالهم؛ إنه - سبحانه - سميع مجيب.

بَيْنَ الغُلاةِ وَالجُفَاةِ

إن موضوع هذه المحاضرة موضوع مهم؛ لأنه يمثل لبنة في فهم هذه الدعوة الإصلاحية التي ظهرت في نجد، وشع نورها في تجديد أمر الدين، في بلاد كثيرة: في الجزيرة، وفي غيرها، وذلك لأن كثيرين في هذا الزمن ممن رغبوا عن العقيدة الصحيحة ومنهج السلف الصالح فيها، وأيضًا كثيرون في هذا الزمن من رغب في الدعوة السلفية، وفي اقتفاء السلف الصالح، لكنهم لم ينهجوا نهج أئمة هذه الدعوة في دعوتهم، وفي صلاتهم، وفي ما يقررون، أو يكتفون.

وأيضًا تتضح أهمية هذا الموضوع أن الانتساب لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الزمن رغب فيه أناس غلاة، ولا يصح لهم هذا الشرف؛ لأنهم لم يأخذوا بكل منهج أئمة الدعوة في ذلك، الذي اقتفوا به أثر السلف الصالح في ذلك، بل غلوا في ذلك، وأخذوا جملًا من كلامهم، وأنزلوها على مرادات الأهواء.

وهناك أيضًا طائفة أخرى جفت، وانتسبت إلى دعوة السلف، لكنها تساهلت في أمر التوحيد والاعتقاد، بل وفي أمر الدين، حتى صاروا مفرطين في انتسابهم لهذه الدعوة، التي هي في الواقع دعوة إصلاحية في أمر ديننا، هدى الله عَزَّ وَجَلَّ إليها في تجديد أمر الدين الإمام المصلح شيخ الإسلام أبا عبد الله وأبا علي محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي التميمي، المولود سنة خمس عشرة ومائة ألف، والمتوفى سنة ست ومائتين وألف في الدرعية.

وكلكم يعلم سيرة هذا الإمام، وطرفًا كثيرًا أو قليلًا من مؤلفاته رَحِمَهُ اللهُ، ولكن الشأن في أن منهج هذا الإمام لم يبسط للناس في تعرف مفرداته، في كيفية تقريره لمسائل العلم في العقيدة أولًا والتوحيد، وفي مسائل الفقه والخلاف وفي الاستدلال، وأيضًا في السير، وأيضًا في مسائل العمل والسلوك والتربية، وأيضًا في مسائل العلاقة مع ولاة الأمور، وواجبات كل أحد بحسبه في ذلك.

تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ

ونحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعل الأكثرين في هذه البلاد وفي غيرها يحرصون على تعرف سمات منهج السلف الصالح في مسائل العقيدة، وفي المسائل التي ذكرنا، وعلى طريقة أئمة السنة والجماعة في هذه المسائل، ولا شك أن هذا من المطالب المهمة؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر، وأنذر، فقال: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[1]، وفي رواية قال: «**هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[2].

وأيضًا حذرًا وخوفًا من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وحذرًا من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨].

---

(١) سبق تخريجه (ص ٤٢٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤٢٥).

النَّجَاةُ فِي اِتِّبَاعِ السَّلَفِ

ولهذا فإن الحريص على آخرته، والحريص على النجاة لا بد له أن يرجع إلى ما كان عليه أئمة السلف الصالح، فيأخذه بلا غلو ولا جفاء، فيأخذه بلا شدة ولا ارتخاء، بل على نهج وسط، فيه ظهور الحق، وفيه الرحمة بالخلق؛ كما كان على ذلك أئمتنا رحمهم الله تعالى.

وأيضًا تظهر أهمية هذا الموضوع في هذا الزمن في أن عمق العلم والنظر قد غلب عليه العاطفة والحماس عند الأكثرين، فإن يُتلمس شيء من هدي أئمة السلف، أو مما كان عليه أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى - جميعًا، فيقال: إن هذا هو منهج أئمة الدعوة، وهذا هو الذي قرره أئمة الدعوة، وهذا الذي ذهب إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ونحو ذلك، في مسائل قد يتقاصر كثيرون حين يقرونها عن تفرس النهج وتتبعه، وهذا من الاستعجال، ومن القضاء بغير علم.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ قال: «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ**»(١)، والقضاء كما يكون في مسائل الخصومات كذلك أعظم منه القضاء في المسائل العلمية والبت فيها، فإذا كان القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، فإن في المسائل العلمية تكون التبعة فيها أكثر؛ لأن البينات والدلائل في المسألة الفردية، فيما يقع من خصومة فردية هذا هين، أو هذا قليل، أما في المسائل العلمية، فيحتاج إلى جهد أكبر وجمع

(١) سبق تخريجه (ص ٣٤٦).

أكبر، ولهذا قال عليه ﷺ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(١).

والقضاء في المسائل العلمية والنظر فيها يحتاج إلى تفرس وإلى تأمل، وخاصة إذا كان سيترتب على هذا النظر منهج، أو سيترتب عليه عمل، أو سيترتب عليه افتراق، أو سيترتب عليه دعوة، أو سيترتب عليه نسبة أشياء إلى السلف الصالح ﵃، وإذا اختلفت الأمور، واشتبهت، فإن الواجب على العلماء وعلى طلاب العلم أن يدعوا المشكوك فيه إلى اليقين؛ لأن الله ﷻ قال في محكم كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

فتأمل قول الله ﷻ في هذه الآية العظيمة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فدلت الآية على أن الزيغ وجد في القلوب أولًا، ثم صار الاتباع للمتشابه، وليس المتشابه في نفسه سببًا للزيغ، ولكن الزيغ وجد لأسباب كثيرة، فأما الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه، وأما الذين لا يوجد في قلوبهم زيغ ولا هوى، وإنما يحبون الحق، ويبحثون عنه، فإنهم يؤمنون بالمحكم، ويعملون به، ويردون المتشابه إلى عالمه ﷻ: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

(١) أخرجه البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣)، من حديث أم سلمة ﵂.

وهذا هو الواجب في هذه المسائل؛ لهذا نرى في هذا الزمن كثرة الكلام على منهج أئمة الدعوة: هذا هو الذي يقرره أئمة الدعوة، يقرره الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، هذا هو منهج ابن تيمية، هذا هو منهج ابن القيم، هذا منهج السلف، وكثير منها قضاء بغير علم؛ كما يعرفه المتبصر في هذه المسائل.

والناس في ذلك ما بين غالٍ فيها ومابين جاف، وهذه الأمة وسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهي وسط بين طرفي الغلو والتقصير.

إذا تبين هذا، فإن الإمام المصلح مجدد أمر الدين في زمانه محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مقتفيًا لأثر من قبله، حتى أنه لا يعرف له في مسألة أنه تكلم فيها من غير سابق له من أئمة الإسلام، وإنما كان يتبع من قبله من الأئمة، وخاصة الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين، والإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة سبعمائة وثمان وعشرين، والعلامة ابن القيم، والحافظ الذهبي، وابن كثير... ونحو ذلك من العلماء الذين قرروا منهج السلف بوضوح.

فإذًا هو في منهجه متبع لأئمة الإسلام من أئمة السلف الصالح، فمن بعدهم، ولم يكن في منهجه مبتدعًا منهجًا جديدًا، لا في العقيدة، ولا في العلم، ولا في التعامل في أي نوع من التعامل؛ لهذا إذا تكلمنا عن منهجه الواقع في تقرير العقيدة، فإنه منهج السلف الصالح، لكنه ظهر أكثر في كلام الإمام؛ لأجل أنه صاحب دعوة وجهاد ونشر للخير، وهذا ستظهر فيه معالم المنهج أكثر من أنه يحتاج إلى تطبيق على بعض الوقائع.

العَقِيدَةُ وَالتَّوْحِيدُ

ما العقيدة أو التوحيد الذي نبحث في منهجهم؟

العقيدة والتوحيد هي علم يبحث في حق الله ﷻ على عباده، وما يتصل بنعوت الرب ﷻ، وأسمائه ﷻ، والأمور الغيبية، وهذا يدخل في أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، والعقيدة والتوحيد بينهما تلازم، لكن بينهما فرق، وذلك أن العقيدة تشمل شرح أركان الإيمان وما يتصل بتوحيد الله ﷻ والإيمان به، توحيده بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان ببقية أركان الإيمان الستة، وما يتصل بذلك مما خالف فيه أهل السنة والجماعة الفرق الضالة بأنواعها: في مسائل التلقي، ومسائل التعامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة ولاة الأمور، وفي الموقف من زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين، والصحابة، . . . ، إلى آخر ذلك، وفي الأخلاق، والسلوك التي يكون عليها أهل هذا الاعتقاد؛ كما قرره ابن تيمية في الواسطية؛ حيث جعلها ثلاثة أقسام كما هو معلوم للدارس.

أما التوحيد، فهو أخص من العقيدة، ويعنى به: تقرير حق ﷻ على عباده، وهو ما يستحقه ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأعظم هذا وأفضله هو عبادة العبد للواحد الأحد وحده دونما سواه، وهو المسمى بتوحيد العبادة.

والتوحيد من أهل العلم من قسمة إلى ثلاثة أقسام في كلامه؛ كالحافظ ابن

جرير الطبري[١]، وكابن بطة الحنبلي، وجماعات، وابن تيمية وابن القيم، ومن سار على هذا النهج، ومنهم من قسمه إلى قسمين: وهو توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد في القصد والطلب[٢].

فالأول ثلاثة أقسام: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات.

والتقسيم الثاني: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد في القصد والطلب، وهو توحيد العبادة أو توحيد الإلهية، وهذا القسم - أعني توحيد القصد والطلب - هو الذي شحذ همة الإمام المصلح رحمه الله في دعوته الإصلاحية لتجديد أمر الدين.

كذلك يدخل في العقيدة والتوحيد اتباع النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ اتباع سنته، والحض عليها، والنهي عن البدع ومحدثات الأمور.

إذا تبين هذا، فما معالم هذا المنهج على الإجمال؟

---

(١) لمعرفة أقوال أهل العلم في أقسام التوحيد، انظر على سبيل المثال: (تفسير الطبري) (٣/ ٢١٤)، (٤/ ٤١)، و(اعتقاد أئمة الحديث) لأبي بكر الإسماعيلي (ص٤٠ وما بعدها)، و(الإيمان) لابن منده (١/ ٣٧٩)، و(التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد) لابن منده أيضًا (١/ ٦١ - ١١٦)، (٣/ ٧ وما بعدها)، و(شرح الطحاوية) لابن أبي العز (ص٧٦ - ٨٨)، و(المنتقى من منهاج الاعتدال) للذهبي (ص١٤٨)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣٦، ٣٨)، و(الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد) لشيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، و(القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد) للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.

(٢) انظر: مدارج السالكين(٣/ ٤٤٩).

لا تُؤْخَذُ العَقِيدَةُ إلا مِنْ كِتَابِ اللهِ

أولًا: منهج الأئمة جميعًا - ومنهم الإمام المصلح ﷺ - أنَّ العقيدة والتوحيد أمر متصل بالغيب، فلا يقرر إلا بالنصوص أو بما أجمع عليه السلف الصالح، يقرر بالكتاب وبالسنة وبما أجمع عليه السلف الصالح، وذلك لأن أمور الغيب ليست كأمور الشهادة، فمنهج التلقي في ذلك في تقرير العقيدة واضح، وهو أن العقيدة والتوحيد لا يقرران إلا بنص من القرآن أو من السنة، أو مما أجمع عليه السلف، أو فهمه الصحابة - رضوان الله عليهم - من النص من القرآن أو من السنة، وحينئذ يكون تقرير هذا منطلقًا من أن العقل لا مدخل له في أي مسألة من مسائل الاعتقاد والتوحيد والإيمان، وإنما هي مسألة تسليم بحت، العقل تابع للنقل في فهم دلالته، وفي فهم ما دل عليه النص، أما النص، فهو الذي يؤخذ منه تقرير الاعتقاد.

فإذًا أول معلم من معالم المنهج أن منهج السلف الصالح ومنهج أئمة الإسلام في تقرير العقيدة هو أنه لا يصح أن تؤخذ العقيدة إلا من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومما أجمع عليه السلف، فحينئذ لا يكون الاستدلال بالعقل في مسائل الاعتقاد دليلًا ولا منهجا، وحينئذ لا يكون الاستدلال بالوجه، أو الاستحسان، أو ما يظهر لفلان، أو ما يستحسنه فلان من أنه له مدخل في ذلك، وأيضا يبطل حينئذ أن تؤخذ مسألة من مسائل الاعتقاد من رجل تفرد بها، حتى ولو كان من أئمة الإسلام، أو كان ممن كان لهم الشأن من التابعين فمن بعدهم.

وإنما تؤخذ مسائل الاعتقاد كمنهج، ومسائل التوحيد من الأشياء المتفق

عليها، الظاهرة البينة التي دل عليها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وأجمع عليها العلماء، كذلك لا مدخل حينئذ فيها لتقرير العقيدة بنقل عن عالم، حتى ولو كان من أبرز أهل العلم؛ لأنه أتى بكلفة لا يعرف لها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، وهذا مرجعه أن هذه المسائل الغيبية لا يدخلها قياس ولا ينظر عليها، ولا تلحق بمثلها، وإنما هذه المسائل الغيبية يجب فيها التسليم لما دل عليه الدليل، دون نظر في عقل يثبت شيئا، أو يستحسنه، أو يلفظه.

العَقْلُ لا يُقَدَّمُ عَلَى الدَّلِيلِ

المخالفون لهذا المنهج ساروا في طرق ومناهج عدة: فمنهم الذين حكموا العقل على النص، وجعلوا في مسائل الاعتقاد العقل مقدمًا على الدليل؛ لأن العقل عندهم - كما يزعمون - قاطع، وأما الدليل عندهم، فليس بقاطع، يعني قطعي الدلالة، ليس قطعي الثبوت، إنما القصد قطعي الدلالة. العقل عندهم قاطع، وأما النص، فعندهم ليس بقاطع؛ فلذلك يحصل هذا وهذا، يبطل حينئذ استدلال الناس في مسائل الاعتقاد بالمنامات، أو بما يراه أو يقوله: جاءني شبه إلهام؛ كما يدعيه قوم من الصوفية ونحوهم في إثبات أشياء أو نفي أشياء عن طريق المنامات، وعن طريق الرؤى، وعن طريق الوجد، وعن طريق أشياء مشابهة؛ لذلك أيضًا يدخل في هذا سلوك أهل البدع في تقرير مذاهبهم: من الخوارج، ومن المرجئة، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية، والأشاعرة، ونحو ذلك ممن يثبتون عقائدهم بالاستدلال ببعض الأدلة دون بعض، ولا يأخذون كل ما

جاء في المسألة من الأدلة، ولكن يأخذون ببعض، ويتركون بعضًا، ولهم نصيب من قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، والواجب أن تؤخذ مسائل العقيدة من الكتاب والسنة في جميع ما ورد فيها؛ لأن مسائل العقيدة هي مسائل غيب، والغيب لا يدخله النسخ؛ لأنه خبر، لا يدخله النسخ، ولا يدخله أيضًا الإنساء: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

إن مسائل العقيدة محكمة، وإنما يقع التدرج في أشياء من الأمور العملية؛ لأن هذه أخبار متعلقة بالغيب، وعلى هذا كان منهج الإمام رحمه الله في كتبه. مثلًا كتاب التوحيد تجد أول هذا الكتاب: كتاب التوحيد وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلم يجعل حتى خطبة لكتاب التوحيد، والواحد عندما يؤلف كتابًا يقول: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فهذا كتاب أردت فيه بيان توحيد...

هذا الإمام المصلح لم يجعل ولا كلمة في مقدمة كتاب؛ لأنه لا أحد يدل على التوحيد أعظم من رب العالمين، فكان من تعظيم الله عز وجل ومن الدلالة على أن المنهج في التوحيد في تقريره أنه لا يسبق كلام الله بكلام، ولا يسبق كلام رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بكلام الله عز وجل؛ لهذا تجد أن كتاب التوحيد - وهو في تقرير توحيد الإلهية وما يضاد توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وما يتصل بذلك من المباحث كما هو معروف - هذا الكتاب ليس فيه إلا آية أو حديث، وأحيانًا يأتي بكلام يوضح معنى كلمة، أو جملة، أو حكم في الآية، أو في حديث من نقل عن بعض أهل العلم المعتبرين في ذلك، وعلى هذا جميع كتب الإمام رحمه الله.

قولهم افتراءً: الإِمَامُ لا يُطْنِبُ

عاب قوم على الإمام رَحِمَهُ اللهُ، فقالوا: إنه لا يطنب في التأليف، ومعلوماته قليلة، لا يفصل، لا يستطرد. وهذا في الواقع من المنهج؛ لأن الدعوة - دعوة التوحيد - ليست دعوة لطلبة العلم، ليس علمًا خاصًا بفئة من الناس يتعلمونه.

التوحيد حق الله على العبيد للجميع: الصغير والكبير، والمرأة والرجل، وطالب العلم والبدوي، والقريب والبعيد يأخذه.

فإذا فصل فيه وأطال، فإن طول الكلام ينسي بعضه بعضًا؛ لهذا كان يختصر جدًا في تقرير التوحيد والعقيدة بالدليل من الكتاب والسنة؛ ليكون المتلقي لهذا المنهج معه الدليل الواضح البين من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، وليس معه تفصيل كلام يذهب قوة الاستدلال.

ومعلوم أن كثرة البحوث، التي نشأت في زمن القرن الثاني والثالث أضعفت من أخذ العقيدة من مصدرها الأصيل الكتاب والسنة، وكثر الخلاف فيها؛ لأنه كثر الكلام، واليوم نرى لما كثر تقرير العقيدة في تفصيل الكلام وتنويع الجمل، حتى عند العامة وفي المحاضرات، عند الناس لما كثر الكلام، صار فيه هناك الآن إثارة للخلاف في مسائل، أصبح بعض طلبة العلم يقول: بعض المسائل التي قررها الأئمة في التوحيد بعضها فيه خلاف وهذه بعضها كذا. ويذهب عن النص ودلالته، وتجده يقول: قال ابن تيمية: إن دعاء، أو إن توسل كذا إنه بدعة، أو يقول إن الشفاعة كذا إنها بدعة،

وليست شركًا. ويخرج الدلالة إلى قول فلان وقول فلان، وهذا في الحقيقة يخل بسلامة المنهج في أن النص إذا كان واضحًا محكمًا، واضح الدلالة، بين الدلالة، فإنه حينئذ يجب تقريره على هذا، ونقله إلى الناس، وبيان ذلك.

المعلم الثاني من معالم هذا المنهج المبارك: أن تقرير التوحيد والعقيدة بعامة هو أولى الأولويات، وأول المهمات، وذلك لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»[(١)]، وفي رواية أخرى عند البخاري في كتاب التوحيد: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»[(٢)] وعند مسلم في أول صحيحه: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ»[(٣)]، وهذا يدل على أن أولى الأولويات في الدعوة هو أن يدعى إلى التوحيد، والدعوة إلى التوحيد لا بد فيها من ترتيب أيضًا للأولويات في داخلها.

فإذًا عندنا مسألتان في تفرس هذا المنهج: الأولى أن الدعوة إلى توحيد الله ﷻ في ألوهيته وعبادة الناس للواحد الأحد دونما سواه، أن هذا هو منهج هذا الإمام المصلح في دعوته، فلم يبدأ دعوته بسلوكيات ولا بزهديات، ولم يبدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المسائل التي يقع فيها الناس من الذنوب العامة، ولم يبدأ دعوته بكذا وكذا،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

وإنما صبر وصبر سنين، حتى يقرر توحيد العبادة وما يدل عليه من حق الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته ﷻ.

إذا تبين ذلك، أن التوحيد كان هو أهم المهمات والتوحيد والعقيدة أولًا، لو كانوا يعلمون، فإن مسائل التوحيد تختلف أيضًا في ترتيب أولوياتها؛ لهذا نجد أن الإمام في دعوته، وفي ما يقرره، وفي كتبه، وفي رسائله، تجد أنه لا يجعل المسائل المتصلة بالعقيدة والتوحيد في مرتبة واحدة، بل أخر بعض المسائل، حتى اتضحت الدعوة وانتشرت، وبدأ بالمسائل العظيمة.

المسألة العظيمة الأولى: أن دعوة غير الله ﷻ شرك، الاستغاثة بغير الله ﷻ شرك، طلب المدد والحاجات من الأموات، وشفاء الأمراض، وجعل مخلوق له صفات الخالق أن هذا كفر وشرك، وأخَّر بعض المسائل في مثل بعض مسائل تقرير الصفات، والرد على الأشاعرة، وفي بعض مسائل التوسل أخرها، في بعض مسائل التبرك لم يوردها، وذلك بين في منهجه.

فإذا قلنا: إن التوحيد أولًا، وهو أهم المهمات، فليس معنى ذلك أن يعطي الداعي الناس كل مسائل التوحيد دفعة واحدة، يأتي لقوم يجهلون الأصول، وعندهم خلل في أصل التوحيد، عندهم وقوع في شركيات كبرى، فيبحث معهم مسألة التبرك بالصالحين الأحياء، أو التبرك بالماء، أو بالسؤر، أو التمسح ببعض الصالحين الأحياء، أو بعض تأويل الصفات، أو نحو ذلك، ليس الأمر هكذا.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ دعوته بشيء عظيم واضح؛ لأن حجة الخصم فيه هي أضعف ما يكون، ولو ركز على بعض المسائل التي فيها من الكلام ما فيها من

النقول عن العلماء مثل: مسائل التبرك، أو مسائل التوسل، أو بعض مسائل تأويل الصفات، أو نحو ذلك، لترك العلماء في وقته الذين ناهضوه وعادوه، لتركوا الكلام في المسائل المهمة، وركزوا على هذه المسائل ليطعنوا فيه، أو ليردوا عليه، فكان من الحكمة أنه أخذ بسنة النبي ﷺ في أنه قرر توحيد العبادة الأكبر، تعلمون مثلًا مسائل الحلف بغير الله ﷻ، ما جاء تحريم ذلك إلا في المدينة، أما في مكة ما كان التحريم في ذلك، كان الرجل يحلف بأبيه، ويحلف بالكعبة، ويحلف ببعض الأشياء - يعني غير الآلهة -، ولكنه لم ينه عنه إلا في ذلك[1]، قول: ما شاء الله وشئت، هذا إنما نهي عنه في المدينة، في قصة مع بعض أحبار اليهود، حيث قالوا لبعض الصحابة: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تنددون، تقولون ما شاء الله، وشاء محمد، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك، قال: «**قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»[2]؛ لأن هذا كان في المدينة.

إن المسألة عقدية، ومتصلة بالتوحيد، لكن لم تقرر في هدي النبي ﷺ في مكة، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخر الكلام عن كثير من هذه المسائل، بل إنه سُئل عن بعض أشياء تنسب إليه، استدل بها المعارضون، فقال فيها: (**أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، أنا ما قلت هذه الأشياء التي تنسب إليّ، حتى قيل عنه: إنه يقول: لا أنكر التوسل بالصالحين، وإنما أنكرت - هذا ثابت من كلامه -، وإنما أنكرت ما أجمع العلماء عليه،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٣٦)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَلَا مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا فَقَالَ لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم».

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٦٣).

وهو دعوة غير الله معه)[١].

وهذا من الحكمة في أن التوحيد أولًا، لكن ليست كل مسائل التوحيد في نفس المرتبة، إذا قلنا التوحيد أولًا، لا يفهم منها الشباب، والذين يدعون إلى منهج السلف الصالح أنك تأتي في كل مكان وفي كل بلد وفي كل مجلس، فتأتي بكل مسألة في ذهنك أنها من التوحيد، وتعرضها على أساس أنها من المهمات والمطالب في الاعتقاد، لا، لا بد أن ينزل هذا بحسب تمكن الدعوة من النفوس، وعدم تمكنها، إذا كنا في قوم وثنيين في بلد من البلاد، أو في قوم يكون عندهم تقديس الأضرحة وعبادة غير الله والنذر لها والذبح والاستغاثة بالأموات ونحو ذلك، فمسائل البدع والوسائل إلى الشرك هذه يؤخر الكلام عنها، حتى تتقرر هذه المسألة العظيمة؛ لأن الناس إذا كثر عليهم الكلام بعضه ينسي بعضًا، مثلما قالت عائشة رضي الله عنها: «**فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضًا**»، وهذا صحيح.

فإذًا نهج الإمام رحمه الله أن الدعوة إلى التوحيد أولًا، ولكن هناك أولويات في مسائل التوحيد والعقيدة، لا بد أن ترتب، فليست المسائل كلها في نفس المنزلة، كذلك إذا تكلمنا - كما سيأتي - في السنة والبدعة، ليست مسائل السنة والبدعة واحدة، بعضها أغلب من بعض، فلا بد من التدرج في هذا

---

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٩٠): **(ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان وأيضًا: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر)**.

الدرر السنية (١١/ ٣١٧): **(سألني الشريف عما نقاتل عليه، وما نكفّر به؟ فقال في الجواب: إنا لا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان بعد التعريف، إذا عرف ثم أنكر)**.

الأمر؛ لأجل قبول الناس للحق في ذلك؛ (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بها)[١].

المعلم الثالث من معالم منهج هذا الدعوة المباركة: أن الإمام المصلح رحمه الله لم يفرق في دعوته بين أصناف الناس، لم يجعل دعوته خاصة بالشباب، لم يجعل دعوته للأذكياء أو النابغين، وإنما جعل دعوته لكل مكلف؛ لأنها دعوة ليست لحزب، وليست لسياسة، وليست لغرض دنيوي، وإنما هي لتعبيد الناس لرب العالمين، فتارة تتوجه الدعوة إلى شباب، تارة تتوجه الدعوة إلى فئة، وهذا لا يجوز؟ لأن المقصود تعبيد الناس لرب العالمين، فتخصيص الدعوة بطائفة من المكلفين دون طائفة، والتركيز عليهم، هذا ليس منهجًا نبويًا، وإنما الدعوة للجميع، سيكون الشباب في الغالب هم الأكثر تقبلًا، لكن لا لأجل تخصيصهم؛ بل لأجل أنهم هم الأكثر تقبلًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وقال ابن كثير هنا: معنى ذرية من قومه أي: لأنهم كانوا شبابًا[٢]؛ لأن أكثر أتباع الأنبياء كانوا شبابًا، لا لأجل أن دعوة الأنبياء والمرسلين توجهت إلى الشباب، ولكن لأنهم الأسلم من جهة الأهواء في قبول الحق، فإذا كانت الدعوة عامة، فستقبلها في الغالب هذه الفئة أكثر من غيرها من الفئات؛ لقلة الهوى فيهم في الغالب، فكان من منهج الإمام رحمه الله في دعوته أن دعوته خاطبت أمراء القرى في وقته، وخاطبت العلماء، وخاطبت العامة، وخاطبت الحضر، وخاطبت البادية، وخاطبت

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧)، وقال: غريب. وابن ماجه (٤١٦٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير(٢/ ٥٦٢).

النساء والرجال، فكان العلم يبث في النساء كما يبث في الرجال.

وكان في الدرعية في ذلك الوقت مكان مخصص للدروس - كما ذكر -، يحضره الرجال، ويحضره النساء كل يوم في أواخر وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكانت الدعوة عامة، كان الأعراب والبادية توجه الدعوة لهم، وكان الكبار توجه الدعوة لهم، الأمراء خاطبهم بما يناسبهم وما يليق بهم، العلماء خاطبهم بما يناسبهم وما يليق بهم، حتى إنه تودد للعلماء الذين يرى أن فيهم خيرًا.

ومن أمثلة ذلك رسالته المشهورة لعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي، أحد علماء الأحساء الأشاعرة في ذلك الوقت، ورد عليه عبد الله بن محمد هذا ينتقده في بعض المسائل، فأجابه الإمام برسالة طويلة فيها منهج الأدب مع المخالف، فكتب إليه يبين له الصواب في هذه المسائل بعبارة علمية هادئة، وقال فيها بعد إجابة عن عدد من الأسئلة: **(والله إني لأدعو لك في صلاتي، وأرجو أن تكون فاروقًا لدين الله في آخر هذه الأمة، كما كان عمر بن الخطاب ﷺ فاروقًا لها في أولها؛ وذلك لما رأيت حين مجيئي إليك في الأحساء أنك كتبت على أول كتاب الإيمان في صحيح البخاري من أن الإيمان قول وعمل، كتبت عليه: هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده، فسرني هذا منك؛ لكونه يخالف المشايخ الذين أخذت عنهم - يعني بهم الأشاعرة -، الذين يقولون: إن الإيمان هو الاعتقاد والقول، أو الاعتقاد وحده)**[1]، وهذا النوع من الخطاب فيه جمع، فيه توجيه الدعوة وجمع.

---

(١) سبق عزوه (ص ٢٦١).

فإذًا هو لم يستعدِ الناس على الدعوة، وإنما كان الناس هم الذين عادوا الدعوة؛ لأنها لا توافق أغراضهم، وهذا مهم في منهج الدعوة وفي نشرها.

مثلًا بعض الناس يذهبون إلى بلد من البلاد، يريدون الدعوة في أي مكان: في إفريقيا، أو في آسيا، أو في الجزيرة، أو في أي مكان، ويرى أشياء، فهو يقول: هذا الحق، أنا لن يهمني أمير، ولا يهمني حاكم، ولا يهمني عالم. هذا ليس بصحيح، لا بد أن تضع الأمور في مواضعها، وأن تشرح الدعوة، وتبين الدعوة إذا عادوها؛ لأجل أنها حق، فبهذا أنت قد أبرأت ذمتك بأن تكون العداوة حينئذٍ منهم؛ لكراهتهم الحق؛ لأنه قد تأتي تهجو مثلًا الوالي، أو تهجو العالم، أو تسفههم، أو ترد عليهم، فإنه حينئذٍ يكون هناك مدخلٌ للشيطان على قبول هذه الدعوة.

والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان سهلًا جدًا مع العلماء ومع الأمراء، حتى أنهم قالوا له: اخرج من البلد. فخرج، في قصة أن ابن معمر في العيينة قال: ما أستطيع أنك تبقى في البلد. فخرج منها، فعوضه الله عَزَّ وَجَلَّ خيرًا مما ترك، وهذه مسألة مهمة في المنهج، أن الدعوة ليست خاصة، بل هي دعوة الإسلام عامة لكل المكلفين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هي للجميع.

فإذًا التخصيص ليس من سمات هذه الدعوة، السرية ليست من سمات الدعوة، الانغلاق ليس من سمات هذه الدعوة، الدعوة واضحة من أول يوم ومنتشرة، فلم يكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهيئ - مع شدة الناس في زمنه، ومعاداة الأمراء والعلماء والواقع الصعب - لم يكن يهيئ الأمر بأمور سرية تمشي؛ حتى يريد التكثير، وإنما أوضح الحق من أول ما اعتقده بأسلوب حكيم، وتدرج مرض، يوافق السنة والكتاب.

المعلم الرابع: أن ما سبق الدعوة من أشياء من أقوال لعلماء أو من سلوكيات للناس، أو من أناس ماتوا، فإن أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى - سكتوا عن الماضي، ولم يقدحوا في المعظمين عند الناس فيما مضى، ما تجد أنه قدح في رؤساء الطرق في الماضين، أما الذين في وقته، فواجههم مثل: تاج، وشمسان، ومجموعة، والمريس، وفلان وفلان، ممن كانوا في وقته، واجههم، لكن من سبق، فإنه لم يتكلم عنهم، لماذا؟

لأنه تارة يأتي الداعية إلى التوحيد، ويظن أنه يصل إليه بإثبات فسق رجل يُدعى أنه من الصالحين، يتكلم مع شخص في دعوة البدوي، وسؤال البدوي، والاستغاثة به، أو نحو ذلك، تجده يقول: إن البدوي هذا أصلًا رجل فاسق، رجل كان لا يصلي كان، وكان، وكان، هذا ليس هو المقصود كان منهج الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يتكلم عن سلوكيات من سبق، في الجملة لا يتكلم عنهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]. ولكن كان يقرر التوحيد، هل ذاك الرجل كان كذا، ولم يكن كذا؟ فهذا ليس من شأنه، والحكم على الأشخاص، أو أن هذا فيه وما فيه هذا يحجب الحق في الدعوة، وهذه مسألة مهمة اليوم؛ لأن مرة كان أحد الإخوة من أحد البلاد الإفريقية أتى يسأل عن بعض المسائل، وقال: نجد أن الدعاة إلى السلفية وإلى التوحيد عندنا يبدؤون ببيان أن المعظمين عند قومنا أنهم لم يكونوا صالحين، وأنهم كانوا فسقة، يتكلم عن الميرغني، ويقول: كذا. ويتكلم عن فلان، يسبه، ويقول: كذا. فهذا أوغر الصدور، فصار الناس ما يسمعون الدليل، ولا يسمعون الحق، وإنما ينتصرون لهذا الذي يعظمونه، وهذه من جبلة الإنسان.

إنك إذا تركت الحق، وطعنت في الشخص، فإن الناس يتجهون إلى من يعظمونه، ويدافعون عنه؛ لأنهم يكبرونه في نفوسهم، ولا يحبون أن أحدًا ينال منه، ولا ينظر أأنت قلت حقًا، أو قلت غير حق، أو يناقش، أو فيه دليل، لا ينظر. كيف تتكلم في فلان؟ هذا رجل صالح، هذا يأتي ويقول: لا، ليس بصالح، كان يفعل... هذه قضية ليست بشرعية، هو انتهى، وذهب إلى ربه، إن كان صالحًا، فله جزاء الحسنى، وإن كان غير صالح، فسيجد جزاءه عند الله.

المهم في الدعوة هو تبيين توحيد الله ﷻ، هو تبيين ما اشتملت عليه الأدلة من عبادة الله وحده دونما سواه، وترك الشرك ووسائل الشرك، والبعد عن البدع والمحدثات.

فإذًا كان من منهج الإمام رحمه الله أنه لم يكن يطعن في معظم الناس قبله، حتى إنك تجد أنه لم يتكلم في البوصيري، لم يتكلم في ابن الفارض، لم يتكلم في البدوي، لم يتكلم في الكواز، لم يتكلم في العيدروس، لا تجد كلامًا في هؤلاء، مع أنه ذكر أن ما اشتمل عليه كلامهم فيه، وفيه، لكن الكلام هل هم كانوا صالحين أم كانوا كذا؟ أو ليسوا بكذا؟ هذا ليس من منهج الدعوة، وهذا دعا إلى القبول، دعاها إلى الانتشار؛ لأنه ما تعرض لما تتعصب له النفوس بالباطل، وهو الطعن في المقدمين، حتى أنه سئل مرة، فقيل له: إنك تقول: (إن الناس منذ أربعمائة سنة ليسوا على شيء، أو أنهم كفار، فقال في جوابه: **أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم**)، حتى لما أتت مسألة البحث في القبة الموجودة على حجرة النبي ﷺ، التي في وسطها قبر النبي ﷺ، هو كان ينكر البناء على القبور: بناء القباب، والقباب التي على قبور

الصالحين يهدمها؛ لأنه لا يجوز ذلك، وهو وسيلة من وسائل تعظيمها إلى آخره.

والنبي ﷺ بعث عليًا رضي الله عنه ألا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه **«أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**(١) مشرف يعني: فيه علو، لكن لما قالوا له: القبة التي على حجرة النبي ﷺ إنك تقول: لو أقدر عليها لهدمتها، فقال: **سبحانك هذا بهتان عظيم**(٢)؛ ولهذا أفتى من جهة عملية وعلماء الدعوة والولاة من آل سعود من الدولة السعودية الأولى إلى أنها لا تتعرض لشيء؛ وذلك لأن هذا من مصلحة الدعوة، ولئلا يفضي إلى ما هو أشد من رد التوحيد، والتعرض إلى أننا لا نحب النبي ﷺ وننتقصه، بل نهين النبي ﷺ، إنما هذه وسيلة من وسائل الشرك والتعظيم، فيمنع الشرك، وتمنع وسائله في

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) انظر: الدرر السنية (١/ ٣٣) **(بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم، قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى عليّ أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها، قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة؛ وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء؛ وإني أدعي الاجتهاد وإني خارج عن التقليد، وإني أقول إن اختلاف العلماء نقمة؛ وإني أكفر من توسل بالصالحين؛ وإني أكفر البوصيري، لقوله: يا أكرم الخلق؛ وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها؛ ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزابًا من خشب؛ وإني أُحرم زيارة قبر النبي ﷺ وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما؛ وإني أكفر من خلف بغير الله؛ وإني أكفر ابن الفارض، وابن عربي؛ وإني أحرق دلائل الخيرات، وروض الرياحين، وأسميه روض الشياطين. جوابي عن هذه المسائل، أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم...)**.

أن يحصل شيء عند ذلك، والأمور تترك لرعاية المصالح والمفاسد في ذلك، أيضًا لما قيل له: إنك تكفر من عند قبة البدوي والكواز قال: **(أنا لا أكفر من عند قبة البدوي والكواز؛ لعدم وجود من ينبههم)**[١]، وهنا خاض قوم من المعاصرين خوضًا سيئًا في منهج الدعوة: هل كان علماء الدعوة - الشيخ محمد، وأئمة الدعوة - هل كانوا يعذرون بالجهل، أو لا يعذرون بالجهل، ونحو ذلك من الألفاظ؟ هذه مسألة لم تكن أصلًا عندهم بهذا اللفظ (نعذره بالجهل، أو لا نعذره)، وإنما كانت المسألة مرتبطة بأصل شرعي آخر، وهو: هل بلغته الحجة أو لم تبلغه الحجة؟ والحجة المناسبة وغير المناسبة، وهنا نستطرد فنقول: لم يجعل أيضًا علماء الدعوة في قيام الحجة وفهم الحجة لم يجعلوا المسألة واحدة، يعني أن كل مسائل التوحيد بنفس النسق، كلها بنفس الحجة، كلها بنفس البيان، لا تختلف، فهناك مسائل أعظم من مسائل في مسألة إقامة الحجة، قالوا: أما الاستغاثة بغير الله، فهي واضحة، والحجة فيها بينة قاطعة للخصم. وهناك مسائل قد يقع في إقامة الحجة فيها نوع اشتباه، فتحتاج إلى تكرار وبيان، مثل: مسألة الشفاعة، فالمسألة إذًا لا تستوي، فلا بد أن ينزل الأشخاص، وتنزل المسائل في موضعها، وأن لا يتعرض لأشخاص مضوا وانتهوا، أما رؤوس الضلالة في زمنه، فقد واجههم، وفضحهم، أما من مات وانتهى، وصار له معظمون. . . إلى آخره، فإن هذا يبين لهم الدعوة، ولا يتعرض للأشخاص، فهذه مسألة تحتاج إلى تفرس وعناية؛ لأن الواقع فيها اليوم قد يخالف ما كانوا عليه.

---

(١) سبق (ص ٤٥٧).

المعلم الخامس من معالم منهج الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير العقيدة: أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يحمل العقيدة حملًا كاملًا على منهج السلف الصالح، فحملها في أبواب أركان الإيمان، توحيد الله، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته وفي الإيمان بالكتاب، وعدم تأويل الصفات، وتقرير ما قرره السلف، وعدم الدخول في الغيبيات بما ينفي عنها ظاهرها، ودخل أيضًا في مناهج في ما يسميه بعضهم المنهج، أو التعامل دخل فيه على نحو ما كان عليه السلف الصالح، فقرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشره بالطريقة الشرعية على ما توجبه الشريعة، دون غلو فيه، ودون تفريط، وقرر طاعة ولاة الأمور في ذلك، والسمع لهم والطاعة فيما لم يأمروا فيه بمعصية، والجهاد معهم ونصرة ذلك، وقرر المنهج في التعامل مع المخالف من المشركين والمبتدعة فكان له في كل مسألة الكلام الأوفى والتقرير البين، فتجد ليونته ورحمته في مسألة، وتجد قوته وشدته في مساكنة المشركين والنوم معهم وتكثير سواد المشركين في أي مكان، فنوع التعامل مشى فيه على ما دلت عليه النصوص، دون أهواء، أو نظر إلى ما لم يدل عليه الدليل، أو لم يكن عليه منهج للسلف الصالح، كذلك في مسائل السلوك والأخلاق، بعض الدعوات لم تؤثر العقيدة في سلوكهم، كانت العقيدة عندهم اسما.

نرجع إلى المعلم الخامس، وهو: أثر العقيدة أو المنهج في الاعتقاد عند الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تربية الناس من طلبة العلم ومن غيرهم، بل جميع الناس على السلوك الحسن والتعبد لله عَجَّلَ، أقول السلوك على المصطلح عند العلماء أنه يعني بالسلوك ما يعمله العبد في سلوكه مع ربه عَجَّلَ ومع الخلق، هناك دعوات تهتم بالعقيدة، لكن تجد أن العقيدة لا تؤثر في أصحابها من

جهة التعبد، فيكونون ضعفاء في التعبد، حتى في الواجبات ربما كان هناك إهمالٌ، أو في التطوعات من باب أولى، أو كان هناك تساهل في السلوك فيما يتعلق برحمة الخلق والتعامل معهم، مع الوالدين، مع الأسرة، مع الأبناء، مع الزوجة، مع... إلى آخره.

وهذا خلاف أثر الاعتقاد الصحيح، لماذا؟ لأن حقيقة الاعتقاد أنه إيمان بالله، وبكتبه، وبالنبي محمد ﷺ، وأنه إيمان باليوم الآخر، فمن كان عنده إيمان بالله وما يستحقه ﷻ، وعنده إيمان بالنبي ﷺ وما جاء به، وعنده إيمان بالقرآن وتطبيق لذلك، وعنده إيمان باليوم الآخر، وخوف من الله ﷻ، فلا بد أن يؤثر هذا في سلوكه في:

أولًا: حرصه على عبادته لربه ﷻ.

وثانيًا في حسن تعامله مع إخوانه والخلق.

ولهذا تجد أن العقيدة التي دعا إليها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلت الناس - في نجد بالذات- إلى أنهم كانوا أكثر تعبدًا، أكثر إعمارًا للمساجد: العمارة المعنوية والتبكير للصلوات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والبذل، فكان طالب العلم من طلبة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول له: نريد أن تكون في منطقة كذا، أبعد منطقة في القضاء، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في الدعوة أو ما شابه ذلك، فيذهب؛ لأن عندهم الرغبة. العقيدة في تقريرها لها سمت يغلب على صاحبه في تعبده وفي سلوكه، وفي أنواع تعامله، وهذا مهم جدًا اليوم في كل دعوة تدعو إلى التوحيد، أما أن يكون طائفة ممن يهتمون بالعقيدة، أو يهتمون بالتوحيد، أو نحو ذلك، عندهم جفاء في تعاملهم،

أو في سلوكهم، أو عندهم ضعف في التعبد، وتفريط في حق الله ﷻ، أو غشيان للذنوب والمعاصي، ويقول: أنا أدعو للتوحيد، أو أدعو للعقيدة، فهذا لم يرب على العقيدة الصحيحة، ولم يأخذها بحقها.

إذا فالذين يأخذون هذا المنهج ينقلون أنفسهم إلى منهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، والسلف الصالح كانوا أسلم الناس عقيدة، وكانوا أسلم الناس منهجًا بأنواع التعامل، وكانوا أسلم الناس سلوكًا في السلوك والتعبد، تركوا تفريط المفرطين، وأيضًا تركوا غلو الصوفية والذين تبتلوا إلى آخره فخالفوا السنة، وإنما أخذوا بالنهج الوسط، وهذا من ثمرات منهج تعليم العقيدة.

المعلم السادس في ذلك هو: أن تقرير التوحيد عند الإمام رحمه الله تقرير العقيدة كان ظاهرًا أتم ظهور في الحض والدعوة إلى الاتباع لسنة النبي ﷺ، الاتباع للسنة من حيث الأخذ بها، والاستدلال بها في العلميات، الاتباع للسنة من حيث العمل في العمليات، الاتباع للسنة في الرجوع بالهدي إلى ما كان عليه السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، فكان منهجه يعلمه العوام.

في المسائل المشتبهة التي تشتبه على كثير من العلماء يكون تقريره لها أسهل تقرير، فيقول القائل في المسائل مثلًا: في بعض البدع العامي ممن تربوا، وأخذوا عن هذه الدعوة يسأل في مسألة ما يستحسنها الناس، فقل: هل فعلها النبي ﷺ؟ هل فعلها الصحابة؟ فإذا قالوا: لا.

إذًا الجواب واضح، ولا ندخل في تفصيلات، مثلما دخل فيها طائفة

حتى من الأذكياء والعلماء، مثلًا: المولد دخل فيه علماء، بحثوا فيه أكثر من مائة بحث، وكتب فيه كتب، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رباهم في اتباع السنة على كلمة واحدة: فعل النبي ﷺ؟ نعم فعل، نفعله. لم يفعل، لا نفعل. وهذه الوجازة في الأسلوب في الدعوة إلى السنة سهلة، وتقبلها الفطرة من أي فرد كان.

وإذا أتت عليها معارضة لكن تبقى في الفطرة مؤثرة، ما فعلها النبي ﷺ مثل: هذه الليلة - ليلة النصف من شعبان -، طائفة من الناس يحيون هذه الليلة، إما بحفلة، وإما باجتماع على عبادة، وإما بشد الرحال إلى مكان ليكون فيه كذا كذا، ويصومون، ويخصصون هذه الليلة بقيام واجتماع وحفل، هنا يسأل السائل: هل فعل النبي ﷺأو لم يفعل؟ إذا قال: فعل. نفعل، وإذا قال: لا، لم يفعل، فإذًا هنا منهج تعليم الناس للسنة والبدعة لم يتبع فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ المنهج المعقد في تعريف البدع، وفي الأخذ بها، وإنما المسألة واضحة جدًا فيما علم الناس فيها؛ ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف الشبهات: والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، لماذا؟ لأن معه الحق القليل الواضح، الذي لا يستطيع أن يجادل معه خصم.

فمنهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدعوة إلى الاتباع والاهتمام بالسنة، فالسنة في التعليم والتعلم، كان لا يوجد عند أحد في نجد قاطبة، لا يوجد عند أحد نسخة كاملة من كتاب البخاري، وإنما يوجد أجزاء عند هذا، وجزء عند هذا، وجزء عند هذا... إلى آخره، وقد لا تكون وجدت مكتملة إلا لمن رحل للشام، وجاء بنسخة مكتملة، لكن طلبة العلم لا يعرفونه، وإنما عندهم مذهب، عندهم كتاب في مذهب ما: الحنبلي عنده كتاب في المذهب

الحنبلي، والشافعي عنده كتاب في المذهب الشافعي. . . إلى آخره فأحيا اتباع السنة والبحث عن الدليل، والحرص على ذلك في المسائل العلمية وفي المسائل العملية، ولكنه في ذلك لم يكن غالياً، وبعض من أخذ بدعوته غلا في مسألة الدليل، وفي مسألة الاتباع، حتى خرج بها عن نهج السلف الصالح الوسط في هذه المسائل، حتى أبطل أو هجن الأخذ أصلًا من كتب الفقه، قال: أصلًا هذه كتب الفقه كتب باطلة، وبلغ بهم إلى أنه لا يؤخذ العلم إلا من كتب السنة ونحو ذلك، خالفوا به منهج العلماء.

فإذا منهجه رحمه الله في تقرير العقيدة الاهتمام بالسنة القولية والعلمية، وتعليم الناس ذلك، وفي العلمية أيضًا حض الناس على الحرص على السنة تعلمًا، فشاعت كتب السنة في نجد، وتعلم الناس ذلك، وشرحت لهم كتب السنة بما لم يكن من قبل، لكن مع الاهتمام بكتب الفقه، والاهتمام بما قرره العلماء، دون غلو في ذلك.

في مسألة من المسائل سئل عنها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله تعالى جميعًا -، وهي مسألة الحاج إذا رمى جمرة العقبة، وقصر أو حلق، ثم لم يطف ذلك اليوم، لم يطف طواف الإفاضة ذلك اليوم. هل يرجع ويطوف في إحرامه، أم أنه يتحلل، ويبقى متحللًا، حتى يطوف، ولو بعد عدة أيام؟

هناك من أهل العلم من قال: يرجع إلى إحرامه إذا مضى عليه غروب الشمس، ثم بعد الغروب - يعني غروب الشمس - ولم يطف يرجع الإحرام إلى آخره، يرجع محرمًا كما كان إلى آخره، سئل عنها الشيخ عبد الله بن

محمد، وفيها دليل، وهو حديث أم سلمة المعروف في سنن أبي داود[١]، فقال الإمام عبد الله[٢]: هذا الحديث إسناده جيد، وقد قواه فلان إلى آخره، لكننا لم نتجاسر على العمل به؛ لأننا لا نعلم أحدًا من الأئمة عمل به، ولا يمكن أن تكون هناك مسألة في السنة لا يعمل بها الإمام أحمد، ولا مالك، ولا الشافعي، ولا يعمل بها أبو حنيفة، ولا يعمل بها سفيان، ولا يعمل بها الأوزاعي، ولا يعمل بها الليث، ولا يعمل إسحاق، هذا فيه غرابة، كيف تمضي سنة على الصحابة لا يعملون بها؟! والأئمة أيضًا، فيقول: الحديث نعم ثابت، وظاهر الإسناد الصحة، وفيه بحث في متنه: هل هو شاذ، أو منكر... إلى آخره، ومعروف عند أهل العلم، لكنه لم يعمل به أئمة الإسلام، فقال: لم نتجاسر على العمل به.

وهذه مسألة مهمة اليوم في منهج اتباع السنة في الدليل. هل نأتي نستدل على مسألة بفهم نفهمه، أو بشيء دل عليه الدليل، لكن لم يعمل به أئمة الإسلام؟ نحن نتبع منهج السلف الصالح، نتبع أئمة الإسلام، فإذا أتى في مسألة، نقول: الأئمة لم يعملوا بها، إذًا كيف نعمل بها؟ أوفى مسألة الأئمة عملوا بها، نقول: هي بدعة. وأئمة الإسلام عملوا بها؟

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٩٩)، وابن خزيمة (٢٩٥٨)، وأحمد (٦/ ٢٥٩)، من حديث أم سلمة ﵂: «... فَإِذَا أَمْسَيْتُمْ قَبْلَ أَنْ تَطُوفُوا هَذَا الْبَيْتَ صِرْتُمْ حُرُمًا كَهَيْئَتِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتَّى تَطُوفُوا بِهِ».

(٢) انظر: الدرر السنية (٥/ ٣٨٧)، **(نحن ما جسرنا على الفتيا به؛ لأجل أنه خلاف أقوال العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم وهو ما روت أم سلمة.......... رواه أبو داود بإسناد صحيح: قال البيهقي: لا أعلم أحدًا من القدماء قال به).**

لذلك لما أتى الإمام المصلح في مسألة ختم القرآن - دعاء الختم في الصلاة -، نظر فيها، فوجد أن أئمة الإسلام يقولون بها، ويفعلونها - سفيان، ومالك، والشافعي، وأبو حنيفة، وأحمد رَحِمَهُ اللَّهُ -، بل حض عليها، وقال: (**لا تجعل دعاء الختم في قنوت الوتر، اجعل لنا دعاءين**) - يعني دعاء الختم بعد الفراغ من القراءة -، وقال بها أيضًا ابن تيمية وابن القيم، ثم يأتي قائل يقول: لا، هذه بدعة. إذًا ماذا نفعل بصنيع الأئمة جميعًا؟ هناك من يغلو في الاتباع، فيفسر الأشياء بحسب ما ظهر له، حتى لو خالف الأئمة، يقول: لو الأئمة كلهم خالفوا المسألة، إذا كان هذا من طريقتهم، وأخذوا بذلك، وقالوه، فمخالفتهم في ذلك خروج عن الصراط، لماذا؟ لأنه لا يتصور في مسألة فيها ظهور أنها بدعة أو خلاف السنة، ويتتابع عليها أئمة الإسلام في قرون متعددة، ولا يفعلونها، بخلاف البدع التي يعملها أهل البدع، فإن أئمة الإسلام ينكرونها، حتى ولو تتابع الناس عليها، لكن تتابعوا مع إنكار المنكر، وهنا تتابعوا مع عدم الإنكار، فدل هذا على أن لها اعتبارًا، سيما وأنه قد نص عليها من نص عليها من الأئمة، فتجد أنه لم ينكر هذه، ومشى فيها، وعليه أئمة الدعوة - كما تعلمون - إلى وقتنا الحاضر، وهكذا في مسائل أخرى.

إذًا فالأخذ بالدليل في هذه المسائل من منهجه رَحِمَهُ اللَّهُ أن يؤخذ بالدليل في مسائل العقيدة، ولكن مسائل العقيدة لا مدخل فيها للعقليات، إذا جاء نص من الكتاب أو من السنة، فإنه هو الحجة في هذا الباب، لكن نأخذ فيه بفهم السلف الصالح، في بعض الأحاديث فيها ذكر لصفة من الصفات، لكن هل تطلق الصفة أو لا تطلق؟ أو في آية هل تطلق الصفة أو لا تطلق؟ لا بد أن ننظر

فهم السلف الصالح، ولا يأتي أحد يقول: أنا أفهم من الدليل إثبات كذا، إذًا فهم من سبق أين هو؟

لا بد أن يدعم الفهم بفهم من سبق من أئمة الإسلام؛ لأنهم - بالاتفاق - كانوا على الحق المبين.

المعلم الأخير من معالم منهجه في تقرير العقيدة: أنه - رَحِمَهُ اللَّهُ ومن سلك سبيله بعده في ذلك - اعتنى بالرد التفصيلي على من خالف العقيدة في مسألة، أو في أصل التوحيد والاعتقاد، ولأئمة الدعوة - كما تعلمون - الردود الكثيرة، فالرد على المخالف في مسائل التوحيد هذا فيه فائدتان:

الفائدة الأولى: إنكار المنكر.

والفائدة الثانية: في تقرير الحق، وبيان المحجة، وإقامة الحجة؛ لهذا اهتموا بأنه من يهاجم الدعوة - دعوة الإسلام أو دعوة التوحيد - ومثلًا يحسن عبادة الأولياء، أو يحسن الذهاب إلى المشاهد، أو الاستغاثة بالصالحين، أو نحو ذلك - يعني: من الأموات - ردوا عليه، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ وأئمة الدعوة أيضًا ردوا على كل من خالف الدعوة في هذا، ولكن الرد يكون بعلم وبحلم، الرد يكون بعلم وبحلم، ولا يكون الرد خاليًا من العلم، وفيه قوة في الألفاظ، فيفهم منه المقابل أنك لست قويًا في الحجة، وإنما عندك نزاع، وشدة في الكلام... إلى آخره، وتتهجم دون قوة في الحجة والبيان...، فكانوا أقوياء في ردودهم، والردود مهمة، الردود مهمة في تبيين ما عليه: تبيين الملة، وتبيين الحق، إذا تبينت هذه المعالم، فنمر مرورًا سريعًا على بعض كتب الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، ونأخذ أمثلة، أو بيان معالم هذا المنهج في هذه

الكتب، وأشهر الكتب كتاب التوحيد، ظاهر فيه المنهج.

أولًا: في تقرير التوحيد في الكتاب والسنة.

الثاني: في أنه راعى إجماع السلف، حتى لما أتت مسألة التمائم من القرآن، قال: وأما إذا كانت التمائم من القرآن، فذكر فيها: قد رخص فيها جماعة[١] . . . إلى آخره، هنا راعى ما اتفقوا عليه، وراعى أيضًا ما اختلفوا فيه.

الثالث: ننظر في كتاب التوحيد إلى أنه قرر الأولويات فيما قرره في المسائل، بيَّن أن أول ما يدعى إليه التوحيد، وأنه أهم من الفرائض، وبيَّن كيف يعامل المخالف.

أيضا فيما ذكره في المسائل إذا أخذت كتاب ثلاثة الأصول مثلًا، أو الأصول الثلاثة وأدلتها، يعني: ثم كتابان، كتاب سهل تعليم العقيدة للعامة قد يسمى الأصول الثلاثة، أو ثلاثة الأصول، والكتاب الكبير المعروف ثلاثة الأصول وأدلتها أو الأصول الثلاثة وأدلتها.

تجد أن هذا الكتاب مبني على شرح ما يهم المتعلم المبتدئ في بيان واجب العلم، وواجب العمل، وواجب الدعوة، وواجب الصبر، وفي بيان أصول الدين الثلاثة: معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه ﷺ، وأوضح ذلك باختصار، كل مسألة بدليلها، وهنا ننبه تنبيهًا في هذا الكتاب إلى أن بعض الناس قالوا: الشيخ في قوله: إنه يؤخذ دين الإسلام

(١) انظر: فتح المجيد (ص١٢٠).

بالأدلة، أن هذا وافق فيه المعتزلة؛ كما قال بعض طلبة العلم عندنا، وهذا غلط كبير على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المعتزلة ومن نحا نحوهم في المنهج العقلي لا يصح عندهم الإسلام إلا بالدليل العقلي، يعني بمعنى لا بد أن يثبت الدليل العقلي: إما بالنظر عندهم، وبتحرٍ، . . . إلى آخره، والدليل عندهم هنا: النظر في الكونيات، أو النظر في النفس. أما أئمة الإسلام، أما علماء السلف، فهنا ينظرون إلى معرفة دين الإسلام بالدليل الشرعي، يعني: من الكتاب والسنة، ليس من الدليل العقلي.

المعتزلة والجهمية ومن نحا نحوهم والأشاعرة عندهم الدليل العقلي، أول واجب عندهم هو: النظر، أو القصد للنظر، أو الشك - على أقوال عندهم في ذلك - بمعنى النظر في الملكوت، حتى تثبت بالعقل أن الله عَزَّ وَجَلَّ واحد في خلقه، وأنه هو الذي يعبد بالعقل، لكن عندنا ليس الأمر كذلك، وإنما هو بالدليل الشرعي، يعني: أن يعرف الدليل على هذه المسألة؛ لذلك مثلًا: إذا أتى لمسألة من المسائل، يقول: وأما النذر، فدليله قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]، كذلك: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] كتاب فضل الإسلام: كل كتب الشيخ يسيرة، أوراقها قليلة، لكن منهجها واضح، وهي تصلح للجميع في التعريف على المنهج، فضل الإسلام كتاب في منهج الاتباع، منهج السلوك، منهج العمل، منهج التسمية، الموقف من البدع، وذم البدع والابتداع وأهله، حتى في مسائل المسميات تكلم عنها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

هذا الكتاب؛ لأجل ألا يظن الظان أنه يدعو إلى أن يسمى هو باسم خاص، مثل: ما فعل الظلمة، فسموا الشيخ وأتباعه بالوهابيين، هذه تسمية لا نقرها؛ لأننا إنما نتبع السلف الصالح، إذا جاءت المسألة من جهة العقيدة، فنحن سلفيون نتبع السلف الصالح مع أهل السنة والجماعة، وفي مسألة الفروع نقول: نحن حنابلة، أما إحداث هذه التسمية، فهذا يراد منه الصد عن الحق، وهي تسميات باطلة؛ لأن المقصود منها معروف، جاء الشيخ في كتاب فضل الإسلام بالدليل من الكتاب أو السنة، ثم بعض كلام السلف من الصحابة في هذه المسائل.

إذا أخذت - مثلًا - كتاب مسائل الجاهلية، وجدت أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدد مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، لماذا؟ لأن الضد - كما ذكر في أوله - لأن الضد لا يظهر حسنه إلا بضده؛ كما يقال:

والضدّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ وبضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشْياءُ

وهذا صحيح؛ لأنك تعلم من هذا الكتاب ما كان عليه أهل الجاهلية، وما أمر به الله ﷻ في كتابه أو جاء في السنة لمخالفة أهل الجاهلية في أعظم شيء، في عبادة الله وحده دونما سواه، وما كان عليه أهل الجاهلية في ذلك في الاتباع في كل المسائل التي كانوا عليها: سواء في التوحيد، أو في مسائل العمل والسلوك، فكان من منهجه هنا في هذا الكتاب أنه قرر العقيدة - طبعًا - بالكتاب والسنة، لكن قرر العقيدة بمعرفة الضد؛ لأنه كيف تتصور ما جاء به الإسلام إلا بمعرفة ما كان عليه أهل الجاهلية؟

وقد قال بعض السلف: «**إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في**

الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[١]، وإذا لم تعرف الجاهلية كيف كانت، وكيف نقل النبي ﷺ الناس من الجاهلية إلى الإسلام، إذًا لن تتعرف إلى الأحوال المشابهة لأحوال الجاهلية، وتظن أن كل شيء جائز في الإسلام.

الذين علقوا الصور - صور المعظمين -، والذين عبدوا غير الله ﷻ، وبنوا القباب على الكنائس وعلى القبور، وجعلوها معابد، هذا كان عليه أهل الجاهلية، فحذر منها النبي ﷺ.

إذا أتى آت اليوم، وقال: لا، هذا شيء طيب.

إذًا إذا عرف التاريخ، وما كان عليه، وما يقابله، فإنه حينئذٍ تتبين له دلالات النصوص، وكيف يوقع النص على الواقع، أو كيف ينزل النص على الواقع.

هذه كلمات موجزة في هذا الباب، تفتح آفاقًا دعوية في فهم دعوة الإمام المصلح، والمنهج إذ ذاك في تقرير هذه العقيدة والتوحيد.

ولا شك أننا نرى أن هذه الدعوة بفضل الله ﷻ ورحمته ومنته وعونه أنها تنتشر، وتنتشر، فاليوم لا تكاد نذهب إلى بلد إلا وتجد فيه طائفة ينافحون عن هذه الدعوة، ويدعون إلى ما كان عليه السلف الصالح، ويقررونها في ذلك، لكن الواجب عليهم زيادة العلم، وزيادة تعرف هَدْي العلماء، وما كانوا يسيرون عليه في طريقة تقريرهم في التوحيد والعقيدة والسلوك؛ لنكون

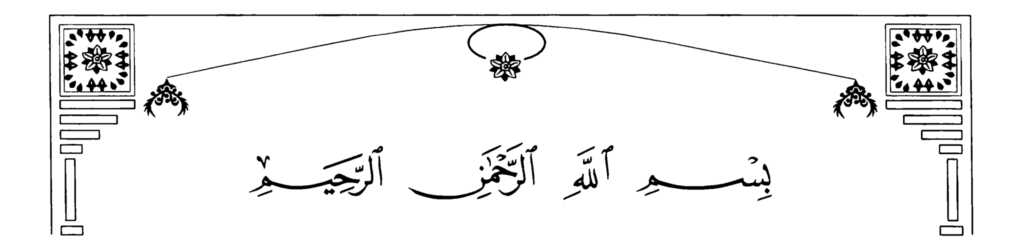
---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)، ومنهاج السنة النبوية (٢/ ٣٩٨)، ومدارج السالكين (١/ ٣٤٣)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

شبيهين أو مشابهين لمن سلفنا، فكل خير في اتباع من سلف، وكل شر في ابتداع من خلف.

أسأل الله ﷻ أن يرفع درجة الإمام الأواب محمد بن عبد الوهاب في أعلى الجنان، وأن يجزيه عنا خير ما جزى به مصلحًا مخلصًا عن إصلاحه، وداعية عن دعوته، وأسأله - سبحانه - أن يوفق الجميع ممن يسيرون على منهاج هذه الدعوة إلى تحري الحق والنظر فيه، وعدم التسرع في ذلك؛ إنه سبحانه وتعالى جواد كريم، وبالإجابة جدير، عليه توكلنا، وإليه أنبنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.





محاضرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم
دعوته وحياته رحمه الله وأجزل له المثوبة والمغفرة
محاضرة في مكة المكرمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يهدون من ضل إلى الهدى، ويبصرونهم من العمى، ويحيون بكتاب الله الموتى.

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس! وما أقبح أثر الناس عليهم! وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد المجتبى الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الإخوة: . . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنه لمما يفرح أعظم الفرح أن يكون الحديث متواصلًا عن العلماء؛ تبصيرًا بسيرهم، وتعريفًا بحياتهم، وتذكيرًا بما كان لهم من فضائل؛ بما أنتج الأثر العظيم الذي يعيشه أهل العلم متواصلًا بجهد وجهاد، ومن كان قبلهم.

وإن هذا الأمر - أعني: نشر تراجم العلماء، والتذكير بفضائلهم، والتعريف بسير حياتهم، وجهادهم وما بذلوه - لمما يكون له الأثر الأكبر في الأمة؛ لأن الأمة إن لم يتصل حاضرها بماضيها، وإن لم يقتد شبابها بكهولها العلماء منهم، وإن لم يتصل أولئك بخبر من تقدم، فبمن يتصلون؟ وعمَّن يأخذون؟ وبمن يقتدون؟

لا شك أن اقتفاء سير من كان قبلنا من أهل العلم الذين قد شهد لهم بالتحقيق، وشهد لهم بالإمامة في السنة، وعرفوا بنقل العلم صافيًا عن السلف الأول، لاشك أن معرفة أخبارهم، ومعرفة سيرهم، وما بذلوه، لاشك أن ذلك سيعقبه الأثر في نفوس الناشئة؛ لأننا نجد أن كثيرًا من الناشئة اليوم لا يعلمون أخبار من مضى، لا يعلمون أخبار علمائهم، ويظنون أن الإسلام الصحيح وأن التوحيد الذي ينعمون به، وأن هذا الخير الذي يرفلون فيه وبه يظنون أنه وصلهم بدون جهاد أئمة مضوا، وبدون علم ونشر للعلم والسنة من أناس قد تقدموهم، فإن لم يعرفوا أولئك، فبماذا يكون اقتداؤهم؟

لاشك أننا في هذه البلاد قد سبقنا بأئمة دعوةٍ وإصلاح نشروا العلم، ونشروا الحق، ودعوا إلى التوحيد؛ فلهذا جاءت هذه السلسلة التي أرجو من الله ﷻ وأسأله أن يجعلها مباركة في جميعها، وأن يكون الشباب يعرفون ما وراء تلك السلسلة من أن يكتفوا بعلمائهم، يكتفون بمن كان في هذه البلاد من علماء السنة؛ لأنهم حققوا نصرًا للإسلام فيما مضى، وإذا أخذت الركبة بالركبة توصلنا إلى نصر للإسلام فيما بقي.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا منتفعين بما سنسمع وبما يقال، وأن نكون على يقظة وبصيرة من ذلك.

إن سلسلة تراجم أهل العلم، الذين ستعرض تراجمهم في هذه السلسلة، بدأت تلك السلسلة بترجمة الإمام العلامة الشيخ/ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب[1] - رحمهم الله تعالى أجمعين -.

هذا الإمام العلم أخباره لا تفي بها هذه العجالة، لا يفي بها محاضرة، ولا يفي بها أكثر من محاضرة، ولكن يفي بها أن يتواصل الناس بالحديث عن ذلك العلم، وهذا أمر له مبرراته؛ وذلك لأن هذا الإمام - أعني: العلامة الشيخ، شيخ المشايخ، وعلم المحققين في هذا الزمان المتأخر، الشيخ محمد بن إبراهيم - كان أمة في قلب رجل واحد.

إذا نظرت إلى القضاء بما فيه بمدارسه المختلفة وبمشكلاته، كان هو الذي يرعاه بمشاكله، ويحل عويص مسائله، ويرشد القضاة الصغار منهم والكبار.

إذا نظرت إلى الفتوى وتأصيلاتها في هذه البلاد، وجدت مرجعها إليه.

إذا نظرت إلى العلم الذي نشر وينشر اليوم من قبل تلامذة الشيخ، وجدت أن الذي أمسك بزمامه قرابة نصف قرن من الزمان هو: الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

إذا نظرت إلى إصلاح الأمة، ومجاهدة أهل المنكرات، ونشر الفضائل، ونشر الخير في الناس والدعوة، وجدت أن الذي كان يرعاها نصف قرن من

(١) انظر: مشاهير علماء نجد (٢/ ١٣٤)، وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٩).

الزمان هو: الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، وهكذا في جوانب كثيرة.

إذًا فليس من الإنصاف في حق الشيخ رحمه الله أن تفرد له محاضرة، هل نعرف الناس بحياته الشخصية، التي هي مهمة في التعريف بتراجم العلماء؟

أم نعرف الناس بمواقفه؟

أم نعرف الناس بمدرسته في القضاء؟

أم بمدرسته في الفتوى؟

أم بمدرسته في الفقه؟

أم بمدرسته في الدعوة؟

أم بمدرسته في جهاد المنكرات؟

أم بمدرسته في كيف يكون التعامل السلفي الصحيح مع ولاة الأمر؟

أم كيف وبم نعرف الناس؟

لاشك أن هذا يحتاج إلى محاضرات متصلة الواحدة تلو الأخرى؛ حتى تأخذ طرفًا من حياته رحمه الله.

لهذا سأجعل هذه المحاضرة كنبذة موجزة مختصرة عن حياته؛ تعريفًا للشباب الناشئة بحياة ذلك الإمام الجهبذ - رحمه الله رحمة واسعة -.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد الشيخ رحمه الله في مدينة الرياض في حي دخنة المعروف، سنة إحدى عشر وثلاثمائة وألف، وأخواله من أسرة الهلالي المعروفة، أسرة تسكن

عرقة، نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيت علم ومجتمع عبادة.

أبوه وأعمامه أهل علم ودعوة وجهاد، وصف ذلك الشيخ عبد الله بن بسام رَحِمَهُ اللَّهُ - لأني أحرج كثيرًا أن يكون الوصف عن حياته من قبلي في كل حال، لكن شهد بذلك تلامذته، والأمر كالشمس ظهورًا، ولكن أعزو هذه الأقوال إلى من قالها من أهل العلم الذين شهدوه، ولهم في زمننا هذا المقام الذي لا يجهل - وصفه الشيخ عبد الله بن بسام رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: كان مولده في بيت علم وفضل وزعامة دينية، نشأ على عادة أهله وآبائه محبًا للعلم، طموحًا إلى الفضل، وينشأ الناشئ يقتبس من أخلاق وأوصاف من حوله، فوالد الشيخ هو الشيخ الورع إبراهيم بن عبد اللطيف قاضي مدينة الرياض، وله رسائل وفتاوى، كان رَحِمَهُ اللَّهُ - يعني: الشيخ إبراهيم - متميزًا بالعدل الظاهر في قضائه ومعاملة الخصوم، وكان من أهل الصدع بالحق، وكان ممن لا يدارون، وله في هذا أحوال وقصص، وكان ناظمًا للشعر مجيدًا له؛ كأبيه عبد اللطيف.

وأما أعمام الشيخ محمد، فأكبرهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، عالم نجد بعد أبيه، وقائدها وكريمها، بهر الرجال بحنكته وعقله، وأدهشهم بعلمه وفضله، خشي منه أمراء المدن والأقاليم الذين عقبوا آل سعود فيما بين الدولتين السعودية الثانية والثالثة، فأظهروا محبة تارة، وأضافوه في بلادهم وأكرموه، ثم خشوا منه؛ لأنه ما حل ببلد ولا قرية إلا نشر دعوة التوحيد والعلم النافع، فيكثر المتأثرون به بعلمه. كلام الشيخ عبد الله بن بسام انتهى قبل جمل؛ لأنه ما حل ببلدة ولا قرية إلا كان صاحب دعوة، نشر دعوة التوحيد، ونشر العلم النافع في البلد التي يحل بها.

وهكذا يكون أهل العلم، لا يفرحون بالعزلة، وإنما يفرحون بأن يوجهوا الناس، يفرحون بأن يواجهوا الناس، وبأن يختلطوا بهم؛ حتى يؤثروا فيهم لأن العالم الحق همه أن يوجه الناس إلى دين الله، خاصة أصل الدين، أعني توحيد الله ﷻ.

رجع بعد ذلك الشيخ عبد الله إلى الرياض، ثم لما قدم الملك عبد العزيز رحمه الله الرياض، كان سنده وعضده بعقل وحكمة، بل إن كثيرًا من جند الملك عبد العزيز رحمه الله كانوا من المتأثرين بالشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، الذين كانوا يحضرون دروسه -رحمه الله رحمة واسعة-.

كذلك بقية أعمام المترجم له كانوا أهل علم وفضل؛ كالمشايخ: محمد ابن عبد اللطيف، وعبد الرحمن، وعمر، وعبد العزيز، ولهم أخبار وأحوال كالعبير رحيقًا، وصفهم الواصفون بنعوت أشبهوا بها الأوائل سمتًا، وهديًا وعبادة، وصلاحًا، وعلمًا -رحمهم الله تعالى رحمة واسعة-.

إذًا نشأ الشيخ في هذه الأسرة، فلا غرو أن أثرت عليه، لا غرو أن نهل، واحتذى حذو أسرته، فتوجه من أثر هذه البيئة، ومن أثر هذا المجتمع الذي حوله إلى العلم، قابسًا من عقل ذوي العقل، قابسًا من تقى ذوي التقى، قابسًا من غيرة ذوي الغيرة، وكلهم ذاك الرجل، فطلب العلم على قاعدة الدين والعمل والعقل والغيرة لله، فكان ذلك معلمًا بارزًا لنبوغه وتهيئته للقيادة والريادة، التي ظهرت فيما بعد رحمه الله.

لما بلغ الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله السابعة من العمر - أي: سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف - شرع يتعلم القرآن بتجويده، نظرًا على المقرئ ذي

الصوت العذب المؤثر عبد الرحمن بن مفيريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأجاده نظرًا، ثم ابتدأ حفظه في سن الحادية عشرة، وتعلم الكتابة، وكان آنذاك مبصرًا، وكتابته في صغره حسنة على أصولها؛ كما ينبئ عن ذلك ورقة وجدت فيها كتابته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بعد هذا الأساس الأول - أعني حفظ القرآن - لمن يريد طلب العلم الشرعي بحق لابد أن يبتدئ بحفظ القرآن، فلما حفظ القرآن رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرع يقرأ العلم على مشايخه، فكان أولهم والده الشيخ إبراهيم، قرأ في مختصرات رسائل أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى -.

كان يحفظ المتن، ثم يقرأ على والده، على عادة المشايخ في تلقيهم للعلم، وهكذا العلم النافع يبدأ بقراءة المتون المختصرة؛ لأن المتون المختصرة عنها تتفرع شجرة العلم؛ فهي شجرة أصلها ثابت - أعني: أصل العلم هي تلك المتون -، وعنها يتفرع العلم، ولم يكونوا يبتدئون بقراءة المطولات من الكتب؛ لأن قراءة تلك المطولات لا تعطي العلم الأصيل، العلم المنهجي المؤسس، وإنما يكون العلم بقراءة المتون، وهكذا كان الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قرأ رسائل أئمة الدعوة، وحفظها، وقرأ نبذ إمام الدعوة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وشرح له والده أول الأمر ما يفهم به مرامي كلامهم وأصول مسائلهم، وهكذا ينبغي أن يكون التوحيد هو أول ما يتعلمه طالب العلم، ويحرص عليه، ويتنبه له، وإنما يفهم، ويضبطه بضبط متونه قبل شروطه؛ إذ من حفظ المتون، حاز الفنون.

كف بصره: لما بلغ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريبًا من السنة السادسة عشرة من عمره

مرض بالرمد في عينيه، وطال معه إلى قرابة سنة، فنتج عنه أن كف بصره - عوضه الله عن ذلك بالجنة -، بعد هذا شرع في تأكيد حفظ القرآن وتثبيته، وتنوعت قراءته على مشايخه؛ كما سيأتي فيما بعد.

وفاة والده: وفي السادس من شهر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف توفي والده عن عمر يقارب تسعًا وأربعين سنة، إذ مولد الشيخ إبراهيم كان سنة ثمانين ومائتين وألف للهجرة، كان للشيخ إبراهيم رحمه الله أربعة أبناء، كبيرهم عبد الله، ولد سنة خمس وثلاثمائة وألف، وتوفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف، ثم محمد، ثم عبد اللطيف، ولد سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف، وتوفي سنة ست وثمانين، ثم عبد الملك، ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف، وتوفي سنة أربع وأربعمائة وألف، وكلهم عرف بالعلم والحلم والسداد رحمهم الله تعالى أجمعين.

تعلُّمه: كان سن الشيخ بعد أن توفي والده ثماني عشرة سنة تقريبًا، كان الشيخ رحمه الله لصغار إخوته حانيًا، ومربيًا، ومعلمًا، جد الشيخ رحمه الله في تلك السن المبكرة في طلب العلم، تنقل بين علماء بلده، ولم يكتف بواحد منهم، بل تتبع العلماء، وأخذ علم كل عالم رآه في بلده، أخذ العلوم الشرعية الأصلية والمساندة، فأخذ عن كل شيخ من مشايخه العلوم التي يدرسها، وبالأخص ما تميز به كل شيخ من العلوم؛ لهذا برع فيما درس لبراعة مشايخه - رحمهم الله -، وذلك لما توفر فيه من حسن استعداده العلمي والفطري.

ففي التوحيد كانت للشيخ محمد رحمه الله يد التحقيق العليا، فكان يجلو مسائله بعد ذلك، ويرد على أهل الشبهات، ويبين الحق، فكان لا يقف معه

خصم من خصوم التوحيد وأهله، في الفقه رسخت قدمه، في الاجتهاد في العربية وعلومها صار رَحِمَهُ ٱللَّهُ معها الشارح لها أحسن شرح، وهكذا في سائر العلوم.

ولا غرو أن كان كذلك؛ إذ إنه تتلمذ لمشايخ برعوا في علومهم، ومن مشايخه: والده الشيخ إبراهيم، وعمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ النحوي الفرضي الفقيه حمد بن فارس، والشيخ المحدث الفقيه سعد بن عتيق، والشيخ الفرضي عبد الله بن راشد، والشيخ الفقيه محمد بن محمود، وهؤلاء كانوا من العلماء البارزين في وقتهم، وكان الطلاب ينهلون منهم، ولكن كان الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أبرز التلامذة الذين قرؤوا على أولئك.

قرأ على والده أصول التوحيد - كما ذكرنا -، وقرأ على والده الفرائض، ثم توسع في الفرائض على الشيخ عبد الله بن راشد، فقرأ عليه حفظًا ألفية الفرائض، وهي موجودة مطبوعة مع شرحها، قرأ على عمه أيضًا كتبًا كثيرة حفظًا، منها كتب العقائد والتوحيد: ككتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، ونحوها، وبقية كتب أئمة الدعوة، وقرأ الواسطية والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وحين يقال: قرأ في عرف المتقدمين، يعني حفظ غالبًا، وفهم ذلك وجوده؛ لأنه عند المتقدمين يقال: فلان قرأ. يعني: حفظ المتن، وقرأه على الشيخ، أما القراءة هكذا نظرًا - كما نراه في هذا الزمن - فليست مسماة بالقراءة عند المتقدمين.

قرأ في الفقه مختصراته: أولًا على الشيخ حمد بن فارس، فحفظ متن زاد المستنقع، ثم قرأ على الشيخ محمد بن محمود - رحمهم الله تعالى -

ثم على الشيخ سعد بن عتيق - رحمهم الله تعالى -، وكان هؤلاء الثلاثة ممن برعوا في الفقه، وحققوا مسائله، وضبطوا غرائبه.

أما في الحديث، فقد حفظ بلوغ المرام، وحفظ نحوًا من نصف منتقى الأخبار، الذي يشمل أكثر من خمسة آلاف من الأحاديث في الفقه للمجد أبي البركات ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقرأها على عمه الشيخ عبد الله، وكرر قراءة بلوغ المرام على المحدث الشيخ سعد بن عتيق، وأمرَّ عليه في المصطلح ألفية العراقي، وقد أعطى الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجازات في الحديث متنوعة، وروى بأسانيده عددًا من الأحاديث إلى رسول الله ﷺ بسماع، لا بإجازة مطلقة.

ولولا خشية الإطالة، لسيق ذلك مفصلًا، وإجازاته في الحديث رويت عنه بالمناولة، واتصل به بإسناد بالمناولة بإجازة عدد من الكتب والأثبات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما في علوم العربية، فقد حفظ من متونها ما به تثبت القدم، ويرسخ الفهم في علم العربية - أعني: نحوها وتصريفها -، فقرأ: الآجرومية، وملحة الإعراب، وقطر الندى، وألفية ابن مالك المشهورة، قرأ هذه المتون على العلامة النحوي الحليم المتورع الفقيه الشيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد درس الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المتون النحوية، وشهد تلامذته ومن رآه شهد له بأنه برَز في ذلك شرحًا واستنباطًا، حتى إنه حصلت له مناقشات مع بعض الأزهريين في الرياض، كان فيها مبرزًا عليهم في النحو والأصول، فاصلًا في المشكل فيما قالوا، وكان الصواب من ذلك مع الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تفوقه: من ذلك الحكاية المشهورة التي ذكرها لنا عدد من تلامذة الشيخ، قالوا: كان الشيخ محمد حامد الفقي، وهو العالم الشيخ المعروف في مصر، رئيس أنصار السنة المحمدية في مصر، كان مرة في مجلس الشيخ والشيخ عبد العزيز بن شلهوب يقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم بين الأذان والإقامة للعشاء، يقرأ عليه في تفسير ابن كثير، أو في تفسير ابن جرير، وصوب الشيخ محمد بن إبراهيم قراءة للشيخ عبد العزيز بن شلهوب، صوب له القراءة، فرد الشيخ محمد حامد الفقي على الشيخ تصويبه، وقال: الصواب كذا. مخالفًا للشيخ، فقال الشيخ: الصواب كذا. فبين الشيخ محمد بن إبراهيم للشيخ محمد حامد الفقي وجه الصواب في ذلك، وكانت المسألة في الصرف

من مشايخه: درس الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنواعًا من العلوم على مشايخه، نعم إنه بعد تلك الدراسة ظهر علمه، وظهر فضله، وظهر أثره ونبوغه؛ لأنه كان يتميز بالعلم، والعقل، والذكاء، والفطنة، والحفظ، وقلما تجتمع هذه في عالم رأينا في الوصف المختصر فيما ذكر.

مشايخ الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ متنوعون فيما منحهم الله به، فالشيخ عبد الله -عمه- جمع إلى العلم -حيث كان هو المرجع لأهل نجد في العلم- جمع إلى العلم الدهاء، والعقل، وحسن السياسة، والقيادة، بما شهد له به أهل عصره، وكذلك الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ جمع إلى العلم الصدع بالحق والقوة فيه، وهكذا كان الشيخ عبد الله رحمهم الله تعالى. والشيخ حمد بن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ جمع إلى العلم، الحلم العجيب، والورع عن المشتبهات، والتوقف عن المزلات، وكان الشيخ حمد بن فارس هو

المسؤول عن بيت المال، وكان بيت المال عنده، وكان التمر والعيش - يعني: ما يوزع من بيت المال - كان عنده، وقد بلغني عن طريق صحيحة أنه كان لا يأكل من بيت المال، فقد كان يحمل تمره في جيبه - يعني: الشيخ حمد بن فارس -، وكان يفطر عليه، وكان هو الوالي على بيت المال.

من خصاله: نعم، إن الناظر في خصال المترجم له - أعني: الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ - ليعجب من هذا التنوع، فإذا رأيت في الشيخ محمد ابن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا رأيت العقل، وجدته صاحب العقل الوافر، ومن له قصب السبق في ذلك.

إذا رأيت الحلم، فقد كان حليمًا للغاية.

إذا رأيت العلم، رأيت العلم الذي صار منتهى العلم إليه.

إذا رأيت الدهاء.

إذا رأيت الصدع بالحق، ونظرت في الشيخ محمد بن إبراهيم ذلك، وجدت أنه قد اجتمعت في الشيخ محمد بن إبراهيم الفضائل والخصال التي تميز بها كل واحد من مشايخه.

إذًا فلا عجب، ولا غرو أن نقول: إن الشيخ محمدًا رَحِمَهُ اللَّهُ اجتمعت فيه الفضائل والمزايا، التي تبددت في غيره، وليس في هذا مبالغة، بل إن هذا قد شهد به من عرف الشيخ، وليس حديثنا عنه إلا كالقطرة من اليم. كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رقيق الطبع، محبًا لإخوانه محبة خاصة، وإخوانه كانوا مع كونهم إخوانًا له في النسب، وليس هذا بغريب أن يحب المرء إخوانًا له في النسب،

لكن كان مع ذلك له معهم محبة خاصة، فيها المحبة الدينية والعلمية، ومحبة النسب أيضًا، كان رقيقًا محبًا، وكان من خاصة أحبة إخوانه له الشيخ عبد اللطيف رحمه الله، وكان هذا الشيخ - أعني: الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله - متميزًا ببذل نفسه للناس، يخدم هذا، ويكتب لذاك، يومه وليلته للناس، وهذا أمره معروف لدى كبار السن، الذين يتذكرون الشيخ العلامة النحوي عبد اللطيف رحمه الله، محبة الشيخ محمد بن إبراهيم لأخيه ظهرت في أبيات إخوانية أرسل بها الشيخ محمد بن إبراهيم إلى الشيخ عبد اللطيف، وكان الشيخ عبد اللطيف مسافرًا في مهمة شرعية. قال الشيخ محمد بن إبراهيم لأخيه في أبيات أرسلها له مكتوبة، قال:

فإما أنختم بالفنا ولقيتم	**شقيقي حليف الود مذ هو صغير**
فقولوا له يهدي السلام مضاعفًا	**إليك محب في هواك أسير**
ويهدي تحيات كأن أريجها	**لدي النشر يا عبد اللطيف عبير**

إلى آخر الأبيات...

والشيخ عبد اللطيف تولى مناصب شرعية معروفة.

أما زملاء الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، فأخص منهم الشيخ العلامة الزاهد الورع عبد العزيز بن صالح بن مرشد، المولود سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف، أي: ولد بعد مولد الشيخ رحمه الله بسنتين، فكان الشيخ يكبر زميله بسنتين، والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد موجود الآن حي، أمتع الله عز وجل به وأمده بالصحة والعافية، وختم له بخير، كان رفيقًا للشيخ في

طفولتهما، وكان رفيقًا له في شبابهما، وفي طلبهما للعلم، طلبا العلم سويًا، وتنقلا بين المشايخ سويًا.

وقد حدثني الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد رحمه الله أنه استأجر هو والشيخ محمد بن إبراهيم بيتًا صغيرًا - يعني: في شبابهما - وضعا فيه كتبهما، استأجراه للتفرغ فيه للمطالعة، فكانا يأويان إليه يحفظان، ويدرسان ويتذاكران، وكانت الأجرة إذ ذاك قريبًا من سبعة ريالات عربية - يعني: فضة -، وهذا يعني أن طالب العلم حين يتفرغ في بيت للحفظ مع زميل له، لا يتفرغ فيه لأنس أو لحديث، إنما يتفرغ بحزم وجد للعلم.

وهكذا كانت حياة الشيخ محمد بن إبراهيم، كانت حياته مذ كان صغيرًا في جد وحزم مع النفس، وهكذا الكمالات تظهر فيما بعد لمن كان حازمًا مع نفسه في النشء، وقد قال من قال من أهل الفضل: (**من كانت بداياته محرقة كانت نهاياته مشرقة**).

الشيخ عبد العزيز بن صالح هذا رحمه الله إذا جلست معه، وذكرت السلف، رأيت الزهد، والتقوى، والعلم، والورع، والحكمة، والأخبار، وقد حدثني رحمه الله بأخبار كثيرة عن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، حدثني عن الشيخ محمد بن إبراهيم بأخبار كثيرة أودعها - إن شاء الله - في ترجمة مستقلة له، إذ هذا المقام مقام ضيق.

وصية الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف:

لما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله - الشيخ الأكبر الذي طالت ملازمة الشيخ محمد بن إبراهيم له - قبل وفاته الملك عبد العزيز بن

عبد الرحمن - رحمهما الله -، أوصى عند وفاته بالشيخ محمد بن إبراهيم، كانت سن الشيخ محمد بن إبراهيم إذ ذاك قريبًا من ثمان وعشرين سنة، ولكن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وهو الداهية السياسي المعروف، العالم الكريم الشهم، الذي فضائله متداولة عند الناس إلى هذا الزمان، كان متوسمًا في هذا الشاب الناشئ، توسم فيه العقل، توسم فيه العلم، فأوصى به رَحِمَهُ اللهُ، أوصى به الملك عبد العزيز، وكان من بدايات تلك الوصية أن كان ينيب الشيخ محمد بن إبراهيم - على صغر سنه - ينيبه في مسجده - مسجد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - المعروف في دخنة بمسجد الشيخ محمد بن إبراهيم، فكان ينيبه، ويصلي الشيخ محمد بن إبراهيم الفروض عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمهما الله تعالى -، قبل الشيخ ذلك وأوصى - يعني قبل الوكالة -، وأوصى الشيخ عبد الله الملك عبد العزيز بالشيخ محمد بن إبراهيم هذا الشاب الناشئ.

عناية الملك عبد العزيز به: والملك عبد العزيز لحظ ذلك في الشيخ، فاعتنى به، وقبل الوصية، وكان للملك عبد العزيز الأثر البالغ في صياغة شخصية الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان للشيخ محمد في نفس الملك عبد العزيز محبة عظيمة، فلم يكن يصبر عن لقائه وقبول مشاوراته، مما هو معروف لدى كثير من الناس.

لما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، فحانت الصلاة التي هي بعد وفاته، امتنع الشيخ محمد بن إبراهيم أن يصلي بالناس، وقال: كانت صلاتي بالناس وكالة وكلني بها الإمام - إمام المسجد الذي هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -، وأما الآن فلست بمتولٍ الصلاة؛ لأن الوكالة قد

انقطعت بموت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف؛ لأن هذه وظيفة شرعية، وكانت هذه بشهود علماء في وقته، كانت بداية لتورع وعقل وعلم وفقه في الأمر، ثم أُمر بالصلاة في مكانه، فكان الشيخ محمد بن إبراهيم إمامًا للمسجد إلى أن توفي - رحمهم الله تعالى - أجمعين.

ابتدأ الشيخ محمد بن إبراهيم بعد وفاة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ابتدأ بدروسه، وكانت البدايات مختصرة جدًا، وكان مشغولًا بطلب العلم على المشايخ.

وكانت البداية الفعلية القوية في دروسه بعد سنة خمس وأربعين، وكانت دروسه على قوتها ما بين سنة خمسين وثلاثمائة وألف، إلى سنة سبعين.

وممن التحق بدروسه مبكرًا الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله، وهو العلم العلامة المعروف، صاحب التواليف المشهورة، وبعده اتصل بالشيخ وطلب العلم عليه عدد من العلماء الذين برزوا فيما بعد، منهم سماحة العلامة الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فقد اتصل بالشيخ، وتلمذ له ما بين سنة سبع وأربعين إلى سنة سبع وخمسين، يعني عشر سنين تقريبًا، وبداية الشيخ في دروسه كانت مختصرة، ثم بدأت تتوسع، تتوسع حتى صارت قوية في فترات من الزمن.

دروسه: كان الطالب يتخرج في نحو عشر سنين، وتارة في بعض الفترات في سبع سنين، وصف الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم دروس الشيخ محمد بن إبراهيم في فترة ما - دروس الشيخ كانت متنوعة، يعني: يختلف تقسيمها الزمني في وقت عن وقت، يعني: في سنين ما بين

الخمسين والستين كان لها ترتيب، وما بعد الستين كان لها ترتيب، ثم هكذا قد يكون الترتيب الذي سنسمعه الآن ليس متفقًا عليه في كل فترات الشيخ التعليمية، لكن هكذا وصف الشيخ محمد بن قاسم، وهو من تلامذة الشيخ الذين لازموه سنين طويلة - قال الشيخ محمد بن قاسم يصف دروسه: كان الشيخ محمد بن إبراهيم يجلس ثلاث جلسات منتظمة:

الأولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس.

الثانية: بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

الثالثة: بعد صلاة العصر.

وهناك جلسة رابعة، لكنها ليست مستمرة، يأتي بها حينًا، ولا يأتي بها حينًا آخر، وهي بعد صلاة الظهر.

قال الشيخ محمد بن قاسم: كان الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر، والذي أعرفه أنه كان يحضر للدروس بعد العشاء، لكن ربما كان الشيخ محمد بن قاسم يحكي فترة من الفترات، أما بعد المغرب، فقد كان يقرأ؛ كما حدثني الشيخ حسن بن مانع - وهو من تلامذة الشيخ المعروفين - بأنه كان يقرأ بعد المغرب في بعض الكتب الخاصة، ولا يحضر القراءة إلا خاصة تلامذته الذين يأذن لهم، وأما مراجعته، فكانت بعد العشاء.

المقصود أنه ربما كان ما ذكره الشيخ محمد بن قاسم في فترة من الفترات، فكان يحضر، ويطالع دروس الغد، إما بعد المغرب في فترة أو بعد العشاء في فترة أخرى، تقرأ عليه في بعض الدروس التي كان يدرسها بعد الفجر،

ومن تلك الدروس: الروض المربع، سبل السلام، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وما يعين عليها من المراجع، يعني: التي كانت تقرأ على الشيخ؛ ليحضر بها، أو ليتذكر بها ما يتصل بالدرس الذي يدرسه التلاميذ من غد.

قال الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد صلاة الفجر كان يدرس ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل، وزاد المستنقع مع شرح الروض المربع، وبلوغ المرام، والآجرومية، والملحة، وقطر الندى، وهذه كانت متنوعة في بعضها لصغار الطلاب، وبعضها للمتوسطين، وبعضها لكبار الطلاب، وهذه كانت في فترة متأخرة، وأما في فترة مبكرة، فقد كان يدرس بعد الفجر كتب التوحيد، ونبذ أئمة الدعوة - رحمهم الله تعالى -.

قال الشيخ ابن قاسم: وكان يقرأ الفجر: أصول الأحكام، والحموية، والتدمرية، ونخبة الفكر، الثلاثة الأول مستمرة - يعني: ألفية ابن مالك، والروض المربع، وشرح بلوغ المرام - وكان يقوم بتدريسها على ترتيبها المذكور، أما باقي الكتب، فالتعاقب على فترات مختلفة طيلة أيام تدريسه: بعد شروق الشمس يدرس في العقائد كتاب التوحيد، كشف الشبهات، ثلاثة الأصول، العقيدة الواسطية باستمرار، مسائل التوحيد، مسائل الجاهلية، لمعة الاعتقاد، أصول الإيمان على فترات.

وفي الحديث الأربعين النووية، وعمدة الأحكام باستمرار، وفي الفقه آداب المشي إلى الصلاة، وقد يدرس غيرها، لكنه نادر، بعد الانتهاء من هذه المختصرات تقرأ المطولات - يعني: في الفترة التي بعد ذلك - ومنها: فتح المجيد، شرح الطحاوية، شرح الأربعين النووية، صحيح البخاري،

صحيح مسلم، السنن الأربعة، مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد ذكر لي سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يسمع قراءة جامع الترمذي على الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ما بين فترة وفترة، وكان يقرأ عليه فيه أحد الأسرة من آل الشيخ، فقلت للشيخ: كنت تقرأ على الشيخ الترمذي، أو تواظب عليه؟ قال: لا، كنا صغارًا إذ ذاك، وكانت تلك في الفترة ما بين الخمسين والستين، وكان الشيخ إذ ذاك من طلبة الشيخ محمد بن إبراهيم المبرزين.

لكن هذا يشعر بأن الطلبة كانوا ينتبهون للتدرج في طلب العلم، وكان الواحد منهم لا يأتي لهذه الكتب العظيمة، ويقرؤها على المشايخ، وهو لم يحكم الكتب الأولى، بل إن إحكام الكتب المختصرة كانت طريقة أهل العلم؛ لهذا كان الشيخ يقرأ عليه صحيح البخاري، ويقرأ عليه صحيح مسلم والسنن، لكن كانت لخاصة من الطلبة الذين برزوا، وربما كان لكبار منهم قد قرؤوا، أو لعلماء أيضًا - كما ذكرت لك آنفًا -، وكان يقرأ عليه أيضًا في هذه الفترة مؤلفات شيخ الإسلام - يعني: هذه فترة الضحى من يومه -، شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، كذلك يقرأ عليه ابن كثير، وكل ما جدَّ من كتب السلف والمحققين من العلماء، لكنها على فترات، يتراوح ما يقرأ عليه منها في اليوم الواحد ما بين خمسة وعشرة من تلك الكتب غالبًا.

بعد صلاة الظهر يدرس في زاد المستنقع بشرحه على بعض الطلاب، وبلوغ المرام، وقد حدثني بعض المشايخ أنه كان يقرأ عليه في فترة صحيح البخاري بعد صلاة الظهر، بعد صلاة العصر يدرس في كتاب التوحيد وشرحه، وقد يقرأ في مسند الإمام أحمد، أو مصنف ابن أبي شيبة، أو في

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أو نحوها. (انتهى ما وصفه الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من القراءة)

طبعًا هذه في فترة متأخرة، هذا الوقت العظيم الذي يبذل من صلاة الفجر إلى أن تغيب الشمس كله في العلم، لاشك أن هذا هو حال أهل العلم الذين انقطعوا للعلم والتعليم، وبهذا يخرج العلماء، بهذا يستفيد الطلاب، أما القراءة - كما في وقتنا هذا - قراءة التذوق، أو الدروس التي هي كالتذوق ما بين فترة وفترة، فهي كالمكملات؛ لئلا تنقطع حلق العلم، أما تحصيل العلم، فلا يكون بهذه فقط، بل لا بد من الجد فيه ليلًا ونهارًا، ما بين تدريس ودرس وتعليم ومطالعة، وهكذا كانت أحوال المتقدمين.

نظرت، وسمعت إلى حال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بعد صلاة الفجر، وهو يقرئ ويُقرأ عليه، هذا مع ما يتخلل تلك الفترات، يعني: بعد الفجر في قراءة، بعد طلوع الشمس في قراءة، والضحى، ثم قراءة بعد الظهر في قراءة، بعد العصر في قراءة، بعد المغرب، ثم قراءة بعد العشاء استعدادًا. أين نصيب أهله منه؟ أين الوقت للفتاوى التي ترد عليه من كل مكان؟ كان وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ منقطعًا ليلًا ونهارًا للعلم، بل قد حدثني بعض المشايخ في فترة متأخرة أنه كان إذا رام أحد أن يقرأ عليه كتابًا ليراجعه، إذا صنف أحد طلبة العلم كتابًا عرضه على الشيخ، يقرأ عليه هل ثم فيه من ملاحظة أو نحو ذلك؟ وهذه سنة من سنن العلماء المتقدمين، قال: واعده الشيخ قبل الفجر بساعة؛ لأنه بعد الفجر مشغول مع الطلبة، والضحى كذلك، وقبل الظهر كذلك، وبعد الظهر وبعد العصر، وبعد المغرب، فأين الوقت؟

قال لي أحد المشايخ كان يواعدني قبل صلاة الفجر بساعة، كل يوم أمر عليه، أين وقت النوم؟ أين وقت الراحة؟ أين وقت الأهل؟ أين الوقت لأمور الإنسان؟ لم يكن ثم وقت إلا للعلم والتعليم والجهاد، ونشر الدعوة، ونفع الناس، وهكذا يكون العظماء.

هذا الوصف الذي ذكره الشيخ ابن قاسم يمثل فترة من عمر الشيخ، وهي في الغالب ما بعد الستين فيما أحسب، يعني: ما بعد سنة ألف وثلاثمائة وستين، وقد ذكر لي الشيخ العلامة حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقرأ عليه مؤلفاته؛ ليعرضها على الشيخ، هل ثم من ملاحظة عليها، أو تصحيح، أو نحو ذلك؟ وكان ذلك في الفترة ما بعد الثمانين، يعني ما بعد سنة ثمانين، يقول الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت أقرأ عليه الكتاب، ونجلس من بعد صلاة الفجر - يعني: بعد أن انقطعت الدروس المتواصلة، يعني: بعد عامه الثمانين - نجلس جلسة واحدة ثلاث ساعات، أربع ساعات، حتى تصلنا الشمس من بعد الفجر، يقول: وأنا صاحب الكتاب الذي ألفته أمل من القراءة، وأتعب من ذلك، وهو لا يمل، ويسمع، وهذا لاشك ينبئ عن شخصية فيها الصبر، وفيها الجلد على العلم، وفيها الرغبة في نفع الناس.

ولهذا إذا رأيت حال أولئك، وجدت العجب العجاب، إذا رأيت يوم الشيخ، كيف قسمه على أولئك، فلا تخرج منه إلا بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يبارك في أوقات من شاء من عباده، والعلم إذا بذل فيه المرء ما بذل من الوقت، بارك الله عَزَّ وَجَلَّ له فيما أعطاه من الوقت، والوقت يبارك، ولهذا نجد في حياتنا الوقت ضعف، ضعفت الاستفادة منه، تنقضي الأوقات بسرعة؛ وهذا - فيما أحسب - لأجل عدم البركة فيما أعطينا من الأوقات.

وأما المتقدمون، فقد بارك الله ﷻ لهم في الأوقات، ولا شك أن هذا له أسباب، وأظن أن أعظم تلك الأسباب هو إخلاصهم لله ﷻ، وكثرة الرغب والدعاء إلى الله ﷻ بالمباركة.

هذه المنهجية التي سمعت في التدريس، هذه المنهجية في القراءة في المختصرات، في القراءة في هذه الأنواع من العلوم وفي الكتب، هذه المنهجية في العلم هي التي تخرج العلماء، حفظ للمتون بيانًا وشرحًا لها، ضبط للأصول، ومعرفة للأدلة، هذه الطريقة هي التي خرجت العلماء الذين ينفعون الناس.

اليوم علماؤنا تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم - سيأتي ذكر بعض أسمائهم - هؤلاء نفعوا الناس سنين متطاولة بعد الشيخ رحمه الله، وهل كان النفع خاصًا بالبلاد السعودية؟ لا، فنفع تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وصل الأرض من شرقها إلى غربها، وإذا تأملت نفعهم، وتأملت فتاواهم، وتأملت رسائلهم وكتبهم، وكيف أثرت في الاتجاه الإسلامي العام في الأرض، وجدت أن الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله، وأجزل له المثوبة - قد أنتج مدرسة، وأنتج دعوة، وأخرج أناسًا حملوا إلى الأرض العلم النافع ولا شك، فالمتأمل يخرج بهذا بيقين، وهذا من فضل الله ﷻ علينا وعلى الناس.

ذكر لي بعضهم أن الشيخ رحمه الله كان يقسم الطلاب إلى ثلاث طبقات: مبتدئين، متوسطين، منتهين.

وقد ذكر لي أحد الأجلة من تلامذة الشيخ أنه إذا أتاه الآتي، وقال له: أريد

أقرأ عليك يا شيخ (وأقرأ بمعنى: أحفظ عليك المتن، وتشرحه لي) قال: هل حفظت القرآن؟ فإذا أجاب بنعم، أدخله مع الطلاب، وإذا قال: لا، لم أحفظ القرآن. قال الشيخ: لا علم إلا بحفظ القرآن، اذهب فاحفظ القرآن أولًا، ثم بعد ذلك تعلم العلم. اليوم يقرأ الناس، وتجد عندهم مؤلفات، وتجد عندهم كلامًا طويلًا، وهو لا يحفظ القرآن، لا شك أن هذا من الغلط، وهذا من الأمور التي حدثت في الناس.

قال الشيخ محمد بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الشيخ يحرص جدًا على أن يحفِّظ جميع الطلاب المنتظمين المتون، ولا يرضى الشيخ بنصف حفظ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول وفهمه، ولهذا كان الطالب المجد يتخرج في سبع سنوات.

وقد حدثت أيضًا أن بعض المتعلمين - يعني: بعض طلاب الشيخ - بدأ يقرأ عليه، فتتعتع في الحفظ مرتين، فنهره الشيخ نهرًا بالغًا، وقال: ما هذه بقراءة، وليس هذا بحفظ مرتين، اليوم يصبر على القارئ عشر مرات يغلط، وعساه يحفظ، لكن المتقدمين يحفظون الحفظ، كأنه يحفظ الفاتحة، وهذا الذي يسمى الحفظ، أما الحفظ مع الأغلاط، فلا يسمى حفظًا، لماذا؟ لأنه لا يبقى مع المرء، أما إذا حفظ جيدًا، فسيبقى معه بعض الحفظ في فترات من عمره، وغير ذلك لا يبقى مع المرء.

عزة نفسه: مما يذكر في هذا أن أحد المشايخ - في وصف طريقة الشيخ في إعطائه للمعلومات وتركيزه للعلم - حدثني قائلًا: (كنا نستغرب من أين يأتي الشيخ بهذه المعلومات التي يعطينا إياها في درسنا، فاجتمعنا

على تحضير بعض الدروس، على مراجعة الدرس قبل أن يدرسه الشيخ - يعني في الفجر -. يقول: فسهرنا تلك الليلة، وأتينا بالكتب المطولة، وراجعنا ما فيها بتدقيق على المتن الذي سيشرحه الشيخ في الصباح، فلما أتينا صباحًا، وتكلم الشيخ، أردت أن أبين للشيخ أني على علم بالمسألة وعلى معرفة، قال: فسألته، فقلت له: يشكل علي هذا كذا. هذا الطالب غلط، وأورد إشكالًا ليس في موضعه، يعني: كان الإشكال في مسألة ستأتي فيما بعد، وأورد الإشكال في غير موضعه، فسبق يقول: فلما أوردت الإشكال، تأمل الشيخ، ونظر، ثم بعد ذلك قال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وقام من المجلس تأديبًا للطلاب، يقول: فأخذ الطلاب يلومونني على السؤال، والشيخ قد فهم القصد أنه أراد إحراج الشيخ، أو أراد أن يبين للشيخ أنه قرأ، أو نحو ذلك، وهكذا كان الشيخ مع طلابه، لا يسمح لأحد بأن يتعدى عليه، أو أن يخطئ معه في حقه.

مرة من المرات كان في حلقة التعليم، ثم قسم مسألة من الفرائض - يعني: أعطى تدريبًا في الفرائض -، وكانت الحلقة الواحدة فيها نحو الخمسين من الطلاب، فأعطى نصف الحلقة مسائل، للأول اقسم كذا: هلك هالك عن..، وأعطاه المسألة، الثاني الذي بعده: هلك هالك عن..، وأعطاه المسألة، والثالث..، حتى وصل إلى نصف الحلقة - يعني: إلى نحو السادس والعشرين -، ثم لما أتم هؤلاء، قال: ارجع فرجع للأول قال اقسم مسألتك، فقسم، فصوبه إما بصواب أو بخطأ، ثم الثاني، فلما وصل إلى العاشر، فقسم، قال: اقسم مسألتك. قال: مسألتي كذا، وكذا،

وكذا. قال: كذبت ما هذه بمسألتك، هذه مسألة الذي بعدك، وغضب عليهم الشيخ، وقال: طلاب العلم يكذبون؟ هل أول العلم الكذب؟ ونحو ذلك.

فكان شديدًا مربيًا للطلاب، لا يسمح لأحد بأن يخطئ أو أن يتعدى حده؛ لهذا كانوا يحترمون الشيخ كمعلم، وشيخ، ووالد، ومؤدب، وكانوا معه على أشد الخوف من البشر، الطلاب - كما تعلمون - بعضهم يختلفون، كان الشيخ يحب تلامذته محبة بالغة، ويعطف عليهم، ينقل لهم الطعام بنفسه من البيت إلى المسجد - وخاصة الإخوان -، ويطبخ طعامهم في بيته، ويعطيهم بين الحين والآخر، إذا وجد على أحدهم أثر الحاجة أو أثر الجوع، أخذه معه في بيته، وطعم معه.

رفضه للاستهزاء بين طلبة العلم: وهكذا بعض الطلاب - كما هو المعتاد - يحصل مع البعض الآخر بينه وبينه منافسة ونحو ذلك، فكان منهم من يستهزئ بالآخر، فبلغ الشيخ أن فلانًا من الطلاب يستهزئ بفلانٍ، ويسخر منه، فقال: خيرًا إن شاء الله. ولما حصل هذا، وأتى من الغد، نادى هذا الذي بلغه عنه الاستهزاء في وسط الحلقة، فلما قرب منه، أخذه، وضربه بكفه ضربة على وجهه، وقال له: إياك أن تستهزئ بطلبة العلم يومًا من الأيام، وفرح طبعًا من كان مظلومًا بهذا الاستهزاء.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مرة من المرات، الطلاب - كما تعلمون - على عادة الطلاب يتكلمون في شيخهم، فلان ينقد، فلان يبين حالته، فلان يقول: هذا فيه كذا، والشيخ فيه كذا على عادة الطلاب في الكلام في أشياخهم، وهذا من العقوق أن يتكلم الطالب في شيخٍ نفعه، وبذل له وقته، فرام بعض الطلاب

أن ينقل ما يقال في الشيخ للشيخ، فأتى الشيخ، وقال له: يا شيخ، فلان يقول عنك: كذا، وكذا، وكذا، فمسكه الشيخ، وضربه أمام الناس، وقال له: ما وجد الشيطان من يرسل إلا أنت، ما فرح بالكلام، ماذا يقال فيه؟ قال الناس: صحيح هذا يغير الصدور، والمؤمن مأمور بأن يصلح ذات البين، وليس المهم في حياة المرء أن يسمع ما قيل فيه؛ لأنه سيكسبه ذلك عداوة، وربما ينغص في نفسه على فلان وفلان من الناس.

المقصود أن هذه الحوادث تعطيك شخصية الشيخ في علمه، في تعليمه، في قوته، في عدم سماحه بالخطأ، في هيبة الناس منه، وخوفهم منه - أعني طلبته -، في عدم سماحه لمداخل الشيطان أن تكون بين الطلاب، في غرس المحبة والاحترام بين الإخوان بعضهم مع بعض في حلق التعليم رحمه الله رحمة واسعة.

الشيخ في التعليم خرَّج أعدادًا غفيرة من الطلاب، ففي فترة من الفترات بلغ عدد الطلاب - كما هو موجود عندي، مدون في الكشف - أكثر من مائة وتسعين طالبًا في فترة من الفترات، كلهم طلبوا العلم، وتنوعوا، منهم من صاروا علماء بارزين، ومنهم من صاروا قضاة، ومنهم من صاروا مدرسين معلمين في الكليات أو في المعاهد، ومنهم من صاروا في الدعوة... إلى آخره.

هذه الأفواج التي تخرجت، وحملوا العلم، لا شك أنهم تخرجوا بعد اتصالهم وملازمتهم للشيخ، وكان الشيخ معهم في منهجية علمية جعلت الطلاب في قوة علمية مؤتلفة غير متشتتة، ففي التوحيد - كما ذكرت لكم - كان اهتمامه بكتبه التأسيسية، التي تبين العقيدة الحقة بأدلتها، وكانت طريقته

في شرح كتب الاعتقاد أن لا يذكر الخلاف بالاعتقاد، بل يذكر أدلة أهل السنة والجماعة وما قاله أئمة التوحيد في المسألة، ويبين أدلتهم، ويفصل في ذلك، ولا يذكر قول المخالفين إلا نادرًا عند الاحتياج، ويجمله: هذا قول الأشاعرة، قالت المبتدعة: كذا، قال الأشاعرة: كذا. وليس على طريقة بعض الناس أنهم يفصلون في أقوال المخالفين، وهذا إنما يكون عند الحاجة إلى ذلك، إذا اختلط الناس، أو احتاج الناس إلى ذلك، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن يعرج على مذاهب الخرافيين والمبتدعة وشبههم إلا إذا دعت الحاجة، بينما تجد أكثر تفصيله وتدليله على معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا - ولا شك - يعطي قوة علمية استدلالية، ويعطي ثباتًا في موقف الحق وعدم تشويش في الأذهان بكثرة الأقوال المبتدعة، وهذا لأجل أن المبتدعة وأقوال المبتدعة لم تكن مشتهرة إذ ذاك.

أما في الفقه، فقد جعل دروسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ منبثقة من متون الفقه الحنبلي، ومتون الفقه الحنبلي عند أهل العلم محررة مدققة، تفتق ذهن الطالب، وتقوي إدراك الطالب الفقهي، فاعتماد متن للمذهب مما جعله الشيخ طريقة له؛ وذلك لأنه خير طريقة لتحصيل الفقه، فبه يبنى الذهن الفقهي، وبه تؤسس قواعد التصور للمسائل الفقهية، ويأتي بعد ذلك التفريع، والتدليل، وذكر الخلاف عند الحاجة، والترجيح.

فإذًا تكون معرفة الأقوال بعد إحكام الأصول وضبط تصور المسائل، تعجب اليوم أن تجد عند بعض الناس من معرفة الأقوال والخلافات بينما صورة المسألة لا تجدها واضحة عنده، وهذا غلط علمي يذهب التقدم العلمي عند الطلاب، بل لابد أن تكون في طلبك للعلم معتمدًا على متن من

المتون، في الفقه عندنا متن من متون المذهب الحنبلي - مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ -، إذا ضبطت المتن، وتصورت مسائله، ودليل المذهب على شيخ، ثم بعد ذلك يعرفك الشيخ بالأقوال الأخرى شيئًا فشيئًا، حتى تكون عندك ملكة فقهية وتصور للفقه كيف يعرض، وكيف تعرض مسائله، أما هذا الشتات الذي تراه اليوم في كثير من الدروس، فإن هذا لم يكن طريقة للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يعرض للمتن، وهو زاد المستقنع بشرح الروض المربع، يبين عبارة الماتن بدقة، بألفاظها ومحترزاتها ومفهومها، إن كان لها مفهوم، يوضح ذلك بعبارة واضحة، ويصور المسألة تلو المسألة، بحيث لا تشتبه مع نظيراتها في ذهن الطلاب، ولا يبدأ بالاستدلال أو ذكر الخلاف - كما يفعل بعضهم اليوم في دروسهم، إما في الجامعات أو في المساجد -، بل كان هم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يحدث التصور الفقهي والملكة الفقهية في ذهن الطالب؛ لأن المعلومات يمكن الطالب بعد حين أن يجمعها من الكتب إذا قرأ، لكن الذي ينقله المعلم للمتعلم - إذا كان حريصًا عليه - أن يكون المتعلم طالب علم على الحقيقة، ينقل له فهمه للمسائل، تصوره للمسائل؛ حتى يكون المتعلم في ذهن فقهي صحيح.

ثم يذكر الشيخ - بعد أن يصور المسألة - الدليل مع وجه الاستدلال، أو يذكر التعليل، أو إرجاع حكم المسألة إلى أصل أو قاعدة أو نحو ذلك من الحجج، أو ربما ذكر الخلاف القوي في بعض المسائل، إذا كان الخلاف مشتهرًا، أو كان هناك حاجة لبيانه.

وغالبًا ما يذكر اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم،

ويذكر هل عليها العمل على هذا الاختيار، أم ليس عليها عمل أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى.

أما مطولات الفقه، فلم يكن الشيخ يفصل الكلام عليها بنحو ما سلف، ولكن يذكر بعض ما يحتاج إلى إيضاحه، فقد كان يقرأ عليه في كشاف القناع، كان يقرأ عليه في المغني في بعض الفترات، ولم يكن يفصل عليها؛ لأنها كتب مطولة، هي للخاصة من الطلاب، هذه الطريقة النافعة هي التي درج عليها علماؤنا السابقون، وبها صعد في مدارج التفقه فئام من أهل العلم، نفعوا العباد والبلاد، رحم الله الأموات، ونفع بالأحياء، وأجزل المثوبة الجميع.

تلامذة الشيخ: كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ - بدون مبالغة - أمة في قلب رجل، كان - كما يقال - جامعة متعددة الكليات، فلا غرو إذًا أن نجد بين من تخرج عليه المحدث، والفقيه، تجد الأديب واللغوي، تجد الشاعر، والناثر، تجد القاضي، والداعي، صدروا كلهم عن رجل واحد؛ لأنه بتوفيق الله له ولهم:

أولًا: بذل علمه لهم، وليله ونهاره، وهكذا فليكن بذل الرجال الذين يرومون أن يظهر من بعدهم رجال.

لقد تتلمذ للشيخ عدد لا يحصون كثرة من الرجال، تولوا التدريس في المعاهد والكليات، تولوا القضاء، تولوا الفتيا، تولوا التوجيه والإرشاد، تولوا الدعوة والإصلاح، هؤلاء لا يمكن أن يحصوا كثرة، ولا يمكن تعدادهم جميعًا؛ إذ إنهم مئات من الناس؛ لأنه درس قرابة نصف قرن من الزمان، وإن كان قد أُحصِي كثيرٌ منهم، لكن لا يمكن أن يحصوا؛ لأجل

كثرتهم وتعدادهم وتنوعهم. نذكر الآن هنا بعض أكابر طلبة الشيخ - كإشارة لا حصر - على ترتيب الشيخ ابن بسام في ترجمته للشيخ:

قال الشيخ ابن بسام رَحِمَهُ اللهُ في ذكر تلامذته:

الأول: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

الثاني: سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

الثالث: سماحة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ اللهُ، هو أكبر تلامذته في ظني.

الرابع: الشيخ عبد الله القرعاوي الداعية المشهور.

الخامس: الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد.

السادس: الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، أخو الشيخ محمد.

السابع: الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ - رحمهم الله -.

الثامن: الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - حفظه الله -.

التاسع: الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

وهذا ترتيب، وذكر الشيخ ابن بسام رَحِمَهُ اللهُ، زيادة على ذلك:

- الشيخ صالح بن غصون رَحِمَهُ اللهُ.
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان - حفظه الله -.
- الشيخ عبد الله بن منيع.
- الشيخ عبد الرحمن بن فارس رَحِمَهُ اللهُ.

وجمع من الناس غير هؤلاء من العلماء، وليعذر من لم يذكر اسمه، فإنما كان المراد الإشارة، نعم تخرج على يد الشيخ رحمه الله أعداد كبيرة لا تحصى من العلماء والمحصلين، وحسبك أن تعلم أن جل أكابر علماء المملكة اليوم هم من تلاميذ الشيخ، وهم الذين يشغلون المناصب العلمية والدينية، وينفعون الناس، وينشرون العلم والفتوى، ويقضون بين الناس في هذه الأرض، امتلأت بهم مناصب القضاء والإفتاء، وشغلوا ذلك، حتى لم يحتج أهل هذا البلد إلى أناس من غيرهم في أمر دينهم، وهذا من أعظم المكاسب.

فقد كان الشيخ رحمه الله يردد على طلبته كثيرًا - إذا امتنع أحد منهم القضاء - يردد عليهم، ويقول: هل تريدون أن نأتي بأحد من الناس من هاهنا، وهاهنا؟ هل تريدون أن نأتي بقضاة من البلد الفلاني، ومن البلد الفلاني؟ يحثهم على ذلك، وكان الشيخ يلزم بالقضاء رحمه الله رحمة واسعة.

أخلاقه وشمائله وحفظه رحمه الله: أما أخلاقه، فوصفها تلميذه الشيخ محمد بن قاسم بقوله:

أولًا: الحافظة النابغة، كان يحفظ المتن للقراءة الثالثة، يعني: يقرأ عليه مرة، مرتين، ثلاثًا، ثم يحفظه، وربما حفظه من القراءة الثانية، وكانت المعاملة الطويلة في القضاء على إشكالاتها تبلغ أحيانًا ثلاثمائة صفحة، تقرأ عليه، ثم يملي ما يراه مستحضرًا كل ما مر فيها من الجزئيات، ولم يكن غريبًا منه أن يدل القائمين الذين يقرؤون أو يستشيرونه في بعض البحوث، يدلهم على مواضع الأبحاث في كتب، ذاكرًا رقم المجلد والصفحة أحيانًا، وقد ذكر لي هذا الشيخ إسماعيل الأنصاري، قال: كان الشيخ رحمه الله إذا أردت بحثًا

أو أراد بحثًا، هو يذكر، يقول: في الكتاب الفلاني في المجلد والصفحة، بحثه فلان، وفلان، وفلان، فيجمعون له في المسألة أحيانًا أكثر من عشرة كتب، وأحيانًا عشرين وثلاثين كتابًا، يذكرها لهم بتفاصيلها، طبعًا هذه - لا شك - تدل على حافظة نادرة، وقد حفظ أكثر من نصف منتقى الأخبار - يعني: أكثر من ثلاثة آلاف حديث في أوائل عمره - مع أنه كان مكفوف البصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكف البصر ليس سهلًا معه الحفظ، نعم المبصر يسهل عليه أن يحفظ، لكن المكفوف يحتاج إلى من يقرأ عليه، ثم بعد ذلك يردد ما قرأ، وليس هذا بالسهل.

الذكاء والفراسة: قال الشيخ ابن قاسم: رُزق الذكاء والفراسة، فكان يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات، ويكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، ولم يكن يمر عليه كيد أو احتيال، وحياته أمثلة من هذا النوع، فلسنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة لها، فأكثر العارفين به يدركون هذا - يعني: الفراسة الحادة، والذكاء في مرامات الناس -، يأتيه أحد الناس بعبارة جيدة، وهو يروم شيئًا آخر، يأتيه بقضية، وهو يروم أن يتوصل من تلك القضية إلى أشياء أخر، ويدرك هذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفراسة فذة، شهد له بها تلامذته ومعارفه.

الإخلاص في العمل: قال الشيخ ابن قاسم: فلم يكن طالب شهرة، ولا باحثًا عن سمعة، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله - على جلالتها وكثرتها -، وهذا أيضًا ذكر لي من أمثلته عدد من المشايخ، منها أنه كان بعض المشايخ يلومونه على عدم تكلمه في بعض الأمور، ولما أكثروا وأكثروا عليه، قال لهم: أتريدون أني كلما عملت عملًا أقوله لكم؟ تريدون

أني إذا كتبت، أو ذكرت، أقول لكم: فعلت، وفعلت؟ لكن ستعرفون محمد ابن إبراهيم بعد أن يذهب.

طهارة قلبه: قال الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكان لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله بأذى، وله في ذلك أحوال عجيبة، كان أحد المشايخ المعروفين لما حصلت مسألة نقل مقام إبراهيم، تكلم أحد المشايخ - رحمهم الله - في الشيخ محمد بن إبراهيم، لماذا يأذن بنقله؟ ولم يفتي؟ ونال من الشيخ بكلام، وبلغ الشيخ بعض ذلك، وأنه كان إذا أراد أن يذكر الشيخ يقول: ابن إبراهيم قال كذا، ابن إبراهيم قال كذا - وبالمناسبة هذه الكلمة - ابن إبراهيم - ما كان يقولها محبو الشيخ، وإنما كان في وقته يقول محبو الشيخ: الشيخ محمد، أو الشيخ محمد بن إبراهيم، أما كلمة ابن إبراهيم، فلا يقولها محبوه، فليتنبه الناشئ أو طلبة العلم إلى هذه؛ لأنها عند استعمال بعض من يغفل عن هذا قد تدل من يعرف المصطلح الأول على بعض الأشياء التي قد لا تكون صحيحة - هذا الشيخ كان ينال من الشيخ محمد، ويقول: ابن إبراهيم يقول كذا، ابن إبراهيم، ولا يقول: الشيخ، ونحو ذلك، فكان الشيخ عبد العزيز بن مرشد - حفظه الله - ذكر لي أنه نقل للشيخ محمد بن إبراهيم، قال له: فلان الشيخ تعرف مقامه، وأنه ينشر التوحيد في مكة، وأنه. . ، وأنه. . ، فلا تأخذ في خاطرك من كلامه.

قال: - مصداقًا لما قال الشيخ ابن قاسم هنا عن طهارة قلبه، وأنه كان لا يحمل ضغينة على من أساء إليه - قال: وماذا قال فلان؟ما بلغني عنه إلا أنه يقول: ابن إبراهيم، وأفتى ابن إبراهيم، وصدق، فأنا ابن إبراهيم، ووالله إنه لأغلى عندي من بعض أولادي؛ وذلك لما قام به ذلك العالم في

مكة من تدريس ونشر للعلم والتوحيد.

لا شك أن المرء إذا سلم من الهوى، سلم من الدنيا، أهل العلم إذا سلموا من الدنيا، وسلموا من الهوى، سلموا من الرغب في المناصب، الرغب في الشهرة، الرغب في الانتصار للنفس، بارك الله ﷻ لهم وفيهم، ورزقهم القبول، أما إذا كان الهم انتصارًا للنفس، فهنا يبدأ النزول في حق من كان كذلك.

شجاعته: كان شجاعًا قوي الشكيمة، لا يتردد في إعلان الحق أيًا كان المخاطب به، وهذا له جهات، منها نصرته لطلبة العلم، نصرته لأهل العلم، فكان قوي النصرة لهم جدًا، بحيث لا يسمح أن ينال أحد من أهل العلم بأذى؛ وذلك لأن أهل العلم كانوا يأتمرون بأمره، ولا يخرجون عن مراده، ما قال لهم، سلموا به، فكان يحميهم أشد الحماية.

ومن هذه القصص قصة حصلت للشيخ عبد الله القرعاوي الداعية المعروف: أنه رام مرة الذهاب من الرياض بالطائرة، فلما ذهب للمطار، وكان مهيئًا للحجز، فقالوا له: ليس لديكم حجز، ولا يمكن أن تذهبوا، فذهب لمدير المطار - كان مدير المطار إذ ذاك نقيبًا، هذا الكلام له الآن أكثر من أربعين سنة أو نحو ذلك - فدخل عليه الشيخ عبد الله القرعاوي، ومعه مجموعة من الذين كانوا يريدون السفر، ولم يمكنوا منه، فقال له: الأمر كيت، وكيت، فقال بعبارته التي نقلت لي: وهل أنتم كفء للسفر حتى نساعدكم؟! أو نحو هذه العبارة، يعني: أنتم كفء؟! يعني مجرد طلبة علم!! يعني: كفء إنكم تروحون وترجعون؟ فالشيخ عبد الله القرعاوي

بلغت هذه في نفسه مبلغها، وذهب، فرجع إلى الرياض، وأخبر الشيخ محمد بن إبراهيم بالحادثة، فقال الشيخ لمن عنده: اتصلوا بمدير المطار، وقولوا له: يحضر، فاتصلوا بمدير المطار، وقالوا له: الشيخ محمد يقول: يأتيني الآن، فأتى مدير المطار الذي هو النقيب للشيخ محمد، ولما حضر، قال: نعم، أمركم سيدي.

فقال الشيخ: يقول المشايخ: أنهم أتوك، وقلت لهم: كذا، وكذا، وكذا فهل هذا صحيح؟

قال: نعم، لكن...

قال: هو صحيح، أم لا؟ أجب بنعم أو لا.

قال: نعم، صحيح...، فاقترب منه الشيخ، فلما اقترب كان عليه الزي العسكري، فلما اقترب من الشيخ مسكه الشيخ بتلابيبه وضربه ضربة، يعني: صفعه صفعة قوية على وجهه طار منها رأسه أمام طلبة العلم.

وهذا - كما ذكر - شجاعة وقوة شكيمة، وعدم السماح بأن ينال أحد من أهل العلم عنده بأذى، والشيخ عبد الله القرعاوي كان له عند الشيخ مكانة، وكان الشيخ عبد الله دائم الصلة، يستشير الشيخ بما يكون من نشر الدعوة في جنوب الجزيرة، كان الشيخ رحمه الله يكره المتملقين والمتزلفين، وله في ذلك مواقف يحفظها التاريخ، ربما بعض الحوادث في ذلك لا يحسن ذكرها.

هيبته: كانت له الهيبة العظيمة في نفوس الناس، يحسب محدثه الحساب الدقيق؛ حتى لا يزل في كلمة، أو يخطئ في فكر، الواحد من طلبة العلم أو حتى من الأمراء إذا أراد أن يذهب للشيخ، يقول بعضهم: كان بطني

ينغصني قبل أن أذهب له، ما يدري ماذا يريد منه الشيخ، إذا قال: الشيخ فلان يأتيني، كان يحسب لهذا أشد الحساب، وكان يخاف جدًا من الشيخ، لا يدري ماذا يريد، كلمة الشيخ في التأنيب الواحدة يتزلزل لها المؤنب؛ ولهذا استدعى الشيخ بعض طلبة العلم، فما نام ذلك المستدعَى تلك الليلة، ما يدري ما المسألة، وكانت المسألة عن مقال له، كان قد كتبه، وهو يخشى أن المقال الذي كتبه - وهو من طلبة العلم - فيه كلام من جراء ذلك، فيقول: ما نمت تلك الليلة، فحضرت، فلما أتيت كان الأمر أسهل مما كنت أظن.

المقصود من ذلك أن الهيبة كانت عظيمة في نفسه، بل ربما كان يحضره الناس الكثير، ويسكت المجلس الطويل الساعة الكاملة يسكتون، ولا يستطيع أحد أن يتحدث معه هيبةً له، وخشية من أن يكون المتكلم يقول غلطًا، أو يذكر هجرًا، لا شك أن هذه الشخصية القوية حكمت الناس، وجعلتهم لا يخرجون عما عليه البلاد، وهذه الحماية حمت هذه البلاد من التفكك في أمر الدين وفي أمر الفتوى وفي الرأي زمنًا طويلًا.

لا يغتاب أحدًا: كان الشيخ رحمه الله متنزهًا عن الغيبة، عرف بذلك - كما يقول الشيخ محمد بن قاسم رحمه الله - منذ حداثة سنه، حتى فارق الدنيا، لم يعرف أنه ذكر أحدًا في مجلسه بغير الخير، ولم يعرف أنه تحدث بمثالب أحد أو بنقيصة في أحد، بل كان يزجر من يحاول ذلك أو يبتدئ فيه؛ لأن المجالس العامة ليست مجالًا لذلك، وقد يؤذن في الغيبة في مواضع، وهذه المجالس العامة؛ كما عند كثير من طلبة العلم اليوم، تجد مجالسهم غيبة ونميمة، حتى في أهل العلم، نسأل الله عز وجل السلامة والعافية.

العفة والورع: مما لا يعرفه كثيرون عما يتصف به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من العفة والورع حوادث كثيرة في ذلك، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان في أمر المال عفيفًا ورعًا؛ كما شهد له بذلك تلامذته والمقربون له، كان لا يأخذ شيئًا فيه شبهة.

ظل إلى بعد تولي الملك فيصل بسنة ليس له راتب شهري، وإنما كان له رزق يخرج له مرتين أو ربما أكثر في السنة على طريقة القضاة والعلماء المتقدمين، ولم يكن له راتب شهري، يأخذه في كل شهر إلا بعد أن تولى الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومما حدثت به في ذلك أن الملك سعودا رَحِمَهُ اللَّهُ دعا دعوة في الدرعية.. دعوة كبيرة، وكان من عادة الملك سعود إذ ذاك أنه يعطي من يدعوه، فلما دعاه، أرسل الملك سعود بعطية جزلة للشيخ، قدرها أظن مائة ألف ريال في ذلك الوقت، والناس منهم من تكلم، وقالوا: الشيخ دُعِيَ من الملك سعود، وسيعطيه الملك سعود، وسنرى ما يفعل، ولم يعلم أحد ما صنع الشيخ بذلك المال حتى توفي، وذكر أحد المعروفين في الدرعية أن الشيخ أعطاه المال، ووكله على صرفه في إعمار ما خرب أو احتاج إلى إعمار من مساجد الدرعية.

لاشك أن مثل هذا لو فعله فاعل اليوم، حتى كثير من أهل العلم صار يتحدث به سنة لأجل الحال، لكن المعامل مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينشر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضائله؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أحب عبدًا، وضع له القبول في الأرض.

كان من أهل الخشية: من كلام ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: كثيرًا ما يلهج بذكر الله والاستغفار، وتغرورق عيناه بالدموع حين يكون مناجيًا لله، ويسمع

بعض ما يحرك القلوب، ولقد كان ذلك يتجلى كثيرًا فيما يحييه من الليل بالصلاة التي كان يواظب عليها في إقامته وسفره، يقول الشيخ ابن قاسم: وقد صحبته زمنا طويلًا، وهو يقوم في الليل ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل، لا يترك ذلك، وهذا مع كثرة الأعمال والدروس وقلة وقت النوم ينبِّئك عن أمور كثيرة، والتوفيق بيد الله ﷻ.

هكذا كان أهل العلم، ليس العلم لفظًا باللسان، إنما العلم معه عمل، معه تقوى، معه صلاح، معه خشية، إنابة، وكان صلبًا رحمه الله في الظاهر، ولكنه في الباطن كان رقيقًا جدًا، دمعته تنحدر من أدنى موعظة، أو إذا مات أحد من الناس أو نحو ذلك، كان قريب الدمعة، كثير الوجل رحمه الله وأعقبه، ورفع منازله في جنات النعيم.

مؤلفاته: كتب الشيخ رحمه الله رسائل وفتاوى متنوعة، وكانت حياته مليئة بالتعليم والدعوة، والمهمات الكبار التي أنيطت به: من فتوى، ومتابعة القضاء، وتمييز الأحكام، ونشر العلم والتعليم في جل اليوم، ومراجعة الكتب، ومزاولة الأعمال التي أنيطت به، وهي أكثر من ست عشرة مسؤولية كان يليها ولاية مباشرة، مع هذا فقد كان له رحمه الله **آثار علمية، منها**:

- فتاواه التي طبعت مع رسائله في ثلاثة عشر جزءًا، قام بجمعها وإعدادها للطبع، وترتيبها الشيخ محمد بن قاسم أثابه الله، وأقوم أنا بالتعليق عليها وتحقيقها تحقيقًا مناسبًا وسطًا، وستطبع قريبًا - إن شاء الله -، أظن في السنة القادمة إن شاء الله تعالى.

- رسائل متنوعة طبعت في حياته، وأدرجها ابن قاسم في مجموعة فتاواه

ورسائله، ومنها: الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم، في الرد على قول السيوطي في الإتقان أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ.

- رسالة نشرها في أحد المجلات، ثم طبعت مستقلة باسم تحكيم القوانين.

- رسالة باسم نصيحة الإخوان في الرد على الشيخ ابن حمدان.

- رسالة الجواب المستقيم في نقل مقام إبراهيم.

- رسالة باسم الجواب المشكور، وقد طبعت بدون اسم الشيخ عليها، وقد حدثني الشيخ إسماعيل الأنصاري أن الشيخ هو الذي ألفها، ويؤيد ذلك، وقد طبعها مؤخرًا الشيخ الأخ طالب العلم الموفق عبد السلام بن برجس آل العبد الكريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبعها بهذا الاسم الجواب المشكور، بدون اسم الشيخ محمد بن إبراهيم عليها؛ لأنها في طبعته الأولى لم تكن كذلك، وإنما كان موضوعًا عليها أصدرتها دار الإفتاء، ولكن الشيخ إسماعيل الأنصاري - وهو خبير بالشيخ - يقول: هي من تأليف الشيخ، ويدل لذلك أنه ذكر في خطبتها بعد قوله: أما بعد، قال: فقد رفع إلى الملك سعود، والملك سعود إنما يرفع إلى الشيخ محمد بن إبراهيم، لا إلى من دونه.

- كتاب له في الحديث اسمه: تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ، وهو كتاب في الحديث، جمع فيه المفتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يقرب من ألف حديث، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته: هذا مختصر يحتوي على ألف حديث صحاح، اقتصرت فيه على ما خرجه الشيخان أو أحدهما، عدا أحاديث صحيحة

يسيرة جدًا خرجها غيرهما، وقد أتى بحمد الله على عامة أبواب الدين من أصول وفروع، ودعوات وأذكار، ومواعظ وحكم وآداب، وغير ذلك مما ستقف عليه في مواضعه. ا. هـ.

والكتاب في مجلد متوسط، ولم يطبع بعد، وأسأل الله ﷻ أن ييسر طباعته، وهذا الكتاب متميز عن غيره من كتب المتون في الحديث بمميزات وقد ظهر فيه فقه الشيخ وانتقاؤه للأحاديث، التي ينبني عليها الاستنباط باستنباطات لا يفهمها إلا المجتهدون من أهل العلم، وليس هذا موضع بسط ذلك، والكتاب مخطوط إلى الآن، جاء في خاتمته: وقع الفراغ من تأليف هذا الكتاب المبارك خامس شهر ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف، ووقع الفراغ من تبييضه آخر ذي القعدة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف ﷺ بمكة المكرمة - زادها الله تشريفًا وتكريمًا - على يد جامعه الفقير إلى عفو ربه محمد بن إبراهيم ابن عبد اللطيف آل الشيخ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ا. هـ.

- نظم العلم لمقدمة كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل للمرداوي، وهو من كتب المذهب الحنبلي المشتهرة الجيدة، جاء مؤلفه في أوله باصطلاحات، بذكر للكتب التي نقل منها، ونظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جل المقدمة، قال فيها - يعني: نظمها الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - جل المقدمة قال فيها:

حمدًا لمن فقهنا مصليا ... على محمد وبعد فادريا

مراجع الإنصاف من متن ومن ... شرح مع مؤلفيها واستبن

وبعضها نواقص أعرضتُ	عن ذكر نقصهن واختصرتُ
نظمتها من خطبة المؤلف	مقدمًا ذكر المتون فاعرف
منهن متن الخرقي ما أجمله	شافي أبي بكر مع التنبيه له
تهذيب ابن حامد للأجوبة	وابن أبي موسى للإرشاد انتبه

إلى آخر أبياته، وهي موجودة عندي، ولي عليها - إن شاء الله - تعليقة ضافية تبين المخطوط منها والمطبوع، ومنزلة المطبوع منها من حيث التصحيح.

حياته العملية ومناصبه: تولى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مناصب كثيرة متنوعة، وكان يعد الدخول في الوظائف الشرعية من التعاون على البر والتقوى، والتعاون متعين؛ لهذا كان الشيخ ذا مناصب كثيرة، أقضت مضجعه، وأقلت راحته، يعرف ذلك من كان قريبًا منه؛ لأن الوظيفة الشرعية ليست بزينة وجاه، وإنما هي تكليف وأمانة، والسؤال عنها غدًا عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وعلى العموم، كانت الأمور الشرعية، والإدارات الدينية تابعة له، وكان هو رَحِمَهُ اللَّهُ المشرف عليها، المسؤول عنها في الداخل والخارج، فمن الوظائف الشرعية التي كان هو المرجع فيها والرئيس لها:

- رئاسة دار الإفتاء.
- رئاسة القضاة، وهي وزارة العدل حاليًا.

- رئاسة هيئة التمييز.
- رئاسة الكليات والمعاهد العلمية.
- رئاسة الجامعة الإسلامية.
- رئاسة تعليم البنات.
- رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.
- رئاسة المعهد العالي للقضاء.
- رئاسة دور الأيتام.
- رئاسة الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا.
- خطابة الجامع الكبير والعيدين.
- إمامة مسجد الشيخ عبد الله.

رئاسة مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، ومؤسسة الدعوة التي يخرج عنها مجلة الدعوة المعروفة، والشيخ أسسها لتكون مؤسسة للدعوة، والمجلة أحد نشاطاتها، لكنها بعد وفاة الشيخ قصرت على بعض أنشطتها.

وغير ذلك من الوظائف والأعمال الدينية التي حملها بعده بضعة عشر رجلًا، وما أبلوا بلاءه فيها، رحم الله الميت، وأسأل الله أن يرفع ويوفق الحي.

الكلام عن الدوائر الشرعية ودور الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأسيسها يطول، وكذلك دوره في الإفتاء.

جهاده في الدعوة:

أولًا: نذكر بعض جهاد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الدعوة إلى الله وبذله في ذلك، فنقول - على وجه الاختصار -: ابتدأ الشيخ رحلته في الدعوة إلى الله وسفره بعد أن أرسله الملك عبد العزيز إلى الغطغط، وكانت مجمعًا للإخوان الذين جاهدوا مع الملك عبد العزيز، صار عندهم اجتهادات، خالفوا فيها العلماء، ونظرات تجاوزوا فيها، وكانوا يعتدون برأيهم، ولم يهتدوا بهدي العلماء، فكان من الحق الذي لهم - يعني أولئك الفئة - أن يُبعث إليهم عالم داعية يحسن الدعوة، وقدمه راسخة في العلم، لعل الحجة تنفع، ولعل الدعوة تنجح، كانت رحلة دعوية إرشادية قضائية، وذلك سنة خمس وأربعين للهجرة، يعني كان عمره إذ ذاك نحوًا من أربع وثلاثين سنة.

فمكث عندهم ستة أشهر، صاحبه فيها أخوه الأصغر الشيخ عبد الملك ابن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ كاتبًا ومرافقًا، وحمل معه كتبًا للمطالعة والمراجعة، فشرح للإخوان هناك أصول التوحيد، وضوابط التكفير، وبين لهم عبارات أئمة الدعوة، وفسرها، واحتج لهم بالنصوص الشرعية، وقعد لهم ذلك، ودلل وشرح لهم الآيات والأحاديث، وأفادهم في ذلك علمًا وعقلا، وقد استفاد منه هناك مجموعة رجعوا عن أمرهم، ولكن - ولله الأمر - بثت فيهم روح الشقاق وعدم القناعة بكلام أهل العلم، فعلم الشيخ أنهم يكيدون له، وأنهم يرومون قتله؛ كما أتاه مخبر منهم، فأمر بتجهيز مطيته، وحمل عليها كتبه ليلًا وما خف من متاعه، ثم تركهم عائدًا إلى الرياض.

ثانيًا: كان الشيخ شديد الحرص على العناية بالدعاة، فمن أبرز تلامذته من الدعاة الشيخ عبد الله القرعاوي، كان داعية عديم النظير في جنوب

الجزيرة، انتقل إلى المنطقة الجنوبية، فأثر فيها وفي أهلها، فجعلهم متعلمين، وجعلهم أكثر استقامة واهتداء، وبث فيهم منارات العلم، وهي مدارس القرآن، وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سندًا للشيخ القرعاوي في ذلك عند الحكومة، حتى إنه يسلم المال المخصص للمدارس - يعني: الميزانية -، يأخذه الشيخ محمد بن إبراهيم بيده من ولاة الأمر، ويسلمه للشيخ عبد الله القرعاوي بيده أيضًا، بدون وثائق، وبدون إثباتات لذلك، ولا يراجع فيه، وليس ثم إثباتات بنوع المصروفات، وبهذه الثقة التي منبعها الاستقامة والدين انطلق الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي، وكان يختلف بين الحين والآخر إلى الرياض، شارحًا للشيخ محمد بن إبراهيم ما قام به من عمل هناك، وما تم من إنجاز، مبينًا أحوال أهل الجنوب، وقربهم إلى الخير وسرعة انتشار الدعوة فيهم، وهذه النهضة في الجنوب اليوم من آثار تلك الدعوة، وهذه المسألة - وهي جهد الشيخ محمد بن إبراهيم في هذه الدعوة التي انتشرت في الجنوب - قل من يعرفها.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان هو السند الأول من الناس للشيخ عبد الله القرعاوي، وكان يذلل له الصعاب، ويبين له كيف تكون مرحلية الدعوة، وكيف يؤثر فيهم، وماذا يقرئ، وماذا ينشئ من المدارس، حتى حصل ما حصل من الخير.

ثالثًا: من أمور الدعوة عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يحرص على لقاء الدعاة من الأقطار الإسلامية المختلفة في مواسم الحج، واستضافة بعضهم ومتابعة نشاطاتهم، وكان يحرص على دعاة التوحيد والسنة خاصة، ويتعاهدهم بتوجيهه ورأيه فيما ينبغي أن يعملوه أو يخططوه لمستقبل الدعوة السلفية.

رابعًا: اهتمامه برابطة العالم الإسلامي، وكان رئيسًا لمجلسها الأعلى، وما ينبغي أن توجه جهود علماء المسلمين إليه في اجتماعات الرابطة، وذكر هذا في رسالة بين فيها الأمور التي يجب عقد المجالس والاجتماعات لها؛ لأن مثل هذه الاجتماعات قد تكون رسمية بحتة، وقد تكون نافعة مع كونها رسمية، قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة له يبين فيها ما يجب أن تكون عليه الاجتماعات واللقاءات الرسمية منتقدًا الرابطة؛ حيث طلبت الرابطة أن يعقد مؤتمر تتبناه رابطة العالم الإسلامي في توحيد الأهلة - يعني: في توحيد نظر المسلمين في الهلال -، أن يتفقوا على أن يدخلوا شهر رمضان في يوم واحد، وأن لا يكون خلاف في ذلك، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لهم: الهام هو النظر في الأصول العظام، التي الإخلال بها هادم للدين من أساسه، وذلك مسائل توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ بإثبات ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيهها بلا تعطيل، وكذلك توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وكذلك توحيد الاتباع، والحكم بين الناس عند النزاع، بألا يحاكم إلا إلى الكتاب والسنة، ولا يحكم إلا بهما، وهذا هو مضمون الشهادتين اللتين هما أساس الملة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، بألا يعبد إلا الله، ولا يعبد إلا بما شرعه رسول الله ﷺ، وألا يحكم عند النزاع إلا ما جاء به رسول الله ﷺ، هذا هو الحقيق بأن يهتم به، وبأن تعقد المجالس والمجتمعات لتحقيقه وتطبيقه، انتهى المراد من تلك الرسالة.

خامسًا: كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رئيسًا للمعهد الإسلامي في نيجيريا، وكان هو المشرف على نشر الدعوة في إفريقيا.

سادسًا: كانت المراكز الإسلامية في أوروبا ترسل إليه بمشاكلها، وهو يتابع الأنشطة هناك، فمما جاء في ذلك، مما ضمته فتاوى الشيخ رحمه الله فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد...

فقد اتصل بي الحاج السيد جواد مقدس رئيس جمعية مسلمي بريستول بإنجلترا، ومعه كتاب من سكرتير الجمعية يعرف فيه بالسيد جواد المذكور، وقد شرح لي نشاط الجمعية المذكورة في الدعوة الإسلامية، وطلب مني إعطاءه بعض الكتب، وقد أعطيناه بعض الكتب الإسلامية والسلفية، كما طلب أيضًا الإذن له في تعليم القرآن ونشر العلم في تلك الربوع، وأذنا له في ذلك أيضًا، سائلًا الله لي وله التوفيق والسداد، التوقيع: مفتي المملكة العربية السعودية.

سابعًا: إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بواجب الدعوة إلى الله، وقد أصدر الشيخ رحمه الله كتابًا مؤرخًا في ثلاث وعشرين سنة أربعة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، جاء فيه: نظرًا لحالة المسلمين الحاضرة وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية قد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة والأفكار الضالة المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان، ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في عصرنا الحاضر، فقد تقرر أن يصدر عن هذه المؤسسة الصحفية صحيفة يومية تصدر أسبوعيًا مؤقتًا، ومجلة شهرية، علاوة على ما نؤمله في المستقبل القريب - إن شاء الله - من قيام هذه المؤسسة بإرسال

الدعاة إلى الله في أنحاء العالم، ولما كان وجود أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية، أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة وأهدافها، راجيًا منهم مساعدتها بإرسال المقالات النافعة والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة، وسوف يصدر العدد الأول من الصحيفة قريبًا بإذن الله. ا. هـ.

كان الشيخ يروم أن تكون صحيفة يومية إسلامية في هذه البلاد، ولكن كانت - كما ذكر - أسبوعية مؤقتةً، وهي التي استمر عليها الأمر إلى وقتنا الحاضر، ثم غيرت من كونها صحيفة أسبوعية إلى مجلة أسبوعية.

لقد كان الشيخ رحمه الله في دعوته إلى الله متبعًا أصول دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: من تأصيل التوحيد في النفوس، والنهي عن الشرك، والحث على الالتزام بالسنة، ونبذ البدع، والدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع الشؤون، وإلى تربية النفوس وتزكيتها بالعمل الصالح، والاتباع لسلف الأمة.

وكان ديدنه في ذلك ديدن سلف هذه الأمة وأئمة الإسلام العظام، ولم يكن مبتدعًا في الدعوة، ولم يأت لهذه البلاد بأمور ليس عليها علماء هذه البلاد، وليست مما ورثه أئمة الدعوة لهذه البلاد، إذ إنما تصلح هذه البلاد، بل إنما يصلح المسلمون جميعًا بالأخذ بالدعوة السلفية الصحيحة، إذا فقهوا ذلك، وعرفوا معالمها وحدودها.

ثناء العلماء والأدباء والمثقفين عليه: لقد كان الشيخ رحمه الله مجمعًا على الثناء عليه فيما أعلم، وائتلفت القلوب على محبته، وأذكر هنا بعض ما

وقفت عليه من ثناء العلماء عليه مما لا أعلمه قد نشر من قبل، فهناك أشياء نشرت في الكتب وفي تراجم الشيخ، لكن أذكر أشياء لم تنشر من قبل في هذا المقام:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في رسالة له خاصة في ترجمة موجزة للشيخ رحمه الله قال: لقد أكرمني الله - سبحانه وتعالى، وتفضل علي، وله الحمد والمنة - بأن كنت من أخص تلاميذ شيخنا المذكور، لازمته نحو عشر سنين من عام سبعة وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية، إلى عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، ثم تعينت في القضاء بعد ذلك، ولكني لم أنقطع عن الاتصال به وسؤاله عن كل ما يشكل، والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفي رحمه الله.

وقد حضرت له مواقف مشرفة، وشاهدت منه أعمالًا موفقة في نفع المسلمين والغيرة على الإسلام والرد على خصومه، أجزل الله له المثوبة، وكان يوصي الطلبة كثيرًا بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وكان واسع العلم، كثير الخوف من الله سبحانه وتعالى، دقيق الفهم، ومناقبه وفضائله كثيرة جدًا. انتهى كلام الشيخ عبد العزيز بن باز.

- وقال الشيخ العلامة ذو الفنون محمد بن الأمين الشنقيطي رحمه الله في رسالة خاصة، ترجم فيها للشيخ محمد بن إبراهيم، قال فيه الشيخ الشنقيطي: عرفنا فيه وفور العلم، ووفور العقل، وتمام الحكمة والصبر المنقطع النظير، فهو رحمه الله - فيما أعتقد وأجزم به، وإن كنت لا أزكي على الله أحدًا - من نوادر الرجال الذين عرفناهم علمًا، وحكمًا، وعقلًا وحكمة، فنرجو الله أن يتقبل

منه صالح عمله، وأن يجزيه كل خير، ويعلي درجته في الآخرة؛ كما أعلاها في الدنيا، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ انتهى كلامه.

- وقال الشيخ سعدي ياسين العلامة الداعية المعروف رَحِمَهُ اللَّهُ: أما سماحة مفتينا الفقيه - تغمده الله برحمته -، فقد سلك مسلك أئمتنا الأعلام من علماء السلف، فكنت وأنا أسمع فتواه تلك كأني أستمع إلى سفيان بن عيينة، أو ابن علية، أو ابن أبي ذئب، كان رَحِمَهُ اللَّهُ متين الحفظ، مستحضرًا الآيات، لا يكاد يشتبه عليه شيء من ذلك، ولقد رأيته عن كثب بعبادته وأذكاره في ليله ونهاره، وحرصه على حضور الجمعة والجماعة، وإخباته قبل الفجر وبعده، مما حببه إلي، وأكبره في نظري... إلى آخره.

- وقد تكلم عنه في رسالة خاصة العلامة الدكتور الداعية السلفي المعروف تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله في مقدمة ترجمته له في تلك الرسالة الخاصة، قال عنه: هو الإمام العلامة، بقية السلف، وعمدة الخلف، ناصر السنة، الأستاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. وبالمناسبة الشيخ تقي الدين الهلالي قرأ على الشيخ كتاب التوحيد في مكة، فيعد من تلامذة الشيخ الذين قرؤوا عليه التوحيد، والشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ قرأ على الشيخ تقي الدين الهلالي البلاغة لما كان في مكة، فكان الشيخ تقي الدين الهلالي يقرأ على الشيخ أولًا التوحيد، ويشرح الشيخ محمد بن إبراهيم للشيخ تقي الدين الهلالي ذلك في نحو الأربعينات أو أوائل الخمسينات الهجرية بعد الثلاثمائة وألف، وبعد ذلك يقرأ الشيخ حفظًا شيئًا من البلاغة من متن في البلاغة، ويشرحه الشيخ تقي الدين الهلالي.

وفاته: أما وفاة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتُوُفِّيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام تسعة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، وفي أوائل ذلك العام أو في أواخر الذي قبله بدأ بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرض عضال - كَفَّر الله به عنه من خطاياه -، فسافر للاستشفاء إلى لندن، ولم ينتفع بالعلاج هناك، وكانت مدته هناك قصيرة، وقد حدثني بعض من رافقه هناك أنه في آخر أيامه في المستشفى قبل رجوعه إلى الرياض كره الطعام، فقدم له كأس لبن، فطعمه ثم تركه، فقال له من أعطاه الكأس: إنه طيب.

فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له: نعم صحيح، ولكن ليس بجيد للميت.

رجع إلى الرياض، فلازم الفراش، ولسانه يلهج بذكر الله، والثناء عليه، لا يفتر عن ذلك، حتى تم أجله، وانتقلت روحه، وفارقت بدنه في صبيحة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، وكان المصاب به عظيمًا، هوى له أحد، وانهد ثهلان، صلى عليه ظهر ذلك اليوم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمم من الخلق، لا يحصيهم محصٍ، كان إمام المسلمين في الصلاة عليه تلميذه وخاصته سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تسامع الناس بالخبر، فتصدعت الأفئدة، ونكست الأذقان، فكم من دمعة ترقرقت، وكم من حزن قضى على أصحابه، وكم دام بالناس من الحزن، ولكن قال الناس في مصيبتهم: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فلما سير بجنازته، تذكر الناس بعد ذلك جنازة أحمد بن حنبل، أو تذكروا جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية، من ذوي الجنائز المشهودة المعروفة في التاريخ، فلا تحصى الألسنة المترحمة عليه إذ ذاك، كيف لا، وما من أحد

إلا وهو شاهد بفضله، شاهد بما قدمه للناس عمره كله، الذي زاد عن سبعين من السنين.

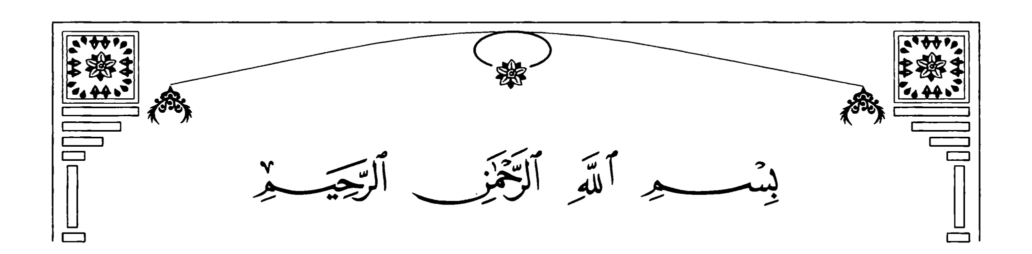
والنبي ﷺ يقول: «**أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ**»[1] تتابع ذوو الأقلام يَرْثون إمام وقته وشيخ الإسلام في زمانه، فكم من عالم نثر رثاءه! وكم من عالم نظم رثاءه! وكم من مثقف كتب! وكم من عاقل سطر!

والعجز عن وصف المشاعر سمة الجميع، فجزاهم الله خيرًا عنه، ورفع الله درجات الشيخ محمد بن إبراهيم، وأجزل له المثوبة، وألحقه بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وأعقبه في ذريته وذريتهم خيرًا.

هذا مقام عَجِل - كما ترى -، وأحداث الشيخ ومدارسه المختلفة كثيرة لا تحصى، ولكن هذه عجالة، أسأل الله ﷻ أن يرحمه، وأن يرفع درجته في عليين، وأن يغفر لنا ذنوبنا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



محاضرة من معين أقوال السلف ١٤٢٧/٩/١١ هـ بجامع خادم الحرمين الشريفين بجدة الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله

الحمد لله مجيب مَنْ سأله، ومجيب مَنْ علق به رجاءه وأمله، الكريم الذي مَنْ أقبل عليه، قبله، ومَنْ أعرض عنه، أرداه وخذله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله البررة وصحبه الخيرة، ومَنْ على دربه سار واقتفى أثره، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: ففي هذه الليلة ليلة الأربعاء الحادي عشر من شهر رمضان من العام السابع والعشرين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة النبوية المباركة، يطيب لنا في هذا الجامع المبارك جامع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في محافظة جدة أن نرحب جميعًا بصاحب المعالي الشيخ/

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - حفظه الله تعالى -

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

في محاضرة ضمن البرنامج الرمضاني الذي تقيمه اللجنة الدعوية في هذا الجامع المبارك، وعنوان محاضرة معالي الشيخ **(من معين أقوال السلف)**.

نسأل الله ﷻ أن يكتب مسعاه في موازين حسناته، وأن يوفقه، ويسدده، توفيق وتسديد الصالحين، وأن ينفعنا بما يقول، إنه ولي ذلك والقادر عليه، فليتفضل مأجورًا مشكورًا.

الحمد لله رب العالمين أتم النعمة، ومنَّ على الأمة ببعثة محمد ﷺ، فهي تتقلب في خير إلى قيام الساعة، أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فيا أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم ممن إذا أُعطي شكر، وإذا أُبتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، كما أسأله في هذا الشهر الكريم أن يمنَّ علينا، وعلى والدينا، وعلى من له حق علينا بالمغفرة، والرحمة، والتجاوز عن الآثام، والقبول لقليل الصالحات؛ إنه سبحانه جواد كريم.

كما إني أشكر للجنة الدعوية في جامع خادم الحرمين الشريفين دعوتها لي بأن أشارك في مجموع المحاضرات والدروس، التي تقيمها في هذا الجامع المبارك في شهر رمضان، ولاشك أن المحاضرات والدروس من أشد ما تكون الحاجة إليه في هذا الزمن؛ لأنها سلاح يتسلح به المؤمن في خضم هذه الفتن، وخضم هذه التقلبات، لاسيما أن أغلى شيء عند أهل الإسلام هو دينهم، وأغلى شيء عندهم في هذه الدنيا هو إيمانهم، فالحرص عليه بالسلاح المناسب الإيماني وبالدواء النافع من أهم المطالب وأعظم ما

يُحرص عليه؛ فلذلك هذه المحاضرات وغيرها مما ينبغي للشباب وللناس بعامة رجالًا ونساءً أن يحرصوا عليها؛ لأن المؤمن إذا استفاد، لاشك أنه سيفيد غيره من أهل بيته، أو ممن يخالطه، أو ممن يكون معه، هذه المحاضرة ليس لها عنوان يتضح معه المقصود منها، لكنها بعنوان:

مِنْ مَعِينِ أَقْوَالِ السَّلَفِ

والسبب في الاختيار أن أقوال السلف - رحمهم الله تعالى -، وهم من سبقنا من أهل العلم الراسخ، وأهل الاستقامة على المنهج الحق، فإن هؤلاء لهم من الدروس والأقوال وما أثر عنهم ما يكون إمامًا للناس، يفهمون به مقاصد كلام الله وكلام رسوله ﷺ ومقاصد الإسلام بعامة، ولذلك كان حرص المؤمن:

أولًا: على كلام الله تعالى وهو الذي لا يعدله شيء القرآن العظيم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، هو الحق الذي لا محيد عنه، وهو الفصل، وهو الذي تأنس به القلوب، وتقوم له الناس؛ لذلك كان من اللوازم أن يُهتم بـ:

- القرآن منهجًا، وعلمًا، وعملًا.

- ثم سنة النبي ﷺ.

- ثم ما عليه الصحابة ﭫ.

- ثم ما يكون من أقوال أهل العلم، الذين رسخت قدمهم، وشهدت لهم الأمة؛ فإن في كلامهم ما يكون نبراسًا لأهل الإيمان؛ ولذلك قال الحافظ

العلامة ابن رجب رحمه الله في كلام السلف: (**كلام السلف قليل، كثير الفائدة، وكلام الخلف كثير، قليل الفائدة**)[١]، وكلام السلف - على قلته - فهو محفوظ؛ لأنه كلمات قليلة تُستوعب، وتُروى، وتُذكر، وتتناقلها الأمة، لكن الكلام الكثير تجد أنه لا يُنقل عن صاحبه - مع كثرة كلامه -، لا يُنقل عنه إلا الشيء النادر من الكلام الذي يبقى، يبقى التأثير العام، لكن كلام السلف فيه نفع عظيم في التأثير وفي الحفظ، ويمكن أن ينطلق منه طالب العلم، ينطلق منه الداعي، ينطلق منه المربي في بيته، في مدرسته؛ ليكون ميدانًا للبيان والشرح، وتعليق الناس بهذا الكلام العظيم.

لذلك كان من المهم أن نلفت انتباه المهتمين بالديانة من جميع الطبقات، والمهتمين بالعلم، والمهتمين بشأن الإسلام إلى الالتفات إلى ما كان عليه السلف الصالح من الفهم والإدراك والعمل؛ فإن فيهم المقتدى بهم، وفيهم الإمام في أقواله وأعماله.

وأقوال السلف كثيرة متنوعة، لكني سآخذ بعض ما تيسر منها، وهذه الأقوال التي سأوردها ليست من جمعي، وإنما كانت مراسلات عبر الهاتف الجوال بيني وبين بعض الإخوة الخاصين، الذين لي بهم صلة دائمة، وهذه من المهمات، فإن هذه الوسائل الحديثة مثل: الرسائل عبر الجوال، لابد أن يُستفاد منها في الدعوة إلى الله تعالى، والاستفادة منها في التثبيت، وفي تعليق الناس بالمنهج الصحيح، وفي ربطهم بما كان عليه أهل العلم، وما كان عليه السلف الصالح.

---

(١) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف (ص٣٣).

كثير من الإخوة يهتم في هذه المراسلات عبر الجهاز الجوال بالدعاء، سيما في بعض المواسم أو في يوم الجمعة، أو في آخر الليل، وهذا حسن، والدعاء طيب، لكن الكلام الذي يُنتقى لا شك أنه يكون له تأثير إذا كان معزوًا لأحد من أهل العلم، هذا أساسها؛ ولذلك هي ليست اختيارًا مني، ولكنها مجموعة، ولها دلالتها، ومن هذه الأقوال:

١ - قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كم مِنْ حزازة في نفوس كثير مِنَ الناس مِنْ كثير مِنَ النصوص! وبودهم أن لو لم ترد تلك النصوص، وكم مِنْ حرارة في أكبادهم منها! وكم مِنْ شجن في حلوقهم منها!)**[1]، الرسالة التبوكية لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ماذا يقول في هذا الكلام العظيم؟ كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ هي التي يُعبر عنها أهل العلم بـ(النصوص)، ولا يقصدون بالنص المصطلح الأصولي، وهو: اللفظ الذي لا يقبل الاحتمال أو التأويل، يقابلون النص بالظاهر... إلى آخره، لا، يقصدون بالنص: كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ أو الخبر الذي جاء في القرآن أو في السنة الواجب في الأخبار التسليم، الإيمان بها والتسليم، واعتقاد مقتضاها، وفي الأوامر والنواهي: **«فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»**[2].

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية أو زاد المهاجر إلى ربه (ص٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإذًا هذه النصوص هي حياة المسلم، يأخذها، ويعمل بها، ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ استعرض حال كثير من الناس في هذه الأمة ممن ألفوا أو ممن لهم شأن، قال: (**كم مِنْ حزازة في نفوس كثير مِنَ الناس مِنْ كثير مِنَ النصوص!**) لماذا؟ هل حق الله ﷻ وحق رسوله ﷺ أن يكون في القلب حزازة من النص من الدليل؟ هذا أمر عظيم، لكن هنا لابد من معالجة السبب؛ لأن هذا أمر عظيم أن يكون في القلب شيء من ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

اليوم في أعظم المسائل - مسائل التوحيد والعقيدة - إذا أتيت فيها بالنصوص الدالة على الاعتقاد الصحيح: على الإخلاص، وعلى التوحيد، وعلى الشرك، وما أشبه ذلك، تجد أن بعضًا من الناس الذين أُشربوا هواهم في أشياء بودهم أن هذا النص لا يورد، بل هناك أغرب من ذلك ذكره بعض المنتسبين - مع الأسف - للعلم قال:

(إنني إذا أتيت إلى جزء (عم) وأتيت إلى سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] لا أقرؤها)، وهذه ذكرها في مجلة من المجلات مقال بها، لماذا؟

قال: (**لأنها في عم النبي ﷺ**)، وهذا من الشأن العظيم، هذا يُسبب بلاءً عظيمًا في اعتقاد المرء وفي عقيدته وفي صلته بالله ﷻ، النص جاء ليُتبع، الحجة على العباد في القرآن وفي السنة، كلام الله الذي يُوحى، الذي يُتلى، وأُوحي للنبي ﷺ، هو الحجة؛ لذلك لابد من التسليم له، فكيف يجد بعض المسلمين حرارة - كما يقول ابن القيم - في أكبادهم من تلك النصوص؟ بوده أن لا تذكر له هذا النص، هكذا في مسائل كثيرة، اليوم في مسائل عظيمة

تحكيم الشريعة في بلاد الإسلام وفي المسلمين، تحكيم الشريعة واجب، إذا أتيت إليهم في خطبة أو في مقالة أو في مناسبة، وقلت ما قال الله ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، بودهم أنك لم تذكر هذه الآية.

ويأتي أناس كثيرون من الذين يناهضون حجاب المرأة، ويناهضون الاستقامة ويريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، أو إذا أتيت، وذكرت لهم النصوص الدالة على هذا الأمر، وعلى ستر المرأة، وعلى عدم جواز الفتنة بها، وما أشبه ذلك، يودون أنك لا تورد هذه النصوص.

وهذه مصيبة عظيمة في أن مسلمًا يتمنى أنه لم يسمع نصًا، ما السبب في ذلك؟ السبب في ذلك الهوى، أن له هوى في شيءٍ معين، ولا يريد أن يكون الدليل ضده، والواجب التسليم، الواجب ألا يكون في نفس المؤمن حرج مما قضى الله ﷻ، أو قضى رسوله ﷺ، بل الواجب أن يتبع الدليل كلام الله وكلام رسوله، والدال هو النبي ﷺ؛ ولذلك ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، النبي ﷺ نذير، وهو السراج المنير، لماذا؟ ينذرنا عن أشياء، ويفتح لنا الطريق في نور وبصيرة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وهو النبي ﷺ؛ ولذلك تجد اليوم فيما يُنشر من مساجلات ومن حوارات، فيما يدعون اليوم ساعة في الزمن ما يسمى (الحوار)، شاع في الناس، سواء في الصحف أو في بعض القنوات الفضائية (الحوار)، وهو في الحقيقة هم لا يريدون به الحوار للاستفادة، ولمعرفة

الحق، ولمعرفة النص، ولمعرفة الدليل، وللاتباع وللنجاة يوم العرض على الله ﷻ، هم يريدون من الحوار خلخلة الثوابت والمبادئ التي علمناها، فتأتي الحوارات في قنوات فضائية، والأصل أنه إذا أتى النص - كما قال ابن القيم هنا - يسلم الناس، لكن هنا يأتون له بطريق، وطريق، وتأويل، وتأويل، بغير حجة ولا بيان، خاصة فيما يتعلق بالأهداف التي يريدونها في تغيير المجتمع، هذه لفتة دل عليها كلام ابن القيم رحمه الله.

٢ - قال الإمام محمد بن علي بن الحسين رحمه الله: **(جميع التعايش والتناصف والتعاشر في مكيال، ثلثاه فطنة وثلثه تغافل)**[١].

التعايش، والتعاشر مع الناس هذا لا ينفك عنه أحد، الإنسان - كما يقولون - مدني بطبعه، يحتاج إلى أن يعاشر، يعاشر من في بيته، وأهل بيته، يعاشر إخوانه وأهله، يعاشر زملاءه في العمل، من في منطقته، في حارته، في مسجده. . . إلى آخره، هذا التعاشر لابد لا ينفك منه أحد؛ ولذلك الله ﷻ أدب المؤمنين بآداب التعاشر فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]، والنبي ﷺ قال: **«وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**[٢].

محمد بن علي بن الحسين ماذا قال؟ قال: **التعايش والتعاشر في مكيال**، هذا المكيال **ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل**، ما معنى ذلك؟ يقول: إنك تحتاج في التعاشر مع الناس والتعايش معهم لكي تكون مخالقًا للناس بخلق حسن، تكون معك صفتان؛ حتى تنجح، هاتان الصفتان: ثلثٌ صفة، وثُلثانِ صفة، الفطنة والتغافل، التغافل ما معناه؟

(١) انظر: أدب الكاتب (١/ ١٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

التغافل: هو عدم تقصي الأمور بحثًا وتنقيبًا، ربما يقول لك واحد كلمة تعرف أنه غير صادق فيها، ما تأتي تناقشه، حتى تثبت أنه غير صادق، يأتي يقول شيئًا من هواه، ما تأتي تثبت له أنه خطأ، لابد من الفطنة؛ حتى تدرك الأمور في معاشرتك وتعاملك، لكن لابد من التغافل، ما يكون المرء مصادمًا.

التعاشر مع الناس يحتاج إلى مَنْ هو فطن ومتغافل، فطن حتى لا يُلعب عليه، حتى لا يُضحك عليه، حتى لا يأتي أشياء يظن معها أن المؤمن أو الرجل الصالح أنه لا يفهم شيئًا، هو فطن، ولكنه لا يتقصى الأمور إلى نهايتها، يتغافل؛ ولذلك قال أحد علماء الحديث، وأظنه وكيع أو سفيان: (**الخير تسعة أعشاره في التغافل**)، فنُقلت للإمام أحمد رحمه الله، قال الإمام أحمد: (**قصَّر**) - يعني: لم يأتِ بالصواب كاملًا - (**الخير كله في التغافل**)[1]؛ لذلك تأتي هنا، ففي التعاشر لابد لك من التغافل، وهذه وصية؛ لكي نحصل على أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة، وهو الخُلق الحسن، أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخُلق الحسن، لكن الخُلق الحسن ليس دروشة غفلة، بمعنى: عدم انتباه وعدم فطنة، لا، فطن، ولكنه مربٍ يفهم، ويتغافل، وهذه تكون في كثير من الأحيان أعظم تأثيرًا في المقابل، إذا علم أن الذي يتعامل معه فطن، ولكنه يتغافل، فيكون أكثر وأكثر في ذلك.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٣٣٠)، عن عثمان بن زائدة قال: (**العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل قال: فحدثت به أحمد بن حنبل فقال: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل**).

الإمام أحمد قيل له: (إن فلانًا - من أئمة الحديث، أو من رواة الأحاديث - مريض، وله عشرة أيام لم يخرج من بيته، قال: (**نذهب لزيارته، فإن من حق المسلم على المسلم أن يعوده إذا مرض**)، فذهب هو وأصحابه، وكان هذا الذي يروي الحديث أو من علماء الحديث كان يتأول شيئًا، يعني: لا يُشترط في العالم أو في الراوية أن يكون كاملًا، ربما له تأويل في مسائل من مسائل العلم، يراها هكذا، ولا يوافقه عليها غيره، فكان له تأويل في بعض المشروبات، مما لم يُجمع العلماء على حرمته، فدخل الإمام أحمد لزيارته، فلما دخل وجد بعض هذه الأشربة، وهو يعرف مذهبه، وجد بعض هذه الأشربة في مكان، فجلس وجعلها خلفه، جلس الإمام أحمد لزيارة المريض، وجعل تلك الأشربة خلفه، ومعه عدد من طلابه، فزاره وخرج، لما خرج قال له بعض تلامذته: يا أبا عبد الله ألم تر الشراب؟ قال: (**لم أرَ شيئًا**) قال: لقد كان وراء ظهرك. قال: (**وهل يرى الإنسان ما وراء ظهره؟**) هذا تغافل فيه حكمة، أتت الجارية لهذا الراوية، وقالت: لقد أتاك أبو عبد الله، ولم تنزع الشراب، فقال: (**إذا كنت لا أستحي من الله، فكيف أستحي من أبي عبد الله؟! ولكني أتركه من الآن، أريقي تلك القوارير**). الموقف له تأثيره، ولكن لكل مقام مقال.

هنا قال محمد بن علي بن الحسين: فطنة وتغافل، المؤمن كيس فطن، يدرك الأمور، ويعرفها، ولكن لا يُقَصِّي الأمور إلى نهايتها، في بيتك أنت ترى أشياء: يتصرف ابنك، يتصرف أخوك، يتصرف صديقك في أشياء لابد فيها من التغافل، يقول كلمة لا تعجبك، تمررها؛ لذلك قال بعض

السلف: **(الكلمة التي تؤذيك طأطئ لها رأسك، فإنها تتخطاك)**[١]، إذا أتى كلام يؤذيك، تقول: فلان يقصدني، هذا يقصدني، لا تعتبر أنه يقصدك، ولا تكن أنت المراد به، لكن إذا واجهت الكلام، أصبح عليك، وأصبح، وأصبح، وزاد، ولذلك هناك كثير من الخلافات تزيد بمواجهات؛ لأنه بدأ بالمواجهة، لكن لو مررها المسلم، وكان فطنًا فيها، ولكنه تغافل عنها، نجح كثيرًا في ذلك.

٣ - قال مجاهد بن جبر التابعي الإمام المشهور: **(ما أدري أي النعمتين عليَّ أعظم: أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء؟)**[٢] لماذا؟

لأن عنده أنه لم يصح له إسلامه إلا بالسلامة من تلك الأهواء، فهو يتنازع، يرى منَّة الله عليه بالسلامة من تلك الأهواء، ويرى منَّة الله عليه بالإسلام، فيرى أن هذه تتمم هذه، بالإسلام الصحيح والفقه في دين الله والعلم النافع واتباع السبيل المتيقن الذي لا اشتباه فيه، سلم - وفقه الله - للسلامة من تلك الأهواء، وبحرصه على السلامة من تلك الأهواء سلم له إيمانه، وسلم له دينه؛ لذلك المؤمن حريص، ويجب أن يحرص دائمًا على السلامة من تلك الأهواء، إذا وجدت الأهواء والأقوال، اذهب إلى المتيقن، تسلم، لا تذهب إلى طريق تخاطر فيه بدينك، المرء التزم بدين الله، وحرص على الدين، وحرص على الخير، لماذا؟

لكي يفوز برضا الله ﷻ والجنة، فلا يخاطر بشيء مظنون، الآن في أمور

---

(١) العقد الفريد (٢/ ١٤٠).

(٢) أخرجه: الدارمي (٣٠٩)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٢١).

التجارة يقول: هذا مخاطرته عالية، هم - مثلًا - يقولون: الأسهم مخاطرتها عالية جدًا، يقول: هذا فيه مخاطرة، لا تدخل فيه؛ لأن العاقل لا يأتي، ويقدم ماله في شيء مخاطرته عالية، يقول: اتركه يروح.

الناس حريصون على أموالهم، ويأنفون، ويمرضون، ويصيبهم ما يصيبهم إذا فقدوا هذه الأموال؛ لأن المال عصب الحياة، فكيف إذا خاطر بمنهجه، وخاطر بدينه؟ فالمسألة عظيمة؛ لذلك يجب على المسلم أن يتنبه إلى ألا يخاطر بشيء من تلك الأهواء، أي شيء لابد أن يرجع إلى الأصل، يرجع إلى الديانة الأصلية.

٤ - الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء المعروفين، والزهاد المشهورين، كان مربيًا في العبادة والزهد، وكان أيضًا مربيًا في التعامل والتعاشر، الفضيل بن عياض يعاشر مَنْ؟ هو من الزهاد العباد يعاشر مَنْ؟ أكثر مَنْ يعاشر العباد، فرأى في العباد شيئًا فوجه لهم تلك الكلمة.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إن الفاسق إذا كان حسن الخُلق عاش بعقله، وخف على الناس، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق، ثقل على الناس، ومقتوه)**(١) كما ذكرنا آنفًا: الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال ﷺ: **(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**(٢)، فلو كان واحد عابد وصالح، وبإذن الله يأتي الفرائض، وبإذن الله ينتهي عن المحرمات، هل هذا يكفي أن يكون صاحب خُلق حسن؟ لا، قد يكون رجل يرتكب بعض

---

(١) انظر: روضة العقلاء لابن حبان (ص٦٤).

(٢) سبق تخريجه (ص ٥٨٩).

المنهيات، أو يفرط في بعض الواجبات أحسن خُلقًا منه، فيثقل ميزانه من تلك الجهة، قال الفضيل: (**إن الفاسق إذا كان حسن الخُلق عاش بعقله، وخف على الناس، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق، ثقل على الناس، ومقتوه**).

يرشد إلى أن الأكمل أن تكون صالحًا مستقيمًا على دين الله، ومعك عقل يكون فيه حُسن الخلق، كاد حُسن الخُلق أن يذهب بخيري الدنيا والآخرة؛ لذلك حسن الخلق يكون محبوبًا، ولو كان غير سالمٍ من الذنوب، ومَنْ يسلم من الذنوب؟ ولكن باعتبار الأغلب.

٥ - علي بن سهل بن الأظهر رحمه الله قال كلمة توقفت عندها لما جاءتني الرسالة طويلًا متأملًا، وحركت فيَّ أشياء كثيرة جدًا، وهي تصلح إلى أن تناقش في محاضرة مستقلة، قال: (**من لم تصح مبادئ إرادته، لا يسلم في منتهى عواقبه**)[1] أول ما يدخل في هذه الكلمة - وعلي بن سهل من الحكماء - أول ما يدخل فيها الإخلاص لله عز وجل، أول صحة مبادئ الإرادة الإخلاص لله تعالى، والإخلاص: أن تخلص نفسك في أعمالك من رؤية شيء من الدنيا، أن تعامل الله عز وجل، الواحد يعمل شيئًا يقصد به وجه الله عز وجل؛ كما قال ابن القيم رحمه الله[2]:

فَلِوَاحِدٍ كُن وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ ... أعنِي سَبِيلَ الحَقِّ وَالإِيمَانِ

(**فلواحدٍ**) وهو الله عز وجل، (**كنْ واحدًا**) في إرادتك وقصدك، (**في واحدٍ**) في

(١) انظر: صفة الصفوة (٤/ ٥٨).

(٢) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٥٨).

سبيل واحد، فالله واحد، ولا بد من قصد وإرادة واحدة، وهو الإخلاص في سبيل واحد: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، هنا يأتي أثر الإخلاص، الإخلاص والصدق مع الله ﷻ في مبادئ الإرادات في أي عمل يسلم لك عاقبة الأمر، إذا أردت في أمر دينك، انتبه لأساس الإرادة، هل هو الدين لله ﷻ، أو أردت أن تتميز، أو أردت أن تُذكر، أو أردت أن يكون لك شأن بين أهلك وأقرانك؟

شخص أراد أن يحفظ القرآن؛ لأنه تأثر بمقرئ، وأراد أن يكون إمام مسجد يُقصد أو مقرئا، آخر طلب العلم، أراد أن يتصدر، آخر طلب المال؛ ليكون أكثر من فلان، فهذا أراد الدنيا، وآخر طلب الشفاعة للناس، يشفع، ويذهب مع هذا، يريد الذكر، وآخر يعطي من المال، يريد الذكر... وهكذا، هذه أنواع من المقاصد.

والواجب أن يوطن المؤمن نفسه أن تسلم له مقاصد إرادته بالإخلاص فيها، كيف يكون الإخلاص؟ الإخلاص أن تكون فيها مريدًا وجه الله ﷻ، أي عمل تقول: هذا لله، ولكن لا يعني ألا يكون لك فيه نصيب من الدنيا، لكن القصد فيه هو الله ﷻ، إذا كان من العبادات الخالصة، فإنه لا يجوز أن يكون فيه قصد من الدنيا، إذا كان أمر فيه وفيه، فإن العلماء اختلفوا: هل ما كان للمرء فيه محبة له أن يقصده، أو ليس له أن يقصده؟ على قولين لأهل العلم، أصحهما ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية من قوله: (**إذا كان العمل لله ﷻ، ورتب الشرع عليه ثوابه في الدنيا، فإنه لابأس بقصده**) مثل: قول

النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١) واحد يريد صلة الرحم، يذهب ويصل رحمه، ويحرص عليها، قصده وجه الله ﷻ والرغبة فيما عند الله، والله هو الذي أمر بذلك، لكن في داخله أيضًا يريد أن يُبسط له في رزقه، ويريد الطول في العمر، نقول: لا بأس بذلك؛ لأن الشرع حث على العمل بذكر هذه المثوبات، وهذه ذكرها ابن تيمية في قاعدة مهمة له، وهي: قاعدة في المحبة فيما كان للعبد فيه محبة، وهو عبادة.

الكرم: واحد كريم بطبعه، يأنس، ويتصدق، ويعطي، وينفع، ويريد بذلك وجه الله، ولكنه يجد في نفسه سرورًا إذا فعل هذه الأشياء، قال: لا بأس بذلك؛ لأن هذه من عاجل بشرى المؤمن.

كذلك قال أهل العلم: من دعا الناس لئلا يُتهم بالبخل، وهو ما يرغب، يعمل وليمة، أو شيئا يجد في نفسه ثقلا أنه يعملها، لكن البخل صفة مذمومة، البخل: عدم الإنفاق فيما الإنفاق فيه واجب أو مستحب، قد يكون محرمًا، وقد يكون مكروهًا بحسب الحال، ولكنه لا يريد أن يوصف بالبخل فيعمل عملًا هو لا يريد أن يدعو ويصل ويجمع أناسا، ويكونون عنده على خير، ولكن يريد ألا يُقال عنه: بخيل، قال أهل العلم: يؤجر على ذلك؛ لأن عمله للتخلص من صفة مذمومة؛ لذلك قال هنا علي بن سهل بن الأظهر: (**من لم تصح مبادئ إرادته، لا يسلم في منتهى عواقبه**) لا يسلم من جهة الإثم، ولا يسلم في منتهى عواقبه أيضًا، ليس هناك ذكر في الدنيا؛

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٧٧٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

لذلك مبادئ الإرادات مهمة جدًا.

ولذلك قال أحد الزهاد وهو عطاء الله السكندري في كلمة مشابهة لذلك في بعض المعاني قال: (**من كانت بداياته محرقة، كانت نهايته مشرقة**) بداياتك تكون محرقة قوية تشرق، يعني لابد من قوة، حتى تشرق عملًا صالحًا في الدنيا، يريد أن يحفظ القرآن وهو ليس عنده همة ما يمكن، يريد أن يكون قويًا في بدنه، وهو لا يكون حريصًا على نفسه، لا يمكن، إذا كنت قويًا في إرادتك، سلمت لك العواقب.

٦ - قال يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في كلام له وهذا يصلح أيضًا لكل ما نقوله -: (**الكلام الحسن حسن، ولكن أحسن منه معناه، وأحسن من معناه استعماله**)[1]، صار عندنا ثلاث طبقات، أنت تسمع كلامًا حسنًا، وتقول: ما شاء الله، هذا الكلام جميل، لكن لابد أن تغوص فيه، تتدبر وتتأمل فيه، لكن تسمعه، وتستلذ له؛ كالواحد يرى وردة من بعيد، ولا يشمها، صحيح رأيت، ولكن هنا: (**وأحسن من الكلام معناه**) هنا لما تتأمل في الكلام، وتتفحص في معناه هذا أحسن، أعظم الكلام حسنًا كلام الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣]، استماعك له، تلاوتك عبادة، لكن أفضل من ذلك أن تكون متدبرًا عالمًا به ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فالقرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، فهنا القمة أن يكون علما وعملا، القرآن معك، وتعلم ما فيه، وتعمل بما فيه بحسب الاستطاعة.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٨٩)، والخطيب في تاريخه (١٤/ ٢٠٩).

قال: (وأحسن منه معناه) لم؟ لأنك إذا تأملت في الكلام، وفصلته درسته، وجدت أنه تنشأ منه أنواع الرياحين وأنواع المعاني التي تأنس لها، الشعراء يقولون شعرًا استلذاذ الناس له يختلف، واحد يقول: هذا شعر عظيم، وواحد يقول: لا، هذا هنا بحسب ماذا؟ بحسب القدرة على فهم المعاني.

كذلك كلام الحكماء، كلام الحكماء عظيم بليغ، إدراك معانيه يحتاج إلى عقل وعلم لإدراكات، وبعد ما قالوا، لكن أحسن من هذا كله ماذا؟ قال: **(وأحسن من معناه استعماله)** إذا استعملت الكلام الحسن قرَّ أولًا، ثانيًا: شعرت بحسنه، وانشرح له صدرك، ثالثًا: إذا استعملته، رأيت أثره والانتفاع به، ولذلك إذا سمعنا كلامًا حسنًا، نتوقف عنده؛ لنأنس به، ثم ننتقل إلى فهم معناه، ثم بعد ذلك استعماله، وهكذا كلام السلف - رحمهم الله تعالى - السلف كان كلامهم قليلا، لكن فيه المعاني الغزيرة.

٧ - قال أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ماذا قال؟ رأوه يكثر السجود، يكثر الصلاة، ويحب من الصلاة السجود، قالوا له: الآن تنقطع عن أشياء وتسجد؟ قال: **(أدخر كثرة السجود ليوم القيامة)**[1] أخذها من قول النبي ﷺ لبلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**[2]، النفوس إذا كانت عالية، ما تقتصر على شيء قليل، وتقول: أديت الواجب، وفقط.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٧/ ٢٠٥)، **(إن خير كثرة السجود ليوم القيامة)**.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩)، من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالهمم العالية لا يقنعها إلا المنازل العالية، واحد يؤدي الصلوات الخمس خير، قال: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»[١] قال: يا رسول الله - لما قال أخبرني عن كذا، وأمره بالصلوات. . . إلى آخره -، قال: والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص، قال النبي ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»، وفي رواية قال: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ**»[٢]، فدخول الجنة مطلب عظيم، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهلها، وأن يسلمنا من النار، وأن يعيذنا منها ومن طرقها، لكن المنازل العالية تحتاج إلى إخبات، إخبات في القلب وصدق، وأعظم ما يؤدي إلى ذلك الصلة بالله ﷻ الخاصة الصادقة.

وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فرجع الأمر إلى أن السجود فيه سر عظيم، تشعر وأنت ساجد كأنك تحوم حول العرش في بعض الأحيان لا يُقال: إن الرجل أو المرأة أو الإنسان في صلاته يكون دائمًا على حال واحدة، فهذا غير معقول، تأتيك أحيانًا من النفحات، ومن الصدق ومن كرم الله ﷻ وإكرامه لك، ما يجعلك وأنت ساجد تبكي وتبكي، وتبكي، وأنت لا تدري، حتى إذا انفتح عليك البكاء لم ينقطع، تريد أن تكف نفسك لا تستطيع، هذه منحة من الله لك، فاستفد منها:

إِذا هَبَّت رِياحُكَ فَاِغتَنِمها   فَعُقبى كُلِّ خافِقَةٍ سُكونُ

إذا هبت الرياح - رياح الخير رياح الإيمان - لا تقل: أنا مشغول، هبت رياح فيها خير لك: في طاعة، في صدقة، انفتح لك باب دعوة، باب خير،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٩١).

باب عمل صالح مما هو موافق للكتاب والسنة، لا تتأخر؛ لأنها قد لا تأتي مرة ثانية، وكذلك شعورك في ليلة صليت ركعتين مثلًا: بعض الناس يصلي ركعتين، ثم الشفع والوتر - يعني: خمسًا -، صليت ركعتين، وشعرت تلك الليلة بانشراح الصدر؛ لأنك خشعت، لا تنقطع، لا تقل: أنا مثل العادة أصلي ركعتين. صلِّ صلاة الليل؛ لأنها قد لا تأتيك مرة ثانية، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: **(لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم واحد لم يكن غائب أحب إلى من الموت أتدري ممن يتقبل الله** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][(١)] لذلك هنا **(أدخر كثرة السجود ليوم القيامة يوم الفزع الأكبر)** هذه يجب أن ننتبه، ونقف عندها، ندخر، تشعر وأنت تعمل العمل الصالح، تدخره ليوم القيامة، هذا يعطيك عدة معانٍ:

أولًا: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر، **(أنا أدخره ليوم القيامة)**، وهذا الإنسان يعمل العمل، ويقول: أنا أديت الواجب. ولكن ما يأتي في باله أنه يدخره ليوم القيامة، أنه يعمل ليوم العرض، يعمل لأجل الموازين حين تُنصب، يعمل للقاء الله عز وجل، هذا معنى زائد يقوي ركن الإيمان الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر، ركن الإيمان باليوم الآخر يأتي بما تعود نفسك عليه، هناك كثيرون يطيعون الله عز وجل، ويعملون صالحًا، لكن استحضار - وهو يعمل - ما يكون لليوم الآخر، فهؤلاء قلة.

لذلك قال بعض التابعين، أو تبع التابعين للحسن البصري رحمه الله قالوا له - وقد أدركوا بعض الصحابة رضي الله عنهم -: لقد رأينا التابعين أكثر عبادة من

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٩٠).

الصحابة ﷺ، فبم سبقهم الصحابة ﷺ؟ قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: **(هؤلاء يتعبدون والدنيا في قلوبهم، والصحابة تعبدوا، والآخرة في قلوبهم، فهذا الذي رفع أولئك)** يعني: فرق، واحد يصلي، ويتصدق، وفي قلبه الآخرة، ورجاء الله، وحب الله، والخوف من الله، وآخر يعمل المأمور به، أنا أصلي، أروح المسجد، وأصلي، ولكن الشيء الذي في النفس هذا يرفع المنازل، لذلك كلمة أبي مسلم لها الكثير من المعاني.

٨ - قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام)**[1] هذه الكلمة فيها أبعاد كثيرة، لكن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر - قواهم الله، وزادهم قوة وبصيرة - عندهم كل يوم عشرون حالة، أو ثلاثون حالة، أو أكثر في كل يوم، ما سمعنا بالحالات، صحيح؟ نادرا أن يسمع إنسان أنه حصل كذا، إلا إذا كان انتشر من قرابته، أو من أهله، أو ممن حصل منهم.

لكن اليوم هناك من لا يستر هذه الأشياء، ويشيعها، وهي بعض الصحف بعض الصحف اليوم إذا أتت في نقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قالت: فيهم وفيهم، وفي الصحف يقول: رجل أتى ابنته، رجل علا أخته، هذا في الصحف عندنا في المملكة، هذا الذي فعلوه، وهذا الذي نشروه من أعظم الفضيحة؛ لأنها نشر علني، يقرؤها مليون أو مليونان، وهذا عيب

---

(١) انظر: الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(ص٤١٨)، قال: الوزير ابن هبيرة: **(اجتهد أن تستر العصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام وأولى الأمور ستر العيوب)**.

في أهل الإسلام، وقدح في المروة، وقدح في الشيمة، أهل الإسلام وبلد القرآن إذا صار فيه حالة رجل في مخدرات أو رجل معتوه، ووقعت منه، تُنشر في الصحف بالخطوط العريضة! فلان وقع على أمه، فلان وقع على أخته. . . إلى آخره؛ ولذلك الذين يصبون في إفساد المجتمعات اليوم هم الذين ينشرون الفاحشة.

ونشر الفاحشة يكون بأنواع منها: عدم الستر، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩]، وهذا العذاب بماذا؟ لأنهم أحبوا أن تشيع الفاحشة. الأصل الستر، الأصل أن الذنب يقع من الإنسان، وقعت الذنوب في عهد من؟ في عهد النبي ﷺ، هذا وقع، وهذا زنا، حالات قليلة، ولكنها وقعت باعتبار البشرية، ما الواجب؟ الواجب ألا تذكر، وألا تذكر في المجالس، وألا تنشر، أما أن تُنشر في أعظم الوسائل، وهي الصحف، فهذا عظيم؛ كذلك بعض القنوات الفضائية يأتون بمثل هذه الأحداث، يقولون: هذا وقع على هذا، وهذا تحرش فيها، وحاول فيها، ويأتون باللقاءات علانية، لماذا عملتم هذا؟ وهي موجودة في بعض البلدان الكافرة: في أمريكا، وفي أوروبا في برامج، ولكن أن يقلدهم أهل الإسلام ويأتوا بأناس يقولون: أنت فعلت كذا وكذا، يقول هنا: (**هذا عيب في أهل الإسلام**) إذًا ما المقصود من نشر هذه؟ المقصود منها معالجة القضية؟

هي حالة واحدة، لماذا تنشر صحيفة أخبارا مثل هذه على الملأ؟ ما السبب؟ هل هي قضية شائعة دائرة حتى تُناقش؟ وإذا أتى أهل الخير في خطبة، وعرضوا بواحد، قام أهل الصحف، وكتبوا المقالات: هذا ذكر،

والخطيب ذكر فلانا، ولماذا يذكره؟ والنبي ﷺ قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ»[1] وهم في نفس الصحف يأتون مثل هذا، يقولون: وقع فلان، وزوجته وجدت مع هذا، وراح ذاك، وقتلها... إلى آخره.

مثل هذه يجب ألا تتعدى الولاة - ولاة الأمر - والقضاء والشُرط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الهيئات لا تتعداهم، حتى المرء المسلم إذا سمع بشيء من ذلك لا يجوز أن يذكر ذلك، لا يجوز له؛ لأنه يجب على المؤمن أن يستر أخاه، وقد قال ﷺ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]، والحديث في ذلك ذو شجون.

٩ - قال سفيان الثوري رحمه الله، وهو من طبقة تبع التابعين، ومن الزهاد العباد، إمام في الحديث، وقال بعضهم: أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري، وكان عابدًا زاهدًا، مَرض مرض الموت، فأوتي بطبيب، ففحصه الطبيب، وقال: أريد أن أرى بوله. فرآه، وهو يتبول، قال: هذا رجل قطع الخوف قلبه، يأتي للإنسان غلبة حال يقطع الخوف قلبه: الخوف من الله ﷻ من الحساب، من الدار الآخرة، فقال هنا كلمة، قال: (**يعجبني أن يكون صاحب الحديث - فهو يعاشر أصحاب الحديث - مكفيًا؛ لأن الآفات إليهم أسرع، وألسنة الناس إليهم أشرع**)[3] ماذا يقصد بـ(مكفيٍّ)؟ يعني: عنده مال يكفيه، لم؟ قال: (**الآفات إليهم أسرع**) يُخشى عليه أن يحتاج، أن يعمل شيئًا، ثم ينصرف عن القوة التي هو فيها، (**وألسنة الناس إليهم أشرع**) لم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦)، ومسلم (١٥٠٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٦٩).

يقولون: انظر إلى هذا كيف، وهو يدعي أنه على علم؟ لو كان العلم نافعًا له، كان ربي يرزقه، . . . إلى آخره، يقول: (**يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفيًا**).

وقال أيضًا في معنى المال كلمة أخرى: (**كان المال فيما مضى يُكره، أما اليوم، فهو تُرس المؤمن**)[١]، قامت الدولة العباسية، فتغيرت الأمور، واختلفت، لم يصبح الناس في توادهم وتراحم كما كانوا من قبل، الناس لا يقرضون بعضًا، أصبح الناس لا يسعى بعضهم في حاجة بعض، القوة ضعفت . . . إلى آخره، سفيان الثوري تأمل هذه الحالة، فقال هاتين الكلمتين، قال: (**يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفيًا**)، وقال الكلمة الأخرى، قال: (**كان المال فيما مضى يُكره**) يعني: التوسع في المال أو الرغبة فيه، أو أن يكون المال يُكره، قال: (**أما اليوم، فهو ترس المؤمن**) كيف ترس المؤمن؟ يعني: يتقي به آفات الدنيا، يتقي به ما يكون، حتى لا يكون أمثولة في ذلك. الناس في هذا مقامات؛ لذلك هنا تكلم أهل العلم في الزهد: ما هو؟ فقال بعضهم: (**هو ترك الدنيا**)، وقال بعضهم (**هو ترك الحرام**)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ بعد أن استعرض هذه الأقوال، ونظر فيها: (**الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة**)[٢]، بمعنى أنه يأتيك شيء يمكن أن ينفعك في الآخرة، وتتركه زهدا، فليس هذا من الزهد، فلذلك قال هنا: (**ولذلك قبل طائفة من السلف الولايات**)، لماذا؟ لأنه يرى بحسب ما

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٨١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٥)، ومدارج السالكين (٢/ ١٠)، وعدة الصابرين (٢٢٦).

يظهر من حاله أن الولاية التي تولاها تعينه على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وفي الآخرة بحسب حاله ما استطاع، في المال قال: **(كان المال فيما مضى يكره، أما اليوم، فهو ترس المؤمن)**.

فلذلك ليس من الحسد أن يذم المال مطلقا، وإنما يذم المال إذا كان مشغلا عن العلم النافع، عن الآخرة، عن الصلاة، عن نفع المسلمين، أما إذا كان يستخدمه فيما ينفع في الآخرة، فهو محمود، نعم حسابه في الآخرة أشد، والفقير حسابه أقل، ولذلك يدخل الفقراء يوم القيامة الجنة قبل أغنياء هذه الأمة بخمسمائة سنة، لماذا؟ المال يحتاج إلى حساب، لكن إذا كان ينفع، فالصحابة رضي الله عنهم كان منهم من عنده مال كثير، أبو بكر رضي الله عنه كان من أغنى الصحابة رضي الله عنهم، عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان من أغنى الصحابة، عثمان بن عفان رضي الله عنه كان من أغنى الصحابة، كان من الصحابة أصحاب الأموال الكثيرة، عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز جيش العسرة بمئات بل بآلاف، فقال النبي ﷺ في شأنه: «ما ضَرَّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ»[١]؛ لأن العمل الصالح يكون نافعا للمؤمن بقية حياته.

لذلك قال النبي ﷺ عن أهل بدر: «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[٢]، لا يقال في أهل بدر: إنهم ينتكسون، ولكن إذا حصل من أحدهم شيء، فتلك الحسنة العظيمة يغفر لهم بسببها ما كان بعد ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

١٠- سئل ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال السائل له: أيهما أنفع للعبد - مقالات السلف والتنقل فيها أنا لا أمل منه، ولكن ما أدري عنكم، لكن أنا لا أمل منها، لماذا؟ لأن كل واحد منهم بحر، تجد في كلامه أنواعًا من العلوم، شيئًا في السلوك، شيئًا في العقيدة، شيئًا في الروحانيات، أشياء في التعامل، ونستفيد منها كثيرا، ونفعوا بتلك الكلمات - ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ سئل: أيهما أنفع للعبد: التسبيح أم الاستغفار؟ فقال: (**إذا كان الثوب نقيا، فالعطور والورد أنفع، وإذا كان الثوب متسخا، فالصابون والماء الحار أنفع**).

الآن الذي يسأله طبعا ليس بطالب علم، فلما نبحث مع طلاب العلم: أيهما أنفع التسبيح، أم الاستغفار؟ بحث آخر يبحث فيه في معاني التسبيح، والمشتملة عليه من جهة تعلقه بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيه التوحيد، والاستغفار طلب المغفرة من الله عَزَّوَجَلَّ، البحث آخر حسب حال السائل، فالذي ينفع الكثيرين ينفعنا جميعا.

قال: (**أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟ قال: إذا كان الثوب نقيا، فالعطور والورد أنفع**)، يعني أن العبد إذا كان يعاهد نفسه بنظافة ثوبه، كلما أذنب استغفر، ما يبقى على شيء، يستمر دائما ينظف قلبه، يعمل الصالحات: ذهاب للمسجد، عمرة مكفرة، صدقات مكفرة، حج، صيام، دائما ينقي قلبه، قال: إذا كان الثوب نقيا - يعني: أنت حريص على نقاء ثوبك دائما، فالتسبيح أنفع؛ لأنه يرفع الدرجات، أما إذا كان الثوب متسخا، فالصابون والماء الحار أنفع، وهذا ما نحتاجه فعلا، فالسلوك على درجتين:

الأولى: أن العبد يحمد إذا كان متنظفًا في ثيابه، الواحد يغضب من أهل

بيته: ثوبي لماذا لم تنظفوه؟ لماذا لم تكووه؟ لماذا لم تفعلوا هذا؟ لماذا؟ لأن الظاهر مطلوب، لكن جمال الباطن أهم، سلامة القلب أنفع، صلاح القلب أنفع، لذلك قال ﷺ في الصلوات الخمس في مثلها: «أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هل يَبْقَى من دَرَنِهِ شَيْءٌ قالوا لا يَبْقَى من دَرَنِهِ شَيْءٌ قال فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا»[1] إذا كان عندك نهر جار نظيف، تغتسل منه، وتنظف ظاهرك، كذلك الصلوات الخمس، العبد قد يقول كلمة يغلط فيها، يقول كلمة، فيعاهد نفسه دائما على نقاء ثوبه الداخلي، على نقاء روحه، نقاء قلبه بالاستغفار، بالصلوات، بالمكفرات، بالعلم النافع، بالصدقة، بالدعوة، بالأعانة، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنواع من العمل الصالح، لكن إذا كان يعرف نفسه أنه مذنب، فما حاله؟ لابد أن ينتبه لنفسه، يكثر من الاستغفار؛ كما كان النبي ﷺ يعلم الأمة؛ حيث كان ﷺ: «يستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة»[2]، في المجلس يستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وفي لفظ: «والله إني لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه في الْيَوْمِ أَكْثَرَ من سَبْعِينَ مَرَّةً»[3] (سبعين) في لغة العرب إذا أطلقت لا يراد بها الحصر يعني: كثير، فلفظ السبعين في لغة العرب لا يراد به العدد، وإنما يراد به الكثير؛ كما قال ﷻ: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٨٠]،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٢٧٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦١) من حديث أبي بردة عن رجل من المهاجرين رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ليست سبعين، بل ثمانين، تسعين، فلفظ سبعين يعني: كثيرًا جدًا.

فأنت تتعاهد نفسك بالاستغفار، يعني: وأنت ماشٍ بالسيارة، وأنت في بيتك تستغفر، إذا مللت، تستغفر، الآن حتى الطفل الصغير ثلاث سنين أربع سنين يقول: لقد مللت. يعلم ويدرب حتى ينفع إذا كبر، فلابد أن يعلم، حتى الإنسان الكبير يعلم، ويعود، وهذا شيء سهل.

١١- آخر شيء في كلمات اليوم: قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتشت عن الورع، فلم أجده في شيء أقل من اللسان)**[١]، الواحد يقدر يمسك نفسه عن أشياء كثيرة، ما يسمع ملاهيَ، ما يفعل شيئًا، لكن أصعب شيء اللسان؛ لذلك قال ﷺ فيما صح عنه: **«من يَضْمَنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ له الْجَنَّةَ»**[٢].

وفي الحديث المعروف قال: **«وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ الناس في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ أو على مَنَاخِرِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»**[٣].

---

(١) انظر: طبقات الحفاظ (١/ ٩٩)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩).

فاللسان صغير الجرم، لكنه عظيم الجرم.

اللسان له أشياء حسنة، يوحد الله ﷻ، يثني على الله، يذكره، يتلو القرآن يخاطب من يخاطب، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، أبواب كثيرة للسان، مابين واجب ومباح، لكن له أبواب أخرى، مثل: الكذب، النميمة الغيبة، اللمز، وغيرها من الأشياء، فاللسان خطير، تجد بعض الناس يترك الخمر والسرقة والزنا، لكن تجده في غير ذلك، وأحيانا يصف الناس بشيء غير متأكد منه، ويدخل ذلك في البهتان.

مثل الذين يكتبون في الإنترنت: فلان عمل كذا وكذا، وليس لكلامه أساس من الصحة، وإنما سمع شيئا، فظن ظنا، وحوله إلى قول ونشره، والناس إذا أتاهم كلام لم يسبق له شيء، يصدقونه، وواحد يقول: كذا، وفلان كذا وكذا، صار كلامه مسلمًا مصدقًا، لكن لا يقول كلامًا يطعن به في المسلم، فالأصل في المسلم أنه إذا رأى خيرا ينشره، وإذا رأى غير ذلك كتمه؛ لأن ذلك أطيب، وإذا بحثنا عن كبائر اللسان: من قذف، وسب، وشتم، . . . إلى آخره.

الآن يقولون: أمانة الكلمة، هذه كلمة جميلة؛ لأن الإنسان مؤتمن، وهذه الكلمة تخرج من أين؟ من لسانه، واليوم ينشر في الصحف، وبعض الكتاب الذين يكتبون في الصحف، وينشرون بعض الكتابات، التي لا تكون إلا في خدمة سبيل الشيطان، إما قدح في أئمة الإسلام في صحفهم فضلا عن غيرها، وقعوا في كثير من أهل العلم، وتكلموا في السلف الصالح ووقعوا في الدعوة السلفية، ووقعوا، ووقعوا، . . . إلى آخره، أيضا وقعوا في أهل العلم المعاصرين، وأصبحوا يشنعون عليهم بأشياء وأمور، ووقعوا

في السلف الصالح وفي الدعاة، أمانة الكلمة وصون اللسان تغيب عن كثير منهم؛ لأن هذا الكلام يصبح وبالًا على صاحبه، والمقصود منه إضعاف الدين والخير في هذه البلاد، ولذلك يجب حفظ اللسان وأمانة الكلمة، فكل إنسان مؤمن يخاف الله ﷻ يجب عليه أن يخاف من كبائر اللسان؛ لأنها موبقة، والإنسان ما يسلم.

الصلوات الخمس مكفرة إذا اجتنبت الكبائر، لكن الواحد لا بد أن ينتبه لنفسه، ما ذكره المقدسي في كتابه منهاج القاصدين - وهو كتاب جيد في السلوك، ملخص من كتب قبله - ذكر قصة فيه عن رجل أراد أن يشتري عبدا رقيقًا، فأعجبه، فقال: ما مواصفاته؟ قال: مواصفاته كذا وكذا، ويكتب ويعرف الحساب، ويعرف الآلة، ويعرف الدواب ومدحه، ولكن براءة للذمة فيه عيب واحد، قال: ما هو هذا العيب؟ قال: له يوم في السنة يكذب فيه. قال: لا يضرني ذلك اليوم. فأخذه، مشت الأيام، فرح به جدًا، جاء يوم السنة الذي يكذب فيه، قال للزوجة - زوجة سيده -: بلغني أن زوجك يريد أن يتزوج، وأنه متعلق بامرأة، والحل سهل، أنا جربت فيما قبل، والحل سهل، قالت: ما هو؟

قال: إذا نام في الليل، تأتين بسكين أو مقص، وتقصين شعرات لحيته المتدلية على حلقه.

قالت: هذا فقط؟ قال: هو ثقيل النوم، أنا أعلم هذا. لما جاء الزوج قال له: يا سيدي أنا لك ناصح أمين، زوجتك لها عشيق، وبلغني أنها تريد أن تقتلك الليلة، فلا تسلم لها، فتناوم، فتغطى، وجاءت المرأة بالسكين، فأمسكها، وقتل المرأة، لما سمع الصياح العبد، طار إلى أهل الزوجة،

وقال لهم: سيدي ذبح ابنتكم. أتوا، فذبحوه، قال: يكذب مرة واحدة، ما يضر، لكن هذا كذب ضر في الدنيا، لكن ربما كذب كذبة واحدة، تقولها لا تلقي لها بالًا، تذهب عمرك يمشي، تهوي بك في النار سبعين خريفًا؛ فلذلك تحرص على النقاء نقاء اللسان، ليس شيء أحق بالحبس من اللسان، تكلم بما ينفع، ولا تتكلم بما يضر، قال ﷻ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

أسأل الله ﷻ أن يوفقني وإياكم لما فيه الرشد والسداد، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا، اللهم وفق ولاة أمورنا لما فيه الخير والسداد، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل الطاعة، ويُهدى فيه أهل المعصية، ويُخذل فيه من أراد بنا سوءًا؛ إنك على كل شيء قدير، اللهم واغفر للملك فهد بن عبد العزيز، وأسكنه فسيح جناتك، وأجزه عن الإسلام والدعوة خيرًا، واغفر لآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين والمسلمات، إنك على كل شيء قدير، اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الكريم، نعوذ بك أن نزل أو نُزل، أو نضل أو نُضل، أو نجهل أو يُجهل علينا، اللهم آمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله ومنته المجلد الساس: (كتب ومؤلفون - السيرة والتراجم) من الأجوبة والبحوث والمدارسات، ويليه إن شاء الله المجلد السابع: (الفوائد).